

الحوزة العلمية

نشوؤها .. مراحل تطورها .. أدوارها

خطب وأحاديث ومقالات

سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم (عَلَيْهِ السَّلَام)



تحظى الحوزة العلمية المشرفة بمكانة
مرموقة في مذهب أهل البيت عليه السلام، وتحتل
مركز الصدارة على الصعيد الفكري
والثقافي والقيادي وغيرها من الأصعدة
الأخرى.

وقد تأسست هذه المؤسسة المباركة
على يد أئمة أهل البيت عليه السلام، وخصوصاً
الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام
الذين يبدو أثرهما واضحاً على نشوء
وتطور هذه المؤسسة.



ایران / قم - ص . ب : ۳۷۱۸۵/۱۶۳

هاتف : ۷۷۴۴۰۴۱ - فاكس : ۷۷۳۵۰۴۵



الحوزة العلميّة

شؤونها .. مراحل تطوّرها .. أدوارها

خطب وأحاديث ومقابلات

سماحة آية الله السيد محمّد باقر الحكيم (دام ظلّه)

مكتبة
يوسف الرميض
لنشر وترويج الكتب
بكافة مجالاتها

دار الحكمة / القسم الثقافي

حكيم، سيد محمد باقر، ١٩٣٩ -

الحوزة العلمية: شؤونها.. مراحل تطورها.. ادوارها؛ خطب وأحاديث
ومقابلات.. سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم (دام ظلّه).. محل نشر:
قم، ناشر نيكان كتاب، ١٤٢٤ ق. = ١٣٨٢.

ص ٣٣٦

ISBN 964-7441-52-5

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

١. حوزة های علمیه - تاریخ - مقاله ها و خطابه ها. الف. عنوان.

٢٩٧/٠٧١

BP٧/٤ / ح٨ ح٩

الحوزة العلمية

المؤلف: سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم (دام ظلّه)

الطبعة: الأولى عام ١٤٢٤ هـ

المطبعة: عترة

الكمية: ٣٠٠٠

السعر: ٢٠٠٠ تومان

« جميع حقوق الطبع محفوظة لدار الحكمة / القسم الثقافي »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وبعد:

تحظى الحوزة العلمية المشرفة بمكانة مرموقة في مذهب أهل البيت عليه السلام، وتحتل مركز الصدارة على الصعيد الفكري والثقافي والقيادي وغيرها من الأصعدة الأخرى.

وقد تأسست هذه المؤسسة المباركة على يد أئمة أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً الامام الباقر عليه السلام والامام الصادق اللذين يبدو أثرهما واضحاً على نشوء وتطور هذه المؤسسة.

وقد وجدنا أن مجموعة من الخطب والدراسات واللقاءات المسجلة على الأشرطة والتي تفضل بها سماحة آية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم (دام ظله) تقدم صورة متكاملة عن دور الحوزة العلمية وتاريخها والنظريات المطروحة في حركتها وتطورها، كما إنها تحوي تصورات ورؤى خاصة تمثل عصارة التجربة الميدانية والفكرية لسماحته.

ومن هنا فقد رأينا أن ننشر هذه المادة العلمية الثقافية النفيسة شعوراً منا بمسؤولية الحفاظ على هذه المؤسسة، وتحسينها من الأفكار الدخيلة، لا سيما وأنها تواجه اليوم أكثر من أي وقت مضى تحديات عالمية جسيمة، ولا بد أن تكون في مستوى التحدي والمسؤولية.

ولا يخفى على القارئ الكريم، أن الأسلوب الخطابي يختلف كثيراً عن الأسلوب الكتابي باعتبار أن الكاتب يتناول موضوعاً بشكل متسلسل زمنياً ومضموناً، كما إنه يكتب لشريحة معينة يتصورها مسبقاً. أما المتكلم فقد يكرر بعض العبارات، أو يتناول الفكرة أكثر من مرة تبعاً

للظروف والأحوال .

ثم إن هذه الخطب والأحاديث كانت في فترات متباعدة، وعلى مدى أكثر من عشرين عاماً حصلت خلالها أحداث وتطورات انسحبت في النهاية على أسلوب الحديث ومضمونه، خصوصاً أن المتحدث معنيّ مباشرة بتلك الأحداث. ففي الوقت الذي يتناول موضوع الحوزة العلمية تراه يقدم التحليل السياسي، والموقف الشرعي من مستجدات الأحداث، ويرد الشبهات. لكن هذا التنوع ليس بعيداً عن موضوعه، باعتبار أن الحوزة العلمية في العصر الحاضر تتحمل مسؤولية جسيمة في قيادة الأمة وتوجيهها نحو نيل حقوقها المشروعة .

ولم يكن عملنا في هذا المجال سوى تدوين هذه الأحاديث من الأشرطة المسجلة، وترتيبها وفق التسلسل الزمني، وكتابة بعض الهوامش التي رأينا أنها بحاجة إلى توضيح، ووضعنا عناوين رئيسية وفرعية للتسهيل على القارئ في نيل بغيته عند ملاحظة الفهرس العام. فلم تحذف ما تكرر من أفكار، ولم تقدم بعضها على بعض حتى لو رأينا أن ذلك في محله، وليس ذلك إلاّ حفظاً لتسلسل الحديث، وأمثلاً منا في تقديم تصور عام للظروف والأحوال التي واكبت هذه الأحاديث .

وقد كان أملنا أن نعرض هذا العمل على سماحة السيد الحكيم (دام ظله) ليراجعه ويبيدي رأيه، لكن الظروف الاستثنائية التي تعيشها الأمة هذه الأيام، وكثرة المهام والمسؤوليات التي يمارسها سماحته، حالت دون الحصول على شيء من وقته الثمين لتحقيق ما كنا نأمله. لذا اكتفينا في هذه المرحلة بما بين أيدينا، آمليين أن يتحقق ذلك في الطباعات اللاحقة .

وختاماً... نأمل من القراء الكرام أن يتفضلوا علينا بملاحظاتهم ومقترحاتهم حول هذا العمل، ليتكامل في النهاية، ويكون بالمستوى اللائق .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا هذا القليل، ويجعله في ميزان أعمالنا، لا سيما سماحة السيد الحكيم (دام ظله). وأن يجعلنا في عداد العاملين الذابين عن شريعة سيد المرسلين

محمد عليه السلام

الحوزة العلمية العراقية والأوضاع القائمة في العراق^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب
إله العالمين أبي القاسم محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .
والسلام على سيدتنا ومولانا فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين . والسلام على سيدنا
ومولانا بقية الله في أرضه الحجة ابن الحسن (عج) . والسلام على شهداء الإسلام في كل مكان ، منذ
الصدر الأول وحتى هذا العصر .

والسلام على سادتي العلماء وإخواني طلاب العلوم الدينية الأعزاء ، ورحمة الله وبركاته .
﴿ ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عتّا
سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف
الميعاد ﴿ (٢) .

مضمون الحوزة العلمية

في هذه الأيام الشريفة المنسوبة إلى سيدتنا ومولانا فاطمة الزهراء عليها السلام ، أتقدم بالتعزية
لكل السادة الأفاضل .

وأذكر موقف الزهراء عليها السلام من ناحية ، وتضحيتها ومظلوميتها من ناحية أخرى . حيث
كان موقفها عليها السلام أول موقف شجاع وواضح بعد وفاة النبي ﷺ من أجل تثبيت الحق وكشف
الحقيقية التي حاول الآخرون أن يكتتموها على الناس أو يتلاعبوا فيها ويشوّهوا صورتها ، فكان
لموقف الزهراء عليها السلام - هذا الموقف الفريد ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى - الدور العظيم في
وصول هذا الوضوح والحقيقة إلينا عبر السنين الطويلة . فولا ذلك لما كان من الممكن للحقائق أن

(١) محاضرة سماحة السيد الحكيم « دام ظله » ، في المدرسة الفيزية - الندوة الثانية للحوزة العلمية ،
وذلك يوم الخميس ، المصادف ٢٠ / ١٠ / ١٩٩٤م - ١٤ / ٥ / ١٤١٥ هـ . ق - ٢٨ / ٧ / ١٣٧٣ هـ . ش .

(٢) آل عمران : ١٩٣ - ١٩٤ .

تكون واضحة هذا الوضوح الذي نعرفه اليوم بعد مرور (١٤) قرناً من الزمن على تلك الأحداث والقضايا. وفي الوقت نفسه، نجد أن هذا الموقف لم يكن هيئاً، بل كان يحتاج الى التضحية والفداء والبذل، وأن تكون الزهراء عليها السلام مظلومة في كل خصائص حياتها ووجودها، وتذهب الى ربها شاكية ما جرى عليها طيلة هذه الفترة، بعد وفاة أبيها عليه السلام وحتى استشهادها عليها السلام.

إن هذا الموقف الحق الذي يمكنه أن ينقل الحقيقة ويثبت الوجود الحق عبر التاريخ ويكون له تأثير على الناس والبشرية في مختلف العصور والأجيال، لا يمكن أن يكون موقفاً سهلاً وهيئاً، بل لابد أن يكون مقترناً بهذه التضحية. فالزهراء عليها السلام - كما نعرف - من أكمل الناس وكذلك فهي أكمل النساء وأفضلهن، وكانت الوليد الوحيد لرسول الله ﷺ والذرية الصالحة له، فلها هذا الفخر والارتباط بالرسول والرسالة، مضافاً الى مقامها عند الله، ولكنه مع ذلك لم يكن من الممكن حتى لهذه النخبة الصالحة من الناس أن يصلوا الى أهدافهم المقدسة بدون التضحية والفداء.

إن هذا الأمر نشير إليه لأننا نعيش هذه الأيام... لكننا نجد أيضاً الارتباط الواضح بين موضوعنا الذي نريد أن نتناوله في هذا الاجتماع، وبين موضوع الزهراء عليها السلام. فالحوزة العلمية وريثة هذا الخط. وريثة الزهراء عليها السلام وأبيها عليه السلام، وزوجها الامام علي عليه السلام، والحسن والحسين عليهما السلام، والأئمة الطاهرين عليهم السلام، ووريثة كل هذه المواقف والتضحيات. وهذه الوراثة لا يمكن أن تتحقق ما لم تجمع هذه الحوزة العلمية في مجمل حركتها ووجودها، هذين الأمرين: موقف الحق مهما كان صعباً ومشكلاً. وموقف التضحية والفداء من أجل الحق ووضوح هذا الخط. هذا هو خلاصة مضمون الحوزة العلمية.

العلم طريق الى خشية الله

إن الزهراء عليها السلام كانت عالمة معلّمة، وفي غنى عن العلم وطلبه. بخلافنا نحن الذين نكون بحاجة الى طلب العلم - كما سوف أشير في حديثي -. ولكن لم يكن الهدف من وجود الزهراء عليها السلام والعلماء في كل مسيرة البشرية، والأنبياء والأولياء والأوصياء، وكل الربانيين والأخبار - كما يعبر عنهم القرآن الكريم ^(١) - هو العلم فحسب، إنما العلم طريق الى الله سبحانه وتعالى، وإلى خشيته وتحقيق الأهداف التي وضعها أمام الإنسان والبشرية.

ومن هنا نجد أن الزهراء عليها السلام لم تكتفِ بعلمها، وإنما كانت بحاجة الى أن يقف هذا الموقف

وتضحى من أجله . والحوزة العلمية - بطبيعة الحال - بحاجة دائمة - مضافاً إلى العلم والمعرفة بالأشياء - إلى موقف تقفه إلى جانب الحق ، وتضحية تضحي بها من أجله . وإذا أردنا أن أتناول هذا الموضوع في تاريخ الحوزة العلمية منذ الصدر الأول لتشكيلها وحتى يومنا الحاضر ، نجد الكثير من الشواهد والأمثلة التي تؤكد هذه الحقيقة ، بحيث إن مسار هذه الحوزة كان دائماً يقترن بطلب العلم الجاد والوصول إلى المعرفة ، وكذلك إلى الموقف الحق في اللحظات والظروف الصعبة التي كان يمر بها المسلمون ، وإلى التضحية والفداء من أجل هذا الموقف الحق .

ولكن لنتنقل إلى تاريخنا المعاصر ، لنجد هذا المجرى والاتجاه والعنوان العام ، واضحاً في حركة الحوزة العلمية ، مهما اشتط الحديث ببعض الناس عندما يريد أن يتحدث عن الحوزة وسلوك أبنائها ، لكننا نجد أن المجرى والاتجاه العام لهذه الحوزة كان يتمثل بهذه الحقائق الثلاث :

الأولى : طلب العلم والمعرفة الإسلامية .

الثانية : الوقوف إلى جانب الحق .

الثالثة : التضحية من أجل الحق والوصول إلى الله سبحانه وتعالى .

الحوزة العلمية العراقية في تاريخنا المعاصر

إننا في هذه العقود الثلاثة عندما نريد أن نتحدث عن العراق والنجف الأشرف وحوزتها العلمية من جانب ، وعن إيران وقم وحوزتها العلمية من جانب آخر ، نجد هذه الحقيقة ماثلة للعيان بشكل واضح . ولكن لما كان حديثنا عن العراق والأوضاع القائمة فيه ، قد يحسن بنا أن نتحدث عن النجف الأشرف وحوزتها العلمية والحوزة العلمية العراقية . ولا يعني هذا الحصر أن الحديث عن العراقيين والعراق ، بل هو حديث عن هذا الخط الطاهر الأصيل المرتبط بالنبع الصافي المتمثل بأهل البيت عليه السلام وبالرسالة المحمدية الخاتمة .

حركة المرجعية في العقود الأخيرة

١ - مرجعية الإمام الحكيم عليه السلام

عندما نأتي الى مرجعية الإمام الحكيم عليه السلام الذي كان عالماً ربّانياً تشهد له الحوزات العلمية في كل حواضرها بالعلم والفضل وتُسَلِّمُ لعلمه وفضله، ولا زال علمه وفضله محوراً من محاور البحث في هذه الحوزات العلمية من خلال كتبه ومؤلفاته. نلاحظ أنه في الوقت الذي كان يُعطي هذا الاهتمام للعلم - حتى الأيام الأخيرة من حياته وهو مُتَبَلِّبٌ بمختلف الأمراض، كان لا يترك الدرس والتحصيل والتعليم والتربية للعلماء والأفاضل - فانه يقف أيضاً الى جانب الحق ويصرخ بوجه الظالمين، ثم يُقدِّم التضحيات واحدة بعد الأخرى من أجل كشف الحقيقة. وعندما يمرض الإمام الحكيم عليه السلام في آخر أيام حياته في المستشفى مرض الوفاة، يتحدث بعض ولده ويسأله عن موقفه من الحكم الظالم الجائر الكافر - حكم العقالقة المجرمين - وتقييمه لهذا الموقف، بعد الآلام والمعاناة التي لاقاها من هؤلاء المجرمين، يقول عليه السلام: إني أشعر بالرضا تجاه هذا الموقف، لأنني لو لم أصنع شيئاً في موقعي هذا إلا أن أضع حاجزاً بين البعثين المجرمين والشعب العراقي، ولو لمدة عشر سنوات، لكان هذا الموقف يستحق كل هذه التضحية.

فاتخاذ الموقف من أجل توضيح هذه الحقيقة عندما يكون موقفاً شاملاً وعاماً، يكون مستحقاً لكل هذه التضحيات.

٢ - مرجعية الإمام الشهيد الصدر عليه السلام

وهكذا عندما نأتي الى المفردة الأخرى البارزة التي تمثل في الوقت الحاضر الواجهة لمحمل حركتنا الإسلامية في العراق، وهي في الوقت نفسه واجهة حوزوية نابعة من أعماق هذه الحوزة، وهي مفردة آية الله العظمى الشهيد الصدر عليه السلام ..

فالشهيد الصدر عليه السلام؛ ذلك العالم بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، الذي كان عارفاً وعالماً في مختلف أبعاد المعرفة الإسلامية، ومؤلفاته وكتبه وأبحاثه ونتائجه وآثاره في الحوزات العلمية أصبحت واضحة للعيان لا يمكن أن يتجاهلها أحد من الناس. لقد كان متميزاً في علمه وفضله

وعمقه وسعته، وتناوله لكل الأبعاد العلمية، لا يمكن لأي أحد من الناس - مهما بعد في موقعه - أن ينكر عليه هذا العلم والعمق. لكنه في الوقت نفسه كانت له مواقف تضحية لا يمكن أن يتحملها إلا مثل هذا العالم الرباني.

إن الشهيد الصدر له أعمال وآثار وتوضيحات كثيرة، وحديثنا عنه هنا مختصر ويُركّز على الظواهر البارزة والرئيسة والمهمة في مجمل حركته..

عندما انتصرت الثورة الإسلامية في إيران، وكان المسلمون في العراق - على أقل تقدير - بحاجة إلى موقف واضح لا لبس فيه، تجاه هذه الثورة، كان الشهيد الصدر هو المتصدي لهذا الموقف.

قد يكون هناك أشخاص أكبر شأنًا منه في الوضع الاجتماعي، ولكنهم قد يكونون لسبب أم آخر معذورين من اتخاذ هذا الموقف - كما كان الإمام علي عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ معذوراً في أن يتخذ الموقف الذي وقفته فاطمة الزهراء عليها السلام، فكان الموقف لفاطمة عليها السلام ولم يكن لعلي عليه السلام. ولا نريد أن ندخل في هذا البحث - لكن الشهيد الصدر عليه السلام شخص تكليفه في أن يكون هناك عالم رباني يتصدى لاتخاذ موقف تجاه الثورة الإسلامية في إيران، ويوضح للمسلمين جميعاً في كل أنحاء العالم الاسلامي بشكل عام، وللعراقيين بشكل خاص، أن هذه الثورة هي ثورة ربّانية، تمثل امتداداً لحركة الأنبياء، وهي منبثقة في أصلاتها وواقعيتها من أعماق الحوزة العلمية ومدرسة أهل البيت عليه السلام.

وهذه المسألة كان فيها لبس كثير عند الكثير من الناس، وكانت تحتاج إلى هذا الموقف، وإلى التضحية أيضاً، وكانت هذه التضحية أمام آية الله العظمى الشهيد الصدر، حيث أنذر البعثيون المجرمون بالقتل إذا استمر في هذا الموقف، ونفذوا وعيدهم وإنذارهم، فقتل عليه السلام، وقتل معه مجموعة كبيرة من خيرة علمائنا وشبابنا ومؤمنينا، من أجل أن يثبتوا هذا الموقف في مجرى التاريخ.. فكانت المواجهة الحقيقية بمجمل هذا الموقف والمجرى للحوزة العلمية. ولكن لا يعني هذا أنه لم تكن هناك مواقف أخرى منسجمة مع موقف الحوزة العلمية وسائرة في ركاها، بل إن هناك الكثير من المؤمنين والشباب والمتدينين من أطباء ومهندسين ومعلمين وموظفين وعسكريين وفلاحين وكسبة، من مختلف الطبقات الاجتماعية، قدّموا التضحيات الغالية في هذا الطريق. ولكن الواجهة والوجه الناصع الصحيح لهذه الحركة كانت دائماً هي الحوزة العلمية التي تتقدم في هذا الطريق، لأن

هذا الموقف يمثل أصلاً من أصولها ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتنازل الحوزة عن هذه الحقيقة .

٣- مرجعية الإمام الخوئي رحمته الله

ثم نجد في انتفاضة الخامس عشر من شعبان التي عبر فيها الشعب العراقي المسلم عن موقفه الواقعي والحقيقي تجاه حزب البعث الكافر ، أن الوجه لجعل هذه المسيرة كان أيضاً مرجعاً من مراجع الإسلام ، ذلك هو آية الله العظمى الإمام الخوئي رحمته الله . هذا الإنسان الذي كان بحراً في العلم ، ولا يمكن لأي أحد من الناس أن يشك في علمه وعمقه وسعته في تناوله لمختلف الموضوعات . وكان مربّي العلماء وأستاذ والمجتهدين . لكنه مع ذلك قام بوظيفته الشرعية عندما تصدى لقيادة الأمة في هذه الانتفاضة ، وتحمل في سبيل هذه الوظيفة مختلف ألوان الأذى والاضطهاد . حتى إنني لا زلت أتذكر تلك الرسالة الشريفة التي أرسلها الإمام الخوئي على يد بعض العلماء ، عندما جاؤوا إلى قم وطلبوا لقاء خاصاً ، وكان اللقاء من أجل إبلاغ هذه الرسالة التي كان يقول فيها لهذا العالم : قل لفلان إنني قد بذلت كل ما في وسعي من أجل هذا الأمر وهذا ما أستطيعه . وأنا أتصاغر كثيراً أمام مثل هذا الكلام ، ولا أعني شيئاً أمام هذا الإنسان العظيم . ولكن أشعر في الوقت نفسه أن الآلام والمعاناة التي كان يتحملها هذا الإنسان العظيم ، دعتني إلى أن أعبر عن هذه الآلام بهذه الطريقة لإنسان لا يمثل تلميذاً من تلامذته رحمته الله .

الدور القيادي للحوزة

إن هذا الأمر إنما أشير إليه في مثل هذا البحث ، من أجل أنؤكد حقيقة يجب أن نفهمها في مجمل مجرى الحوزة العلمية ، وهي أن الحوزة العلمية كانت ولا زالت وسوف تبقى إن شاء الله ، واجهة كل خير ، ووجه كل عمل صالح وكل جهاد في سبيل الله ، ولا بد لها أن تتصدى لهذا الأمر وتكون القائد الرائد لجعل حركة الأمة ، لأنها حوزة الأنبياء عليهم السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام .

هذه الحوزة التي من أهم خصائصها ، أن العلم والمعرفة التي تُدرّس فيها ، أنقى معرفة وأصنى علم تمتد جذوره إلى تلك الينابيع الصافية المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام ، دون واسطة ودون تأثير بأي ثقافة أو فكر آخر .

أنظروا إلى العالم الإسلامي كله ، من غربته إلى شرقه ومن شماله إلى جنوبه ، لا تجدون فيه فكراً نقياً صافياً مرتبطاً بالرسالة الإسلامية إرتباطاً مباشراً متسلسلاً دون تأثير من الخارج ، كما

هو في الحوزات العلمية . فكل المدارس والمراكز الثقافية الأخرى الموجودة في العالم الإسلامي ، مهما كانت ، وقعت - لسبب أو لآخر - تحت تأثير العوامل السياسية أو الفكرية أو الثقافية الخارجة عن حقيقة الإسلام ، وإن أدت أدواراً وخدمات ، وبقي للحوزات العلمية هذا الأصل والجذر والصفاء والنقاء الذي لا بد لنا أن نحفظ به ونلتفت إليه دائماً .

التقوى هي الأساس

إن أساس هذا الأمر وقاعدته - سواء كان في طلب العلم أو في الموقف الثابت من أجل الحق أو في التضحية من أجل هذا الموقف - هو قضية التقوى والأخلاق وجهاد النفس والورع والعفة والإخلاص لله سبحانه وتعالى والثقة واليقين به والتوكل عليه ، لأنه لا يمكن لعلم مفيد ولا لموقف ثابت ولا لتضحية من أجل الحق ، أن تكون قائمة في وجودنا وحركتنا ما لم تكن هناك قاعدة قوية ورصينة من التقوى والارتباط بالله سبحانه وتعالى ، من الممكن أن تقوم عليها مثل هذه القضايا الأخرى التي هي لتلك القاعدة . وهذا الأمر تمتاز به الحوزات العلمية بالرغم من أنها أحياناً تشكو آلاماً في قضية التقوى . ولكننا إذا أردنا أن نقارن بين الحوزات العلمية وبين ما يجري في عالمنا الحاضر من أشكال الفساد والانحراف ، نجد أن الحوزة تمتاز على كل الوجودات الأخرى بهذه الميزة وهي التقوى . وكلما أمكننا أن نعمق التقوى بالأحكام الشرعية والأخلاق الإسلامية وبالحركة والمصير نحو الله سبحانه وتعالى ، كلما أمكن أن نتقرب من أهدافنا السامية العالية التي وضعها الله سبحانه وتعالى أمامنا .

حركة الحوزة العلمية

من هذه المقدمة نخرج بهذا النتيجة ، وهي : إن مجمل حركتنا تتمثل بحركة الحوزة العلمية .. وهذا الأمر قائم في داخل العراق الآن ، فأبناء الشعب العراقي الذين يقدمون مختلف التضحيات ويتحملون مختلف الآلام والمعاناة ، لا يوجد لديهم أمل إلا بالله سبحانه وتعالى وبهؤلاء المتصدين من أبناء هذه الحوزة العلمية .

ولا أقصد من (المتصدين) الظاهرين فقط . فقد يكون هناك بعض المتصدين - وأنا أعرف بعض النماذج والأمثلة - الذين لا يظهرون الآن على السطح ، لأسباب ما ، قد يكشف عنها التاريخ والزمن بعد ذلك ، وهم بالفعل يقومون بدورهم وواجبهم . ولذلك عندما أتحدث عن المتصدين ، لا أريد أن أتحدث عن نفسي ، بل عن أولئك الذين يقومون بواجباتهم الشرعية من أبناء هذه الحوزة

في سبيل الدفاع عن الإسلام وكشف الحقائق والوصول الى المعرفة الكاملة للإسلام من خلال
الدرس والتحصيل والعمل الجاد .

إذن ، فالحوزة العلمية إذن ، شئنا أم أبينا - حاضرة في الأحداث الفعلية القائمة في العراق .

عناصر أربعة هامة

لابد لكل واحد من أبناء الحوزة العلمية أن يفكر في هذه العناصر الأربعة :

١- عنصر التقوى

أيها الأخوة الأعزاء ، أنا أخجل أن أقف هذا الموقف وأتحدث بهذا الحديث عن موضوع
التقوى في مثل هذا المكان المبارك المقدس وهذا الاجتماع الذي يضم أبناء هذه الحوزة الشريفة ،
ولكن : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) والذكرى تنفعني قبل أن تنفعكم .

يجب علينا دائماً أن نفكر كيف نكون أتقياء حقيقيين في مجمل حركتنا . إذا أردنا أن نُوفَّق من
الله سبحانه وتعالى ونكون في موضع البركة والرحمة الإلهية ، ونصل الى أهدافنا المقدسة التي وضعها
الله سبحانه وتعالى أمامنا ، ونتحمل هذه المسؤولية ، نكون من بركة هؤلاء الأنبياء والأوصياء
والأولياء ، فلا بد أن تكون هذه الحقيقة قائمة في مجمل سلوكنا . ويمكن لكل واحد من أبناء الحوزة
العلمية أن يضع منهاجاً له في هذا المجال .

٢- عنصر العلم والمعرفة

إنَّ أبناء الحوزة العلمية يتحملون مسؤوليات كبيرة ، كالتبليغ ، والجهاد ، والتضحية ، كما
يتحملها الآخرون ، بل أكثر . ولكنهم ما داموا في قم وهم متفرغون فعلاً لطلب العلم ، فلا بد لهم أن
يستفيدوا من هذه الفرصة أكثر وأكمل استفادة في تحصيل العلم الجاد والعميق والحقيقي والنافع ،
حيث إن أحد الأمور التي يتعوذ الإنسان منها - كما ورد في الدعاء - هو العلم الذي لا ينفع « اللهم
إني أعوذ بك من نفس لا تشبع ومن قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع .. » ^(٢) .

يجب أن نفكر ونعمل بشكل حقيقي من أجل طلب العلم النافع الذي ينفع الناس بشكل
عام . وهذه مسألة مهمة جداً . ولا ينبغي أن نتعلل - ونحن هنا في هذه المدارس - بسبب أو بآخر ،
بل لابد أن نصرف كل وقتنا وجهدنا من أجل طلب العلم وأن نكون علماء حقيقيين ، لأنه سوف

(١) الذاريات : ٥٥ .

(٢) مصباح المتعبد : ٧٥ .

يأتي يوم يكون لكل واحد منكم فيه أعمال لا تسمح له بأن يطلب العلم ، فإذا كان عالماً فاضلاً أمكنه أن ينفع الناس ويؤدي دوره بشكل حقيقي ، أما إذا كان - والعياذ بالله - سطحياً أو جاهلاً فعندئذ قد يضر الناس ولا ينفعهم .

٣- الوقوف إلى جانب الحق

إن الإنسان في حركته اليومية يواجه مواقف مختلفة فيها حق وباطل ، صحيح وصواب ، وخطأ واشتباه ، فيجب عليه دائماً أن يفكر كيف يكون إلى جانب الحق والصواب ! كيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ! وهذه المسألة يبتلى بها الإنسان كما يبتلى بالصلاة والصوم والحج والخمس والزكاة . فعلى الطالب أن يربي نفسه وسلوكه ويجعل حركته منذ اليوم الأول عليها .

فن لا يقف إلى جانب الحق الصغير ، لا يقف إلى جانب الحق الكبير . وأقول هذا بالتجربة والمشاهدة ومن خلال معرفتي بحركة هؤلاء العظام الذين عاشرتهم وكنت قريباً منهم ، فكانوا يقفون في تفاصيل صغيرة من الحق ويتأثرون ويتفاعلون بها ، وبذلك تمكنوا أن يقفوا في الأمور الكبيرة التي تحتاج إلى التضحية .

وهذا أشبه بالذنوب ، لأن من يتساهل في الذنوب الصغيرة ، سيأتي يوم نتساهل في الكبيرة أيضاً . بل إن هذا التساهل بنفسه كبيرة يرتكبها الإنسان .

٤- التضحية

وهكذا التضحية .. فطالب العلم يجب عليه دائماً أن يفكر في مجمل حياته كيف يضحي ويقدم للإسلام ! لا أنه كيف يستفيد وينتفع من الإسلام ويكرم وتقبل يده ويحصل على المال والجاه والدار الجيدة . قد تكون هذه الأمور حقاً من حقوقه ، لكن يجب أن يكون أيضاً تفكيره حقيقياً في أنه كيف يضحي ويتألم ويعاني من أجل الإسلام .

وهذه التضحية فرصها كثيرة وموجودة دائماً في حركة الإنسان ، فالغني والمتحدث وصاحب الجاه ، وصاحب الوقت والشخص الذي له قوة مادية - كل واحد من هؤلاء - يمكن أن يضحي بشيء .

ويجب على الطالب أن يربي نفسه على التضحية حتى بالأمور الصغيرة ، حتى يمكنه التضحية بالأمور الكبيرة وهذا يتمثل في كلمة طيبة ، وزيارة أخ وتخفيف لآلام ، واحترام لشخص ... الخ .

الأوضاع الحاضرة

هناك مجموعة مفردات مهمة ومؤثرة في مجمل حركتنا في الوقت الحاضر، فهناك مفردة عسكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية، ولكن - كما ذكرت في مقدمة حديثي - تبقى الحوزة العلمية هي أهم مفردة، لأنها يمكن أن تجتمع مع بقية المفردات، فيمكن أن يكون لها دور حتى في العملية الاقتصادية، عندما توجه الحوزة القدرات الاقتصادية في خدمة الإسلام والعمل الإسلامي.

لقد كنت اليوم في خدمة أحد العلماء، وقلت له: إن الإنسان يشعر بأن هناك حكمة إلهية خاصة في قضية العراق، وإن الأمور لا تجري مجراها العادي. إن الظروف والتقلبات التي مرّت بالعراق طيلة السنوات السابقة وعلى أقل تقدير: الخمس عشرة أو الستة عشرة سنة السابقة - منذ انتصار الثورة الإسلامية - كانت ظروفًا عسيرة ومختلفة. وكانت هناك أمور كثيرة يتوقعها الناس ثم لا تتحقق، فكان هناك حكمة خاصة لله سبحانه وتعالى في هذه القضية، فلعله سبحانه يريد أن يربّي شعب العراق، ويختبره أو يؤدبه ونحن لا نعلم، فحكّمته سبحانه وتعالى فوق كل حكمة.. لكننا نتكلم بما نراه في الأجواء والآفاق الفعلية، والباقي على الله سبحانه وتعالى. وهذه حقيقة - وهي قضية الغيب والركون إليه - يجب أن نطمئن لها دائماً ونؤمن بها.

محنة الشعب العراقي

إن الإنسان يشعر بأن هناك مخاضاً عسيراً يمر به شعب العراق الآن، وسوف يولد هذا المخاض أموراً جديدة في أفق المستقبل.

فن ناحية الشعب وصلت فيه المعاناة الى درجة تكاد لا تُطاق، وهناك تحولات أساسية في وضع الشعب. فقضية المجاعة مطروحة الآن حقيقة في أوساط الشعب. وقضية الفساد الاجتماعي قائمة ويومية وتتحرك في الوسط العام للشعب. وقضية الجريمة والقتل أصبحت من القضايا العامة أيضاً. وقضية الاستعداد للقتال والجهاد عامة ويومية وتتحرك في أوساط الشعب بلا محرك خارجي أحياناً، فيوماً بعد يوم نكتشف أن هناك مجموعات واسعة وكثيرة في العراق بنت نفسها وطورتها، وهي الآن على استعداد للدخول في منازلة وقتال مع النظام.

قبل فترة استلمت كراستين، إحداها كانت أكثر من أربعين صفحة، والأخرى ثلاث وثلاثين صفحة تقريباً، من مجموعة حتى الآن لا أعرف أسماء من ينتسب إليها بعنوان: (النداء

الأول والنداء الثاني) ، وهم يخاطبونني لكن حديثهم عام .

عندما يقرأ الإنسان هاتين الكراستين يشعر بأن هناك جماعة واعية من المؤمنين في العراق مدركين مستوعبين لأبعاد كثيرة من القضايا ويخططون وينظرون ويوجهون ، بحيث يشعر الإنسان بأنهم في مقدمة الصفوف والمسيرة .

وهذا الأمر له نماذج كثيرة في داخل العراق ، فجانِب الإستعداد للجهاد والقتال ووعي الحالة والمشكلة وظروفها وخصوصياتها موجود أيضاً الى جانب تلك الظروف الصعبة التي يمر بها أبناء الشعب ، ولا أريد أن أذكر الآن الظروف التي يرون بها ، وأن الأدباء مثلاً يبيعون كتبهم والعلماء يبيعون كذا ، وأصحاب البيوت يبيعون بيوتهم وسقوف البيوت أو أثاثها أحياناً . فوضع الجماعة فضيع جداً والأوضاع تكاد تنفجر .

محنة النظام ومسألة الحصار

أما وضع النظام ، فهو مصداق للآية الكريمة ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ ^(١) ، فالنظام يعيش الآن محنة وآلاماً لا تقل عن محنة أبناء الشعب ، مع الاختلاف في الموارد والظروف والأبعاد ، فهؤلاء الأزام المجرمون وصلوا الآن الى حد يشعرون بالخوف والرعب من أبناء الشعب ، ولا يعرفون ذلك اليوم الذي يمكن أن ينقض عليهم كل أبناء الشعب ويقطعونهم إرباً إرباً .

وهذا التظاهر بالقوة الذي حصل في الأيام الأخيرة من قبل النظام ، أحد عناصره الأساسية - حسب تحليلنا للأخبار ومتابعتنا لها بشكل دقيق من الداخل والخارج - هو عرض العضلات أمام الشعب ليبين له أنه قوي لحد الآن ويمتلك أسلحة ودبابات وجيشاً وحرساً جمهورياً ، لكن ذلك ينطلق من الإحساس بالرعب والخوف من الشعب .

والأمر الأصعب الذي يشعر به النظام الآن ، هو أن الطريق أمامه مجهول ولا يعرف ماذا يصنع ! فكان النظام منذ السنة الماضية - تقريباً - يتحرك بقوة ليكسب وعداً في فك الحصار والعقوبات عنه ، وهذا الموضوع عندما نريد أن نخلله ، نجد أن النظام لا يسعى الى فك الحصار بمعنى أن يسمحوا بدخول المواد الغذائية أو الطبية أو حتى غيرها ، حيث إنه يتمكن الآن من الحصول على كل هذه الأمور بدون أي مانع ، لأن المواد الطبية والغذائية غير ممنوعة على العراق ويمكنه أن

يشتريها بشكل علني بلا مانع أصلاً ، والمواد الأخرى يستوردها النظام الآن بشكل منظم من الأردن تحت ستار واضح لدى العالم والأمم المتحدة ، وهو أنه يرسل مئات السيارات تحمل النفط الى الأردن يومياً وبشكل علني ، وعندما ترجع - وهي مصاغة بطريقة معينة - تُحمّل ببضائع يريدها النظام ، بدون أية رقابة .

فالعقوبات لدى النظام معناها ، أنه لا توجد بيده أموال . يعني أن النفط لا يُباع بالقدر الذي يريده . وإن كانت هناك كميات من النفط تُباع الآن على تركيا والأردن ، لكنها ليست بالقدر الذي يريده .

فالعقوبات عنده معناه النفط ، لا فك الحصار عن الشعب ، لأنه يوجد قرار ببيع النفط ، لكنه بشرط الإشراف على شرائه للمواد الغذائية والطبية ، فلم يوافق لأنه يشعر أنه إذا استلم هذه الأموال فستذهب الى الشعب ولا يستفيد منها شيئاً ، فهو يريد أموالاً يستخدمها لأغراضه الخاصة ولإحكام قدرته على الشعب ولايجاد ارتباطات وعلاقات له في دول العالم .

والصراع بين النظام والغرب ، صراع على مصالحهم لا على مصالح الشعب ، فالنظام لا يهتم الشعب ، وأمريكا وبريطانيا وأوروبا الغربية وكل حلفائهم في المنطقة لا يهتمهم ماذا يجري في العراق ... يُقتل أبناء الشعب ... تُجفف الأهوار ... يموت الناس عطشاً وجوعاً ... لا يهتمهم ذلك بشيء ! ولذلك عندما أصدروا القرارات الأخيرة لم يتعرضوا أصلاً وبأي شكل من الأشكال الى محنة الشعب العراقي ، إنما تهمهم مصالحهم في منطقة الخليج والمتمثلة بالأموال والنفط .

هذه المسألة الأساسية التي تهم الغرب وتضع معركة بين النظام والغرب ، فالنظام يريد أن يبقى ويبيده أموال يتصرف بها كيف يشاء ، والغرب يريد أن يحدد النظام أو يزيده ليحكم قبضته على المنطقة وعلى الشعب العراقي بشكل خاص .

هذه المعركة تدور الآن .. والشعب العراقي يُطحن فيها دون أن يكون له مصلحة فيها ..

أهداف المعارضة الإسلامية

فما هو دور المسلمين والمؤمنين في ذلك ؟

البعض يقول : ما هو دور المعارضة العراقية ؟ إن المعارضة العراقية - بصراحة - خطان :

خط لسبب أو لآخر ، أصبح ورقة بيد الغرب يستخدمها للضغط على النظام لتحقيق مصالحه . فالغرب يريد أوراقاً متعددة ، فيستخدم مجلس الأمن والقوة العسكرية وبعض دول

الخليج ، وكذلك بعض أطراف المعارضة العراقية .

وخط آخر وهو المعارضة الإسلامية ، هذه المعارضة التي تقف الى جانب الشعب في هذه المحنة .

فما هو دور هذا النوع من المعارضة ؟!

حديثنا عن هذه المعارضة ...

نحن نعتقد أن هذه المعارضة يجب أن تسعى لأهداف واضحة وحقيقية وممكنة ، من أجل أن تخدم الشعب وتخفف عنه محنته :

١ - موطنى القدم داخل العراق

يجب أن يكون لهذه المعارضة موطن قدم داخل العراق تتحرك من خلاله ، وإلا فستبقى المعركة دائماً بين النظام والغرب ويكون الشعب في معزل عنها ، أما إذا كان للمعارضة الحقيقية موطن قدم داخل العراق ، فستفرض موقفها على المعركة ويكون هناك إهتمام حقيقي بقضية الشعب ، إذ لا يمكن للغرب والنظام أن يتجاوز هذه الحقيقة . ولذلك كان هذا الإصرار والتأكيد على أهمية الجهاد في منطقة الأهوار والجنوب . وبالرغم من الآلام والمحن ، والأساليب الخبيثة التي استخدمها النظام وسكت عنها الغرب وأمريكا إما سكوتاً مطبقاً أو أحياناً يحركون الموضوع تحريكاً جزئياً من أجل أن يمتصوا النعمة ، تمكن المجاهدون حتى الآن - والحمد لله رب العالمين - أن يصمدوا في هذه المنطقة ، ونحن لدينا أمل بأنهم سوف يستمرون أيضاً ، ولم يتمكن النظام حتى الآن أن يقضي على موطنى القدم هذا .

٢ - تثبيت الحقوق

يجب أن تُثبت الحقوق الحقيقية لأبناء الشعب العراقي في داخل العراق والمعارضة العراقية والمجتمع الدولي . يعني أن يكون هناك اعتراف في هذه الأوساط بأن الشعب العراقي مظلوم وله حق .

نحن نعتقد بأن غالبية الشعب العراقي مهضومون ومحرومون من حقوقهم ، سواء كانت حقوقاً سياسية أم اجتماعية أم دينية أم ثقافية .

فعلى مستوى الحقوق الثقافية مثلاً ، هناك أكثر من ألف عنوان كتاب ممنوع تداوله في العراق

و (٩٥٪) منها ، كتب ثقافية شيعية لا سياسية ، مثل : من لا يحضره الفقيه^(١) ، التهذيب للشيخ الطوسي^(٢) ، الكافي^(٣) ، اللمعة الدمشقية^(٤) . فهذه ممنوعة لأنها تمثل أوضاعاً ثقافية معينة . وهكذا الحقوق الدينية ، فالشعائر الحسينية ممنوعة ، والغالبية من المساجد والحسينيات تُعتبر - بشكل أو بآخر - مناطق مشبوهة ومطاردة من قبل النظام . وكذلك الحقوق الحياتية ، فيأتي النظام ويجفف منطقة من العراق فيها آلاف الكيلو مترات من الماء ..

إنَّ هذه الأمور تمثل هدفاً أساسياً لحركتنا .

والحمد لله رب العالمين ، في هذا المجال يمكن أن أقول : إننا تمكنا أن نتقدم تقدماً ملحوظاً ، حيث أصبحت هذه الحقوق على 'مستوى' المجتمع الدولي دائماً تُكتب فيها تقارير ، وتصريحات ، وعلى 'مستوى' المعارضة العراقية ، التي لم تكن تعني بهذه الحقوق ولا تقبل التحدث فيها ، أصبحت هذه الحقوق داخلة في وثائقها وبياناتها وخطابها السياسي وحديثها . وفي الداخل أيضاً ، أصبحت هذه القضية الآن من القضايا التي تتحدث فيها أحياناً حتى 'صحافة النظام' . إن هذا التقدم جزئي ، ويجب أن نسعى دائماً لتحقيق هذا الأمر وجعله حقيقة قائمة في العراق . ومن جملة هذه الحقوق : الالتزام بالإسلام وتطبيق أحكامه . فالأكثريّة الساحقة للشعب العراقي مسلمة ، وبالتالي من حقهم أن يطالبوا بإقامة حكم الإسلام وتطبيقه .

٣- التهيئة والاستعداد

يجب أن نعد العدة لأن نكون في الموقع المناسب ونقوم بالوظيفة المناسبة ، فهناك آفاق مفتوحة الآن أمام تغييرات داخل العراق يطول الحديث عنها . فقد تحصل منطقة مكشوفة ومفتوحة أو منزوعة السلاح أو آمنة - كما يعبرون عنها - أو تحت المراقبة ، وبالتالي يجب أن يكون هناك

(١) للشيخ الصدوق عليه السلام . وهو مجموعة روايات أهل البيت عليهم السلام حول المسائل الفقهية والأحكام الشرعية .

(٢) مجموعة من الروايات الفقهية والأحكام الشرعية المروية عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام .

(٣) لثقة الإسلام الكليني عليه السلام ، وهو يحتوي على مجموعة من الروايات في أصول وفروع الدين عن الأئمة عليهم السلام .

(٤) أحد الكتب العلمية المعتمدة في تدريس الفقه الشيعي .

حضور لأبناء الشعب العراقي في هذه المنطقة ، وهذا الحضور لا يمكن أن يكون فوضي واقتتالاً واختلافاً وتمزقاً وأحدنا يدفع الآخر ، بل لابد أن نكون مهئينين لملا هذا الفراغ عندما يحصل . قد تكون هناك فرص لبيان حكم الله والتبليغ وتنقيف الناس وتعليمهم ، والحوزة العلمية يجب أن تتحمل مسؤوليتها الكاملة في هذه المجالات .

وهذه العدة ، سواء على مستوى الحوزة أم العمل العسكري أم السياسي أم الاجتماعي ، يجب أن يكون لديها تهيو كامل بالقيام بواجباتها عندما يحصل تغيير أساسي في داخل العراق . هذه الأهداف تمثل مجمل الأهداف الرئيسية التي تسعى إليها الحركة الإسلامية في الوقت الحاضر ، وتوجد فيها تفاصيل لا يساعد الوقت على ذكرها ، ومن ذلك التنسيق والإتحاد فيما بين هذه الحركة وهذا يعتبر من الأهداف المهمة المرتبطة بالهدف الثالث .

أكتفي بهذا القدر من الحديث . وأترك فرصة لطرح الأسئلة . وأسأل الله سبحانه وتعالى لي ولكم التوفيق والتسديد والتأييد ، وأسألكم الدعاء ، وأرجو المعذرة من الإطالة . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أسئلة وأجوبة

الخط الخاص في داخل العراق

س : لماذا لا يكون لكم خط خاص داخل العراق ، لنكون على علم بجميع الأمور التي تجري هناك ؟

السيد الحكيم : إذا كان المقصود من الخط الخاص ، هو إيجاد تنظيم وتشكيل خاص ، فأنا لا أعتقد بصحة ذلك ، لا لعدم اعتقادي بالتنظيم والتشكيل ، وإنما لأنني أعتقد أن وظيفتي الشرعية هي تأييد وإسناد كل التنظيمات والتشكيلات المخلصة العاملة في الساحة العراقية . هذا أولاً .
وثانياً : أعتقد أن الظروف السياسية القائمة الآن في الساحة العراقية ، تفرض أن يكون العمل في الداخل لا مركزياً ، بمعنى أن تتكون تشكيلات وتنظيمات هنا وهناك لا يرتبط بعضها ببعض الآخر ، حتى يمكن أن تؤدي دورها بشكل حيح ، وإلا إذا كانت في ضمن تنظيم واحد فقد يؤدي كشف جانب من التنظيم إلى كشف الجوانب الأخرى ، ومعنى ذلك إيادة كل التنظيم .
أما إذا كان المقصود من الخط ، هو الاطلاع على المعلومات في داخل العراق ، فلدينا مصادر عديدة بالمعلومات وتأتينا تقارير باستمرار . ويمكن أن أقول : بأن معرفتنا إجمالاً بما يجري في الداخل ، جيدة ومحيطة بمجمل الأوضاع .

الانتساب إلى القوات المسلحة

س : لماذا تحثون الأخوة على التسجيل في الحوزة العلمية ولا تحثونهم على الدخول في قواتكم المسلحة ؟ ومن الذي يدافع عن العراق ؟

السيد الحكيم : أعتقد بأن التسجيل في القوات المسلحة أمر جيد وحسن وقد حفّزت الأخوة على ذلك . ولكن هناك حقيقة لا بد أن يعرفها الأخوة وهي أن سقف القوات المسلحة حتى الآن وظروف معينة محدد وليس مفتوحاً وهو الآن كامل بحسب العدد ، بخلاف ما كان عليه أيام الحرب العدوانية حيث كان مفتوحاً .

فعندئذ لا بد أن يقوم الأخوة الأعزاء الموجودون في الساحة الاسلامية العراقية بعملين :

الأول : طلب العلم والمعرفة والتثقف بثقافة الاسلام ومعرفته .

الثاني : أن يكونوا مهيين للقيام بعمل عسكري عندما يكون هذا الأمر مفتوحاً . ولذلك أدعو كل الأخوة الأعزاء في الحوزة العلمية أن يكونوا مدربين على الأعمال العسكرية . فمن كان قد دخل دورة وتدرّب بشكل أو بآخر فهو متدرّب ، وأما من لم يكن كذلك ففي تصوري من الضروري جداً أن يتدرّب . وعندما تكون هناك فرصة للقيام بهذا العمل يكونون مؤهلين له .

الاستعداد الجهادي

س : حسب كلامكم حول استعداد الشعب العراقي للتضحية والجهاد في هذه الظروف الصعبة التي يمر بها . فهل هناك تحرك واستعداد أو دور من قبل المجاهدين والحركة الجهادية ، أم ننتظر الشعب في الانتفاضة والثورة ؟

السيد الحكيم : أنا الآن في حديثي هذا أطلب بهذا الاستعداد . والاستعداد قضية نسبية لا مطلقة ، فقد يكون لدينا الآن استعداد بدرجة معينة ، لكننا نحتاج الى استعداد أفضل وأحسن ، وهكذا .. حتى نكون مهيين للقيام بهذا الدور الكامل . ولذلك أتحدث من هذا الموقع بنداء وطلب للأخوة الأعزاء أن يكونوا مستعدين ومهيئين . يُعتبر الاستعداد وظيفه وهدفاً أساسياً من أهدافنا وفي مختلف المجالات ، سواء على مستوى الحوزة أم العمل العسكري أم السياسي ، فوحدتنا وتنسيقنا واهتمامنا بالوحدة مثلاً ، عنصر من عناصر الاستعداد ولا بد أن نسعى لذلك . وهكذا على المستوى الاجتماعي ، أي تأسيس مؤسسات اجتماعية سواء طبية أو إغائية أو ثقافية . وهكذا في مختلف المجالات ...

البديل عن « الهور »

س : ماهو البديل عن الهور بعد تجفيفه ؟

السيد الحكيم : قلت إن « الهور » هو ملجأ كان يلجأ إليه المجاهدون . ونحن نعتقد بضرورة أن يكون للمجاهدين دائماً ، موطن قدم داخل العراق . وحتى الآن تمكنا - والحمد لله رب العالمين - أن يصمدوا ، ولا بد أيضاً أن نوسع دائرة تواجدهم وصمودهم ، وهذا ما نعمل من أجله إن شاء الله .

الارتباط بين الحوزة والقوى الجهادية

س : لابد من حفظ العلاقة بين الحوزة العلمية والقوات العراقية المجاهدة بكافة حقوقها واتجاهاتها ، وحصر ذلك بالقضية العراقية بشكل أوسع كما نراه اليوم ، فإن العلماء في مقدمة

المجاهدين ، والتجارب السابقة هي قيادة العلماء في الجهاد في سبيل الله ، سواء في ثورة العشرين أو الانتفاضة الشعبانية المباركة ، حتى لا يحس المجاهد أنه وحده في الساحة . نطلب توضيح ذلك .
السيد الحكيم : في السؤال أنه لابد من الارتباط ، وأنا أيضاً أقول بذلك . فما هو الأمر الذي يريد توضيحه ؟!

الكارت الأخضر

س : أحد الأخوة يسأل عن تزويد الشعب العراقي المهجر بالكارت الأخضر ووسائل العيش .

السيد الحكيم : إن موضوع الكارت الأخضر لو كان مرتبطاً بشخصياً لكنت أزودهم بهذا الكارت ، لكنه - على كل حال - مرتبط بنظام الجمهورية الإسلامية ، ونحن نتحدث معهم في هذا الأمر ، وتحدثنا حتى الآن مرات عديدة ، وزودوا بعض الأخوة بالكارت ، ولكن لديهم حتى الآن توقف في تزويد الآخرين ، لأنهم يعتقدون - وهذه نظرة الجمهورية الإسلامية ، أبينها بشكل واضح - بأنه لا يحسن أن تفتح أبواب اللجوء الى الجمهورية الإسلامية لكل العراقيين .
يقولون : إن العراقيين الذين يأتون الى الجمهورية الإسلامية على قسمين :
الأول : الذين يأتون لأسباب سياسية وأمنية .

الثاني : الذين يأتون لظروف اجتماعية واقتصادية ، ووجود الظروف الصعبة التي يمر بها العراق .

فإذا كان الهدف إعطاء الكارت الأخضر للأخوة من القسم الأول ، فهذا قابل للدراسة والحديث . أما إذا كان للأخوة من القسم الثاني ، فهذا معناه أن نستعد لإعطاء الكارت الأخضر لكل أبناء الشعب العراقي ! لأنهم كلهم الآن يرون بظروف صعبة ، وهم على درجات ، فالأصعب يأتي الآن ، ثم الأصعب ، وهكذا ، وأنا أثقل رأيهم لا رأيي ، لأنني لست صاحب رأي في ذلك ، وإنما الجمهورية الإسلامية دولة ترى سياساتها المعينة يقولون : ونحن لانرى من مصلحة الإسلام ككل والجمهورية الإسلامية بشكل خاص ، أن تفتح أبواب اللجوء لكل أبناء الشعب العراقي ، لأن ذلك يؤدي الى كارثة في العراق من ناحية ، والى كوارث في الجمهورية الإسلامية غير قادرة على تحملها . هذه خلاصة القضية .

ولكننا مع ذلك سعيينا في هذا الأمر ، وصدر قبل فترة - مثلاً - أمر بإعطاء أكثر من (٢٥٠٠)

شخص ، الكارت الأخضر ، ولا زلنا نسعى في هذا المجال ، ولكن الأمر - كما قلت - ليس بأيدينا ، وإنما بيد الجمهورية الإسلامية والتي نعتقد بإسلاميتها وعلى رأسها ولي أمر المسلمين . وهم يبحثون هذا الأمر وتوصلوا الى هذه النظرية .

السقف الزمني للقضية العراقية

س : هل يوجد سقف زمني للقضية العراقية ؟ هذا أولاً . وثانياً : تفتقر الحوزات في دراساتها للثقافات السياسية وكذلك الاجتماعية ، فهل تعتقدون أنهم يستطيعون أن يقودوا الثورة الإسلامية ؟

السيد الحكيم : هل يوجد سقف زمني لظهور الإمام الحجة ؟! نحن جميعاً نؤمن بوجوده الشريف ومنتظر ظهوره ، ومن لا ينتظره يأثم ، ولا يوجد فينا من يجراً أن يضع سقفاً زمنياً لظهور الإمام الحجة (عج) .. وهكذا بالنسبة الى هذه الأعمال والقضايا . فأمثال القضية العراقية أو قضية الإسلام وصراعه مع الغرب أو أي قضية أخرى في الوجود ، تتأثر بعوامل مرتبطة بالغيب ، ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى .

فلذلك مثل هذه الأسئلة - بالرغم من احترامي وتقديري لها - تدل على عدم وضوح في الرؤية لمجمل الحركة . ومن يريد أن يتحرك ويجاهد من أجل الإسلام لا يمكنه أن يسأل هذه الأسئلة . لم نسمع في التاريخ أصلاً أن شخصاً سأل النبي ﷺ : هل يوجد سقف زمني لجهادك في مكة ؟! وهو رسول الله ، ومرتبطة بالغيب والوحي ، بل أنه كان يقول : ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ ^(١) . يقوله هذا بشكل صريح أمام الناس حتى لا يسألونه هذه الأسئلة . القرآن الكريم في مقام آخر يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ ^(٢) . لأنه لا معنى لافتراض وجود سقف زمني معين .

وأما بالنسبة الى الشق الثاني من السؤال (وهو : هل لديكم خطة طوارئ معدة ..) فنعم . ولكن باعتبار أن المؤذن أذن واحتراماً لوقت الأذان والصلاة فلا أرى من المناسب الاستمرار بالحديث ، وإن كنت مهتماً ومستعداً للإجابة عن كل هذه الأسئلة . فأرجو المعذرة .
وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منكم عملكم خصوصاً في هذه الليلة المباركة - ليلة

(١) الأعراف : ١٨٨ .

(٢) المائدة : ١٠١ .

الجمعة - ، أسألكم الدعاء بالرحمة لإمام الأمة ولهذه الدولة الإسلامية بالبقاء والثبات والقدرة ، ولولي أمر المسلمين بالحفظ والتسديد والتوفيق ، ولأبناء الشعب العراقي بالفرج .
والى شهدائنا وأمواتنا خصوصاً العلماء منهم ، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

أبعاد التبليغ^(١)

في الندوة الثانية التي عقدت في المدرسة الفيزية تم اللقاء بين سماحة آية المجاهد السيد الحكيم (حفظه الله) وابناء الحوزة العلمية . حيث تم تشخيص بعض النقاط التي من الضروري معالجتها . وبعد الندوة كانت هنالك بعض الاسئلة التي طرحها الطلبة . وهناك سؤال موجه الى سماحة السيد الحكيم « حفظه الله » وهو :

التبليغ بالرسالة أمر واجب ولا بد ان يعتمد على درجة علمية تؤهل ذلك الشخص للقيام بهذه المهمة التبليغية التي هي مهمة الانبياء فكيف يتم الوصول الى درجة علمية عالية والامة اليوم تحتاج الى المبلغ الاسلامي ؟ وكيف يتم التبليغ مع طلب الدرجة العلمية ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الانبياء والمرسلين حبيب اله العالمين ابي القاسم محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج) والسلام على شهداء الاسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للاسلام وحتى هذا العصر .

مهمة البلاغ

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احداً الا الله ﴾^(٢) .

(١) محاضرة السيد الحكيم (دام ظله) تفضل بها مجيباً عن سؤال موجه إليه في الندوة المنعقدة في المدرسة الفيزية يوم الاربعاء ٢٦ / ١٠ / ١٩٩٤ الموافق ١٤١٥/٥/٢٠ هـ - ١٣٧٣/٨/٤ هـ ش .

(٢) الأحزاب : ٣٩ .

لا شك ان الهدف الاساس من بعثة الانبياء والرسول انما هو ابلاغ الرسالة وهداية الناس اليها وارشادهم الى الحق والهدى والصواب . ولذلك جعلت هذه المهمة بالاصل ، المهمة الاساسية التي يتحملها النبي ﷺ الذي هو خاتم الانبياء ورسالاته خاتمة الرسالات ، حيث اكد القرآن الكريم على ذلك في في قوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ ^(١) ومهمة الابلاغ هي مهمة العلماء - ايضاً - الذين هم ورثة الانبياء ، ذلك بأن هذا المقام السامي الذي احتله العلماء في كيان الامة ووجودها ، انما هو باعتبار هذه الوراثة ، وانهم يمثلون امتداداً لحركة الانبياء ، فقضية البلاغ لا يمكن الشك فيها ، غاية الامر ان البلاغ بمعناه الواسع بالنسبة للانبياء الذين يكون علمهم عن طريق الوحي الالهي لا يحتاج الى عناء من ناحية المعرفة والعلم ، حيث يحصلون على ذلك من ناحية الوحي والارتباط بالسماء ، وانما يكون العناء والتعب والآلام التي يتحملها الانبياء من ناحية ايصال هذا الهدى وصوت الحق والبلاغ الى عقول الناس وقلوبهم ، بحيث ان هؤلاء الناس يتعلمون الهدى ويتربون عليه . وتظهر نفوسهم وقلوبهم من خلال العلم والمعرفة ، وهذه هي المهمة الصعبة التي كان يتحملها الانبياء . والعلماء الذين هم ورثتهم يتحملون مهمتين رئيسيتين وفي كل منها عناء كبير :

المهمة الاولى : وهي مهمة العلم والمعرفة الإسلامية ، حيث ان علمهم ومعرفتهم يكون بالاكتساب والبحث والتحصيل وبذل الجهد حتى يصل الانسان الى العلم والمعرفة ، خصوصاً بعد وجود الفاصل الزمني الكبير بيننا وبين مصادر الرسالة والقرآن الكريم ، باعتبار أننا نحتاج ان نحيط بكل الاجواء والظروف والقرائن التي كانت محيطة بالقرآن الكريم من اجل فهمه وهذا فاصل بيننا وبين الظروف . وايضاً لابد أن نحيط بالسنة التي نقلها الأئمة من اهل البيت ﷺ عن رسول الله ﷺ أو بينوها ، لان الفاصل الزمني كبير بيننا وبين النبي ﷺ والأئمة ﷺ ، خصوصاً بعد غيبة الامام الحجة (عج) ، فهذا الفاصل يجعل القضية اكثر تعقيداً وعناءً واشكالاً . ومن هنا فلا بد من أجل الوصول الى الهدف ، وهو ابلاغ الرسالة وهداية الناس ، أن نتعلم أولاً الرسالة ونعرف الهدى والحقيقة .

المهمة الثانية : وهي ابلاغ الرسالة وبيانها للناس وفيها صعوبات جمة تحملها الانبياء . وقد يخطر بالبال هذا السؤال :

هل معنى ذلك ان العلماء يتحملون صعوبات أكثر من الانبياء؟ باعتبار ان علم الانبياء من الله فليس فيه صعوبة، والعلماء يحتاجون الى بذل الجهد في ابلاغ الرسالة كما يتحملون الالام في طلب العلم. فهل إن مهمة العلماء اصعب من مهمة الانبياء؟ إن هذه القضية تختلف باختلاف الانبياء من ناحية، وباختلاف العلماء من ناحية أخرى. الانبياء الذين هم اولوا العزم - كما يعبر عنهم القرآن الكريم باعتبار ان مهمتهم ليست الهداية فقط، بل ايجاد التغيير النوعي في المجتمع بشكل اساسي، وهذه عملية صعبة جداً - يبلغون الرسالة في مجتمع يريدون تغييره تغييراً نوعياً جذرياً بحيث يحولون الاوضاع الموجودة في ذلك المجتمع من اوضاع مرتبطة بالطاغوت وهو محورها، الى اوضاع ترتبط بالله سبحانه وتعالى وتوحيده، وهذه عملية صعبة جداً، والعلماء لا يمارسونها عادةً، وانما يقومون بعمل في مجتمع مؤمن بالاصل بالله سبحانه وتعالى والرسالة، غاية الامر أنهم يريدون ان يجعلوه مجتمعاً مستقيماً في مسيرته معتدلاً فيها مرتبطاً بهذه الرسالة بكل خصوصياته وجوانبه، والانبياء من غير اولي العزم مهمتهم تشبه الى حد كبير مهمة العلماء من هذه الناحية، ولذا جاء في الحديث الشريف «إن علماء امتي كانبيا بني اسرائيل»^(١) باعتبار ان المهمة هذه من حيث الصعوبة لا تقل عن المهمة التي كان يتحملها انبياء بني اسرائيل أهل الرسالات الذين كانوا إكمالاً وتتمة ومواصلة لرسالة من الرسالات.

التعلم ثم الابلاغ

والتعلم قضية اساسية ومهمة، لا بد ان تحصل عليها قبل الابلاغ، ولذلك نجد ان الفقهاء عندما يتحدثون - مثلاً - عن موضوع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، يشترطون ان يكون الأمر والنهي يعرفان بالمعروف والمنكر، فيعرف المعروف ويؤمر به ويعرف المنكر وينهى عنه، واذا لم يكن الأمر والنهي عارفاً بالمعروف والمنكر، لا يمكن ان يصدر منه ذلك، لانه قد يأمر بالمنكر وهو لا يدري او ينهي عن المعروف كذلك، فإن لم يكن يعرف قد يكون امره ونهيه لا يتطابقان مع الحكم الشرعي. فيشترطون بأن يكون الانسان عارفاً بالحكم الشرعي حتى يأمر به أو ينهى عنه في موارد الحرمة.

التوفيق بين طلب العلم والتبليغ

كيف يجمع الطالب بين هذين الامرين؟ ففي التقسيم الموجود في نظام الحوزة العلمية الآن،

(١) بحار الأنوار ٢: ٢٢ باب ثواب الهداية والتعليم.

نحن نعرف بأن فيها موسماً دراسياً و آخر تعطيلياً، فيمكن للطالب المجد ان يستفيد من الموسم الدراسي ويوظف كل طاقاته وامكانياته من اجل ان يتبحر في العلم ويتعمق به ويستزيد منه الى الدرجات العالية، ومن الواضح أن في الموسم الدراسي توجد هناك فرص كأيام العطل يمكن أن يُستفاد منها ومن المناسبات المختلفة التي تكون فرصاً تعطيلية. فحسب المعلومات المتوفرة لديّ أن في حوزة قم لا تتجاوز الايام الدراسية المئة والعشرين يوماً دراسياً من مجموع أيام السنة، ونحن نعرف ان السنة الشمسية تزيد على ثلاثمائة وستين يوماً، والسنة القمرية تنقص قليلاً عن هذا العدد. وعندئذ فإن ثلث السنة فقط تكون فترة دراسة.

وإذا أضفنا الى ثلث دراسي ثلثا آخر من الوقت يصرفه الطالب في تطوير وضعه العلمي وتعميقه، مضافاً الى الدروس التي يدرسها، فمن الممكن ان نعرف بان هناك وقتاً كافياً لأن يكون طالباً مجداً متطوراً في علمه وفهمه ومعرفته وادراكه، ويستفيد من الموسم الاخر الذي هو موسم التعطيل الذي يمثل ربع المدة.

أبعاد التبليغ الأساسية

أما عملية البلاغ ففيها بعدان للطالب المجد :

أ : أنه يوصل الهدى والمعرفة الى الناس وهو اصل الهدف . وهذا واضح .

ب : والبعد الاخر مهم جداً في عملية الابلاغ وتطوير الوضع العلمي له ، فاذا كان يريد أن يكون فقيها عارفاً بالفقه ويفهم النصوص الواردة عن اهل البيت عليه السلام ويستنبط للمشكلات القائمة بين الناس احكاماً وحلولاً، ويضع لهذه الموضوعات والمشكلات احكاماً وقوانين وتعليمات، فهو يبقى محتاجاً الى ان يدخل الحياة الاجتماعية ويعرف مشكلات الناس ويفهم حقيقتها ويدرك الخصوصيات المحيطة بها، حتى يمكن ان يستوعب النصوص الموجودة والواردة عن اهل البيت عليه السلام وعن الرسول وحتى الموجودة في القرآن الكريم، لان الشريعة المقدسة هي الشريعة السمحاء الدائمة المستمرة الخاتمة « حلال محمد حلال أبداً الى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً الى يوم القيامة »^(١) وهي شريعة اليسر ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾^(٢) هذه الشريعة كانت بهذه المفاهيم والمضامين والتوجه .

(١) الكافي ١ : ٥٨ باب البدع والرأي والمقاييس ح ١٩ .

(٢) البقرة : ١٨٥ .

فعرفة الازواض الاجتماعية والخصوصيات له دور وتأثير كبير في فهم النصوص . والانسان الذي يكون معزولاً عن المشاكل الاجتماعية ولا يستوعبها . فيجلس في غرفته ويعيش مع النصوص منفصلاً عن الازواض الاجتماعية لا يمكن ان يكون فقيها متكاملاً في فقهه وعارفاً به بشكل كامل . ويحتاج هذا الانسان ان يعيش المجتمع حتى يفهم المشكلة من ناحية الموضوع ، ثم يستنبط له حكمه المناسب من الشرع - القرآن الكريم او السنة النبوية او العقل او الاجماع - وهي المصادر الاساسية التي يقرّها العلماء ويجمعون عليها .

ومن هنا نعرف بان التبليغ عملية وممارسة اجتماعية للمشكلات القائمة بين الناس وهي تكون جانباً في شخصية العالم ، والطالب المجد ليساعده ويعينه على عملية الاستنباط الصحيح وفهم النصوص فهماً صحيحاً . فهي عملية تكاملية للمجتمع من ناحية وللمبلغ من ناحية ، اخرى في بعده العلمي ، فضلاً عن البعد الاخلاقي والروحي والنفسي ، فتكون هذه العملية مفيدة ونافعة له ، فيمكن من خلال هذا الشرح ان يكون الطالب مجداً ويصل الى درجات عالية في العلم والمعرفة . وفي الوقت نفسه يكون حاملاً للرسالة ومبلغاً لها ايضاً .

اساليب التبليغ

وهناك خصوصية أخرى للبلاغ ، هي أن له اشكالاً وانواعاً من الاساليب والوجوه . فالتبليغ لا يكون منحصرأ دائماً بان يحمل الانسان نفسه ويذهب الى بلد او قرية بعيدة عن هذا المركز ، بل يمكن ان يقوم بهذه العملية حتى في اماكن الدرس والتحصيل ، في المدن التي يدرس فيها ، او يمكن ان يقوم بها اثناء التعليم ، او بعملية الكتابة والنشر ، او غير ذلك من الاساليب التي يارسها المبلغ . والمقصود من هذا الحديث هو ان الطالب ينبغي دائماً ان يعرف ان هذا العلم للعمل والبلاغ والنشر وللهداية . وليس للعلم فحسب .

بان يكون المرء عالماً ، او يقال : هذا انسان عالم وفاضل ، وانما يجب ان يضع امام عينه ان هذا العلم شيء يحمله للناس ، من اجل ان يبلغه لهم ويهديهم ويعلمهم ويزكيهم . هذا هو هدف العلم وشأنه . وهذا الهدف لا يتنافى مع التحصيل الجاد ، بل يمكن ان يكمله ، نعم ، في فرضية أخرى وهي ان الطالب قليل المعرفة إذا ذهب الى بلاد اخرى للتبليغ ، فقد يقال : إنه لا يتمكن أن يقوم بعملية التبليغ . فإن لم يكن عالماً عارفاً فاهماً للشرعية واحكامها ، قد لا يكون قادراً على اداء هذه الرسالة ، خصوصاً اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان مجتمعاتنا الان اصبحت مجتمعات فيها مشكلات

ليست على مستوى الاحكام الشرعية، بل مشكلات فكرية واجتماعية واقتصادية وغيرها، فيحتاج العالم ان يكون في علمه وفضله بدرجة بحيث يتمكن ان يواجه كل هذه المشكلات القائمة في المجتمع، وان يكون بمستوى من العلم يجعله قادراً على مواجهتها، فلا بد - دائماً - ان نحسب المساحة التي يتحرك فيها المبلغ والمشكلات العلمية التي يواجهها ويتحملها، ونوازن بين حركة العلم وحركة البلاغ والهدي. وحفظ هذه الموازنة قضية اساسية ومهمة في عملية التبليغ. اذا اردنا ان نصل الى الاهداف المقدسة التي وضعها الله سبحانه وتعالى امامنا في هذه العملية. نسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفق العلماء للمزيد من العلم وان يسددهم في عملهم ومعرفتهم، كما نسأله سبحانه ان يوفقهم للمزيد من البلاغ، وان يسدد المبلغين وان يجعلنا من المبلغين ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احداً الا الله ﴾. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

السلك الحوزوي والجهاد^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

في بداية الندوة وُجّهت الأسئلة التالية لسماحة آية الله السيد الحكيم (دام ظله) من بعض طلبة الحوزة العلمية المشرفة ، حيث تفضل سماحته بحديث مسهب تضمن إجابات وافية عنها :

س ١: بعض الحوزويين يقفون موقف المتفرج من الاحداث في الساحة ، بل اكثر من ذلك يقللون من شأن المتصدين وانجازاتهم ولا يطرحون البديل فما هو تعليقكم ؟

س ٢: تحدثتم عن اهمية الحوزة وفضلها وهذا ما نشاطركم الاحساس به ، ولكن لماذا لا يتم استيعاب الطلبة بشكل صحيح فلا اماكن للسكن متوفرة ، والرواتب لا تساعد على المضي في طلب العلم ؟

س ٣: لماذا لا يكون لطلبة الحوزة دور جهادي في الوقت الحاضر ؟

س ٤: لماذا لا يتم التنسيق بين الحوزة وممثلية الولي الفقيه في قوات بدر الظافرة بغية توحيد الثقافة الموجهة الى هذه القوات ؟

س ٥: هل بالامكان نقل الحوزة العلمية في النجف الاشرف الى ايران وتخليصها من ضغوط النظام ؟

س ٦: لماذا لا يكون لسماحتكم حضور اكبر في الحوزة العلمية العراقية ؟ وهناك طلب من طلاب مدرسة دار الحكمة ، يطلبون توفير سكن لهم . ونحن بانتظار جواب سماحة آية الله السيد الحكيم نستقبله بالصلاة على محمد وآل محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب

(١) كلمة سماحة السيد الحكيم (دام ظله) بمناسبة شهادة العلامة السيد محمد مهدي الحكيم رحمته الله في يوم الخميس ١٢ / ١ / ١٩٩٤م الموافق ٢٧ / ٦ / ١٤١٥ هـ . ق الموافق ١٠ / ٩ / ١٣٧٣ هـ ش في قم المقدسة وكانت اجوبة على الاسئلة المطروحة .

إله العالمين أبي القاسم محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين . السلام على سيدتنا ومولاتنا سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ؑ والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرض الحجة بن الحسن (عج) والسلام على شهداء الاسلام في كل مكان منذ الصدر الاول للاسلام وحتى هذا العصر والسلام على سادتي العلماء واخواني وأعزائي المؤمنين الكرام ورحمة الله وبركاته .

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ (١) .

في رحاب العلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم

في هذه الليلة ونحن على أعتاب ذكرى شهادة سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء ؑ، نعيش أيضاً ذكرى شهادة ابن من ابنائها هو العلامة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم ؑ وهو في الوقت نفسه كان ابناً من أبناء الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وكان يمثل في شخصيته العالم الرسالي الذي يحمل رسالة الاسلام للامة ويستفيد من تربيته العلمية والأخلاقية في سبيل هداية الناس وارشادهم .

والحديث عن هذه الشخصية حديث واسع تناولته في بعض الفرص والمناسبات السابقة، ولكن هنا ونحن نعيش هذه الليلة ذكرى شهادته، اود ان اشير الى جانبين رئيسيين في هذه المناسبة: الجانب الأول : يرتبط بشخصية العلامة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم حيث كان يمثل - كما ذكرت - العالم الرسالي الذي يحمل الرسالة ويبلغها .

فبالرغم مما كان يتمتع به من ذكاء عالٍ منذ الصغر، حيث كان معروفاً بذكائه وشخصيته الفذة، وبالرغم مما كان يتمتع به من موقع اجتماعي علمي خاص باعتبار انتسابه الى آية الله العظمى الامام الحكيم ؑ وهو مرجع المسلمين . وبالرغم أيضاً من تربيته الاخلاقية العالية التي كان يتميز بها في شخصيته وهي واضحة لكل من يعاشره، حيث كان على درجة عالية من التقوى والورع والاستعداد للتضحية والفداء والاستعداد لخدمة الناس والقيام بواجباتهم وشؤونهم، بالرغم من كل هذه الخصوصيات التي كانت تؤهله لموقع اجتماعي عظيم في الحوزة العلمية، لكنه مع ذلك لبى

نداء الواجب والوظيفة الشرعية ونداء المرجعية الدينية، حينما اقتضت الظروف السياسية والاجتماعية التي كان يعيشها في عصره، ان ينتقل من النجف الاشرف الى بغداد، ويتولى مسؤولية إدارة الشؤون الدينية ذات العلاقة العامة بالمرجعية الدينية، ويتولى بشكل خاص رعاية تلك القطاعات الشعبيه الواسعة التي كانت تفتد الى بغداد في ذلك الوقت، تلك القطاعات التي كانت تهاجر من المناطق الجنوبية وتستقر في بغداد واطرافها، سواء في مدينة الثورة ام في المدن الأخرى المحيطة ببغداد، من قبيل مدينة الحرية المعروفة سابقاً بمدينة الهادي، أم في منطقة بغداد الجديدة، أم غير ذلك من الاحياء التي كانت تسكنها الطبقة الواسعة المستضعفة من أبناء الشعب العراقي، تلك الطبقة التي كانت ولا زالت تمثل طاقة كبيرة تحتاج الى رعاية خاصة، باعتبار انها جديدة العهد بهذه المنطقة وتواجه صعوبات، خصوصاً على المستوى الفكري والاخلاقي والديني. فكانت هناك عناية خاصة لهؤلاء الناس من قبل العلامة السيد محمد مهدي الحكيم.

ومن خلال هذا الجهد وهذه العناية الخاصة، تمكن العلامة الشهيد أن يوجد نوعاً من الاستقرار والوجود القوي لهذه الطبقة، وأخذت من خلال حركتها وتفاعلها تفرض نفسها كحقيقة في منطقة بغداد. ونحن في مثل هذه الايام نشهد أيضاً ما يحس به النظام المجرم الحاكم في بغداد تجاه هذا الوسط الواسع وهذه الاوساط المهمة، حيث يحاول أن يقوم بعملية قمع واسعة تجاه هؤلاء الناس الذين استقروا في منطقة بغداد. وتفيد الاخبار أن النظام بدأ يقوم بعمليات تهجير عكسي بحق هذه الطبقة من الناس.

هذا العمل الذي قام به السيد محمد مهدي الحكيم يعتبر من الاعمال والانجازات العظيمة التي حققها لأمة العراق وشعبه لاتباع أهل البيت عليه السلام، وهكذا عندما اضطرته الأمور أن يهاجر الى خارج العراق بعد تلك الظروف القاسية التي مرت به، فلم يهدأ له بال في مواصلة رسالته وأخذ يحملها، بحيث أسس المؤسسات المختلفة وأوجد أيضاً التيارات الثقافية والسياسية المختلفة وفي مختلف مناطق العالم. كمناطق الخليج التي كان له دور عظيم جداً فيها خصوصاً في منطقة الامارات، حيث أسس مؤسسات ضخمة ما زالت تؤدي دورها حتى يومنا الحاضر في بناء الاوضاع الثقافية والروحية والمعنوية لأتباع أهل البيت عليه السلام في هذه المنطقة، وكان بوجوده أيضاً انعكاسات مهمة جداً في المناطق المجاورة لمنطقة الامارات، سواء كانت في سلطنة عمان أم في الكويت أم في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية، وفي الوقت نفسه كان له دور ضخم جداً

وعظيم في الباكستان والهند، بحيث يمكن ان نقول: إن قسماً مما نراه من حركة وعي وادراك للاوضاع السياسية التي تعيشها باكستان في عصرنا الحاضر كان تأسيسه من خلال العمل الذي قام به السيد محمد مهدي الحكيم رحمه الله في منطقة الباكستان، وكذلك ما يخص الهند والمشاريع التي كان يطرحها في تجمع هؤلاء العلماء أو في ايجاد الصلات بهم وتوعيتهم وكان يحضر الكثير من المناسبات والمؤتمرات هناك، بل كان يؤسس المؤسسات في هذه المناطق لبعث هذه الروح. وكذلك الحال في مناطق شرق افريقيا. وكان نهاية المطاف في عمله ما قام به من ايجاد وعي ثقافي وسياسي في اوربا، حيث يمكن ان نقول: بان هذا الوعي الذي نراه الان في لندن كان تأسيسه وبداية وضع مشاريعه ونشاطها كان من خلال هذه الشخصية.

إذن، كان العلامة السيد مهدي الحكيم اول اولئك الذين هاجروا الى هذه المنطقة وتحملوا مختلف الوان المعاناة من اجل تأسيس هذه المشاريع. وتجاوب معه الكثير من الاخوه المؤمنين، سواء كانوا علماء أم اوساطاً دينية، ولكن كان له دور التأسيس. وكان له السبق أيضاً في تأسيس رابطة أهل البيت عليه السلام التي حاول فيها بشكل خاص ان يهتم بجماعات أتباع أهل البيت عليه السلام المتواجدين في مناطق المهجر في امريكا اللاتينية أو امريكا الشمالية أو أفريقيا الشرقية أو الغربية أو مناطق أوربا، حيث تمكن أن يوجد الصلة بين عدد كبير جداً من هذه الجماعات ومؤسساتها وجمعياتها ويعقد المؤتمرات هؤلاء وينظم لهم السياسات العامة ويعطيهم التوجيهات.

هذا الدور والنشاط كان يقوم به السيد محمد مهدي الحكيم في وقت كان مطارداً من قبل نظام طاغوتي يتربص به الدوائر. وقد تعرض في هذه الحركة ولعدة مرات لمحاولات القتل والاغتيال حتى كانت المحاولة الاخيرة التي قُتل فيها رحمه الله في السودان.

لقد كان مطارداً ومحددأً وخرج من الامارات نتيجة هذا التهديد، وكان في لندن ينتقل من مكان الى مكان وهو مهدد بالقتل والاغتيال. وانتم تعرفون ان بريطانيا كانت تقف الى جانب النظام طيلة السنوات السابقة، الى ان حدثت حوادث غزو الكويت، وكانت لندن تعجّ بازلام ورجال المخابرات والامن والعلماء، وقد قتلوا عدة اشخاص في لندن^(١) ولم تلاحقهم السلطات البريطانية، ولكن مع ذلك واصل السيد نشاطه هناك.

(١) كان من بين هؤلاء عبد الرزاق النايف، أحد أعضاء المجموعة التي نفذت انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، حيث اغتالته المخابرات العراقية في لندن عام ١٩٨١.

الجانب الثاني : اريد أن أؤكد القدوة في شخصية السيد مهدي الحكيم على حالة القدوة والاسوة في مجمل عملنا، فقد كان يقوم بهذا النشاط الواسع وهو مبتلى بالأمراض المختلفة المتعددة، فكان مبتلى بمرض القلب، وفقدان البصر بين الحين والآخر، حيث كان عنده إصابة في عينيه، فكانتا تنزفان، وكان في كثير من الأحيان يفقد القدرة على البصر كما كان مصاباً - الى حد كبير - بفقدان السمع حتى اضطر الى استعمال الاجهزة ليتمكن من السمع . مضافاً الى عوارض الامراض الاخرى .

بالرغم من هذا النوع من الابتلاءات التي قد نرى بعض الناس يبتلى بواحدٍ منها فينزل ويترك النشاط والعمل أو ينطوي على نفسه ، ولكن بالرغم من كل ذلك كان يقوم بمثل هذه النشاطات والاعمال في هذه المساحة الواسعة التي تكاد تستوعب دنيانا المعاصرة كلها . فهو في سفراته وجولاته ومتابعاته قام بزيارات لامريكا الشمالية والجنوبية وإلى مناطق مختلفة في اوربا، مضافاً الى أفريقيا وآسيا وهذا يمثل نموذجاً للعالم الرسالي .

فعندما نتكلم عن الحوزة والعلماء ودورهم الذي يجب ان يقوموا به ، فيمكن أن نذكر نماذج حية لناس يعيشون كما نعيش ويأكلون كما نأكل ويتربون كما نتربى ولم يكونوا يتمتعون بمواصفات بدنية أو امكانيات اجتماعية خاصة ، لكنهم مع ذلك تمكنوا أن يقوموا بهذا القدر الواسع الكبير من النشاط ، بالرغم من وجود هذا النوع من المشكلات والازمات ، وهذا جانب مهم جداً يجب ان يعرفه طلاب الحوزة العلمية ، وينعكس على جواب هذه الأسئلة التي طرحت في هذا المجلس .

ظاهرة قتل العلماء

والجانب الآخر في موضوع السيد محمد مهدي الحكيم ، هو موضوع قتل العلماء وهي ظاهرة شهدتها العقود الأخيرة ، وخصوصاً في العراق وهي تجسيد الظاهرة الفرعونية لقتل العلماء بهذا الشكل ومطاردتهم وملاحقتهم . وعلى رأس هذه الظاهرة المجرم صدام اللعين . وهي ليست مختصة بصدام ، وان كان ذلك مثلاً لتجسيد شنيع وواسع لهذه الظاهرة ، ولكنها في الواقع تمثل حالة من الخلفية الفكرية الثقافية والروحية والنفسية لكل هذه التيارات المادية والعلمانية البعيدة عن الله سبحانه وتعالى . وقد وجدنا أن هذه الظاهرة انعكست بشكل من الأشكال في سلوك من نسيمهم : (بمنافقي خلق) هذا الحزب المجرم الذي يرأسه مسعود رجوي والذي يشبه في مجمل سلوكه سلوك صدام ، ففي بداية الثوره الاسلاميه كنا ندرك هذا الخطر العظيم بأن تقع بعض مدن

ايران بيد هؤلاء المجرمين، ويمكن عند ذاك ان نتصور حجم الكارثة التي يمكن ان تنزل بالاسلام والمسلمين وهذا خطر حقيقي على الاسلام.

وظاهرة قتل العلماء من الظواهر الفظيعة التي شهدتها العراق. وفي مقدمة هؤلاء العلماء آية الله العظمى الشهيد الصدر عليه السلام الذي قتل قتلة شنيعة. وهكذا ما جرى على أخته الفاضلة بنت الهدى، وما جرى على علماء آخرين كآية الله السيد قاسم شبر عليه السلام، هذا العالم الجليل وشيخ العلماء الشهداء الذين استشهدوا في هذا الطريق. وقد كان مفسراً أخلاقياً مجاهداً مستعداً دائماً للتضحية وللفداء. وكان شيخاً تجاوز في عمره الثمانين عاماً، مع ذلك فانه لما قال كلمة الحق تعرض للقتل والشهادة.

إن هذه الظاهرة تعبر عن عمق الاجرام في هيكل النظام وشخصية صدام بشكل خاص وتجعلنا نعتقد بان هذا النظام لا يمكن أن يتخلى عن هذا الاجرام باي شكل من الاشكال.

ومن هنا نعتقد انه من الضروري والواجب الشرعي مواصلة القتال ضد صدام، لان البديل الآخر للقتال والجهد وانما هو المزيد من القتل والقمع والتجهير والمعانات والآلام. وربما يتصور بعض الناس ويذهب به الخيال إلى أننا لو سكطنا وتركنا فسوف يتركنا النظام، لكنكم تلاحظون أن بعض الناس الذين وقعوا بمثل هذا الوهم، وذهبوا وسلموا أنفسهم للنظام كان نصيبهم من هذا التسليم قطع الآذان والايدي والارجل، ثم كان نصيبهم القتل، لان النظام لا يمكن ان يتحملهم ولا يمكن أن يتحملوه. ولدي معلومات عن اولئك الذين سلموا انفسهم أن بعضهم تحولوا الى عملاء أو من أزالام النظام، وأرادوا ان يعايشوه وان ينسجموا معه ما أمكن، وفي نهاية الأمر وصلوا الى هذه النتيجة، وقد قرأت تقريراً عن شخص وصل الى ايران، وقد قطعت أذناه وكان يذكر كيف أن أهله كانوا يضغطون عليه ليسلم نفسه للنظام.

ثم يقول: ذهبت وسلمت نفسي واشتركت مرات عديدة في العمليات العسكرية. ولكنه مع ذلك ما كان ينسجم معه، وكانت النتيجة أن قطعت أذناه. ثم يذكر حديثاً مهولاً عن حال السجون التي عاش فيها طيلة هذه الفترة. ان قتل النظام للعلماء يعبر عن هذا العمق في الاجرام، ويشخص لنا طبيعته، ولكن في الوقت نفسه يجب ان ننتبه الى قضية من القضايا المهمة جداً هي أن هذه الظاهرة عندما تتم بمثل هذه العمليات البشعة الاجرامية في امة من الامم - مهما كانت هذه الامة - سواء كانت حاضرة او غائبة في التاريخ أو في المستقبل، فعليها أن لا تقف منها موقف المتفرج،

وتكتفي في أحسن حالاتها بالانكار القلبي فقط، بل إن الكثير منهم لم يحصل منه حتى هذا الامر، ما دامت النار لم تصل اليه، ويبقى يتصور أنه في مأمن من هذا الاذى غارقاً في دنياه وأوضاعه الخاصة وحركته الخاصة ويشهد مثل هذه المظالم. وقد مر هذا في بعض الامم التي ترى مثل هذه الحالات البشعة والمظالم التي تمثل عدواناً على الله سبحانه وتعالى فعمها البلاء الشامل.

إن قتل العلماء عدوان على الله سبحانه وتعالى، لأن العالم لم يزاوهم الطغاة في مصلحة من مصالحهم ولم يرد مالأ ولا جاهاً ولا منصباً ولا شهوة من شهواتهم، وإنما قال كلمة الله والحق.

وقتل هؤلاء العلماء من قبيل قتل الأنبياء. عندئذ ينزل الله عذابه العام الشامل على هذه الامة بعد فترة من الزمن، عندما تسكت وترى أن موقفها هو السكوت والتفرج او الغفلة او الانكار القلبي على أحسن التقادير، وهذه نتيجة طبيعية والسنة الكونية التاريخية التي وضعها سبحانه وتعالى في حركة الامم، هو ان ينزل العذاب بعد ذلك عليها بشكل رهيب، كما نشاهد الآن في أمتنا وأوضاعنا

وظيفتنا الشرعية

أيها الاخوة الاعزاء إن قضية انكار المنكر وقضية الامر بالمعروف والجهاد في سبيل الله ليست دعوة شخصية أو رغبة من هنا أو هناك، وإنما هي قضية تتبع من واجب ووظيفة شرعية يجب ان يقوم بها المسلم. والعذاب العام عذاب الهي أيضاً ﴿١﴾ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴿٢﴾ فقد يشمل العذاب النازل بسبب الظلم حتى اولئك الذين لم يشتركوا في الظلم ولم تكن لهم يد فيه، لكن الامة عندما تعاقب يكون عقابها عاماً، وقد يكون هناك أفراد صالحون وربما كانوا أول من يلحقهم العذاب، لكنه يكون بعد ذلك عذاب امة. والواقع الذي نشهده في حياتنا ينقلنا الى موضوع الاسئلة - لان الوقت اصبح ضيقاً - وهو مرتبط بشكل عام بهذا الموضوع، لان بعض الحوزويين يقفون موقف المتفرج من الاحداث الجارية في الساحة. هذا هو السؤال الذي طرح في الندوة مع الاخوة الاعزاء طلبة العلوم الدينية.

بل الاكثر من ذلك، أنه يقلل من شأن المتصدين وانجازاتهم ولا يطرح البديل عن هذا الامر. وتعليقنا على ذلك: أن هذا الموقف لم يكن ناشئاً من غموض في الفهم والرؤية - إن كان يوجد مثل هؤلاء يمكن أن توضح له الرؤية - إنما هو ناشئ من اللامبالاة بما يجري على الناس وما

يصابون به من الآلام، وأنا احتمل في كثير من هؤلاء الاخوة الذين لهم مثل هذا الموقف، انه ناشئ من عدم الوضوح وعدم فهم الحقائق او أن القضايا تطرح لهم بشكل مشوه، أو يكونون قد سمعوا أشياء من هنا وهناك تشوُّش عندهم الرؤية .

الوضع الحوزوي

أما عن السؤال الثاني: فإن الحوزة العملية فهي مشروع، والمشروع يعتمد على إمكانيات معينة، وهذه الإمكانيات محدودة، باعتبار أن الحوزة تعتمد بشكل اساسي على الحقوق الشرعية، وهذه الحقوق لها موارد كثيرة للصرف، أحدها الحوزة العلمية، وهذه الموارد محدودة قياساً مع العدد الكبير الذي اقبل على طلب العلم، خصوصاً في وسط الاخوة العراقيين، والمعروف غالباً أن الجاليات من طلبة الحوزة تعتمد على شعوبها بشكل اساسي، والطلبة العراقيون لا يعتمدون بشكل اساسي في مواردهم ومصادرهم ونفقاتهم على ابناء شعبهم، لان الشعب العراقي في الداخل يوجد بينه وبين ابناء طلبة الحوزة في قم حواجز كثيرة، منها الاوضاع الاقتصادية الصعبة في داخل العراق، وحتى لو كانت الاوضاع الاقتصادية حسنة قد يكون من غير السهل ايصال الاموال من داخل العراق الى هؤلاء الطلبة الموجودين هنا في حوزة قم، وبالتالي فهم يعتمدون بشكل اساسي على الرواتب التي تعطى في الحوزة العلمية، أو على المؤسسات الموجودة فيها كالمدارس وغيرها، وهذه الرواتب حتى لو اعطيت بالكامل، فلا تكفي طلاب الحوزة غالباً، إنما تؤمن قسطاً من مصروفاتهم ونفقاتهم، والقسط الآخر يؤمن من مصادر اخرى - كما اشرت - وبالتالي فهؤلاء محرومون من هذا المصدر، وهذا يشكل عبئاً على اوضاع الحوزة العراقية، مضافاً الى أن الحوزة العراقية في الوقت الحاضر تفتقد مؤسسات سكنية في حين أن أغلب الجاليات لديها مؤسسات سكنية وخصوصاً الايرانية منها، ولكن العراقيين لا يوجد لديهم مثل هذه المؤسسات، لذا فان من الجدير بالاهتمام أن يهتم العلماء والفضلاء والمقتدرون من ابناء الشعب العراقي او من الحريصين على اوضاع الحوزة العراقية ببناء بعض المدارس التي من الممكن ان تؤمن السكن لهؤلاء الطلاب وخصوصاً العزاب، لان الأعزب اكثر معاناة خصوصاً من يأتي جديداً الى الحوزة حيث تكون صعبة عادة، لا زال غير منسجم ومصادره محدودة جداً وبالتالي يعاني معاناة شديدة .

ومضافاً الى ذلك فاننا لاحظنا النسبة العددية باعتبار الظروف التي يعيشها أبناء الشعب العراقي نسبة كبيرة جداً لا تتناسب مع مجمل التقسيم النسبي الموجود لطلاب الحوزة العلمية، ففي

قم نسبة عددية كبيرة من الطلاب العراقيين جاؤوا الى الحوزة العلمية، بحيث إذا أردنا أن نقارنها بالجامعات الأخرى نجد أنها كبيرة جداً، وبالتالي فهذا أيضاً لا ينسجم مع مجمل التخطيط العام في حوزة قم. وهذا لا يعني عدم الاهتمام، وإنما هناك مشكلات حقيقية شبيهة بالمشكلات التي تعانيها الجمهورية الإسلامية في الجامعات، حيث يتقدم أكثر من مليون شخص للامتحان في -الكونكور- فيقبل منهم في كل سنة ثلاثمائة ويبقى أكثر من سبعمائة ألف لا توجد لهم أماكن في هذه الجامعات. والجمهورية الإسلامية تعمل الآن بجد من أجل معالجة المشكلة وضع التعليم العالي، بحيث يمكن أن يستوعب عدداً أكبر، ولكن تبقى المشكلة العلمية كبيرة. وهذا الأمر حصل أيضاً للحوزة العلمية بعد التطور العظيم الذي حدث بسبب الثورة، فكان هناك إقبال كبير جداً من الناس على طلب العلم والانخراط في الحوزات العلمية، الأمر الذي أدى إلى تطور كبير من الناحية الكمية وهذا يفرض أعباءً مالية وهذه الأعباء تحتاج إلى تطوير، وسوف يحصل هذا التطوير -إن شاء الله- من خلال جهد العلماء والمراجع «حفظهم الله تعالى»، ومن خلال جهد ولي أمر المسلمين «إطال الله عمره الشريف» باعتباره يبذل عناية خاصة في هذا الموضوع.

وأريد أن أقول: إن هذه المشاكل ليس منشؤها عدم الاهتمام، وإنما توجد مشاكل حقيقية تؤدي إلى عدم القدرة لاستيعاب هذا العدد الكبير، وكذا استيعاب المشكلات الناشئة بسبب هذا العدد الكبير.

الدور الجهادي لطلبة الحوزة

أما عن السؤال الثاني: فإني أعتقد أن طلبة الحوزة دائماً يمكن أن يكون لهم دور جهادي حتى في الوقت الحاضر، وذكرت أن هذا الدور الجهادي يمكن أن يكون في خطين رئيسيين: أولاً: التهيؤ للعمل القتالي. فطلبة الحوزة من المفروض أن يكون مهنيين، لأن موقفنا في الساحة العراقية من النظام هو موقف القتال والجهاد، هذا هو الواقع، وبالتالي يجب أن يكون طلبة الحوزة مهنيين.

ثانياً: بناء الناس روحياً ومعنوياً وأخلاقياً ودينياً وفكرياً وهذه هي المسؤولية الأصلية والدور الأساس لطلبة الحوزة. والعراق بحاجة ماسة لذلك البناء، والعراقيون الموجودون في الجمهورية الإسلامية، فضلاً عن أولئك الموجودين في داخل العراق بحاجة شديدة جداً إلى بناء أخلاقي وثقافي، لأن عواطفهم واحاسيسهم مع الإسلام، لكن النظام حرّمهم من تعليم الإسلام

ومعرفته وثقافته، وبالتالي يمكن أن يقوم طلاب الحوزة العلمية بدور كبير. وهذا من افضل أنواع الجهاد، وهذه الفرصة موجودة والمفروض ان يقوم بها طلاب الحوزة العلمية.

التنسيق بين الحوزة والفيلق

أما عن السؤال الرابع: فأنا لا أعرف ما المقصود من هذا السؤال. ولا أدري إذا كانت المثلثية اجمالاً تستفيد من طلاب الحوزة العلمية وتقوم باختيارهم وارسالهم، وقد يكون هناك خطأ او عدم دقة في هذا الاختيار، لكنها - بشكل عام - تهتم بالاختيار من طلاب الحوزة، ويمكن طرح هذا الموضوع على مسؤول المثلثية من اجل ان يقوم بهذا التنسيق.

البقاء والصمود

وللجواب عن السؤال الخامس نقول: إننا لا نعتقد بصحة هذا، إنما نعتقد بان العراقي كلما كان قادراً على ان يبقى في داخل العراق يجب عليه أن يبقى هناك، ولا نعتقد بصحة إفراغ العراق من العناصر الجيدة، سواء على مستوى الحوزة أو غيرها، الا اذا كان ذلك الانسان تتهدد حياته بالخطر بشكل حقيقي. وأما غير هؤلاء من الذين يتمكنون أن يحفظوا انفسهم ودينهم يجب عليهم البقاء حتى غير الحوزويين من اوساط العشائر أو المؤمنين من كوادر الموظفين والمعلمين ومن اي وسط كان، فلا يصح ولا يجوز بأي شكل من الاشكال افراغ العراق من العناصر الجيدة، وتركه طعمة بيد صدام. ويجب على العراقيين من جملة ما يجب عليهم من جهاد ان يبقوا في العراق بشرط أن يأمن الانسان على نفسه، بحيث يرى أنه غير مهدد بالقتل، وأن يكون كذلك آمناً على دينه بالقدر المعتد به على الدين مع التقية - كما نعرف - وبالتالي نحن لا نرى صحة أن يخرج هؤلاء من العراق، وأولئك الذين صمدوا وبقوا في داخل الحوزة العلمية - بحسب فهمي للامور - يُحسبون عند الله سبحانه وتعالى من المجاهدين، لأن المحافظة على هذه المواضع في داخل العراق تعتبر من اهم الاهداف والقضايا التي يجب ان نسعى اليها.

أمنية سامية

وللجواب السؤال السادس نقول: هذه أمنية من الامنيات، ان أوقف نفسي لخدمة الاخوة الاعزاء عن قرب في هذه الحوزة العلمية، ولكنني اشعر بان القضية التي نعيشها تجعلني أحرم من هذا التوفيق وهذه الامنية. مضافاً الى وجود من فيه الكفاية من العلماء والافاضل والفقهاء. وهذه الامنية لي لا للحوزة، فانا اتقن أن أحضر فيها وافرح عندما اعيش بين هؤلاء الافاضل والعلماء

ولا اشعر بوجود هذه الحاجة من قبل الحوزة باعتبار وجود العلماء والافاضل في حوزة قم والحمد لله رب العالمين .

أما طلب مدرسة دار الحكمة، فنحن نسعى ضمن الاطار الذي تحدثنا عنه وهو اطار الامكانات المتوفرة والمتيسرة لأن موارد الحوزة هي الحقوق الشرعية الا اذا جاءت طائفة، فبحسب الامكانات المحدودة المتوفرة إن شاء الله تقوم برعاية هؤلاء الاخوة الاعزاء .

أخيراً أشكر الاخوة الاعزاء الذين تفضلوا علينا بالحضور، وأسأل الله سبحانه وتعالى ان يرعاهم بعينه التي لا تنام، وان يتقبل منهم عملهم، وان يبارك في جهودهم، وان يتغمدهم شهداءنا الابرار برحمته الواسعة. والى ارواح الشهداء والعلماء خصوصاً امام الامة ﷺ، وأرواح سلفنا الصالح من المؤمنين، رحم الله من يقرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

المناهج الحوزوية وتهيئة الكادر الرسالي^(١)

- سؤال موجه لسماحة السيد الحكيم :

هل ترون أن المناهج الحوزوية المعمول بها الآن ، كافية لبناء الأمة ، وتهيئة الكادر الذي يبلغ الرسالة ؟
الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب
إله العالمين أبي القاسم محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا
الحجة ابن الحسن (عج) . والسلام على شهداء الإسلام في كل مكان منذ الصدر الأول وحتى هذا
العصر . والسلام على سادتي العلماء ، وإخواني وأعزائي المؤمنين الكرام ، ورحمة الله وبركاته ..
قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾^(٢) .

تكليفان شرعيان في الدعوة

لا شك أن الحوزة العلمية تعتبر - من حيث الأهمية والقدسية والنتائج المترتبة عليها -
المؤسسة الأولى ، بعد الإمامة والولاية . ويمكن أن يكون تاريخها وأصل فكرتها ، مرتبطاً بهذه الآية
الشريفة التي قرأتها عليكم ، حيث يبدو من سياقها أن المجتمع الاسلامي بعد أن استقر به الأمر
نسبياً ، بحيث أصبح مجتمعاً آمناً في وجوده وكيانه السياسي ، من خلال الصراع الذي كان يخوضه
النبي ﷺ مع المشركين ، وتمكّن المسلمون من إنزال الهزيمة بهم وتحقيق الانتصارات عليهم من

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) في مكتبته بقم المقدسة وذلك بتاريخ ٩ / ١٩٩٥ م - ٤ /

١٤١٦ هـ . ق - ٦ / ١٣٧٥ هـ . ش .

(٢) التوبة : ١٢٢ .

ناحية ، وتحقيقهم للإنتصارات على اليهود من أهل الكتاب الذين كانوا يجاورون النبي ﷺ في المدينة ويوجهون تهديداً حقيقياً للمجتمع الاسلامي وكيانه ، من ناحية أخرى . وبعد هذه الفترة ، التي هي فترة الست أو السبع سنوات الأولى من وجود النبي ﷺ في المدينة المنورة . هنا ورد تكليفان رئيسيان لهذا المجتمع :

١ - نشر الاسلام خارج الجزيرة

التوجه لمسألة نشر الإسلام والدعوة الإسلامية الى خارج منطقة الجزيرة العربية . ومن هنا نجد أن رسول الله ﷺ بدأ يفكر في الكتابة الى الملوك والسلاطين والقادة الذين كانوا يحكمون العالم في مختلف أنحاءه ، ويوجه لهم الرسائل التي يدعوهم فيها الى الإسلام . وفي الوقت نفسه ، كان يفكر تفكيراً حقيقياً بالقيام بعمل واسع من أجل نشر الإسلام ، وليست القضية هي كتابة الرسائل والبيانات فقط ، فما أسهل ذلك . واحد منا يمكنه أن يجلس في بيته ويكتب رسائل ونداءات الى مختلف أنحاء العالم ، بحيث تبقى في مكانها دون أي تأثير إذا لم يكن وراءها تخطيط عملي وفعلي . فكانت القضية بالنسبة لرسائل رسول الله ﷺ تنطلق من هذه الفكرة ، وإلا فكان يمكنه من أول يوم نزل فيه القرآن والإسلام أن يكتب هذه الرسائل والبيانات وأن يجد شخصاً يرسله الى هذه المناطق .

فكانت هذه الرسائل تعبر عن مرحلة جديدة وصل إليها المجتمع الإسلامي ..

٢ - بناء القاعدة الفكرية

والتكليف الثاني : هو بناء القاعدة الثقافية والفكرية القوية التي تتحمل مسؤولية نشر الرسالة والدعوة الإسلامية لمختلف أنحاء العالم .

وهذه الآية الشريفة وردت في هذا السياق أيضاً ، ولذلك تقول في بدايتها « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » والمقصود من (النفير) هنا - على أحد التفسيرات - هو النفير للجهاد . فجاء التكليف في تقسيم المجاهدين المؤمنين الذين كانوا يتعبؤون بشكل كامل في عمليات الجهاد قبل المشركين وأهل الكتاب ، للتعبئة الى قسمين : قسم ينفر الى الجهاد ، وقسم ينفر للتعلم والتفقه ومعرفة الإسلام وأحكامه ، ومن ثم حمل رسالة الإسلام والمعرفة الى الناس وتلقيهم وتحذيرهم بالإسلام ، ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ﴾ ، أي : تكون هناك من كل جماعة منهم ، طائفة تتفقه في الدين .. ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ ، وهذا

تكليف وجهه القرآن الكريم الى المسلمين في هذه المرحلة الخاصة ..

ومن هنا بدأت قضية الحوزة العلمية ، والتفرغ من قبل أشخاص لأن يتفقهوا في الدين وأن يتحملوا مسؤولية هذا الفقه ، لأنه ليس تفقهاً من أجل النفس ، وإلاّ فالتفقه من أجل معرفة الأحكام والتكاليف والوظائف الشرعية لها ، واجب من الواجبات الشرعية على كل مسلم ومسلمة ، لأن طلب العلم فريضة .. أما هذا التفقه الذي تتحدث عنه الآية الكريمة ، فهو يمثل درجة أخرى غير هذه الدرجة ، وهو التفقه من أجل الآخرين ..

تأريخ الحوزة العلمية

كان أهل البيت عليهم السلام أكثر الناس اهتماماً بأداء هذه الوظيفة الشرعية . وهذا الموضوع يستغرق وقتاً طويلاً إذا أردنا الدخول فيه ، لأنه يحتاج الى استعراض تاريخي للميزات الرئيسية لموقف أهل البيت عليهم السلام قبال المدارس والأوضاع السياسية والاجتماعية الأخرى . وقد أشرنا الى جوانب من ذلك في أحاديث سابقة .

ومن هنا نجد أن هذه المؤسسة بالرغم من ظروفها القاسية ، بقيت حية ونشطة وتقوم بمهامها وأدوارها في مختلف الأدوار التاريخية لأتباع أهل البيت عليهم السلام . وقد بلغت هذه المؤسسة درجة واسعة وعالية جداً من السعة والأهمية والمحتوى والمضمون العلمي ، في زمن الامام الصادق عليه السلام ، ثم بدأت تنتشر في مختلف أنحاء العالم الإسلامي .

وقد كان تركزها الرئيسي في بداية الأمر في الكوفة ، لأن الامام أمير المؤمنين عليه السلام وضع أسسها في ذلك المكان ، ورعاها أئمة أهل البيت عليهم السلام من بعده وكان لها وجود - ولو بشكل محدود جداً - في المدينة المنورة ، وإلى جانب الكوفة بدأ العلم في قم ، وتطور بشكل كبير ومهم وحتى في الزمن المعاصر للأئمة عليهم السلام ، بدأ التركز في قم ، وفي مدينة الري ^(١) - أيضاً - التي كانت إحدى المراكز المهمة . وهكذا أخذت تتوسع هذه المؤسسة في مناطق مختلفة من العالم .

أهداف الحوزة العلمية

وقد كان في منظور هذه المؤسسة منذ تأسيسها ، عدّة أهداف رئيسية وأساسية ، لا بد أن نأخذها بنظر الاعتبار ، حتى يمكن لنا معرفة الجواب على السؤال المطروح حول مناهج الحوزة

(١) تقع مدينة الري اليوم في المنطقة الجنوبية من العاصمة طهران . وفيها الكثير من مشاهد العلماء والسادات . منهم السيد عبد العظيم الحسيني وحمزة بن الامام الكاظم، وطاهر بن الامام السجاد عليه السلام .

العلمية :

١ - التوصل للحكم الشرعي

الهدف الأول : هو الوصول الى الحكم الشرعي الذي يمكن أن يُستنبط من القرآن الكريم والسنة النبوية . وهو ما نعبّر عنه بـ (الاجتهاد) .

ومصدر الحكم الشرعي هو القرآن الكريم والسنة النبوية . وما يُذكر من أدلة أخرى إنما ترتبط - في الحقيقة - بهذين الدليلين الرئيسيين ، وحتى دليل الإجماع أو العقل يرتبطان بهذين الدليلين بشكل أو بآخر .

فالهدف الأول هو تخريج المجتهدين ، لأن هدف هذه المؤسسة ، التفقه في الدين ومعرفة الحكم الشرعي والإسلام ، ولا يمكن معرفة الإسلام إلا من خلال هؤلاء المجتهدين ، غاية الأمر أن عملية الاجتهاد في المرحلة السابقة - أي في زمن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام - كانت عملية بسيطة ومحدودة ، ولم تكن تحتاج الى الكثير من الجهد والعناء الذي نراه في عصرنا الحاضر ، لأن الدين يمكن معرفته عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية أو السنة المروية عن رسول الله ﷺ أو التي يذكرها أهل البيت عليهم السلام . وكان فهم القرآن الكريم في ذاك الزمان ، أمراً ميسوراً للمسلمين - بشكل عام - ، وعندما لا يتيسر لهم ذلك ، كانوا يرجعون الى رسول الله ﷺ في زمانه ، وكان مجتمع المسلمين محدوداً ، الرجوع اليه ﷺ أمر سهل وميسور ، وبالتالي يمكن معرفة الحكم الشرعي . غاية الأمر ، أن الإنسان قد يبذل شيئاً من الجهد حتى يصل الى الحكم الشرعي ، لكنه لا يحتاج الى التعقيد الذي نراه الآن .. وكانوا يرجعون الى الأئمة عليهم السلام في زمانهم أيضاً ، إما بشكل مباشر أو عن طريق أصحابهم الذين يتصلون بهم دائماً وينقلون عنهم الأحكام الشرعية .. فأخذت القضية تتعقد بالتدرج ، حتى في زمن الأئمة عليهم السلام ، إلى أن وصل التعقيد الى درجة عالية في زماننا ، لأسباب عديدة ..

أسباب التعقيد في عملية الاجتهاد

من جملة أسباب التعقيد في الاجتهاد :

أولاً : الفاصل الزمني . الأمر الذي يدفعنا الى معرفة القرائن الحالية والمقالية المرتبطة بالنص الشرعي من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فالإنسان الذي يعيش عصرًا معينًا ينزل فيه النص ، غير الذي يعيش فاصلًا زمنيًا عن ذلك العصر ، إذ يحتاج الأخير الى بذل جهد حتى يتمثل ظروف

ذلك النص المحيطة به، ليكنه فهم ذلك النص فهماً كاملاً.

ثانياً: الركام الذي حصل على النصوص الشرعية، من خلال التفسيرات والاحتمالات الكثيرة التي تُذكر حول هذه النصوص. وهي وإن كانت تجعل هذه النصوص ذات طبيعة واسعة ومفصلة، لكنها في الوقت نفسه تشوش الرؤية والفهم لها.

مضافاً إلى مسألة الوضع والاشتباه في نقل النصوص. لأن هناك تعمد للكذب أحياناً، وأحياناً خطأ أو اشتباه في النقل، إما في بتر النص، أو بإضافة كلمات له، أو بنقله بصورة غير دقيقة، الأمر الذي جعل عملية الاجتهاد معقدة في وقتنا الحاضر.

مكانة المناهج الحوزوية

وعندما نلاحظ المناهج الحوزوية القائمة فعلاً، نجد أنها تهتم بشكل رئيسي وأساسي بهذا الهدف (تخريج المجتهدين) وهو الهدف الأم والأصل بالنسبة إلى وجود الحوزة. ويمكن أن نقول: إن هذه المناهج هي من أرقى المناهج العالمية - لا في العالم الإسلامي فقط - في تحقيق هذا النوع من الهدف وهو الوصول إلى درجة القدرة على الاستنباط من النصوص الشرعية القديمة. ولا أقول هذا الكلام ادعاءً، إنما قرأته وسمعته من أشخاص عاشوا المناهج الحديثة من الجامعات والدراسات العصرية العلمية التي تهتم بالوصول إلى النتائج العلمية، كما شاهدوا مناهجنا الحوزوية. بل يمكن أن أقول: إن مناهج الحوزة أرقى المناهج العالمية في تحقيق هذا الهدف.

٢- إبلاغ الرسالة

والهدف الثاني للحوزة العلمية الذي تشير إليه الآية الكريمة: هو إبلاغ الرسالة الإسلامية وتفتيقه الناس وتحذيرهم - حسب ما تُعبّر عنه هذه الآية - من المصير في اليوم الآخر، وبالتالي تعريفهم بالإسلام وخلق الأجواء التي يتربى فيها هؤلاء الناس عليه، بما يجعلهم يلتزمون ويؤمنون بالإسلام. وهذا هو الهدف الذي يقوم به المبلّغون والخطباء والكتّاب والأدباء، وغير هؤلاء من الأشخاص الذين يمارسون هذه المهمة والعمل العظيم.

٣- دفع الشبهات

والهدف الذي تحملته الحوزة في مختلف العصور والأجيال وتحمله الآن. هو: دفع الشبهات والإثارات التي تُثار حول الإسلام والعقيدة الإسلامية. فهناك الكثير والكثير من الإثارات والشبهات حول الإسلام، وهي ليست أمراً جديداً،

وإنما كان القرآن الكريم في بيانه - أيضاً - يثير دائماً الشبهات والإشكالات التي ترد على الدين والعقيدة والإسلام، بل حتى على الأحكام الشرعية أحياناً، ويناقش هذه الشبهات ويردها.

فالحوزة العلمية هي التي يمكن أن تتحمل مسؤولية دفع هذه الشبهات، لأن هذه الشبهات ليست دائماً ثابتة، وإنما هي متجددة في أساليبها وصيغها - وأحياناً - في مضمونها ومحتواها. فكما أن القرآن الكريم تناول الشبهات في عصر النبي ﷺ، فلا بد أن تتحمل الحوزة العلمية - أيضاً - مسؤولية دفع هذه الشبهات وردّها في كل عصر وزمان. وهذا ما كان يقوم به الأئمة عليهم السلام في زمانهم. فعندما ترجع إلى تاريخهم وكلامهم وأحاديثهم عليهم السلام، نجد أن هذه الأحاديث كانت تتضمن هذا البعد في فعاليتهم. وحتى أبناء الحوزة العلمية في زمن الأئمة عليهم السلام، كان لدى بعضهم إختصاص في ذلك، فهذا هشام بن الحكم^(١) كان لديه إختصاص في علم الكلام، وبالتالي كان شغله الشاغل هو أن يدفع هذه الشبهات، وكان الإمام الصادق عليه السلام يصف بعض أصحابه - الذين يريدون الدخول في هذا الجانب -، بقوله: هذا حاله حال الطير، يطير ثم يقع، وبالتالي لا يصلح بأن يقوم بهذه المهمة..^(٢)

لكنه عليه السلام كان يمدح هشام بن الحكم ويثني عليه^(٣)، باعتبار أنه كان يمتلك القدرة الفائقة في دفع هذا النوع من الشبهات والإثارات المتجددة.

الحوزة العلمية ومواكبة العصر

إننا إذا أردنا أن نلاحظ هذين الهدفين الأخيرين، فقد لا نجد أن المناهج الموجودة في الحوزة العلمية الآن وافية بتحقيقهما. خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار، الظروف الجديدة التي تواجهها

(١) أبو محمد هشام بن الحكم الكوفي الشيباني، حدث عن الإمامين الصادق والكاظم عليهم السلام، وكان عالي المنزلة عندهما. رويت له عنهما عليه السلام مدائح كثيرة. برع في الكلام، وكان فيه حاذقاً حاضر الجواب، له مناظرات عديدة نقل الكشي بعضها في رجاله، وله كتب كثيرة. توفي سنة ١٩٩ هـ على الأظهر.

(٢) كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام لما قال له عبد الأعلى: إن الناس يعيبون عليّ بالكلام، وأنا أكلم الناس: أما مثلك من يقع ثم يطير فنعم، وأما من يقع ثم لا يطير فلا. لاحظ ميزان الحكمة للريشهري ٤: ٣٢٩٦ - تحت عنوان: المناظرة.

(٣) كما في قوله عليه السلام: يا هشام لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. بحار الانوار ١٠: ٢٩٣.

الحوزة العلمية، أي ظروف ما بعد سقوط الدولة الإسلامية^(١)، ثم ظروف ما بعد قيام الدولة والثورة الإسلامية. فالمسلمون كانوا يعيشون سابقاً ضمن الكيان الإسلامي والحالة الإسلامية، وبالتالي كانت حاجتهم للقضايا ذات العلاقة بهذين الهدفين محدودة، أما بعد سقوط الدولة الإسلامية، أي: بعد سقوط هذا الغطاء للعالم الإسلامي وهذا السد المنيع والحصن الحصين الذي كان يحصن المسلمين من أعدائهم، باعتبار أن الكيان والحكم الإسلامي له هذا الدور العظيم الذي يُعبّر عنه الفقهاء ببيضة المسلمين، واحتلال المستعمر الكافر لكل بلاد المسلمين ووقوعها تحت تأثير الغزو العسكري والثقافي والسياسي والاقتصادي، وبالتالي أصبح العالم الإسلامي مهدداً في كل أبعاده، بعد سقوط الدولة الإسلامية، تطور الوضع بشكل كبير، وأصبحت مسؤوليات الحوزة كبيرة جداً بالنسبة إلى هذين الهدفين.

وكذلك بعد قيام الدولة الإسلامية، حيث أخذت البشرية كلها الآن تتطلع إلى الإسلام كمنقذ لها، بعد اليأس الذي أصابها من النظام الإشتراكي، خصوصاً بعد سقوط الاتحاد السوفياتي المعسكر الشرقي، وبالتالي سقوط هذه الأطروحة التي تعتبر الأطروحة التقدمية التي تريد أن تنقذ العالم. واتضح فساد الرأسمالية الديمقراطية وانحلالها ووجود الإشكالات الرئيسية فيها، خصوصاً بعد قيام المعسكر الإشتراكي، حيث كان قيام هذا المعسكر على أساس الإشكالات التي كانت تُثار حول الرأسمالية الديمقراطية. وبالتالي يشعر العالم الآن بأن الرأسمالية الديمقراطية، لا يمكن أن تفي بحاجاته، وإنما هي عالم الهيمنة والاستثمار والاستغلال والتسلط، وليست عالم حل المشكلات الإنسانية وتحقيق الأمن والاستقرار والراحة والدعة له.

فالبشرية أخذت تتطلع للإسلام، بعدما طُرح كدولة وكمحور سياسي يتحرك على الأرض، على أساس أنه هو المنقذ لها من هذه المأساة التي تعيشها..

وهذا الإسلام يجب أن يُقدّم إلى البشرية كمنقذ، قادر على أن يدفع كل الإشكالات والشبهات التي تُثار حوله وحول الدين والنظريات الدينية. وهذا تطور عظيم حصل في عالمنا اليوم.

فالحوزة العلمية، تحتاج إلى أن تواكب هذا النوع من التطور، حتى تكون قادرة على تحقيق أهدافها وتحمل مسؤولياتها.

(١) دولة الخلافة العثمانية.

تطوير المناهج الحوزوية

أعتقد أن الهدف الأساسي من العمل الجاد الذي يُبذل الآن من قبل القيادة الإسلامية في مجال تطوير الحوزة العلمية، وخصوصاً من قبل ساحة آية الله العظمى الخامني - حفظه الله - هو تحقيق هذين الأمرين :

الأول : جعل الحوزة العلمية قادرة على الوفاء بم حاجتها الأساسية وهو الإجتهد وتخريج المجتهدين ، ولكن في الوقت نفسه ، جعلها قادرة على حمل رسالة الاسلام الى العالم .
الثاني : دفع الشبهات والإشكالات التي تُثار حول الإسلام في عالمنا اليوم .

الجوانب الهامة في تطوير الحوزة العلمية

إن هذا الأمر إنما يمكن أن يتحقق - حسب تصوري القاصر - وذلك بتطوير عدّة جوانب في الحوزة العلمية :

١ - جانب التخصص

إن الحوزة العلمية تحتاج الآن الى إيجاد مجموعات تخصصه في مختلف العلوم الإسلامية . وذلك باعتبار التعقيدات التي حصلت في تطور العلوم ، وكما حصل هذا التعقيد في موضوع الاجتهاد ، كذلك حصل في كل المجالات الأخرى . ولا يمكن أن نفترض بأن العملية يمكن أن تصل الى مستواها العالي في تخريج العلماء المجتهدين ، بحيث نفترض أن كل واحد من هؤلاء العلماء يكون على درجة عالية في الفقه والأصول والرجال والفلسفة والكلام والتفسير ، وغير ذلك من العلوم الإسلامية . نعم ، قد يمكن لنا بعة ونموذج خاص أن يجمع كل هذه الأمور ويتفضل الله عليه بذلك ، ولكننا لا نتكلم عن أفراد وأشخاص معينين ، فلا بد أن نفترض أن العملية تكون جماعية بحيث تتناسب مع طبيعة التطور الذي حصل في الحوزة العلمية ، وهذا إنما يمكن أن يكون من خلال موضوع الاختصاص .

٢ - تشخيص الخطوط الرئيسية

لا بد أن تكون هناك مجموعة من الخطوط الرئيسية بالنسبة الى التدريس في الحوزة العلمية :

أ - خط الاجتهاد

في بداية دراسة الطالب - كما هو الآن موجود في الكثير من المناهج العلمية - هناك دراسات مشتركة عامة يشترك فيها كل الطلاب ، لأنها تمثل الأرضية الأساسية للمعرفة ، ولكن كلما يتقدم

هذا الطالب فلا بد له أن يأخذ خطأً من هذه الخطوط ويرى قابلياته وإمكاناته وظروفه الخاصة التي يعيشها، والحاجات والوظائف والمسؤوليات الملقة على عاتقه، إلى غير ذلك من الأمور المحيطة به

فلا بد لهذا الطالب أن يشخص طريقه، وأنه هل يريد أن يصل إلى درجة بحيث يكون قادراً على الاستنباط في هذه العلوم وإعطاء الرأي فيها؟! أو أنه ليس كذلك؟! .

ب - خط إبلاغ الرسالة

لا بد للطالب أن يفكر منذ البداية هل أن خطه خط إبلاغ الرسالة؟! وبالتالي لا بد له أن يهيئ كل الوسائل المناسبة لهذه العملية، من البيان الجيد والقدرة على العرض المناسب مع المضمون المتعدد والتركيب المناسب للمعلومات التي يحتاجها المبلغ في المناطق التي يذهب إليها، إلى غير ذلك من الأمور ذات العلاقة بموضوع البلاغ، لأن في موضوع إبلاغ الرسالة لا يكتفي الإنسان بأن يعرف الرسالة العملية حتى لو كانت معرفته بها على مستوى استنباط أحكامها، بل يحتاج إلى أشياء كثيرة، حتى إلى تعلم لغة ما فيما إذا أراد أن يبلغ في مناطق يتكلم الناس فيها بلغة غير اللغة التي يحسنها المبلغ .

وعلى كل حال فإن إبلاغ الرسالة يحتاج إلى وسائل، ومن جملتها وسائل مرتبطة بمضمون عقائدي وفقهي وأدبي وتفسيري، إلى غير ذلك من المعارف الإسلامية .. ووظائفه هي انتاج هذا الخط .

ج - خط التأليف أو الكتابة والتحقيق

يرتبط هذا الخط بموضوع توفير المادة الثقافية المناسبة التي يحتاجها المبلغون أو القارئون أو السامعون أحياناً . فهناك مواد ثقافية مناسبة، يحتاج الناس إلى تناولها بمعرفتهم العامة، لأن الثقافة وصلت عند الناس الآن إلى مستوى معين، حيث أن حركة التعلم والمعرفة - كحالة عامة - أصبحت متطورة، يعني أننا إذا أردنا أن نلاحظ نسبة الأمية الآن قياساً إلى قبل قرن من الزمن، نجد أن هناك افتراقاً كبيراً بين هاتين النسبتين، فقد أصبح الناس متعلمين، حتى إن درجة التعلم أصبحت عند الناس أعلى بكثير من الدرجة السابقة . وبالتالي فهناك مواد ثقافية يمكن أن تُعرض لهؤلاء الناس بشكل مباشر، فيقرؤونها في الكتاب، أو يسمعونها من الشريط، أو يرونها في (الفيديو)، وما أشبه ذلك من المواد كالمجلة أو النشرة، أو أي طريق آخر، أو حتى من خلال

الأجهزة الإعلامية الأخرى كالراديو أو التلفزيون .

د- خط التراث

نحن نحتاج دائماً أن نجدد نظرنا في تراثنا ونعيد ترتيب هذا التراث ، لنستفيد ونستنبط منه ،
لأننا نريد أن نعرض الشريعة الإسلامية والفقه والعقيدة الإسلامية ، وهكذا الفلسفة الإسلامية
والتفسير .

فنحن لا نريد أن نُبدع أشياء من عند أنفسنا ، إنما نريد أن ننقل ما جاء من الله سبحانه
وتعالى لهؤلاء الناس . وما جاء من قبل الله سبحانه وتعالى لنا إنما ورثناه من طريق ما تناقلته
الأجيال جيلاً بعد جيل حتى يتصل ذلك بجيل الأئمة عليهم السلام والرسالة .

وهذا الأمر يحتاج الى تحقيق كثير وواسع حتى يمكننا الوصول الى نتائج معينة . ولذلك نجد
أن شغل بعض الناس الآن هو التحقيق في التراث ومعرفة وترتيبه والأخذ منه ، الى غير ذلك من
الوسائل . ويوماً بعد يوم تتطور هذه القضية وتمتد .

هذه أربعة خطوط رئيسية ولعل الباحث من خلال البحث والتعمق يصل الى تشخيص
خطوط أخرى ، فتشخيص الخطوط يجعل الطالب أمام خيارات يختار أحدها من أول الأمر .

الجانب الثالث : ترتيب المناهج الدراسية

أو بتعبير آخر : الاستفادة من الوقت بأعلى درجة ممكنة . لأن الطالب يحتاج الى التوظيف
المناسب لوقته حتى يتمكن الوصول الى هدفه في مدة مناسبة .

في المناهج العلمية السابقة لم تؤخذ مسألة الوقت بشكل دقيق ، وإنما ترك الأمر الى الطالب
حسب ظروفه . وسابقاً لم تكن هناك أشياء تشغل الطالب غير العلم . فلم تكن هناك صحيفة ولا
تلفزيون ولا راديو ولا سوق ، حتى الأسواق كانت محدودة . بل حتى طموحات الإنسان في الأكل
والشرب واللبس كانت محدودة . كذلك السفر كان محدوداً . فكان الإنسان محدوداً في وضعه
باعتبار عدم وجود وسائل الاتصال الحديثة ، فلا طرقات ولا سيارات ولا طائرات ، ولا حتى
إمكانات مادية .

فكانت ظروف الطالب بطبيعتها ، تجعله مفرغاً للعلم وطلبه . ليس لديه طريقاً إلا بفتح
الكتاب ، والكتب المحيطة به غالباً ما تكون من الكتب العلمية الخاصة التي يستفيد منها . أما الآن
فالمجالات أصبحت واسعة جداً ، وبالتالي إذا لم يُنظم وقت الطالب بشكل دقيق ويُرتب بشكل

منهجي صحيح ، فيمكن أن يضع وقته في زحمة هذه الأمور التي تحيط به ، وأقلها الأمور الاجتماعية .

الحرفة في الحوزة !

هناك أشخاص يرغبون بالتدريس في المدرسة الفيضية^(١) أو المسجد الأعظم^(٢) أو غير ذلك من الأماكن المهمة المعروفة ، أكثر من رغبتهم بالتدريس في زاوية من الزوايا أو في مدرسة من المدارس المستضعفة ، لأن هذا يرتبط في مجمل حركته في قضية الحرفة ، فكما أن الطبيب يفتش دائماً عن المستشفى الأفضل التي فيها تجهيزات أفضل ، كذلك هؤلاء يتحدثون بمنظور الحرفة ويتحركون بهذه الطريقة !

وهذا الأمر ليس فرضياً وإنما هو ملاحظ . فأننا الآن لاحظ أن هناك أشخاصاً على استعداد أن يذهبوا الى الولايات المتحدة الأمريكية ، أو كندا أو بلدان أمريكا اللاتينية . أو الى مناطق بعيدة .. وعندما يُسأل أمثال هؤلاء ، لماذا تذهب الى هذه المناطق ؟ فيقول : اريد أن أبلغ ، لأن هناك ناس بعيدون عن الإسلام ولا يعرفونه . وعندما يُسأل كم عدد هؤلاء الناس ؟ فيذكر ألف شخص - مثلاً - نساءً ورجالاً ! وإذا زاد العدد يقول : ألفان أو ثلاثة آلاف ، إذ إن الجاليات الشيعية الموجودة في هذه المناطق لا يتجاوز عددها - عادة - عن هذه الأرقام . هذه الحالة العامة الموجودة هناك ، ومع ذلك يذهب الى هناك ويتحمل عناء تعلّم اللغة الإنكليزية أو الأسبانية أو لغة أخرى من اللغات التي ترتبط بتلك المناطق .

أو أنه يذهب الى أفريقيا ، وعندما تسأله عن عدد الشيعة الموجودين هناك يقول : لا

(١) تقع المدرسة الفيضية بجوار صحن مرقد السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام من جهة الشمال ، ويرجع تأسيسها الى منتصف القرن السادس الهجري . وتعتبر المدرسة الفيضية من أبرز الجامعات العلمية الدينية التي أثبتت جدارتها في تخريج الفطاحل من العلماء والفقهاء والفلاسفة ومفسري القرآن الكريم . كما أنها محط الرحال لطلاب المعرفة والعلوم الاسلامية من مختلف بلدان العالم الإسلامي إضافة إلى إيران .

(٢) يقع المسجد الأعظم بجوار مرقد السيدة المعصومة عليها السلام أيضاً . شيد هذا المسجد بسعي المرحوم آية الله البروجردي سنة ١٣٦٧ هـ . سمي بالأعظم لأنه من المساجد الضخمة والمتميزة من حيث البناء ، حيث يعتبر جامعة كبيرة تجمع أهل العلم وتدرس فيه دروس البحث الخارج للكثير من العلماء .

يتجاوز ثلاثمائة أو أربعمائة شخص! ومع ذلك فهو مستعد أن يذهب، وهدفه - حسب ما يدعي أنه يريد أن يبلغ هؤلاء الناس البعيدين عن الدين ومذهب أهل البيت عليه السلام، وأنه يتمكن أحياناً أن يصنع من غير الشيعي شيعياً، ومن غير المسلمين مسلمين، ويذكر أعداداً، بعدد الأصابع.

ولكنه في الوقت نفسه، لو أردنا أن نقول لأحد هؤلاء الأخوة الأعزاء: اذهب الى مخيم من المخيمات واسكن فيه، حيث يوجد أكثر من ثلاثة آلاف شخص، وهذا العدد يعادل أضعافاً مضاعفة من تلك الجالية التي تذهب إليها وتقطع آلاف الكيلو مترات وتنفق آلاف الدولارات والتومانات وغير ذلك من المصاريف، وهؤلاء قرييون، والأقربون أولى بالمعروف... تراه يتململ ويتردد كثيراً ويتوقف عن هذا الأمر، فضلاً عما إذا قلنا له: اذهب الى شمال العراق! فإذا كنت تريد - ولك رغبة - في أن تحول أناساً من سنة الى شيعه، فيمكنك الذهاب الى شمال العراق وتحويل المئات! نتيجة لعوامل وظروف كثيرة جداً. فهؤلاء الناس يفتك بهم المبشرون الآن، حيث إن فعاليات الجمعيات التبشيرية هائلة وواسعة هناك، فضلاً عن فعاليات جمعيات الإفساد في الناس بألوان مختلفة، فضلاً عن جمعيات الوهابية التي تنشط في هذه المنطقة وتعمل، وكذلك التيارات السياسية الكافرة التي تبطش بهذه المنطقة. وهذه منطقة قريبة ومحاورة لنا، وتؤثر في مجمل وضعها على أوضاعنا وخصوصياتنا وظروفنا، فتراه يتردد في هذا الأمر أيضاً ولا يجد نفسه مستعداً لذلك.

المشكلة هي قضية الجهاد في سبيل الله! لأنه عندما يذهب الى الولايات المتحدة الأمريكية، يجد جماعة منظمة ومرتبعة ومستعدة بعد ستة أشهر أن تجمع الأموال وتشترى أرضاً وتبني مسجداً وترتب الأمور، فيرى نفسه أنه أسس مسجداً ومدرسة، ويأتي الطلاب بعد ذلك الى هذه المدرسة ويتعلمون فيها العربية مثلاً أو الدين، فيرى نفسه أنه صنع شيئاً مرتباً ومنظماً، أما التبليغ هنا فهو كمن يحفر البئر بإبرة أو كمن يتسلق قمم الجبال ويحتاج الى أن يبذل جهوداً ويتحمل آلاماً ومعاناة كبيرة حتى يحقق هذا الهدف..

في يوم الأربعاء الماضي، كان أحد الأخوة الأعزاء المؤمنين في كندا، ويقول: إشتريت أرضاً بليون دولار، ونريد أن نبني عليها مشروعاً بهذا القدر أو يزيد، وإن شاء الله ينتهي هذا المشروع في بداية هذه السنة، ولم يذكر لي تاريخ بداية المشروع، لكنني فهمت من جو الحديث أنه بدأ قبل سنة ونصف أو سنتين. وفي غضون ثلاث سنوات ونصف يُبنى مشروع ضخم بقيمة أربعة ملايين دولار أو أكثر، وأنا أعرف إجمالاً أن العدد هناك لا يتجاوز ألف شخص! وهكذا بُنيت الآن

مؤسسات ضخمة جداً في بريطانيا وبعض مناطق أوروبا ، وصُرف عليها عشرات الملايين من الدولارات أو الجنيهات .

مثلاً: هناك مدرسة في ضواحي لندن ، صُرف عليها حوالي عشرة ملايين جنيه حتى الآن ! وعندما تسأل عن عدد طلابها ، يقولون : (٣٥) طالباً مثلاً ! بينما يتحير مدير مدرسة الامام الهادي عليه السلام ، في مأكل ومسكن الطلبة في الأقسام الداخلية ، ومكان الإدارة مع أن واحداً من ألف من ذلك الرقم يمكن أن يغطي كل هذه المؤسسة التي عددها عشرة أضعاف ذلك العدد !

فالمسألة أن هنا عناءً وتعباً . ويوجد أمامك طلاب فقراء ومساكين لديهم العشرات من المشاكل ، فإذا أردت أن تبني الطالب فلا بد أن تؤسسه في كل أموره وخصوصياته ومعاناته . بينما لا يوجد هناك مريض يشكو أو طالب يعاني إنما تأتي موقراً محترماً مع تقبيل اليد والتوسل والالتماس لكي تلقي محاضرة أو درساً ، والتلفون والفاكس والسيارة والأكل والسكن ، كل هذه الأمور ممتازة ومن درجة الأولى من أولها إلى آخرها .

إن المبلغ إذا ترك موضوع الجهاد جانباً ، فيستجه باتجاه الحرفة ، ولذلك ترى أن العقول - كآساتذة الجامعات والمهندسين والأطباء - تهاجر باتجاه الغرب . لماذا ؟ لأن الأوضاع الغربية مستقرة ومريحة ومرتبطة .

إن هذه المسألة من المسائل المهمة جداً في مجمل حركتنا التربوية . وهذه الحركة مانتعت وما تمكنت أن تصمد إلا من خلال فكرة وروح الجهاد ، وإلاّ نتحول بالتدريج إلى محترفين ومتمهنيين ، ونصبح - بلا تشبيه - مثل علماء اليهود الذين يتحدث عنهم القرآن الكريم^(١) ، أو مثل علماء العامة الذين كانوا يعيشون في أطراف السلطة وكانوا يقومون بالتدريس أيضاً ، ولكن بلا مضمون . إن منهجنا في الحياة مرتبط بقضية المعاناة والآلام والتضحيات وبدون ذلك لا يمكن أن ينمو هذا المنهج ويحقق أهدافه . وهذا ما تجذونه واضحاً في التاريخ .

البهجة والآلام

ولعل الله سبحانه وتعالى يريد من خلال هذه المحنة التي امتحننا بها ، أن يهدينا إلى التضحية أو يفرضها علينا فرضاً ، فيكون هناك مضحون ومناضلون ومكافحون ومجاهدون . فلعل الله

(١) كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ... ﴾ التوبة : ٣٤ .

سبحانه وتعالى من خلال حبنا لأهل البيت عليه السلام وللرسول ﷺ وارتباطنا بهم، يوفقنا بطريقة ما بحيث نسير بالمنهج السليم. ففي الروايات، أن الذي يكون منهجه غير سليم، فالله سبحانه وتعالى يرجعه أخيراً - باعتبار إرتباطه بأهل البيت عليه السلام - إلى المنهج السليم.

فقد يكون هذا النوع من الابتلاء والامتحان من هذا الباب! - وهو هكذا - فنحن لاحظنا من خلال التاريخ، أن هذا العمل الشريف وهذه البذرة الصالحة التي بذرها أهل البيت في هذه المدارس والحوزات، إنما نمت وكبرت وأصبحت شجرة طيبة وارفة ظلها ممتدة فروعها نظرة أوراقها، من خلال الهجرة التي فيها الكثير من الآلام والمعاناة والتضحية. ووجدنا الجاليات المهاجرة - حتى عندما كنا في النجف - أكثر اهتماماً بطلب العلم والتخصص فيه.

وفرصة الهجرة كبيرة جداً أمامكم وأمامنا وأمام قضيتنا وأهدافنا الصالحة المرحلية أو المستقبلية البعيدة المدى. وأنا أمثل هذه الهجرة أحياناً، بالفرصة التي يجدها السجين في السجن، رغم الآلام التي يواجهها والعذابات التي يراها. وأفخر بأني أحد هؤلاء السجناء، وإن كنت أعتقد بأني لم أعاني ما عاناه هؤلاء الأخوة، خصوصاً في المراحل الأخيرة التي مرّوا بها، ولكنها كانت فرصة ليعيد فيها المرء بناء نفسه ودراستها، وبالتالي يستفيد منها، وفرصة الهجرة كبيرة ومهمة جداً لنا جميعاً في أن نعيش همّ الاسلام والقضية والرسالة وأهل البيت عليه السلام وهمّ الأهداف المقدسة والمستضعفين والمحرومين، ونبني أنفسنا بناءً صحيحاً صالحاً، بحيث نكون أهلاً لحمل هذه الرسالة..

التفرغ لطلب العلم

إن لبس العِمّة ليس تعبيراً عن الحرفية والمهنية، إنما هو تعبير عن التفرغ. فعندما أتعمم فهذا يعني أنني أصبح لاهم لي ولا مسؤولية ولا عمل لي إلا طلب العلم. ولذلك نحن ندعو إلى المزيد من التعمم، أي ندعو إلى المزيد من التفرغ وتحمل المسؤولية، ومضمون هذه الدعوة ليس تكثير العِمّة بمعنى تكثير السواد وربط الاشخاص بشكل من الأشكال، نعم قد يكون هذا مفيداً، لكنها دعوة حقيقية لله سبحانه وتعالى في هذا الطريق، لأن الخطوة الأولى في ذلك هي الاخلاص والاستمرار. إنها دعوة حقيقية إلى العلم والتقوى والجهاد والتفرغ لهذه الأمور، وهذه هي ميزة طالب العلم عن غيره. فحمل الرسالة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإبلاغ كل هذا، واجبات كفائية وعامة. ونحن لا يوجد عندنا حرفية كما هو الحال عند المسيحيين واليهود.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما فيه الخير والرشاد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحوزة العلمية بين الأصالة والحداثة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال يُطرح على سماحة آية الله السيد الحكيم : أين هي اليوم حوزاتنا العلمية لتقف أمام هذين المفهومين : مفهوم الحداثة ومفهوم الاصاله ؟ وكيف يتسنى لحوزاتنا العلمية أن توازن بين الاصاله وتحديات العصر ؟ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ، سيد الانبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج) ، والسلام على شهداء الاسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للاسلام ، وحتى هذا العصر ، والسلام على سادتي العلماء واخواني المؤمنين الكرام ورحمة الله وبركاته .

قال تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾^(٢) .

مواصفات الرسالة الاسلامية

لا شك أن الرسالة الاسلامية تتصف بعدة موصفات :
أولها : الشمول ، حيث إنها تشمل في تشريعاتها كل مناحي الحياة ، ولا تختص بشيء دون آخر .

ثانيتهما : الخلود ، لأن (حلال محمد حلال أبداً الى يوم القيامة ، وحرامه حرام أبداً الى يوم

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الأربعاء ٢٨ / ٢ / ١٩٩٦م المصادف ٨ / ١٠ / ١٤١٦هـ . ق ، ٩ / ١٢ / ١٣٧٤هـ . ش في مكتبه بمدينة قم المقدسة ، حيث تحدث عن دور الحوزة العلمية والحداثة والاصالة فيها .

(٢) التوبة : ٣٣ .

القيامة^(١)، وبالتالي فهي الرسالة الخاتمة التي لا تكون محدودة بوقت أو عصر أو زمان .
وثالثتها : الحيوية ، بمعنى 'أنها متجددة في حركتها وقدرتها على مواجهة مختلف الظروف والاحوال التي تمر بها البشرية .

ولعل أفضل شاهد على هذه الحقيقة ما رأيناه في عصرنا الحاضر من رجوع الاسلام الى الحياة الانسانية ، وتطلع البشرية الى الرسالة الاسلامية كمنقذ لها في هذا العصر . وحدث هذا بعد أن واجهت الامة الاسلامية مشكلة كبيرة ، وهي سقوط العالم الاسلامي كله تقريباً تحت الغزو العسكري الاجنبي ، وهيمنة الحضارة الغربية عليه عسكرياً وسياسياً واقتصادياً .
وبالرغم من هذه المشكلة وجدنا أن الرسالة الاسلامية بحيويتها تمكنت أن تعيد الاسلام الى الحياة بهذا الشكل العظيم والواسع ، بحيث أخذت البشرية تتطلع في العصر الحاضر الى الرسالة الاسلامية كمنقذ لها .

واذا أردنا أن ننظر الى هذه الرسالة من خلال هذين العنوانين اللذين طُرِحَا في السؤال ،
عنواني الحداثة والاصالة ، فلا بد لنا أولاً أن نفهم المراد من هذين العنوانين .
ماهي الحداثة ؟

قد يراد من التعبير بالحداثة : التجديد في الاسلام ، بمعنى 'أن الرسالة الاسلامية هي رسالة جاءت لعصر وزمان غير زماننا ، وبالتالي فلا بد أن نأخذ منها المفاهيم العقائدية والاخلاقية ، والاتجاهات الروحية والمعنوية العامة ، وتبقى أساليب حياتنا المعيشية ، وادارة المجتمع مرهونة بالاوضاع التي يعيشها الانسان ، وبالتالي فالانسان يجدد التشريع والتقنين بالنسبة الى كل أوضاع الحياة .

وهذا هو المعنى الذي حمّله المستغربون من أبناء الاسلام للعالم الاسلامي ، أولئك الذين تأثروا بالحضارة الغربية ، فحملوها الى العالم الاسلامي وحاولوا أن يفصلوا بين المجتمع والدين فيما يتعلق بالحياة الانسانية . فما يتعلق بالعقيدة والاخلاق العامة يُرجع به الى الدين ، وأما ادارة الحياة الانسانية فهذا أمر لا شأن للدين فيه في عصرنا الحاضر ، ولا بد لنا أن نجدد كل التشريعات والتقنيات .

والحداثة بهذا المعنى شيء مرفوض ، ولا يمكن أن ينسجم مع ما أشرنا اليه في وصف الرسالة

(١) الكافي ١ : ٥٨ باب البدع والرأي والمقاييس ح ١٩ .

الاسلامية من كونها شاملة وعامة وخالدة وحيوية .

معنى آخر للحداثة

ولكن قد يراد من الحداثة ، التجديد في الاساليب والمناهج ، وأشكال الحياة التي يعيشها الانسان ، ويتداولها في مختلف شؤون حياته ، فالانسان سابقاً عندما كان يريد الانتقال من بلد الى آخر إما أن يستخدم أسلوب المشي على الاقدام ، أو يستخدم الحيوانات التي خلقها الله سبحانه وتعالى لأجل أن تحمل هؤلاء الناس : ﴿ وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الانفس ﴾ ^(١) ، والقرآن يشير الى الهدف من خلق هذه الحيوانات .

وأما عندما نريد أن نستحدث أسلوباً جديداً في الانتقال ، فنستخدم العربة ، أو السيارة أو القطار أو الطائرة ، فهذا شيء من الحداثة والتحديث ، وهو شيء مقبول .

ولقد كان بعض الاشخاص - ونحن عاشرنا بعضهم - لا يقبل هذا النوع من التحديث ، باعتبار أنه يتمسك بالألفاظ القرآنية ويقول : إن الله خلق هذه الأنعام لأجل أن تحمل أثقال الانسان ، وتبلغ به البلاد التي لا يمكنه الوصول إليها إلا بشق الانفس ، فاستخدام العربة والقطار والسيارة والطائرة تعطيل لخلق الله سبحانه وتعالى ، وتعطيل للأهداف التي خلق الله سبحانه وتعالى هذه الأنعام من أجلها .

هكذا كان البعض يرى أن ركوب هذه الوسائل الجديدة للتنقل أمر غير صحيح .

ويمكن أن نقيس هذا الأمر على أشياء كثيرة ، سواء في المسكن أم الملبس أو المأكل والمشرب ، وغيرها من أمور كثيرة يمارسها الانسان في حياته وإدارة أموره وشؤونه ، وهذا النوع من الحداثة مقبول ومطلوب في هذا العصر .

ومن خلال تطور أساليب الحياة والوسائل الموجودة ، أصبحت تواجهنا مشكلات كثيرة ، نتيجة لهذه الحداثة والتطورات ، فمن خلال وسائل الاتصال ، كالراديو والتلفزيون والتلفون والفاكس ، يكاد الانسان يعيش في مجتمع واحد ، وكذلك الحال بالنسبة لوسائل النقل كالطائرات السريعة ، التي تنقل الانسان من مكان لآخر بسرعة ، وبالتالي نرى الانسان من خلال هذه الوسيلة يمكن أن يعيش في أماكن متعددة وفي أزمنة متعددة .

ولقد أوجدت هذه الوسائل مشكلات ، كما أنها أوجدت تسهيلات للانسان ، فأحياناً

تكون المشكلات شخصية، وأحياناً أخرى تكون اجتماعية عامة.

فمشكلة الأطباء اللاقطة التي تلتقط الصور والكلام والمعلومات من الأقمار الصناعية، إنما نشأت من خلال هذه الوسائل، وما تلقيه هذه القضية من ضلال على حياة الإنسان، حتى أصبح الإنسان الذي يعيش في بيت ناء وكأنه يعيش في قلب الحضارة الغربية بكل مشكلاتها وتداعياتها.

وهكذا يمكن أن تطرح أشياء كثيرة في قضايا الاجتماع والاقتصاد والحياة الزوجية، وكثرة النسل، وغيرها من الأمور، كل هذه المشكلات نشأت من هذه المتداعيات.

وهكذا الحال بالنسبة للتطور الذي حصل في الطب والصحة، فقد جعل هذا التطور نسبة الوفيات في حياة الإنسان أقل بكثير من نسبتها سابقاً، وبالتالي فإذا أريد أن تكون نسبة المواليد نفس النسبة التي كانت موجودة سابقاً، فلا بد من حدوث مشكلة في زيادة العدد السكاني؛ لأن قلة الوفيات من ناحية، وزيادة المواليد من ناحية أخرى سوف يؤدي إلى النمو والتطور في عدد الناس. وهذه مشكلة نشأت نتيجة لهذه الوسائل الجديدة التي توصل إليها الإنسان في علم الطب.

والحادثة بهذا المعنى ليست أمراً مرفوضاً، وهي حادثة الله سبحانه وتعالى التي دعا الإنسان لها، من خلال التدبر في الكون، والتطلع لمزيد من المعلومات، وكشف الحقائق الموجودة في هذا الكون. وأيضاً دعاه إلى المزيد من تيسير الحياة والاستفادة من كل المعلومات وتوظيفها في حياته، لكن في الوقت نفسه، فإن هذه الحادثة أوجدت مشكلات في حياتنا، ونحتاج أن نواجهها من خلال الشريعة الإسلامية، التي هي شريعة لكل زمان ومكان.

معنى الأصالة والأصولية

وهكذا الحال بالنسبة لمصطلح الأصالة، الذي يعتبر من المصطلحات الكثيرة الاستعمال في لغة هذا العصر، فإنه يكاد لا تخلو نشرة أخبار من كلمة الأصولية التي ترتبط بقضية الأصالة. فما هو المراد من الأصولية؟

الغريبيون الذين يستخدمون هذه الكلمة - وأخذ اعلامنا يستخدمونها بالتبع - يريدون معنى غير المعنى الذي نفهمه منها لغة، وهو الرجوع إلى الأصول؛ لأن الإنسان يعتز بأصله وأوله والرجوع إليها، بل إن الإنسان المؤمن يرى نفسه ضائعاً وتائهاً ومنقطعاً، إذا لم يكن له أصل. والرجوع إلى الأصل هو الشيء الصحيح والحقيقي.

والغريبيون لا يريدون هذا المعنى من الأصل ، فعندما يتهمون المجموعات الاسلامية ، ويلقون التهم يريدون من الاصولية التطرف ، أو حالة الجمود والوقوف على الصيغ الجامدة التي كان يعرفها الانسان في العصور السابقة ، وكأن هذا الانسان لا يتمكن أن يتحرك بفعله وعواطفه ومشاعره ، أو بأي شيء من وجوده ، وإنما يجمد على تلك الصيغ ، وكأن الاصولي هو الانسان الذي يرتبط بالصيغ والاشكال السابقة ، ومن هذا القبيل حالة الجمود والركود وعدم الايمان بأي شيء من التطور في حياة الانسان ، فكأن أكله يكون ذلك الأكل السابق وكذلك لبسه وركوبه .

وبهذا الكلام يحاول هؤلاء أن يتهموا كل المسلمين ، منطلقين من بعض الاشخاص أو الاتجاهات الموجودة في العالم الاسلامي التي تحاول أن تجمد على النصوص والاشكال والصيغ السابقة ، كما أشرت في بداية حديثي عن الحداثة .

وبالتالي فالأصولية توضع في مقابل الحداثة ، وكأن الحداثة شيء والأصولية شيء آخر ؛ لأن الحداثة هي الايمان بالأساليب المتطورة والأوضاع الجديدة ، والأصولية عبارة عن الجمود والركود والوقوف على الصيغ السابقة .

والأصولية - كما نفهمها - هي الرجوع الى أصل الانسان ، والرجوع الى الاسلام وإلى الضوابط والحدود التي وضعها الاسلام ، وهذا المعنى من الأصولية شيء صحيح تقبل به ، كما قبلنا الحداثة .

وإذا فهمنا الحداثة بذلك المعنى ، وهو تطور أساليب حياة الانسان ، والأصولية بمعنى الجروج الى القرآن الكريم والسنة النبوية والالتزام بالحدود الشرعية ، فلا نجد أي تناقض بين الحداثة والأصولية ، ويمكن أن يكون الاسلام بأصوله شيئاً حديثاً أيضاً ، بهذا المعنى من الحداثة بحيث يواكب الحياة الانسانية ، وهذا الأمر يمكن أن نعرفه من خلال أمور :

الجانب الثابت والجانب المتغير في التشريع

الأمر الأول : يوجد نوعان من التشريعات في الاسلام :

الاول : التشريعات الثابتة التي تعالج الحاجات الأساسية الثابتة في حياة الانسان ، كالتشريعات التي ترتبط بقضايا ثابتة في حياة الانسان من قبيل الطيب والخبيث ، فعندما يقول القرآن : ﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ ^(١) فالطيب والخبيث أمر ثابت في حياة

الانسان ؛ لأن الحالة الوجدانية والمشاعر الانسانية تجاه هذه الأشياء ثابتة ، فيمكن من خلالها أن يميز الطيب والخبيث .

ومن هنا نجد أن التشريعات التي جاءت في باب الاطعمة والاشربة - بشكل عام - ثابتة ، فما يكون حرام الأكل هو حرام في عهد رسول الله ﷺ وفي عصرنا الحاضر ، وما يكون حرام الشرب هو حرام في ذلك العصر وفي هذا العصر ، وما يكون حلال الأكل كذلك ، باعتبار أن حالة الطيب والخبيث هي حالة ثابتة .

وهكذا الحاجات الاساسية للانسان كالاكل والشرب والجنس وغيرها من الحاجات الاساسية ، فقد جاءت لمعالجتها تشريعات ثابتة ؛ لأنها حاجات ثابتة ، فحاجة الانسان للأكل والشرب في زمن آدم أو في أي زمان هي حاجة ثابتة ، بمعنى أنه لم يمر على الانسان عصر من العصور لا توجد عنده هذه الحاجة ، فالانسان يحتاج الى الأكل والشرب والجنس والى علاقات اجتماعية ، ومسائل كثيرة أخرى ، وهذه المسائل العامة وضعت لها تشريعات ثابتة ؛ لأنها حاجات ثابتة .

والثاني : جانب متغير في حياة الانسان ، وهو الجانب الذي يرتبط بهذه الوسائل والاساليب ، والتطورات الزمانية والمكانية ذات العلاقة بحياة الانسان ، وقد عالج الاسلام هذا الجانب المتغير بشكل متغير ، حيث وضع له قواعد وقضايا كلية ، أو أعطى صلاحيات واختيارات لجهة معينة كولي الأمر أو المجتهد الجامع للشرائط ، وغير ذلك .

ومن خلال هذه الحالة المتغيرة المتجددة يعالج الانسان هذه الاحوال المتغيرة والمتجددة ، فالشريعة عالجت هذا التغير بتشريعات مرنة تجعلها قادرة على أن تصبح حديثة كلما استحدث الانسان أسلوباً أو حالة جديدة ، وهذه نقطة لا بد أن ننتبه إليها .

فتح باب الاجتهاد

الأمر الثاني : هناك نقطة أخرى مرتبطة في منهجنا ، نحن أتباع أهل البيت عليه السلام وهي منهج فتح باب الاجتهاد ، فباب الاجتهاد في الشريعة الاسلامية باب مفتوح ، وبالتالي فالمجتهد يمثل دور الحوزة ، وهنا يأتي هذا الدور المهم للحوزة ، فعندما يكون باب الاجتهاد مفتوحاً ، فالمجتهد دائماً يتمكن أن ينظر الى شيء جديد ، ويحاول أن يستنبط شيئاً جديداً يواكب فيه هذا الشيء المتجدد والمتغير من خلال الرجوع الى القرآن الكريم والى السنة النبوية .

وأما المذاهب الأخرى فقد أغلقت باب الاجتهاد ، وبالتالي بقيت جامدة على الفتاوى والصيغ التي استنبطت في العصور السابقة ، وهذه الفتاوى والصيغ غير قادرة على أن تواكب الحالات الجديدة ، فحدثت مشكلة بين تلك الاصاله وتلك الصيغ وبين هذه الاشياء المستحدثة . الرجوع الى القرآن والسنة الشريفة

الأمر الثالث : المهم في هذا المجال هو مسألة الرجوع الى القرآن الكريم والسنة النبوية ؛ فهناك قضية مهمة جداً - تناولناها في بحث التفسير عند أهل البيت عليه السلام - وهي أن أهل البيت عليه السلام يمتازون في فهمهم للقرآن عن المدارس الأخرى بعدة نقاط .

إحداها : ما يسمى بالتأويل ، ذلك أن أهل البيت عليه السلام ينظرون الى القرآن الكريم على أنه يجري مجرى الشمس والقمر ^(١) ، والقرآن الكريم حي ينطبق على كل زمان ومكان انطباقاً على مصاديق ومفردات وحالات جديدة ، وهذا الشيء يعبر عنه بالتأويل ، وهو بمعنى التفتيش عن المصداق الفعلي القائم في هذا العصر ، أو أي عصر آخر الذي ينطبق عليه المفهوم القرآني .

والقرآن لا يتحدث بالمصداق الذي عاشه عصر النبي ﷺ ، وإلا - كما ورد عن الامام الباقر عليه السلام - أننا لو أردنا أن نحصر القرآن الكريم بتلك المصاديق التي عاشها النبي ﷺ أو عاشها عصر نزول القرآن لمات القرآن بموت تلك المصاديق ^(٢) ، لأن تلك المصاديق انتهت وماتت ، وإذا كان القرآن محدوداً بتلك المصاديق لمات القرآن عند موتها .

لكن القرآن الكريم حي لا يموت ، ويعبر عنه أنه يجري ومجرى الشمس والقمر ، فكما أن الشمس في كل زمان تشرق وتعطي ثمارها ، وتؤثر في الزرع والماء والارض والانسان تأثيراً جديداً يتناسب مع ذلك اليوم الذي يعيش الانسان فكذلك القرآن الكريم كذلك .

وقد اختص أهل البيت عليه السلام بهذا الفهم والمعرفة ، وأوضحوه في كثير من أحاديثهم

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن القرآن حي لم يموت ، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار ، وكما يجري الشمس والقمر ، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا » تفسير العياشي ٢ : ٢٠٤ ، في ذيل ح ٦ .

(٢) روى العياشي بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال : « ... إن القرآن حي لا يموت ، والآية حية لا تموت ، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية ، لمات القرآن . ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضيين » تفسير العياشي ٢ : ٢٠٣ ، ح ٦ .

وكلماتهم ، وهذا شيء مهم جداً في موضوع فهم القرآن الكريم ومصادر الاستنباط والاجتهاد .

طريقة الاستنباط

الأمر الرابع : طريقة الاستنباط ، هذه الطريقة المتجددة في مدرسة أهل البيت عليه السلام ، وللاستنباط طريقتان :

الاولى : طريقة كان يعيشها المسلمون في عصر تطبيق الاسلام ، وهي طريقة استنباط الأحكام الشرعية بشكل تجزيئي وتفصيلي يرتبط بالمفردات ، كما هو موجود في كثير من الرسائل العملية .

الثانية : طريقة للاستنباط فرضتها حالة التجديد والتطور في الحياة الانسانية ، وهي طريقة استنباط النظريات الاسلامية ، والرؤية الاسلامية العامة الشاملة لمختلف الموضوعات . وهذا الاستنباط يعتمد على نفس الاسلوب الفقهي والأصولي الذي يستخدم في الطريقة الاولى ، وهو الرجوع الى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وتطبيق نفس الضوابط التي يستخدمها المجتهد في مقام الاستنباط ، ولكن الاختلاف في مضمون الشيء المستنبط ، فتارة نستنبط حكماً جزئياً لمصادق ومفردة جزئية ، وأخرى يقوم المجتهد باستنباط رؤية ونظرية كاملة للاسلام تجاه قضية كبيرة .

فمثلاً في نظرة القرآن الكريم والاسلام للمرأة ودورها في الحياة ، فإن استنباط النظرية الكلية له دور مهم جداً في موضوع التجديد أو الحداثة ، حيث إن النظرية عندما تستنبط لا ترتبط بالصيغ والمفردات الجزئية ، وإنما يُستنبط المضمون والرؤية القرآنية بما هي رؤية مجردة عن صيغها الوقتية المرتبطة بهذا الزمان أو بذاك ، وبالتالي فهذا يعطي فرصة للمجتهد لتطبيق هذه النظرية على مختلف المصاديق ، ومختلف الأزمنة والامكنة من خلال الرؤية النظرية الكاملة .

وقد مارس الفقهاء هذا الشيء في بعض الموضوعات من خلال بعض الدراسات ، ومن الفقهاء المتأخرين ساحة آية الله العظمى الشهيد الصدر رحمته الله حيث اهتم به اهتماماً بالغاً في عدة مجالات ، كمجال المجتمع ...

كيفية التعامل مع النص

هناك عدة أمور رئيسية يحتاج شرحها وتوضيحها الى وقت كثير ، لكنني أُشير الى عناوينها ، وللمجتهد دور رئيسي في تحقيقها :

الأمر الاول : تشخيص إتجاه النص ، كما يُعبر عنه في المصطلح الفقهي ، حيث إن النصوص التي يلاحظها المجتهد في دراسة شاملة وعامة ، فيها إتجاه معين ، ومن خلال فهم هذا الاتجاه يمكن أن يميز المجتهد المصاديق التي لها علاقة بهذا النص ، والمصاديق التي ليس لها علاقة به .

الأمر الثاني : تشخيص الموضوعات وطبيعة المشكلات ، وتطبيق الحلول الاسلامية على هذه الموضوعات والمشكلات ، وهذه مسألة مهمة جداً في الحوزة العلمية .

الأمر الثالث : تمييز الأهم من المهم ، وهناك باب واسع في علم الاصول ، وهو باب التزاحم ، بمعنى أنه قد تتزاحم مصلحة مع مفسدة ، أو مصلحة مع مصلحة أخرى وهذه المصلحة تكون أهم ، وكل منهما مصلحة ملزمة ، أو هذه المصلحة ملزمة وهذه المفسدة ملزمة أيضاً ، فعندما تتزاحم المصلحة الاهم مع المهمة يقدم الأهم على المهم .

وأما تشخيص الأهم من المهم فيرتبط بالمجتهد في كثير من الاحيان ، فهو الذي يتمكن أن يشخص ماهو الأهم في نظر الشارع ، فلو كان هناك غريق في نهر ، ونحتاج الى انقاذه من خلال المرور في الارض المغموسة ، فهل إن انقاذ الغريق أهم في نظر الشارع ، أو أن عدم اجتياز الأرض المغموسة أهم ؟ ، فهنا توجد مصلحة في انقاذ الغريق ، ومفسدة في اجتياز الارض المغموسة ، المجتهد يشخص أن مصلحة إنقاذ النفس المحترمة أهم من مفسدة اجتياز الارض المغموسة ، ويمكن أن يشخصها اعتماداً على فهمه لحرمة القتل وهذا من القتل : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾ (١) .

وهذا الفهم لحرمة قتل النفس إنما يفهمه الفقيه في قضية الموازنة بين الأهم والمهم . وهنا لا بد أن أشير الى أن الحوزة العلمية تحتاج الى تطور كبير في مجال فهم اتجاهات النص وتشخيص الموضوعات التي يعيشها الانسان ، وفي مجال استنباط النظريات ، وفي تشخيص الاهم من المهم من خلال المعاشية الحقيقية للحياة الاجتماعية .

والحوزة - الى حد كبير - كانت معزولة عن الحياة الاجتماعية ، وبالتالي فقدرتها على استنباط النظريات بشكل عام ، أو تشخيص اتجاهات النص ، وتشخيص الاهم من المهم وتشخيص المشكلات كانت قدرة محدودة نتيجة لظروفها السابقة .

أما الآن فقد أصبحت الحوزة قائدة الأمة ، وقائدة النهضة ، وقائدة مجرى الحياة ، فتحتاج

الى إعطاء أهمية أكبر لهذه المجالات ، لكي تقوم بدورها الكامل في مسألة الجمع بين الحداثة والأصالة في مقابل الفهم الخاطئ الذي يفترض وجود التضاد بين الحداثة والأصالة .

موضوعان مهمان

بقي هناك موضوعان مهمان وهما : دور ولي الأمر في موضوع الأصالة والحداثة ، وأسلوب العرض والطرح الذي له دور مهم في موضوع الأصالة والحداثة ، ويتحمل مسؤوليته بشكل أساسي الكتاب والخطباء والمبلغون .

ونحتاج في الحوزة العلمية الى تطور كبير في مجال عرض المفاهيم الاسلامية ، فالمفهوم الاسلامي قد يعرض بطريقة نراها طريقة حديثة ومقنعة ، وتدخل الى قلوب الناس ونفوسهم ويرونها قضية طبيعية يمكن أن يتعايشوا معها .

وأحياناً يعرض نفس هذا المفهوم بطريقة أخرى غير تلك الطريقة ، فيراها الناس بعيدة عن حياتهم ، ولا يمكن أن تنسجم مع حياتهم ومشاعرهم وعواطفهم .

فقضية الطرح والعرض والاسلوب في الطرح والعرض قضية مهمة جداً ، وتحتاج الى تطوير كبير في حياتنا الحوزوية ؛ لأنها مرتبطة بموضوع الحداثة والأصالة .

الخاتمة

اكتفي بهذا المقدار من الحديث وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا دائماً ، ويوفقكم أنتم العلماء وطلاب الحوزة العلمية للقيام بمسؤولياتكم ومهامكم لخدمة الاسلام والشرعية ونشر الاسلام ، وانقاذ البشرية ، ولا أقول هذا الكلام كشعار ، ولكن كتجربة عشتها في بعض الاوقات عن كذب ، وهي ان البشرية بحاجة حقيقية الى منقذ ، وهذا المنقذ إنما هو الاسلام ، وانتم أيها العلماء والمبلغون والطلاب والصالحون قادرون على تقديم الاسلام الى البشرية من أجل انقاذها من الظلمات ، واخراجها من هذه الظلمات الى النور .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا ويوفقكم جميعاً لذلك ، وأن يحفظكم ويرعاكم ، ويحفظ هذه الدولة الاسلامية ، ويحفظ ولي أمر المسلمين ، ويحفظ مراجعنا وعلماءنا ومدرسينا وطلابنا ، ويسددهم ويبارك في اعمالهم ، ويوفقهم لما يحب ويرضى . والى أرواح العلماء والشهداء والسلف الصالح ، لنا ولكل المؤمنين رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

دور الحوزة في مرحلة التغيير^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدم بعض الأخوة بالسؤالين التاليين لسماحة السيد الحكيم (دام ظله) :
 الأول : ماهو دور الحوزة العلمية في مرحلة التغيير وما بعدها ؟
 الثاني : نهتنا الشريعة عن التطير والتشاؤم ، فهل لنا أن نتفاءل بما يتسارع من الأحداث في داخل العراق ؟ .

فتفضل سماحته مشكوراً بما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ، سيد الانبياء والمرسلين حبيب
 إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا أبي
 عبد الله الصادق الأمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه المجتهد بن
 الحسن (عج) ، والسلام على شهداء الاسلام في كل مكان منذ الصدر الاول للاسلام إلى شهداء هذا
 العصر ، والسلام على سادتي العلماء وإخواني المؤمنين الكرام ورحمة الله وبركاته .

المقدمة

لا شك أن الحوزة العلمية في وجودها وكيانها وامتدادها تمثل إمتداداً للأئمة الاطهار عليهم السلام ،
 فهي المدرسة التي أسسها أئمة أهل البيت ورعوها بعد تأسيسها ، فامتدت عبر القرون الى يومنا
 الحاضر ، وكان لها دور رئيس وأساس - وهو دور أئمة أهل البيت عليهم السلام - في الدفاع عن الاسلام ،
 والمحافظة على الأمة الاسلامية ، ونشر الشريعة المقدسة بين الناس والجهاد في سبيل الله ، إلى غير
 ذلك من الأعمال والنشاطات والمواقف التي حفظت لنا هذا الوجود الاسلامي المبارك المتمثل

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الأربعاء ٦ / ٣ / ١٩٩٦ ، المصادف ١٥ / ١٠ / ١٤١٦ هـ . ق ، ١٦ / ١٢ / ١٣٧٤ هـ . ق في مكتبته بمدينة قم المقدسة ، حيث تطرق الى دور الحوزة العلمية في مرحلة التغيير .

بوجود أتباع أهل البيت عليه السلام.

بل كان لها دور على مستوى الأمة جمعاء في حركتها ونشاطها، ومن هنا يمكن أن نعرف دور الحوزة العلمية في مرحلة التغيير وما بعدها، حيث إن هذه الحوزة لا بد لها في مرحلة التغيير من القيام بعدة أمور وهي:

دور الحوزة في مرحلة التغيير

أولاً: تعبئة طاقات الأمة باتجاه التغيير.

ثانياً: نشر الثقافة الإسلامية وتعليم الناس الشريعة الإسلامية المقدسة، ونشر الأخلاق الإسلامية، وكل ما له علاقة بالاسلام بين الناس، خصوصاً في العراق الذي تعرض شعبه - بسبب وجود النظام - الى حرمان من الثقافة الإسلامية.

موقف النظام من الفكر الاسلامي

ولا بد أن يعرف الاخوة أن هذا النظام لا يشبه الانظمة الاخرى التي تولت الحكم في العراق، فقد استهدف هذا النظام - فيما استهدف - الثقافة الإسلامية، ولم يكتفِ بظلم الناس وقتلهم وتشريدهم، والتسلط عليهم وعلى اموالهم وامكاناتهم، بل أراد أن يتسلط على عقولهم ومعرفتهم، ولذلك كان له عدوان واسع على هذا الجانب من الاسلام.

فهناك - مثلاً - أكثر من ألف عنوان ممنوع من الكتب الدينية الإسلامية، وحتى الكتب التي يمتد بها الزمن الى عشرة أو إثني عشر قرناً، ككتب الشيخ الطوسي والصدوق وأمثالهما من علماء الاسلام الكبار، ممنوعة رسمياً ولا تتداول إلا بشكل محدود كما تتداول الاشياء الممنوعة في الاسواق، فضلاً عن الكتب الحديثة المعاصرة التي تتحدث عن الاسلام، وتشرحه بأسلوب معاصر حديث يُقرب الاسلام الى نفوس الناس وخصوصاً الشباب.

فالرسائل العملية ممنوعة ولا يسمح بطبعها، مع أنها أحكام شرعية لا بد أن يتعلمها المؤمنون. والشعائر الحسينية المتمثلة بالمنبر والمجالس الحسينية، هي الآن ممنوعة في العراق، ولا يُسمح بإقامة المجالس والاجتماعات التي كانت تملل جانباً مهماً من جوانب الثقافة.

وكذلك الحال مع المراكز الدينية والمساجد والحسينيات التي كان يقوم فيها العلماء والمبلغون بنشر الثقافة والمعارف، فقد تقلصت الى حد كبير، بسبب قتل هؤلاء العلماء وتشريدهم ومطاردة أتباعهم.

فالقضية الثقافية من القضايا التي واجهت عدواناً كبيراً من قبل النظام في داخل العراق ،
والحوزة العلمية هي التي تتحمل بشكل مباشر مسؤولية نشر الثقافة وإبلاغها .

ثالثاً: توعية الناس لمواجهة المؤامرات ومحاولات التضليل والتشويه وصرف الازدهان عن
الحقائق .

فالحوزة العلمية ينبغي أن تتحمل - بشكل رئيس - مسؤولية فضح المؤامرات التي يقوم بها
أعداء الاسلام . .

لقد بذل المؤمنون في العراق الجهود العظيمة والتضحية في سبيل الله ، وفي سبيل إيجاد التغيير
لصالح الشعب العراقي لاقامة العدل والأمن والاستقرار ، وتحقيق الرفاه للناس ، تلك التضحيات
التي أطلق السيد الشهيد الصدر عليه السلام نداءه من أجلها عندما قال : « على كل مسلم في داخل العراق ،
وعلى كل عراقي خارج العراق أن يبذل كل ما في وسعه من أجل إزاحة هذا الكابوس الجاثم على
صدر العراق » ، فهذا هو الهدف الرئيس الذي كان يستهدفه كل المضحين . والآن توجد مؤامرات
من أجل أن يُعاد هذا الكابوس بطريقة أخرى ، فمن هو المسؤول عن كشف هذه المؤامرة ؟ .

بما أن الحوزة العلمية صاحبة الهم الاساسي في الاسلام ، وصاحبة المبادئ والعقائد والمواقف
الصامدة الثابتة الأصيلية المستقيمة ، فهي التي يجب أن تتحمل هذه المسؤولية . فقد يتخذ
الاشخاص الذين يمارسون العمل السياسي مواقف ليس فيها ذلك الوضوح تجاه هذا الامر لسبب
من الأسباب ، أو مصلحة من المصالح السياسية ، التي قد تقتضي أن لا يكون الموقف واضحاً
بدرجة كاملة ، لكن الحوزة العلمية باعتبارها الحارس الأمين على مبادئ الاسلام ينبغي أن تكون
هي صاحبة المبادرات في هذا الجانب ، وهي التي تقوم بهذا العمل لخدمة القضية في هذه المرحلة .
وأرى من الضروري أن يقوم علماءنا الاعلام والمتصدون في الحوزة بمبادرة في هذا المجال ،
ويخاطبوا الأمة ، سواء في مجال التعبئة أو التعليم ، أو في مجال تثقيف الأمة وتعليمها وتوعيتها
وتحذيرها وحمايتها وحياتها من مؤامرة الاعداء .

دور الحوزة في مرحلة ما بعد التغيير

وأما في مرحلة ما بعد التغيير فأرى أن هذه المسؤوليات الثلاث تتضاعف من حيث الكم
والكيف ، مضافاً الى ما يمكن أن يتحمله أبناء الحوزة من أعمال ونشاطات أخرى في بناء المجتمع
الاسلامي ، خصوصاً في العراق ، حيث تعرض المجتمع الى تدمير واسع في مختلف المجالات ، سواء في

البنية الاجتماعية أو الاخلاقية أو الأسرية ، فضلاً عما أشرت إليه في البنية الثقافية .
وقد علّمنا علماء الدين وأبناء الحوزة العلمية أنهم يتحملون رعاية الامة في مختلف شؤونها ، فعلمونا الاهتمام بالفقراء والضعفاء ورعايتهم ، وبناء المؤسسات الاجتماعية الى غير ذلك من الاعمال التي قاموا بها لبناء المجتمع المنهار بسبب العدوان الذي مارسه النظام .

اليأس والتفاؤل

وأما بالنسبة للسؤال الثاني وهو : ما يتعلق بالأمل والتفاؤل ، ففي تصوري أن التشاؤم والتطير شيء ، واليأس شيء آخر ، فما يشكوه منه بعض الناس - أحياناً - ، والذي يمكن أن نعبّر عنه بحالة اليأس والاحباط ، هو من الامور التي أمرنا الاسلام بتجنبها ؛ لأنه لا يأس من روح الله ورحمته وكرامته ونصره ؛ لأن القدرة الحقيقية إنما هي بيد الله سبحانه وتعالى .

والقرآن الكريم يضرب أمثلة كثيرة في هذا المجال ويتحدث عن اليأس والقنوط فيقول : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ (١) .

فقضية اليأس لا ينبغي أن يطرحها الانسان في مسيرته وحياته ، بل لا بد - دائماً - أن يكون مسلماً أمره الله سبحانه وتعالى ، وقائماً بوظائفه وواجباته ، ومنتظراً للفرج الذي يمكن أن يتفضل به الله سبحانه وتعالى على الانسان . ونحن شيعة أهل البيت وأتباعهم المنتظرون للامام المهدي (عج) ، وقضية الانتظار تمثل أخلاقية أساسية في حياتنا ووجودنا ، فنحن أصحاب هذا المبدأ وهذه الاخلاق في مسيرتنا .

ولقد مضى على غيبة الامام المهدي (عج) أكثر من إثني عشر قرناً من الزمن ، ومع ذلك لم نياس ولا يصح - بأي شكل من الاشكال - أن يطرأ اليأس والقنوط علينا ، بل نبقى ننتظر أن يتفضل الله به علينا ، والله عندما يريد أن ينزل نصره ترى جنود الله من الملائكة تستزل على المؤمنين ويأتي النصر على يد هؤلاء المؤمنين ، بأشكال مختلفة .

يضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً لذلك ، في معركة بدر يقول : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ﴾ (٢) ، ثم يقول : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة

(١) يوسف : ١١٠ .

(٢) آل عمران : ١٢٣ .

منزلين ، بلى' إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴿^(١)﴾ فعندما يصبر الانسان ويصمد ويستمر في هذا الطريق يتضاعف إنزال الملائكة ، وعندئذ يتحقق النصر .

ثم قال تعالى ﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ﴾ ^(٢) ، فالنصر لا يتوقف على إنزال الملائكة ، وانما يصنعه الله سبحانه وتعالى لكم ، لتفرحوا وتدخل البشري الى قلوبكم ، ويحصل لكم نوع من الاطمئنان : ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ ^(٣) ، فالنصر الحقيقي هو من عند الله ، سواء نزل هؤلاء الملائكة أم لم ينزلوا ، وسواء كانت لدينا عدة وعدد أم لا ، فع الصبر والتقوى ينزل الله سبحانه وتعالى علينا نصره .

وهذا كلام القرآن الذي لا شك فيه : ﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ ^(٤) ، فنحن نحتاج الى هذا الصبر والصمود ، ونحتاج - في الوقت نفسه - الى التقوى ، وأن يكون هذا الصبر في سبيل الله ، والتزاماً بحكم الله وحدوده ، وبالوظائف الشرعية ، لكي يكون صبراً في الله سبحانه وتعالى وعندئذ ينزل النصر .

أما اذا كان صبرنا في سبيل جاه أو مقام أو مصلحة ، أو مال أو انتقام ، أو أي شيء آخر من الامور التي ترتبط بالحالة النفسية للانسان ، فلا يكون هذا الصبر من أجل الله ، ﴿ بلى' إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ ^(٥) .

تآكل النظام البعثي

وهذا الامر يمكن أن نراه الآن في مجمل ما يحدث في العراق ، فقبل سبعة أشهر تحدثت عن الاوضاع في العراق ، وقلت : توجد فرصة حقيقية لتغيير النظام ، وقلت : إن الولاء السياسي في داخل العراق بدأ يتبدل بشكل رئيس وأساس ، حيث إن الشعب العراقي لم يعد يوالي النظام بشكل مطلق ، بل تطور الوضع بحيث بدأت هذه الولاءات تتحرك لمواجهة النظام ، وحدثت هذه الحالة -

(١) آل عمران : ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) آل عمران : ١٢٦ .

(٣) آل عمران : ١٢٦ .

(٤) آل عمران : ١٢٦ .

(٥) آل عمران : ١٢٥ .

أيضاً - في الجيش العراقي ، وكذلك الحرس الجمهوري .

هذا نعتبره من التوفيقات الالهية أولاً ، ومن شرف وتقدم وعزة وكرامة الحالة الاسلامية ، وكما تعرفون فإن علاقة العلمانيين وروابطهم بالنظام أكثر منّا ، ولديهم أجهزة أكثر منّا ، حتى الأمريكان والاوربيون مع ما لهم من قدرات وامكانيات لم يتمكنوا أن يتنبأوا ، ويحللوا الاوضاع كما تمكنا - والحمد لله رب العالمين - أن نحللها .

أتذكر هنا أن بعض الصحف ، كصحيفة الحياة - التي تعتبر من الصحف المتقدمة ويكتب فيها كتاب كبار - أخذت تسخر بطريقة محترمة - اذا صح التعبير - وتقول : إن فلاناً متفائل كثيراً ، وهذا الامر بعيد عن التعقل ، فإمكانية أن يحدث هذا الشيء ليست بهذه السهولة ، والاضاع في العراق ليست بهذا الشكل .

وكتب بعضهم مقالات ولا زلت أحتفظ بها في الارشيف - وأخذ يتحدث بطريقة وبأخرى من أجل الاستهزاء والسخرية ؛ لتضعيف هذا التصور ، وأما نحن فكاننا نشدد على هذا الأمر . وعندما حدثت أحداث الرمادي ، أكدنا على أن هذه الظاهرة بدأت تأخذ موقعها الحقيقي الطبيعي في الاحداث ، وعندما سُئلت في ذلك الوقت ، قلت : سوف تشهدون أحداثاً أخرى ؛ لأن الوضع الداخلي الذي يعيشه النظام بدأ يتفكك ، وهذا شيء طبيعي في فهمنا لحركة التاريخ ، ولتحليل الاوضاع في داخل العراق .

وعندما تضيق الحلقة - وتكون حلقة مبادئ - يمكن أن تحمل الجبال وتزعزعها ، فالنبي ﷺ كان وحده ، ولم يكن معه إلا القليل من الناس ، ولكن كانت القضية قضية السماء والمبادئ والارتباط بالله سبحانه وتعالى ، فكان ﷺ يقول : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الامر ما تركته أو أهلك دونه » ، وبدأ يتحرك بهذه الطريقة حتى تحقق النصر .

وأما عندما تضيق الحلقة المحيطة بالنظام ، وهي حلقة مصالح ومطامع وطغيان وعدوان وظلم ، فتكون حقيقتها بهذا الشكل . وكل الاطراف الموجودة في هذه الحلقة تمثل أناساً من هذا النوع ، عندئذ لا بد أن تتضارب مصالحهم وتتناقض ، وبالتالي وجدنا أنه كيف تطور هذا التضارب والتناقض في المصالح .

وفي الوقت نفسه ، وجدنا أن تضحيات الشعب وجهوده ، والدماء التي أريقَت في سبيل الله

بدأت تضغط بشكل قوي على هذا النظام ، فتفجر هذه الاختلافات والنزاعات داخل النظام ، فقد بدأ الصراع أولاً على مستوى عناصر في الحرس الجمهوري ، وعندما بدأت الاحداث في حركة محمد مظلوم الدليمي^(١) ومجموعته ، وقبلها حركة الدكتور راجي التكريتي ومجموعته ، كان هناك موقفان ورأيان في مواجهة هذه الاحداث :

الموقف الأول : كان يقول : لا بد أن نتعامل بنفس الطريقة من القوة والشدة التي تعاملنا بها مع كل الاحداث السابقة ، أي نفس المنهج العدواني الذي استخدمه صدام تجاه أي حدث وحالة تظهر في العراق .

الموقف الثاني : يقول : يجب أن نتعامل مع هؤلاء بطريقة أخرى ، فهؤلاء جماعة متميزة وتختلف عن الجماعات الاخرى التي تم البطش بها ومطاردتها وسحقها ، فحدث صراع ونزاع ، وفي البداية حاول الخط الثاني أن يأخذ طريقه ، ولكن بعد ذلك تغلب عليه الخط الاول ، الذي يقول :

لا بد أن نتعامل معهم بالقسوة والشدة .

وهكذا تم التعامل بهذه الطريقة العدوانية ، ومن الطبيعي أن يتغلب الخط الأول لأن طبيعة رأس النظام عدوانية ، وكذلك عقليته ، وصدام يكاد يدعي الربوبية - لكن لا يأتي بكلمة الرب - في تعامله مع الناس .

فبدأت الاحداث تتفاعل حتى في هذه الدائرة الضيقة بهذه الطريقة . ورأينا كيف تم طرد وطبان ، واعترفوا أخيراً أنه جرح ، وهذا التفسير هزيل ومضحك ، والآن يوجد حديث أنه مات بسبب جراحاته بعد اسبوع من دخول المستشفى .

ومع قطع النظر عن صحة هذا الحديث وعدم صحته - فأنا لا أريد أن أتبنى هذا الخبر ، لكن احتمال وجود ، وهو احتمال معتد به - فإنه يوجد اصطدام على هذا المستوى وهو حصول اطلاق نار بين العائلة الحاكمة ، ثم بعد ذلك طُرد علي حسن المجيد بطريقة مذلة من وزارة الدفاع ، وحصلت تغييرات مهمة في وزارة الدفاع .

وهذه التغييرات المهمة ليست مهمة بمعنى أن الاشخاص الذين جاؤوا لهم أهمية ، بل مدلول

(١) أحد الضباط الطيارين المقربين للنظام . وقد اعتقلته الاستخبارات العسكرية بعد محاولته تدبير انقلاب عسكري ، ومارست بحقه ألوان التعذيب ، ثم قتلته .

هذه التغييرات - وأنا لا أحب الآن التحدث عنها؛ لأن الحديث عنها قد تكون فيه حساسية - من حيث مضمونها ومدالها السياسية له أهمية كبيرة لمن يعرف خصوصيات الاشخاص الذين عُينوا في وزارة الدفاع، وفي أركان الجيش .
وبالتالي فبدأت الحالة تأخذ طريقها، ورأينا كيف يتفجر هذا الصراع بهذه الحادثة الأخيرة .

وقد حاول الغربيون أن يعطوا هذه الحادثة أهمية كبيرة، ويبرزوها وكأنها الحدث الأول والأخير من أجل أن يغطوا على كل النشاطات والفعاليات والتضحيات والجهود التي بذلها الشعب العراقي طيلة الفترة السابقة، وكأنه لم يكن هناك أي عمل طيلة هذه الفترة إلا هذه النقطة الوحيدة الفريدة .

هذه القضية تعبر عن ظاهرة، ونتيجة وأثر، وليست هي القضية الأصلية، فالأسباب الأساسية أسباب قائمة وموجودة، وهذه القضية أثر ونتيجة لتلك الأسباب التي تحدثنا عنها قبل سبعة أشهر، ولها امتداد متجذر قبل سبعة أشهر، لكنها بلغت في الأشهر السبعة الى مرحلة يتمكن أن يتحدث الانسان عنها ويحللها ويذكر شواهدا .

فهذه نتائج لهذه الآثار، ومن الطبيعي أن نتظر نتائج أخرى، فبالأمس كان هناك خبر: بأن عائلة طلفاح - يعني أولاد عدنان خير الله وبعض متعلقيه - وصلت الى الاردن، وبدأت القضية تأخذ مسارات من هذا القبيل .

هناك اعتقالات حدثت في صفوف الضباط الذين لهم مواقع مهمة جداً، الأمر الذي يعني أن القضية بدأت تأخذ مجرى معيناً .

الثقة بالله

ولكن يبقى أن أقول: إن هذه الظواهر في الوقت الذي تدل على ضعف النظام ووجود الاختلافات العميقة فيه، وبالتالي تهدده تهديداً حقيقياً بالسقوط والانهيار، فاننا يجب أن يكون عندنا ذلك التوجه الى الله سبحانه وتعالى، لأن القدرة الحقيقية له، ولا يأخذنا الغرور، فلا نتصور أن الشخص عندما يخرج من النظام فسوف يسقط النظام، فالله سبحانه وتعالى هو المغير والقادر، وهو الذي يجب أن نلجأ إليه ونتضرع .

ولا بد أن تكون كل نشاطاتنا وأعمالنا في سبيله ومرضاته والوصول اليه، وفي الوقت

نفسه، لابد أن نتمتع بالصبر والصمود والحذر والانتباه لما يجري؛ لأن أعداءنا يحاولون أن يلتفوا على كل المكاسب التي حصلت طيلة الفترة السابقة.

يجب أن نتمتع بهذه القضايا، ويكون إيماننا وثقتنا بالله سبحانه وتعالى فوق كل ثقة، فأحياناً عندما يرى الانسان ظاهرة قد يتزعزع ويقول: هذه هي التي سوف تغير الامور، فعندما شن الحلفاء على النظام حرباً واسعة، صار عند الناس قناعة بأن النظام انتهى ولم يبقَ منه شيء، وأنا أذكر أن شخصاً مهماً من السياسيين - لا أريد أن أذكر اسمه - كان يقول: بعد خمسة عشر يوماً ينتهي كل شيء، والآن مضى خمس سنوات على هذه الحادثة ولا زال النظام موجوداً. فنحن يجب أن يكون عندنا هذا الوعي.

فلابد من التوكل على الله سبحانه وتعالى والاعتماد عليه، وعلى النفس والجهود والصبر. فقد يحدث احباط ويأس وقنوط عندما نرى أن التغيير لم يحصل من هذه الحادثة. لكننا في الوقت نفسه نتوقع التغيير، ونقول: إنها فرصة حقيقية للتغيير، لكن يبقى كل شيء بيد الله سبحانه وتعالى.

يجب أن لا يتزعزع إيماننا وثقتنا بالله، وبهذه المسيرة، والله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين. نسأله أن يحقق الفرج العاجل للمؤمنين في العراق، وأن يكشف الضر عنهم، وينتقم من صدام إنتقاماً عاجلاً، وأن يرينا ذلك في هذه الدنيا قبل الآخرة، كما نسأله سبحانه أن يتغمد شهداءنا الابرار برحمته الواسعة، وأن يتغمد مراجعنا العظام الماضين برحمته الواسعة، وأن يحفظ الباقيين بحفظه ويسددهم ويؤيدهم، ويبارك في وجودهم الشريف، كما نسأله سبحانه أن يحفظ هذه الدولة المباركة ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شروط القبول في الحوزة العلمية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن «عج» . والسلام على شهداء الإسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للإسلام وحتى هذا العصر . والسلام على سادتي وإخواني العلماء الأعلام ورحمة الله وبركاته .

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾^(٢) .

تقديم

في البداية ، أقدم الشكر للسادة الأفاضل في المركز العالمي للدراسات الإسلامية على عقدهم لهذا الاجتماع الذي أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعله اجتماعاً مباركاً . كما أشكرهم على إتاحتهم هذه الفرصة للحديث مع الأخوة الأعزاء والسادة الأفاضل . كما أشكر الأخوة والسادة على استماعهم وإتاحتهم هذه الفرصة أيضاً .

إن الحديث في هذا الموضوع الذي تفضل به سماحة الشيخ - كعنوان لحديثي - لم تنهياً الفرصة لأعد له إعداداً مناسباً ، حيث إن بالأمس - ليلاً - عرفت بعض التفاصيل ، ولذلك سأحاول أن أطرح على السادة الأفاضل والأخوة الأعزاء مقدراً مما يخطر ببالي من إثارات ، وقد تنهياً فرصة فيما بعد لمناقشتها في لجان و اجتماعات متخصصة ، والآن فهمت انه لا يوجد بعد الظهر اجتماعات متخصصة لمناقشة القضايا ، كما كنت أتصور في البداية ، حيث إنه في الاجتماع الصباحي ، تثار

(١) محاضرة سماحة السيد الحكيم (دام ظله) في قاعة الشيخ المفيد ﷺ بمدينة قم المقدسة ، وذلك يوم السبت المصادف ٢٠ / ٦ / ١٩٩٦ م - ٣ / ٢ / ١٤١٧ هـ . ق - ٣٠ / ٤ / ١٣٧٥ هـ . ش .

(٢) سورة التوبة : ١٢٢ .

الأفكار والعناوين الرئيسية، ثم تناقش في اجتماعات تخصصية من خلال لجان، لأن الكثير مما يثار عادة توجد حوله إما استيضاحات تصورية أو مناقشات تصديقية من أجل الوصول الى تصور واضح.. ولكن على أية حال، فإن هذا الاجتماع تهديدي أولي ومبادرة مباركة من قبل السادة الأفاضل في هذا المركز، ونأمل أن تكون هذه المبادرات بداية لمبادرات واجتماعات أخرى تتطور فيها الحالة تدريجياً. وكان مقصودي من هذا الكلام، هو الاعتذار عن طرح إثارات دون الوصول الى نتائج.

نفهم من هذه الآية الكريمة التي تلوتهما أن القرآن الكريم يشير الى قضيتين رئيسيتين، قد يكون لهما ارتباط بموضوع الحديث:

النفر لطلب العلم

قضية نفر لطلب العلم. حيث إن هذه الآية الكريمة تمثل في تاريخنا، الأساس في هذه الحركة العلمية الإسلامية المتمثلة بالحوزات العلمية. وهذا الأساس وضعه الله سبحانه وتعالى في زمن رسول الله ﷺ وعلى مستوى القرآن الكريم، الأمر الذي يعني أنه كانت هناك حاجة ملحة على مستوى ذلك العصر. إن قضية نفر ليست ثقافة عامة وواجباً عاماً يتوجه لكل المسلمين، كما هو الحال في الواجبات العامة الموجودة في الشريعة كالصلاة والصوم وغيرها من الواجبات التي فيها شروط معينة، لكنها أخذت كشروط وكتوجه عام لكل المسلمين، فالحج مثلاً فيه شرط، لكنه واجب عام لكل من يستطيع أياً كان، أما في هذه الآية الكريمة، فمن الواضح بأنه أفترض تقسيم المسلمين الى طائفتين، واحدة تقوم بهذه المهمة، وأخرى تقوم بواجبات ومهام أخرى.

وهذا من الموضوعات التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في موضوع تشكيل الحوزات العلمية، الذي يمكن أن نسميه بالقبول.. فأى طائفة من الطوائف هي التي تُقبل في هذه الأوساط الدينية؟ ثم ماهي العناصر المهمة التي ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار في هذا العصر كعناصر إصلاحية وتجديدية في قضايا قبول الطلبة والعلماء في هذه الحوزات؟

مسؤولية التبليغ والانداز

إن هذه الطائفة تتحمل مسؤوليات عامة في المجتمع الإسلامي، انطلاقاً من قوله تعالى ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾^(١). فهذه المسؤوليات لا بد أن تؤخذ بنظر

الاعتبار، سواء في شروط القبول للطلبة أو في المضمون العلمي الذي يُعطى للطلبة والعلماء من أجل أن يقوموا بمهامهم ومسؤولياتهم. وكذلك عملية التوزيع وسد الحاجات والفراغ الموجود في هذه الساحة وتلك، لأن هذا العمل ليس فردياً يُراد منه أن يقوم به لنفسه ولجتمعه أيضاً. ومن هنا يمكن أن نفهم أن التفقه في هذه الآفة الكرمة غير التفقه في الدين الذي هو واجب على كل مسلم ومسلمة»^(١). فيجب على كل مسلم أن يتفقه بمقدار ما يحتاج إليه في شؤونه الحياتية من العبادات والمعاملات، أما هذا النوع من التفقه، فدرجته أعلى من ذلك وهو التفقه للآخرين ومن أجلهم، من أجل أن يندروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

شروط القبول

إن هذه الإثارات في الواقع، هي التي تلقي بظلالها على موضوع الشروط الخاصة بقبول الطلبة.

١- مراعاة الأولويات

نحن في البداية لابد أن يكون لدينا فهم عام للحاجات التي يعيشها المسلمون والبشرية فيما يخص قضية الإسلام والفقه، خصوصاً في هذا العصر الذي بدأ كل العالم يتطلع فيه إلى الإسلام كمنقذ له من مشاكله وآلامه ومحنة، ببركة هذا التحول العظيم الذي حدث في الجمهورية الإسلامية وقيامها، وما قام به إمام الأمة من إنجاز عظيم في رجوع الإسلام للحياة في هذا العصر.

فالمفروض أن يكون التدقيق في الحوزة العلمية بهذا المستوى من الفهم للحاجات والفراغات التي يعيشها هذا العالم، وبهذه النظرة الواسعة الكلية للحاجات التي تعيشها الأمة المسلمة بشكل خاص، وجماعة أهل البيت عليه السلام بشكل أخص، والبشرية بشكل أعم، وحسب أولوياتها، حيث إنه عندما يكون هناك أخص وخاص وأعم، ننظر إلى الأولويات..

إننا نحتاج في موضوع القبول إلى هذه النظرة الشاملة. ولعل هذا ما يشير إليه الإمام عليه السلام في الكلمة التي قرأت قبل صعودي المنبر، فالإمام هنا يتحدث عن حاجات الأمة والبشرية في موضوع التخطيط للحوزات العلمية. إذن، فلا بد أن تكون هناك موازنة - حسب تصوري - في هذه النظرة الكلية في مسألة القبول، بين الحاجات وبين العناصر والأشخاص الذين يجب أن يقبلوا في الحوزة العلمية. وهذه الحاجات قد تكون مختلفة من بلد لآخر، ومن مجتمع لآخر، ومن وسط

(١) ميزان الحكمة للريشهري ٣: ٢٠٧١ - وجوب طلب العلم - ح ١.

لآخر ، فوسط الريف تختلف حاجاته عن وسط المدينة ، والعراق كبلد يتعرض لعدوان واسع خصوصاً على مراكز الحوزة العلمية ، قد يكون هناك شعور بوجود حاجة لملاّ الفراغ ، وقد تكون هذه الحاجة غير موجودة في بلد آخر بهذا الشكل .

٢- موازنة الحاجات والمسؤوليات

من أين ننظر لهذه الشروط الأساسية ؟ وكيف يمكن أن نقيمها ونعرفها بشكلها الواقعي ؟ إن هذه الشروط لابد أن نأخذها من الحاجات أولاً ، ومن المسؤوليات التي لابد أن يتحملها العالم والحوزات العلمية ثانياً .

وهذا ينقلنا الى قضية مهمة جداً في هذا الموضوع - مضافاً الى موضوع الحاجات والمسؤوليات - حيث لابد أن نأخذ بنظر الاعتبار الظروف التي تحيط بنا ، وهي ظروف التآمر على الحوزات العلمية ومحاولة النفوذ والتغلغل والتسلل اليها وهدمها من داخلها بدسّ العناصر السيئة وغير النافعة . بل لابد أن نأخذ بنظر الاعتبار الاغراءات الجديدة التي تولدت بسبب التحول العظيم الذي حصل في موقع الحوزات العلمية .

مسؤولية الحوزة العلمية في تاريخنا المعاصر

إن المهمة والمسؤولية التي تقوم بها الحوزة العلمية تاريخياً وعقائدياً وواقعياً في عالمنا اليوم ، هي مهمة القيادة للمجتمع الإسلامي ، لأنها الوريث والإمتداد لأئمة أهل البيت عليهم السلام وهم القادة بحسب عقائدنا ، ومن حيث التاريخ الذي عاشته جماعة أهل البيت عليهم السلام ، وجدنا أن الحوزات هي التي كانت تقوم بهذا الدور القيادي في المجتمع ، ومن حيث الواقع الفعلي نجد أنه بلطف الله سبحانه وبركته تمكن إمام الأمة عليه السلام أن يقود هذه المسيرة ويرسي دعائمها ويورثها للصالحين من عباد الله ، أمثال آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (حفظه الله) .

وهذا الواقع العقائدي والتاريخي والفعلي في الحوزات العلمية كقضية خارجية قائمة في هذا العصر ، لابد أن يؤخذ بنظر الاعتبار ، ومدى أخذه يرتبط بالموازنة الأولى ، ولكن هذه القضية لا يمكن أن يُغض النظر عنها كمسألة لا علاقة لها بموضوع القبول .

انتخاب ولي أمر المسلمين

وعندما أتحدث عن إمام الأمة وولي أمر المسلمين ، فإن الذي انتخبه لهذا الموقع الشريف ، هم علماء الإسلام في مجلس الخبراء الذي تنطلق فكرته من الخبراء في علوم الدين . ولذلك انتخب

الشعب الإيراني هؤلاء من هذا المنطلق .

وليست القضية هي انتخاب شخص كان مؤهلاً لهذه المواصفات وهو من علماء الدين . إنما أصل الفكرة من أولها إلى آخرها مصاغة بهذه الصيغة وهذا الإطار . وهذا الموقع القيادي لهذه الحوزة العلمية .

مسؤولية الإنذار

إنَّ قضية الإنذار ليست مجرد أن يصعد الإنسان المنبر ويتحدث بمجديث جميل ، أو يتضمن معلومات تُقال هنا وهناك ، أو أن ينشر كتاباً أو مقالاً ، بل إنها أكثر تعقيداً من ذلك بكثير . ولذلك كانت عنواناً لأشرف موقع اختاره الله سبحانه وتعالى لعباده وهو موقع الأنبياء وهو أكثر المواقع ابتلاءً ومحنة وعذاباً وآلاماً « إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل »^(١) .

وعليه فإذا أردنا أن نختار إنساناً لهذا الموقع فلا بد أن نرى ما هي مواصفاته التي تؤهله أن يتحمل هذه المسؤوليات ويكون قادراً على التضحية والفداء والصبر والثبات وتحمل الآلام والمشكلات . وهذا النوع من المواصفات هو الذي نعبر عنه في مصطلحاتنا الأدبية بـ (العمل السياسي) .

ولا أعني بذلك أن هذا الإنسان يُراد منه أن يتصف الآن بصفة الأنبياء أو الأئمة أو القادة ، بل أعني أننا عندما نختاره فلا بد أن يكون على الأقل قادراً على أن يسير في هذا الطريق ، وأن يكون في بدايته ، بحيث يتكامل باتجاه تلك المواصفات التي توصله إلى هذا المستوى العالي من تحمل المسؤوليات .

مسؤولية المركز العالمي للدراسات

إننا في موضوع القبول ، لا بد أن نأخذ بنظر الاعتبار المساحات البشرية والجغرافية المختلفة ، ونهتم بهذا المجال ونحاول أن نسدَّ الحاجات ، كما نأخذ بنظر الاعتبار أيضاً المساحات العلمية والثقافية التي لا بد أن نسدَّ فراغاتها ، خصوصاً إن هذا المركز الشريف هو (المركز العالمي للدراسات الإسلامية) فعنوانه الكبير ، ونسأل الله سبحانه أن يجعله دائماً كبيراً ومتناسباً مع هذا العنوان (العالمي) الذي يجمع كل العالم في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، و (الدراسات)

(١) الكافي ٢ : ٢٥٢ باب شدة ابتلاء المؤمن / ح ٢ : « سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من أشد الناس بلاء في الدنيا ؟ فقال : النبيون ثم الأمثل فالأمثل » . راجع بعض احاديث الباب .

تشمل كل الثقافة الإسلامية دون حد .

وهذا الموضوع مهم جداً في قضية القبول ، ولذلك أؤكد على أن يؤخذ بنظر الاعتبار جانب الفراغات في مجال العلم والثقافة وتنوعها . ويؤخذ بنظر الاعتبار أيضاً جانب الحاجات سواء فيما يتعلق بالأوصاف أو ما يتعلق بالمساحات الجغرافية . فقد تكون إحدى المناطق أكثر حاجة من الأخرى ، فيؤخذ ذلك في موضوع القبول . وهكذا قضية المؤامرات التي ذكرتها والإغراءات والظروف المحيطة بالحوزة العلمية بشكل عام .

القضية الأمنية في الحوزة

إننا إذا أردنا أن نأخذ القضية الأمنية مثلاً ، فقد نرى أنفسنا نتشدد فيها ونعتبرها مهمة كشرط من شروط القبول .

بالأمس قد لا يكون هذا الشرط موجوداً ، باعتبار أن الحوزات العلمية وإن كانت منذ البداية تتعرض للمؤامرات ، لكن التهديد والأخطار ونيات الأعداء ومقدار عملهم ونشاطهم ضد الحوزات ، يختلف من مرحلة لأخرى ، ومن ظرف لآخر . ونحن نجد أن الحوزة العلمية الآن تواجه تهديداً وأخطاراً لا مثيل لها في تاريخنا المنظور . إنكم تلاحظون أميركا بكل إمكانياتها وقدراتها ، وأوروبا الغربية ، والدول والأجهزة المرتبطة بهذه القوى الاستكبارية ، تعمل من أجل ضرب هذا المركز القيادي والريادي المهم في عالمنا الإسلامي ، وهؤلاء يتآمرون على النفوذ إلى هذه الحوزات العلمية ، فضلاً عن المؤامرات التفصيلية الأخرى عندما نتحدث عن هذا البلد وذاك ، فبعض البلاد في المنطقة والعالم تقف لسبب أو لآخر في مواجهة الجمهورية الإسلامية ، وبالتالي عندما تفكر في النفوذ إلى واقع الجمهورية الإسلامية ، فأكبر موقع تراه هو هذا الموقع المهم .

إذن ، فقضية التجديد والإصلاح لا بد أن نتحدث فيها من هذا الجانب كقضية مهمة . ولذلك أدعو بشكل واضح وصريح - وقد يشعر بعض الأخوة بالقلق لهذه الدعوة وأنه قد لا يكون هناك تطبيق دقيق لذلك - إلى الإهتمام بالقضية الأمنية في القبول اهتماماً بالغاً وكبيراً ، وفي الوقت نفسه أدعو إلى أن يكون التطبيق دقيقاً ، ولا يُظلم البريء ويُحرم من هذا الواجب والثواب والمسؤولية أو لا يُحرم بلده وموقعه .

الإخلاص في طلب العلم

إن هذا الموقع لا يمكن أن يتحول إلى مجرد احتراف ومهنة أو مجرد سبب من أسباب كسب

المعيشة، إنما هو موقع مسؤولية وتضحية وفداء ومعاناة وآلام، لكن الله سبحانه وتعالى من بلطفه وكرمه على هذه الحوزة الآن، بحيث أصبح لها جلاله وعظمة وهيبه وإغراء، والكثير من الأفراد قد يفكر بأن يكون في هذا الموقع باعتبار الإغراءات والاحترام والجلالة والهيبة.

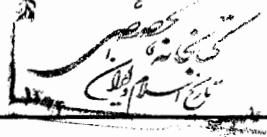
إن هذا الشيء ربما لم يكن سابقاً بهذا الشكل، وقد نحتاج في هذه المرحلة أن ندقق في هذه قضية، لنطمئن أنه جاء لهذا الموقع ليتحول إلى داعية من دعاة الله ورائد من رواد هذه المسيرة، وأن يكون مبلغاً حقيقياً، كما قال تعالى ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ (١).

وفي هذا المجال أؤكد على أننا لا ينبغي أن نتساهل لا في الجانب السلبي ولا الإيجابي، فنقول مثلاً: مادامنا نشك في إخلاصه بدرجة ضعيفة فلا نقبله! وكذلك للحمل على الصحة مجال واسع لكن وضع قواعد معقولة جيدة ومناسبة لتمييز المخلص عن غيره، قضية مهمة جداً.

المعرفة والثقافة

ليس من الضروري أن تكون مقاييسنا في القبول تعتمد على مسألة مدى اهتمام الطالب بقضية الفقه والأصول، بل لابد من وجود تصحيح في هذا الموضوع، فهناك خطوط متعددة لابد أن تتحرك في الحوزة. وإن كان خط الاجتهاد في الفقه والأصول ومقدماتها، قضية مركزية وأساسية ولا بد من التشدد فيها، ليس فقط على مستوى الكتب والمضمون الدراسي بل وعلى مستوى الطلبة والدارسين أيضاً.

ومن هذا المركز العالمي أشير إلى إثارة وأرجو أن تُبحث، وهي أنه لا ينبغي أن تكون الفكرة الحاكمة على المركز العالمي للدراسات الإسلامية بأنه يستقبل المبلغين فيقون في حوزته لفترة محدودة - أربع أو ست سنوات - وكأنه يُربّي مبلغاً من أجل أن يرجع إلى أهله وقومه لينذرهم لعلمهم يحذرون. إنما لابد لنا إذا أردنا أن نوجد ثورة حقيقية في الجانب الثقافي والعلمي والروحي في العالم الإسلامي وخصوصاً بين جماعة أهل البيت (عليه السلام)، فلا بد أن نربي مجتهدين في تلك الأوساط لا مبلغين فحسب. مع أن المبلغ له دور كبير جداً، لكن وجود ثقل من هذا القبيل في أندونيسيا أو الباكستان أو الهند مثلاً، لا شك أنه سوف يحدث تحولاً كبيراً جداً في أوضاع الحوزات العلمية أو الوضع الثقافي هناك، ويخفف أيضاً من أعباء حوزتهم بالنسبة إلى الطلاب الذين يدرسون



المقدمات والسطوح . وهذا التخطيط ليس ليومين أو ثلاثة أو أربعة أيام . يعني أننا قد نقبل أشخاصاً من الخارج يكون إهتمامهم بخط الاجتهاد ومن أول الأمر نرى فيهم هذه الرؤية ونهيبهم لهم كل الظروف ذات العلاقة بخط الاجتهاد ، بحيث يتحولون الى مجتهدين في بلدانهم بعد (١٨) سنة . لكن في الوقت نفسه نضع شروطاً بالنسبة الى أشخاص آخرين يأتون لفترة معينة ويدرسون مضموناً معيناً ويرجعون الى أهلهم .

في موضوع القبول ، لابد أن تؤخذ قضية المستوى العلمي والخصوصيات بنظر الاعتبار ، وهكذا الفراغات التي تعيشها هذه المنطقة وتلك .

استثناءات في الشروط العامة

لقد ذكرت للأخوة: أن العراق يعيش الآن ظروفاً استثنائية، ولذلك دعوت الى وجود شروط استثنائية لقبول الطلبة العراقيين ، وإذا رفع هذا الوضع الاستثنائي لهم فمن الممكن رفع هذه الشروط . وهذا الامتياز للطلبة العراقيين لا يُراد منه أن يكون امتيازاً لهم ، وإنما باعتبار وجود الظروف الاستثنائية ، فمثلاً شرط العمر قد يُستثنى بالنسبة لهم ، لأن بعضهم مرّ بظروف السجن أو الجهاد ، وقد استثنى الأخوة - جزاهم الله خيراً - مقداراً معيناً لفترة الجهاد والسجن من أجل سدّ هذا الفراغ .

وهكذا قد تكون هناك ظروف استثنائية في بلاد الهند والباكستان ، أو بلاد أوروبا وأمريكا الجنوبية أو الشمالية . إذن ، فلا بد أن يُحسب لهذه المناطق حسابها ويوضع لها بعض الشروط الاستثنائية في موضوع القبول . ولا يمكن أن نفترض أن شروط القبول عامة وشاملة للجميع ، نعم هناك بعض الشروط الاساسية العامة ، كالقضية الأمنية وقضية الإخلاص وقضية الأخلاق ... إلخ . طالب العلم ... والأخلاق

إن قضية الأخلاق تشكل أساساً لطالب العلم ، وأعني بها الاخلاق بالمعنى السلوكي ، يعني أن يكون هذا الإنسان ورعاً متديناً ملتزماً . وهذا شرط أساس ، ولا يمكن له إذا لم يكن كذلك - بأي ظرف من الظروف - أن يتحمل هذه الرسالة ، بل يكون خطراً عظيماً عليها كما نرى ذلك في حديث القرآن الكريم عن علماء اليهود وغيرهم^(١) ، وكما ورد في الأحاديث الشريفة عن رسول

(١) كقوله تعالى في سورة التوبة : ٣٤ « ان كثيراً من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » .

الله ﷻ في علماء السوء^(١).

الكفاءة في طالب العلم

ولا بد لطالب العلم أن يكون مؤهلاً وقادراً على أن يتطور في وضعه العلمي والتبليغي . وهذه الكفاءة قد تكون موجودة في إنسان لا تتوفر فيه الشروط الأولية كالعمر مثلاً ..
إننا لا يمكن لنا أن نوجد موازنة بين الشروط غير الأساسية والشروط الأساسية كالقضية الأمنية والإخلاص والتقوى ، إذ إن هذه الأمور لا يمكن التساهل فيها ، لكن هناك شروط أخرى تكميلية يراد منها أن تكون المسيرة أفضل وأكمل ، وقد توجد فيها مزاحمات وموازنات ، وأنا أدعو الى دراسة هذه الموازنات التي تكون بين الجانب الكمي والكيفي . ونحن وإن كان الأساس في عملنا هو اهتمامنا بالكيف ، لكن أحياناً في ظروف معينة تكون قضية الكم مطلوبة ومهمة . ودراسة الموازنة بين الجانب الكمي والكيفي من القضايا التي لا بد من إثارتها في الأبحاث الجانبية .



ومرة أخرى أشكر من صميم القلب ، للسادة في هذا المركز العالمي للدراسات الاسلامية ، على هذه المبادرة ، وأدعو للمزيد من هذه المبادرة . وأرجو من الله وأسأله ، التوفيق لهم والتسديد . وأن يبارك في هذه الجهود ويجعلها مرضية من قبل صاحب الأمر والزمان (عج) ، ونحن إذا كان لنا شرف في الدنيا ، فهو أن نكون جنوداً من جنوده ﷺ . ولا شك بأن هذه الجمهورية والمؤسسات كلها ، مؤسسات صاحب الأمر والزمان (عج) . نسأل الله سبحانه وتعالى أن تكون مرضية من قبله ومن قبل ولي أمرنا وعصرنا (عج) .

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المهتدي السائرين بهدي مراجعنا وعلمائنا وشهدائنا ، وخصوصاً إمام الأمة والشهيد الصدر وإلى أرواح العلماء والشهداء والصالحين ، خصوصاً السلف الصالح ، لأخواني الحاضرين ، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

(١) راجع ميزان الحكمة للريشهري ٣ : ٢١٠٠ - باب ذم علماء السوء .

مسؤولية الحوزة العلمية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين ، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

الحوزة العلمية امتداد لمسؤوليات الأنبياء

تمثل الحوزة العلمية في مسؤولياتها وواجباتها امتداداً لمسؤوليات وواجبات الأنبياء ﷺ . ويمكن أن نرى هذه الواجبات في ما نقرؤه من القرآن الكريم من واجبات النبي ﷺ ، وخصوصاً مشروع تأسيس الحوزة ، حيث قال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسلاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾^(٢) فنجد أن هناك ثلاث مسؤوليات يتحملها الأنبياء :
١- البلاغ . ٢- التزكية . ٣- تعليم الكتاب والحكمة .

وهناك آية أخرى تعبر عن مشروع تأسيس الحوزة العلمية ، وهي قوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾^(٣) .

١- البلاغ والانذار

ومن هنا فإن المتفقه الذي يمثل عنصراً رئيسياً في الحوزة العلمية يتحمل مسؤولية الإنذار والبلاغ التي هي مسؤولية الأنبياء . وعلى هذا الأساس يمكن أن نعرف أن إبلاغ الرسالات وإيصالها للأمم مسؤولية عظيمة جداً ، وتترتب عليها آثار وردود فعل ، ومن جملة هذه الآثار مواجهة الطغاة والمستكبرين والمترفين والمتحكيين برقاب الناس . حيث إن هذه الرسالات تسعى لتحقيق

(١) لقاء إذاعة طهران العربية مع سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الاثنين ١ / ٧ / ١٩٩٦ م الموافق

١٤ / ٢ / ١٤١٧ هـ ق - ١١ / ٤ / ١٣٧٥ هـ ش .

(٢) آل عمران : ١٦٤ .

(٣) التوبة : ١٢٢ .

العدل والرفاه لجميع الناس ، وتحكيم المساواة فيما بينهم . أما الطغاة والمستكبرون فيريدون أن يستأثروا بالمصالح والمنافع ، لذا نرى أن إبلاغ الرسائل يواجهه - عادةً - بإعراض ومقاومة وعدوان وتجاوز من قبل الطغاة والمستكبرين .

٢- التزكية

أما مسؤولية التزكية والتطهير التي يتحملها الأنبياء ﷺ والحوزة العلمية ، فنجد أنها عملية معقدة إلى حد كبير أيضاً ، وتواجه قضايا هوى النفس ، لأن الانسان من خلال نزغته لرغبات والشهوات يقاوم عملية التزكية والتطهير التي هي عملية تكامل للإنسان .
فالأنبياء - عادةً - يواجهون الحركات الداخلية للناس ، والمنطلقة من الهوى والرغبات والشهوات التي تملك زمام الناس . ويتحول ذلك إلى مقاومة الانحراف والنفاق والفرق في الشهوات والملذات والمصالح الشخصية والأثنية .
كل هذا يتحمله الأنبياء والحوزة العلمية .

٣- تعليم الكتاب والحكمة

وهكذا في مسؤولية تعليم الكتاب والحكمة ، حيث أصبحت - خصوصاً في هذا العصر - مسؤولية واسعة بسبب تعدد العلوم من ناحية ، وكثرة الشبهات والإثارات من ناحية ثانية ، وتعقيد الحياة الاجتماعية وحركة الإنسان من ناحية ثالثة . كل ذلك يحتاج إلى معرفة واسعة بشؤون الحياة والإنسان وظروفه وقضاياها المختلفة .

مسؤولية الحوزة في الوقت الراهن

والحوزة العلمية تتحمل في الوقت الراهن مسؤولية المعرفة بكل أشكالها وأبعادها . وكذا مسؤولية مواجهة الإثارات والشبهات حول الإسلام والنظرية الإسلامية في الحياة ، وفهم الاسلام لحركة وتاريخ الانسان .

فالحوزة تتحمل :

أولاً: مسؤولية إحقاق الحق والعدل ومقاومة الطغاة والمستكبرين والجبابرة .

وثانياً: مسؤولية التزكية والتطهير ، وهي عملية هداية الناس وإرشادهم إلى التكامل ، وتقوية إرادتهم ليسيطروا على شهواتهم ورغباتهم . وكذلك مقاومة الانحرافات الداخلية المتمثلة بحركات النفاق أو الارتداد أو الانحراف التي تعيش داخل المجتمع الانساني ، وتنبع من هوى

النفس .

كما تتحمل الحوزة العلمية في الوقت الراهن مسؤولية إشاعة المعرفة بين الناس ، وتعليمهم مختلف أبعادها ذات العلاقة بحياتهم ، سواء كانت مرتبطة بالمبدأ والخالق وعالم الغيب ، أو بالحياة الاجتماعية للناس ذات العلاقة بالنظام الإسلامي ، وفهمه للحياة ، وكيفية إدارة شؤونها ومعالجة مشكلاتها النفسية والروحية والاجتماعية والاقتصادية . أو كانت مرتبطة بأساليب تكامل الإنسان ووصوله إلى أعلى المستويات التي أرادها الله تعالى له ، وهي المستويات التي توصله إلى الجنة ، وتجعله قادراً على أن يكون في محل رضوان الله تعالى مرتقياً في تلك الدرجات العالية التي وعد الله تعالى بها عباده الصالحين .

ومن هنا نجد أن مسؤولية الحوزة العلمية متشعبة ولها أبعاد متعددة . ولا بد لرجال الحوزة أن يهيئوا أنفسهم لمثل هذه المسؤوليات والواجبات .

الحوزة العلمية في النجف الأشرف^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

نظرة تاريخية

إن حوزة النجف الأشرف تعتبر من أقدم الحوزات العلمية في عالمنا الاسلامي ، خصوصاً في عالم أتباع أهل البيت عليهم السلام . ذلك لأن هذه الحوزة الشريفة تعتبر امتداداً لمدرسة الكوفة التي وضع أسسها الأولى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما كان في الكوفة . ثم أقام دعائها ووضع نظمها العامة وطورها بشكل كبير الامامان الصادقان (الباقر والصادق عليهما السلام) .

فقد كانت هذه الحوزة في زمن الامام الصادق عليه السلام تضم أكثر من سبعة آلاف شخص . وورد في الرواية عن أحد المحدثين عندما دخل المسجد الكوفة أنه قال : أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد^(٢) .

(١) لقاء آخر لاذاعة طهران العربية مع سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الاثنين ١ / ٧ / ١٩٩٦م الموافق ١٤ / ٢ / ١٤١٧ هـ - ١١ / ٤ / ١٣٧٥ هـ ش .

(٢) جاء في رجال النجاشي عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى قال : خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث ، فلقيت بها الحسن بن علي الوشاء ، فسألته أن يخرج لي كتاب العلاء بن رزين القلاء وأبان بن عثمان الأحمر ، فأخرجهما إلي ، فقلت له : أحب أن تجيزهما لي . فقال لي : يا رحمك الله ، وما عملتك ، اذهب فاكتبهما واسمع من بعد . فقلت : لا آمن الحدثان . فقال : لو علمت أن هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه ، فإني أدركت في هذا المسجد (يعني مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد . (رجال النجاشي : ٣٩ ، ترجمة الوشاء : ٨٠) .

وفي تاريخ الكوفة للبراقعي أن الحافظ أبا العباس بن عقدة الهمداني الكوفي المتوفى سنة ٣٣٣ صنف كتاباً في أسماء الرجال الذين روى الحديث عن الامام الصادق عليه السلام فذكر ترجمة ٤٠٠٠ رجل . (تاريخ الكوفة للبراقعي : ٤٠٨) .

فهذه الحوزة امتداد لتلك المدرسة العريقة التي كانت منذ صدر الاسلام .

وكان لحوزة النجف الأشرف دور كبير وواضح ، منذ انتقال مؤسسها المعروف شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الذي كان من أكابر علماء مدرسة أهل البيت عليه السلام ، وفي الوقت نفسه كان أستاذاً لعلماء السنة والشيعة معاً . وقد درس وتعلم على يديه كبار العلماء من الفريقين . لقد انتقل الشيخ الطوسي من بغداد إلى النجف الأشرف في أوائل القرن الخامس الهجري ، ووضع الدعائم الأساسية لهذه الحوزة ، ومنذ ذلك اليوم أصبحت حوزة النجف الأشرف هي الأولى في عالم جماعة أهل البيت عليهم السلام .

وهذه الحوزة بتاريخها العريق من ناحية ، وبما قامت به من إنجازات ومسؤوليات كبيرة من ناحية أخرى ، أصبحت مفخرة من مفاخر العراق ، ومصدراً للهدى والعلم والمعرفة لمختلف أنحاء العالم الاسلامي .

ارتباط الأمة بحوزة النجف

من هنا أيضاً نجد هذا التعلق والارتباط الوثيق لأبناء الشعب العراقي بحوزة النجف ، وكذلك التعلق والارتباط الوثيق لأبناء العالم الاسلامي ، وخصوصاً أتباع أهل البيت عليهم السلام بهذه الحوزة ، وهذا يعود إلى الاسباب التالية :

١ - الجذر التاريخي لهذه الحوزة .

٢ - الامتدادات الواسعة في عالم المعرفة وأداء الخدمات الكبيرة للمسلمين في مختلف أنحاء البلاد .

٣ - القدسية الخاصة المستمدة من روح ومعنويات سيد الوصيين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ، حيث أنشئت في جواره وكنفه .

فهذه الحوزة تستمد معنوياتها وجانبها الروحي من أمير المؤمنين عليه السلام ، كما تستمد الجانب العلمي والسلوكي من منهجه .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نتصور المستقبل المشرق الزاهر لهذه الحوزة التي تمكنت أن تصمد عبر هذه القرون الطويلة ، وتواجه كل المشكلات والعقبات التي شهدتها التاريخ الاسلامي ، خصوصاً تاريخ العراق .

حوزة النجف في مواجهة التحديات

لقد تعاقبت على السلطة في العراق الأيدي المختلفة ، ومنها أيدي الطغاة والجبابرة والمجرمين والقساة الوحشيين ، ومع ذلك تمكنت هذه الحوزة أن تصمد في وجه كل العقبات ، وتتطور وتنمو وتقوم بأداء رسالتها الكبيرة .

ونجد أن هذه الحوزة الشريفة بالرغم مما تعرضت له من آلام ومحن وضربات على يد النظام الحاكم في بغداد في الوقت الحاضر ، وخصوصاً عمليات التشديد والتهجير الواسعة التي قام بها هذا النظام ، وكذلك عمليات التصفية الجسدية بالاعتقالات والاعدامات التي طالت كبار العلماء في هذه الحوزة ، أمثال آية الله العظمى الشهيد الصدر رحمته الله ، والسادة من آل المرجع الامام الحكيم رحمته الله ، وغيرهم من كبار العلماء ، بالرغم من كل ذلك تمكنت هذه الحوزة أن تصمد صمود الأبطال بوجه الحوادث وتستمر في أداء رسالتها .

وكان لموقف أبناء الشعب العراقي المؤيد والمربط بهذه الحوزة روحياً ومعنوياً ، الدور الكبير في هذا الصمود والاستمرار في أداء الرسالة . وكذلك موقف التأييد لبقية الشعوب الاسلامية المجاورة للعراق .

ونجد الحوزة العلمية الآن - والحمد لله - تبدأ بمرحلة جديدة من النشاط والنمو والتطور بحيث تفرض نفسها على الأمر الواقع ، باعتبارها تمثل جزءاً رئيساً في تاريخ العراق وشعبه ، كما تمثل هدفاً كبيراً من أهداف الشعب العراقي ، ومفخرة من مفاخره .

مستقبل الحوزة في النجف الأشرف

وإنني لأعتقد أن الحوزة العلمية في النجف الأشرف لو أتيحت لها الفرص المناسبة ، ووجدت الحرية في تحمل مسؤولياتها والقيام بأعباء الواجبات الملقاة على عاتقها ، فيما يتعلق بابلاغ رسالات الله وتزكية الناس وتطهيرهم وتكاملهم ، وكذلك القيام بمسؤولية التعليم ونشر المعرفة ومواجهة الضلالات ، والشبهات والانحرافات ، لرأينا العجب العجيب مما يمكن أن تنجزه هذه الحوزة الأصيلية في العالم الاسلامي ، فتدافع عن شعائر الاسلام وعن مظلومية المسلمين ، وقضايا الاسلام الكبرى التي تتعرض إلى عدوان واسع من قبل الاستكبار العالمي وخاصة أمريكا .

ونعتقد أيضاً أن كل من يريد أن يقف في وجه الاستكبار العالمي حقاً ، ويقاوم أمريكا ، لا بد

له أن يقدم الخدمات العظمى لهذه الحوزة ، لأنها أفضل وأعظم كيان يمكن أن يقوم بدور مواجهة الاستكبار والعدوان والطغيان ، وبعث الروح المعنوية الكبيرة بين المسلمين ، بحيث يصبحون جبهة واحدة وصفاً واحداً في مقابل أعدائهم ، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن تجارب الحوزة العلمية في النجف الأشرف كانت دائماً تجارب الاهتمام بالقضايا الكبرى للمسلمين كقضية فلسطين ، ومواجهة الاستعمار والاستكبار العالمي .

كما إن هذه الحوزة كانت في تجاربها تدعو إلى وحدة المسلمين وتقوية صفهم ومواجهة كل أنواع الضلالات والانحرافات التي تعرض لها العالم الاسلامي ، من قبيل انحرافات الاتحاد والشيوعية والماركسية ، أو الضلالات الغربية التي كان يثيرها المستشرقون وغيرهم من المبشرين الذين دخلوا العالم الاسلامي . وتمكنت هذه الحوزة أن تقوم بدور عظيم في مواجهة كل هذه الضلالات .

وأعتقد أن هذه الحوزة سيكون لها في الوقت الراهن - أيضاً - دور عظيم جداً في نصرة الإسلام في هذه المعركة الواسعة الكبيرة التي يخوضها الإسلام في مواجهة الاستكبار العالمي بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والشيوعية . حيث نجد أن المحور الرئيس الذي يواجه الاستكبار هو الإسلام .

وسوف يكون للحوزة العلمية في النجف الأشرف ، كما للحوزات الأخرى في العالم الاسلامي الدور العظيم في مواجهة الاستكبار ، وتقوية محورية الإسلام ، وبعث الروح المعنوية لدى الأمة الاسلامية ، ليرجع المسلمون إلى ربهم وإسلامهم ويسيروا العدل ، وينشروا الهدى والصالح بين الناس .

لذا فاني أعتقد أن مستقبل الحوزة العلمية في النجف الأشرف مستقبل زاهر يبشر بكل خير بعد هذا الصبر والصمود والتضحيات الكبيرة التي قدمتها .

والحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

مناهج الحوزة العلمية ومتطلبات العصر^(١)

وجه سماحة السيد محمد باقر الحكيم (حفظه الله) السؤال التالي : ماهي الأسس التي تعتمد عليها الحوزة العلمية في تغيير مناهجها الدراسية لتكون أكثر نفعاً ؟
فأجاب سماحته مشكوراً :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المخلوق محمد وآله الطاهرين .
قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾^(٢) .

في ذكرى سيدة النساء عليها السلام

أتقم في بداية الحديث إلى الاخوة المؤمنين بالتعزية بمناسبة الأيام المنسوبة لسيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام ، حيث إن وفاتها - على بعض الروايات - كانت بعد مضي أربعين يوماً على وفاة سيد الانبياء عليه السلام . ويصادف ذلك عادة في اليوم الثامن من ربيع الثاني .

وهذه الذكرى تسمى بالفاطمية الأولى أو الصغرى ، باعتبار أن الاهتمام بهذا التاريخ يكون عادة أقل من التاريخ الثاني المذكور لوفاة سيدة النساء عليها السلام ، وهو الخامس عشر من جمادى الأولى ، كما إنه أقل من الاهتمام بالتاريخ الثالث المسمى بالفاطمية الثالثة ، وهو الثالث من جمادى الثانية .

ونحن على اعتاب هذه الذكرى نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتولين لسيدة النساء عليها السلام وأبيها وبنيتها ، وأن يجعلنا من أتباع مسيرة الأنبياء ، وأهل البيت عليهم السلام ، وقد كانت فاطمة عليها السلام محور أهل البيت عليهم السلام في خصائصها وعلاقاتها .

فمن جهة هي بنت رسول الله سيد الكائنات ، وهي زوجة علي بن أبي طالب عليه السلام نفس

(١) نص الكلمة التي ألقاها السيد الحكيم (دام ظله) في مكتبته بمدينة قم يوم الاربعاء ٢١ / ٨ /

١٩٩٦م الموافق ٥ / ٤ / ١٤١٧ هـ ق - ٣١ / ٥ / ١٣٧٥ هـ ش .

(٢) التوبة : ١٢٢ .

رسول الله ﷺ من جهة ثانية، ومن جهة ثالثة هي أم الذرية الصالحة التي كان فيها الخير الكثير، وهي الكوثر كما وصفها القرآن الكريم^(١).

دور الحوزة في التاريخ الاسلامي

أما في ما يتعلق بالسؤال المطروح فهناك بعدان :

البعد الأول : البعد المرتبط بأهمية الحوزة العلمية ودورها، فهي الوجود المبارك الذي أسس بأمر من الله تعالى بقوله : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ... ﴾ . فهي من المؤسسات القلائل التي تحدث عنها القرآن الكريم، وأسسها رسول الله ﷺ بأمر من الله تعالى وكان وجودها مقترناً بوجود الاسلام منذ بدايته، ومنذ بداية تأسيس المجتمع الاسلامي .

وكان من لطف الله تعالى على عباده وفضله ونعمته عليهم أن استمرت هذه المؤسسة الشريفة منذ ذلك الوقت وحتى يومنا الحاضر . وقد استمرت هذه المدرسة بشكل تكاملي وأدت دورها في كل التاريخ الاسلامي .

نيابة المرجعية والحوزة عن الامامة

لقد كان لهذه المؤسسة الدور العظيم في زمن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، ثم كان لها دور أعظم بعد الغيبة الكبرى . حيث تقوم هذه المؤسسة بمقام النيابة عن الامامة . فهي بكل خصوصياتها من رأس الهرم فيها المتمثل بالمجتهد الولي الى أطرافها وقدراتها تقوم بهذا المقام الشريف، مقام النيابة عن الامامة في عصر الغيبة .

لذا فانا عندما نتحدث عن هذه المدرسة ومناهجها وأعمالها ونشاطاتها وما ينبغي أن يتوفر فيها من مواصفات وخصائص، فلا بد أن ننظر الى هذه القضايا والموضوعات من خلال هذا الفهم، أن هذه المؤسسة لها هذا الدور والموقع والوجود وهذه الخدمات العظيمة التي تؤديها والتي يتوقع منها أن تؤديها في هذا العصر .

دور الحوزة في التحصيل والتحقيق والتبليغ

البعد الثاني : وهو البعد المرتبط بالسؤال مباشرة، فان عنوان هذه المؤسسة أنها علمية فقهية، فيها العلم والتفقه في الدين . وهذا الأساس هو الواضح البين الذي يمثل عنوانها وشعارها وواجهتها .

(١) قال تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ الكوثر : ١ .

لكننا عندما نتأمل في هذه المؤسسة، نجد أن هناك أموراً أخرى لا تقل أهمية عن موضوع العلم، بل يمكن أن نقول: إن هذا العلم - وهو واجهة هذه المؤسسة - إنما فرض على المسلمين، وعلى هذه المؤسسة، لأمر آخرى كما يبدو من القرآن الكريم: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ ثم يقول: ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.

إبلاغ الرسالة

فهناك أمر آخر يمثل الهدف والغاية لهذه المؤسسة. وبدون هذا الهدف لا يكون لها هذا الدور والأهمية. هذا الأمر المهم هو إبلاغ الرسائل، وإنذار الناس، وإيصال العلم والفقه والمعرفة لهم. وهذه مهمة رئيسية أساسية لهذه المؤسسة، وهي مهمة الأنبياء: ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾^(١) ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾^(٢).

هذه هي المهمة الرئيسة للأنبياء ﷺ. والإبلاغ لا يعني الإعلان عن شيء فحسب، كمن يتحدث من فوق المنبر، أو تكون لديه صحيفة أو نشرة يكتب وينشر فيها المعلومات لتصل إلى الناس، إنما يكون الإبلاغ بكل الوسائل والجهود والطاقات والامكانيات المتوفرة للإنسان. ومن هنا فقد أصبحت مهمة البلاغ عسيرة صعبة لا يتحملها إلا الخاصة من الناس، ممن اصطفاهم الله، وهم الأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء الربانيون والمجاهدون الذين يتحملون المصاعب والمحن والشدائد والآلام.

إن تأليف كتاب ونشره أو الحديث من فوق المنبر قد يكون سهلاً إلى حد ما، فقد يحتاج الإنسان إلى شيء من المال أو الجراءة أو الإنشاء ليكتب مقالاً وينشره، أما إبلاغ الرسالة وإيصالها إلى قلوب الناس في الأماكن النائية مع وجود العقبات والحواجز والسدود - وأحياناً - الطغيان والعدوان ومقاومة المستكبرين والمترفين، كما هو الحال في رسالات الأنبياء، فهذا أمر صعب عسير لا يتأتى إلا لمن اصطفاهم الله لذلك.

لقد واجه الأنبياء عند تبليغ رسالاتهم، العدوان والتكفير والسخرية والإستهزاء والاتهامات، ثم تطور الأمر إلى التعذيب والمطاردة والقتل، لكنهم بقوا مصرين على مواصلة التبليغ، دون أن يتنازلوا أو يتراجعوا عن قضيتهم الرئيسية.

(١) المائدة: ٩٩.

(٢) الأحزاب: ٣٩.

والحوزة العلمية تحتاج في مهمتها إلى هذا المنهج والرؤية، مضافاً إلى العلم وهو عنوانها الرئيس .

التقوى وتزكية النفس

والأمر الآخر المهم في الحوزة العلمية هو التقوى ، والتزكية والتطهير كما يعبر عنها القرآن الكريم .

فالعلم يُراد للعمل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١) ، فالعالم لابد أن يكون ورعاً تقياً صائناً لنفسه مخالفاً لهواه ، ويتسم بحالة الخشية من الله في مجمل سلوكه وحركته . وهذا أساس مهم جداً من أسس الحوزة العلمية . فقد نتعلم شيئاً من الكلام نتحدث به ونعظ ونرشد ، لكننا في مقام السلوك والعمل نكون بعيدين عن هذه الموعظة ، فكلامنا في واد ، وعملنا في واد .

وليس هذا غريباً عن حالة المؤمنين . يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ^(٢) ، فالقرآن بهذا الخطاب يخاطب المؤمنين لا غير .

فالتقوى والتزكية والطهارة أساس مهم جداً من أسس الحوزة العلمية ، وبلا هذا فلا معنى للعلم ، كما هو الحال في علماء السوء الذين لديهم العلم والمعرفة والبيان ، لكن علمهم وإمكاناتهم في خدمة الشيطان والطاغوت والهوى ، وليس أضر على الاسلام من عالم السوء ، كما إن أنفع شيء للاسلام بعد الانبياء والأوصياء عالم الصلاح والتقوى .

فالقدسية الحقيقية تكون في جانب الورع والتقوى والتزكية والطهارة . لذا نجد أن المعلم الرئيس لعلمائنا الأبرار طوال التاريخ هو الورع والتزكية والطهارة . وهذا ما يميز مدرسة أهل البيت عليه السلام على المدارس الأخرى ، ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ^(٣) .

دواعي تطوير المناهج الحوزوية

أما الحديث عن المناهج وتطويرها ، فلا بد أن نأخذ بنظر الاعتبار كيف نخرج العالم ليكون ذا معرفة كاملة بالاسلام ، وأن يكون ورعاً تقياً ؟ وكيف نخرج العالم الذي يحمل هذه الرسالة بعلمه وورعه وتقواه يبلغها للناس ويتحمل المصاعب والمتاعب التي تعترض عملية التبليغ ؟

(١) فاطر : ٢٨ .

(٢) الصف : ٢ .

(٣) المطففين : ٢٦ .

إذن، فلا بد أن نأخذ هذه الأبعاد الثلاثة في مجمل قضية المناهج . ويحسن بالطلبة والمبلغين والمدرسين أن يرجعوا إلى حديث الامام الخميني (عليه السلام) الذي توجه به إلى الحوزة العلمية في أواخر حياته ، وكذلك حديث آية الله العظمى السيد الخامني (حفظه الله) الذي توجه به إلى الحوزة العلمية في سفره إلى قم ، واجتماعه بالأخوة الأعزاء .

لكنني أشير هنا إلى عدة قضايا للإجابة عن السؤال المطروح في خصوص المناهج .

١ - انفتاح الحوزة على العالم

القضية الأولى: انفتاح الحوزة العلمية على عالم اليوم . وذلك أن الانجاز العظيم الذي تفضل به الله سبحانه وتعالى على شيعة أهل البيت (عليهم السلام) والمسلمين جميعاً وهو وجود هذا الكيان الشريف المتمثل بالجمهورية الإسلامية ، والذي انبثق من الحوزة العلمية بقيادة عالم رباني هو الامام الخميني (عليه السلام) جعل العالم كله يفتتح على هذه الحوزة . وعندما نتحدث عن الأسس التي يجب أن تكون عليها المناهج في الحوزة العلمية يجب أن ننظر إلى هذا البعد في الحوزة .

لقد كانت الحوزة العلمية من قبل محاصرة إلى حد كبير من قبل أعدائنا ، أو منزوية من قبل أصدقائنا ، وكانت تعيش ظروفاً تختلف تماماً عن هذه الظروف ، وكانت توقعات الناس والعالم للحوزة تختلف عما تعيشه الحوزة في هذا العصر .

لذا فأننا نحتاج إلى مناهج تتمكن أن تستجيب لهذه التوقعات والظروف القائمة .

التحديات المعاصرة

القضية الثانية: التحديات المعاصرة . ذلك أن الحوزة العلمية لابد أن تستجيب في حركتها لمتطلبات المعركة القائمة التي يخوضها الاسلام مع الكفر . ومن الأبعاد المهمة في هذه المعركة البعد الثقافي ، والأمور ذات العلاقة بفهم النظرية الإسلامية ، وموقف الاسلام من القضايا والتحديات الكثيرة كقضية المرأة ، وقضايا الشباب ، والعلاقات الدولية ، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وبين الفقراء والأغنياء . فهذه ليست شعارات ومفاهيم مجردة ، إنما تحتاج إلى بيان وفهم بشكل دقيق ، والتحديات اليوم هي تحديات فكرية وثقافية وحضارية .

والحوزة العلمية هي المركز الذي يجب أن يقوم بمواجهة هذه التحديات ، فتحتاج إلى مناهج تلبي الحاجات وتملأ الفراغ وتتف أمام التحديات ، لتتمكن - بعون الله - أن تحقق الانتصار والحوزة العلمية هي المسؤول الأول عن كل هذه الأمور .

٢- تعدد الأوساط التي تتحرك فيها الحوزة

القضية الثالثة : التنوع والتعدد في الأوساط التي تتحرك فيها الحوزة العلمية . فقد كانت الحوزة العلمية سابقاً تتحرك في أوساط أتباع أهل البيت عليه السلام الذين ينتشرون ويتركزون في أماكن معينة من العالم كمنطقة الشرق الأوسط وشبه القارة الهندية ، وبأعداد قليلة في أفريقيا . أما اليوم فأصبحوا ينتشرون في كل أنحاء العالم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، سواء من خلال الأمم والأقوام التي ارتبطت بأهل البيت عليه السلام ، من خلال الحركة التي دخلت لهذه الأقوام أو من خلال هجرة أتباع أهل البيت عليه السلام إلى مختلف أنحاء العالم . وهذا التنوع والتعدد والتلون سواء في اللغة : والأوضاع الاجتماعية ، أو الفهم والعلاقات وغير ذلك من الخصائص .

فلا بد للحوزة أن تخطط في مناهجها وبرامجها لمواجهة هذا التنوع في أتباع أهل البيت عليه السلام . أما إذا أردنا أن نوسع الدائرة في خارج أتباع أهل البيت عليه السلام ، فانا نلاحظ أن الحوزة لم تعد مقتصرة على أتباع أهل البيت عليه السلام ، إنما أصبحت معينة يرجع إليه غيرهم . فحركة التقريب بين المذاهب ، والحركة الواسعة في موضوع الوحدة الإسلامية ، فتحت آفاقاً واسعة جداً أمام الحوزة العلمية ، حتى في أوساط غير أتباع أهل البيت عليه السلام ، حيث بدأوا الآن يدرسون مذهب أهل البيت عليه السلام بشكل واسع ، وهناك حركة في تقليد هذا المذهب ولو جزئياً . فهناك أشخاص يرتبطون من الناحية العقائدية بالمدرسة الأخرى ، لكنهم من الناحية الفقهية يرجعون إلى مذهب أهل البيت عليه السلام ولو بنحو جزئي .

وقد صدرت عدة فتاوى من أهل السنة من الأزهر الشريف تميز لأتباع المذاهب الأخرى الرجوع إلى مذهب أهل البيت عليه السلام في القضايا الفقهية .

فاذا أردنا أن نفتتح هذا الموضوع بهذا الشكل الواسع ، يصبح التعدد والتنوع والتلون أكبر وأوسع ، والحوزة العلمية في مناهجها ونشاطاتها وأعمالها لابد أن تأخذ بنظر الاعتبار هذا الموضوع .

٤- الثورة المعلوماتية والمعرفية

القضية الرابعة : التنوع في المعرفة . فقد كانت المعرفة سابقاً في حدود العلوم الإسلامية والشبهات المثارة حول الاسلام داخل المجتمع الاسلامي ، أو التيارات المذهبية والفكرية التي كانت

في ظل المجتمع الاسلامي . أما اليوم فقد تطورت المعرفة بشكل كبير جداً ، كما تطورت أساليبها ، وتنوعت بسبب انفتاح العالم بعضه على بعض في المعرفة .

وقد أصبح عالمنا اليوم أشبه بالقرية بسبب الاتصالات العالمية الحديثة كالراديو والتلفاز والكمبيوتر والانترنت ، فضلاً عن الكتب والمجلات والصحف . وهذا الأمر أدى إلى تداخل المعلومات بعضها مع البعض الآخر ، لأن المعلومات المرسلة عبر الأقمار الصناعية ، وتبث عبر الراديو والتلفاز والكمبيوتر ، لا بد أن تتأثر بها شئنا أم أبينا . وبالتالي فلا بد أن تلبي الحوزة العلمية في مناهجها هذا التنوع والتعدد في المعلومات .

لذا فان موضوع التخصص يعتبر من الموضوعات الرئيسة التي يجب أن تطرح في الحوزة العلمية . وهناك معلومات عامة يجب أن تكون مشتركة بين الطلبة ، وهي أساس لهم ، ثم بعد ذلك لا بد أن نفترض التخصص في مناهج الحوزة العلمية لكي تواجه هذا التنوع .

وهذه خطوط عامة تحتاج إلى تفصيل وحديث طويل .

أسأله تعالى أن يوفق إخوتنا الطلبة بالمعرفة وأن يوفقهم لمزيد من التقوى والتزكية .
والحمد لله رب العالمين .

مدرسة دار الحكمة قدوة لباقي المدارس^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج)، وسلامنا وصلاتنا على العقيلة الكبرى زينب بنت علي صلوات الله وسلامه عليها، وعلى جدها وأبيها وأهل بيتها الكرام، حيث إننا على أعتاب ذكرى ولادتها، وهو اليوم الخامس من جمادي الأولى، والسلام على إخواني وأعزائي العلماء الحاضرين، والطلبة الكرام المتعلمين ورحمة الله وبركاته.

المقدمة

قال الله في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٢).

في هذا اللقاء أشكر للسادة الافاضل والأخوة الأعزاء في إدارة هذه المدرسة، سواء المشرفين منهم أم المديرين، على اتاحتهم لي فرصة اللقاء بأعزائي واخواني الطلبة والاساتذة في هذه المدرسة المباركة، مدرسة (دار الحكمة)، وأسأل الله أن يجعله لقاءً نافعاً ومفيداً لي ولكم، وأن يكون مشمولاً برعاية وعناية سيدنا ومولانا صاحب الأمر (عج)، حيث إن هذه المسيرة وهذا العمل وهذه الحوزات العلمية إنما هي جزء من المشروع الكبير، الذي أسسه أهل البيت (عليهم السلام) ويرعاه في هذا العصر الامام الحجة (عج).

ونحن نتشرف أيضاً ونتبرك بالانتساب لهذه الحوزات العلمية، باعتبار أنها تمثل بعداً وامتداداً لوجوده الشريف، وانتم تعرفون أن العلماء والمراجع هم رواد الامام الحجة، هكذا

(١) كلمة سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الاربعاء ١٨/٩/١٩٩٦م المصادف ٤/٥/١٤١٧ هـ. ق،

٢٨ / ٦ / ١٣٧٥ هـ. ش، في مدرسة دار الحكمة للعلوم الاسلامية في مدينة قم.

(٢) فصلت: ٣٠ و ٣١.

ينتسبون له ، والطلبة والاساتذة هم خدام للامام الحجة (عج) ، ويعيشون على مائدته ، فالحقوق التي تُنفق في هذه الحوزات هي أموال الامام ، سواء كانت أمواله بعنوان المنصب - كما يذهب الى ذلك بعض العلماء - أم بعنوانه الشخصي المتصف بهذه الصفة ، كما يذهب الى ذلك أغلب العلماء . وعلى كل حال فنحن نعيش على أمواله ونحن مسؤولون عنها ، والانتساب الى الامام الحجة فيه شرف عظيم ، وفي الوقت نفسه فيه مسؤولية عظيمة نتحملها ، باعتبار هذا الانتساب وهذا الارتباط .

وأنا أشكر الأخوة الطلبة الأعزاء على اتاحتهم لي هذه الفرصة ، خصوصاً وأن هذه الفرصة هي فرصتهم ، وهذه الندوة ندوتهم ، وبالتالي فأنا أخذت الوقت المخصص لهم بالحديث ، فلا بد أن أشكر لهم ذلك .

الامام الحكيم ﷺ ومدرسة دار الحكمة

لقد خطر ببالي وأنا في طريق إليكم ، أن يكون الحديث عن مدرسة دار الحكمة ، وقد يكون من جميل الصدف والاتفاقات ، أو من توارد الخواطر أن حديث الأخ العزيز الشيخ رعد كان حول موضوع دار الحكمة .

ودار الحكمة - كما يعرف الاخوة الاعزاء - هي مدرسة أسسها الامام الحكيم في أواخر أيامه ، بعد أن قام بعمل واسع في بناء وتجديد المدارس الموجودة في النجف الأشرف ، والامام الحكيم ﷺ لم يكن يهتم أن تكون القضايا باسمه ، فقد قام ببناء المدارس الخربة في النجف الأشرف وتجديدها وتعميرها ، وكان البناء في بعضها بناءً كاملاً ، كما هو الحال في مدرسة اليزدي الصغرى ، مضافاً الى أنه قام بتجديد بناء مجموعة من المدارس من أجل استيعاب التطور الكبير الذي حصل في حوزة النجف الأشرف ، ثم في أواخر حياته بنى مدرسة ولم يسمها باسمه كما هو الحال في مكتبته العامة إنما أسماها دار الحكمة .

وقد حاولنا أن نعطي هذا الاسم ، باعتبار أن ظروف الهجرة فرضت علينا أن نقوم باحياء وتجديد المشاريع ، التي أسسها الصالحون من سلفنا ، لأن أوضاع النجف الأشرف - كما يعرف جميع الأخوة - هي أوضاع صعبة وشديدة ، خصوصاً في الفترة السابقة ، حتى كادت النجف تضمر وتتحوّل الى حوزة علمية محدودة ، كالحوزات العلمية المحدودة الموجودة في عالمنا الشيعي ، ولكن بعناية الله وبركته ، والتضحيات والصبر والجهد الذي قام به أبناء الشعب العراقي ، وفي مقدمتهم

العلماء الأعلام ، بدأت حوزة النجف الآن تستعيد نشاطها مرة أخرى ، وتحاول أن تصل إلى المستويات العالية التي كانت عليها قبل عقدين من الزمن .

هذه هي دار الحكمة ، وقد أسست بهذا المنظور ومن خلال اهتمامات بعض السادة الأفاضل والأخوة الأعزاء بهذه المدرسة بدأت تتحول إلى مدرسة متميزة ، نموذجية ، أي : أنها تمثل القدوة والأسوة التي يمكن أن تكون لبقية المدارس .

وهذا المشروع ليس مجرد مشروع تكراري لمشاريع أخرى قامت في الساحة ، فكما نعرفون إن هناك مجموعة من المدارس الشريفة القائمة في الحوزة العلمية العراقية ، وهذه المدارس تقوم بواجباتها ومسؤولياتها ، وتؤدي دورها في خدمة الطلاب ورعايتهم ، وتهيئة الظروف المناسبة لهم ، من مكان ، وإساتذة ، ورعاية علمية أخرى .

وقد طُرحت فكرة ، هي أن لا تكون هذه المدرسة مجرد زيادة في العدد ، فعندما تكون هناك خمس مدارس ، تكون هذه المدرسة السادسة ، وإنما لابد أن تكون أسوةً و قدوةً لهذه المدارس .

وهذا الموضوع قد يكون شعاراً وعنواناً وهدفاً وأملاً ، وهذا شيء جميل ولطيف ومحبد للنفس ، والإنسان يشعر فيه بالكثير من الفخر والاعتزاز ، مضافاً إلى مسألة الشعور بالرضا والقبول والاقتراب من الله ، وفي الوقت نفسه أعتقد أن هذا الموضوع من الموضوعات الصعبة ، التي تحتاج إلى الكثير من الجهد والعمل المتواصل ، من أجل أن نصل إلى هذا الهدف .

وهذا الجهد والعمل المتواصل فيه عدة أطراف ، كما فيه مجموعة من الأركان والمواصفات والخصوصيات ، التي لابد أن تتوفر حتى يتحقق الهدف والأمل .

والأطراف في هذا الهدف هي :

الطرف الأول : الإدارة بكل امتداداتها ، فنحن نحتاج إلى إدارة قوية ، وإشراف مناسب ، وتخطيط جيد وتهيئة ظروف مناسبة ، إلى غير ذلك مما يجب أن تتحمله الإدارة لتحقيق هذا الهدف .

الطرف الثاني : الاساتذة الذين يتحملون مسؤولية كبيرة ، ويمثلون طرفاً مهماً جداً في هذه العملية .

الطرف الثالث : الطلاب ، يعني : بمجرد أن تكون هناك إدارة جيدة ، ويكون هناك تخطيط جيد ، أو يكون هناك اساتذة جيّدون ، أو هناك جهد وعناء يبذله الاساتذة في سبيل هذا الهدف ،

فهذا لا يكفي في تحقيق هذا الهدف ، مالم يكن هناك الطرف الثالث وهم الطلاب ، بل قد يكون هذا الطرف أساساً في هذا الموضوع ، وهذه الاطراف الثلاثة هي المخاطبة في هذا النداء وهذه الدعوة لتحقيق هذا الأمل بهذا الهدف .

المواصفات العامة للقُدوة

وبعد الآخر في هذا الموضوع هو المواصفات العامة ، أو بتعبير آخر النظرية العامة لهذه القُدوة والأسوة ، ولهذا المثال الذي يراد له أن يكون نموذجاً ومثالاً يُقتدى به بالنسبة الى بقية المدارس ، فما هي المواصفات العامة التي لا بد أن نسعى لها وان نحققها من أجل أن يتحقق هذا الهدف وهذا الامل .

وأشير في هذا الحديث الى العالم العامة ، وبعض المواصفات العامة ، ولكني اعتقد أن هذا الموضوع يحتاج الى شيء من المتابعة والمواصلة ، خصوصاً في مثل هذه الندوة ، التي هي فرصة حقيقية من أجل الوصول الى أهداف من هذا القبيل ، لأن الأهداف الأخرى ، من قبيل الجوانب العملية في فرصها هي أوقات الدروس ، ثم الوصول الى مثل هذه الأهداف التي هي ليست أهدافاً داخلية ضمن المنهج الدراسي والتعليمي ، وهذه الندوة يمكن أن تحقق مثل هذه الأهداف التي أضعها أمام الاساتذة الذين يتحملون دوراً وهدفاً ومسؤولية كبيرة في هذه المدرسة ، وكذلك أضعها أمام الطلاب الأعزاء في هذه المدرسة الشريفة . وهذه الامور هي :

١ - الجانب المعرفي

الأمر الأول : وهي ترتبط بموضوع المضمون المعرفي العلمي ، فلا بد أن يتوفر في هذه المدرسة هذا المضمون العلمي المعرفي ، ولا بد أن يكون مضموناً متميزاً فيها .

وهذه المدرسة - كما تعرفون - تخضع للشروط والضوابط والقوانين والتخطيط العام في المركز الاسلامي العالمي ، الذي تخضع له المدارس غير الايرانية ، في الحوزة العلمية في قم ، ولكن هذا المركز في تخطيطه وضع جانباً مفتوحاً لكي يكون هناك تمييز وتطور في موضوع المدرسة - أي مدرسة كانت مرتبطة بهذا المركز - ولذلك أتصور أنه في هذا الجانب لا بد أن تكون هناك امتيازات معينة واضحة مشخصة في طبيعة المضمون العلمي والمعرفي ، سواء من حيث الكم أو الكيف ، بحيث تصبح هذه المدرسة تعبر عن مثال وقُدوة وأسوة ونموذج ، كما يصطلح عليه في الأدبيات الخطابية العامة .

وقد اتخذت المدرسة في هذا المضمون خطوة مهمة جداً، من خلال تخطيطها، وتمكنت أن تُضيف الى الجانب المعرفي والمضموني خمسين بالمائة من الوقت، لدراسة أفضل وأكثر بالنسبة الى بقية المدارس .

فالأوقات المخصصة لبقية المدارس عبارة عن أربع أو خمس ساعات يومياً، وأما هنا في هذه المدرسة فالوقت المخصص للدراسة هو ست ساعات، باضافة خمسين بالمائة من الناحية الكمية في وقت الدراسة بالنسبة الى هذا الموضوع .

وهذا الموضوع إذا أردنا أن نأخذه ببعد آخر، فهو يمثل محاولة لمعالجة نقص كبير في الحوزة العلمية، حيث إن الدراسات العلمية في حوزة قم، بالنسبة لهذا المستوى من الدراسة، وهي الدراسة الأولية التي تمثل الدراسة القاعدية، الاساس لحركة الحوزة، فالايام التي يتم فيها الدراسة حوالي ١٢٠ - ١٢٥ يوماً من أيام السنة تقريباً، تزيد وتنقص حسب الظروف التي تمر بها الحوزة، وهذا الرقم يمثل ثلث أيام السنة من أولها لآخرها، وهو رقم قليل بالنسبة للدراسات القاعدية .

نعم قد يكون الرقم جيداً للدراسات المتقدمة، باعتبار أن الدراسات المتقدمة لا تعتمد في تطويرها ونموها ورشدها على الأوقات والحصص المخصصة للدرس والتدريس، وإنما تعتمد على حركة الطالب خارج الحصص، من مطالعات ومتابعات، فأحياناً يصرف الطالب ساعات كثيرة جداً في متابعة مسألة واحدة يسمعهها من الاستاذ في مدة نصف ساعة، أو ثلاث أرباع ساعة .

وأما في الدراسات القاعدية والاساس، فأكثر المضمون العلمي يحصل عليه الطالب من خلال الوقت المخصص للدرس، ولذلك يكون هذا الوقت قليلاً، وزيادة الوقت بهذه الطريقة تجاوز للنقص، وليس تقدماً .

ولكن اذا أردنا أن نأخذ الموضوع كنسبة في وضع الحوزة والمدارس، فيمكن أن نسجل هذا الجانب الكمي كنقطة تمثل حالة نموذجية، وإن كنا نطمح الى أن يكون الوضع بشكل أفضل حتى من الناحية الكمية، من خلال تشجيع الحوزة بشكل عام، وهذه المدرسة بشكل خاص، لكن على المستوى المضموني الكيفي لا على المستوى المضموني الكمي، هنا لا بد أن نلاحظ بالنسبة للمضمون، وهناك عدة أمور رئيسية وأساسية .

الأمر الأول : أن يكون هناك تنوع في العلوم والموضوعات والمعرفة التي يحصل عليها الطالب في هذه المرحلة، بحيث يكون الطالب قادراً على أن يتعايش مع مجمل المعلومات العامة في

المجتمع ، فأنتم تعرفون أن مجتمعاتنا الانسانية في هذا العصر تطورت في معلوماتها العامة عن المجتمعات الانسانية في العصور السابقة ، باعتبار أن وسائل المعرفة والعلم ، والاعلام أصبحت وسائل عامة ، وتتضمن موضوعات كثيرة من الناحية المعرفية ، من خلال الراديو والتلفزيون والصحف والمجلات ، ومن خلال سعة دائرة الكتاب ونشره ، ووجود المؤسسات الثقافية كالمكتبات وغيرها ، فتوجد معرفة وثقافة عامة تطورت في المجتمع وتعددت في مضامينها ، تختلف بشكل كبير عن المعرفة العامة التي كانت في العصور السابقة ، لأنه لم يكن هناك تلفزيون أو راديو لتعطي للناس هذه المعرفة .

أما الآن فيوجد هذا التطور الكبير ، فيجب أن يكون الطالب قادراً على أن يواكب المعرفة العامة في المجتمع ، وبالتالي يصبح متميزاً في هذا المجتمع ضمن المعرفة العامة . وهذه القضية معقدة ، وفيها الكثير من الاشكالات والعقبات ، ولكن على كل حال هي من القضايا التي يجب أن تحظى باهتمام كبير جداً .

وفي موضوع المعرفة هناك أولويات ، وقد تكون هناك معرفة مقدمة على أخرى ، والتوفيق بين هذا التنوع في المعرفة ، وبين هذه الاولويات عملية معقدة ، ولذلك فلا بد أن نبذل اهتماماً كبيراً جداً في مجال التنوع والتعدد والحالة الأفقية في هذه المعلومات .

وفي هذه المرحلة باعتبار أنها مرحلة قاعدية نحتاج الى المعرفة التصورية - كما نسميها في علم المنطق - ، فنحن بحاجة الى أن نتصور هذه المعرفة ، وتقدم معرفة تصورية صحيحة من خلال وجهة التخطيط ، ونظرة الاساتذة ، ونظر الطلاب ، باعتبار أن الطلاب هم الآن مسؤولون عن التصور ، وليسوا مسؤولين عن التصديق ، وهذا أمر مهم في التخطيط .

ويمكن في هذا المجال الاستفادة من الأوقات التدريسية ، حيث تمكن الأخوة الأعزاء في هذه الادارة الشريفة أن يرفعوا خمسين بالمائة من هذه الأوقات .

كما يمكن الاستفادة من الأوقات الأخرى للطلاب التي هي خارج حدود التدريس ، من خلال التخطيط الجيد لهؤلاء الطلاب في هذه الندوة ، فالانسان يطلب منه أن يراجع ويقرأ ساعات لأجل أن يُلقي كلمة لعدة دقائق في هذه الندوة . والاستعداد لهذه الكلمة قد يستغرق عدة ساعات ، وبالتالي فنحن هياناً للطلاب فرصة أن يحصل على معلومات في عدة ساعات ، أو من خلال كتابة الرسائل في نهاية السنة لمرحلة من المراحل حسب المستويات المختلفة .

أو تكليف الطالب بمطالعات معينة وادخالها كعنصر رئيسي في تقييم الطالب ، أو غير ذلك مما يمكن أن يُخطط له بحيث يرفع هذا الطالب مجمل حركته العلمية والمعرفية الى 'مستوى' ، بحيث يكون قادراً على أن يتعايش مع هذا المجتمع في معلوماته العامة ، وقادراً على أن ينفع هذا المجتمع ، ويعطيه من تخصصاته .

وهذه قضية ليست سهلة ، وتحتاج الى تعاون حقيقي بين الادارة بكل تفاصيلها ، وبين الأساتذة الأفاضل الكرام ، وبين الطلاب المجددين والمجتهدين الصابرين والصامدين ، ومن خلال هذا التعاون يمكن تطبيق هذا التصور ، وتحقيق مثل هذا الهدف من خلال الجانب المعرفي .

الأمر الثاني : في هذا الجانب الذي أردت أن أشير إليه هو : أن المعرفة ليست مجرد المعرفة بالموضوعات والتصورات ، وإنما نحتاج الى معرفة في أمرين آخرين مهمين ، وهذان الأمران يحتاجان مضافاً الى المعرفة ، الى تطبيق وتنفيذ وممارسة ، وهذان الجانبان هما : جانب الحديث والبيان واللسان ، إذا صح التعبير ، والجانب الآخر هو جانب الكتابة والتدوين والقدرة على جمع الموضوعات وترتيبها وتدوينها .

وفي هذا العصر إذا أردنا أن يكون الانسان نموذجياً ، فلا يُكتفى منه بأن يكون مطلعاً على الموضوعات ، بل يراد منه أن يكون قادراً على تقديم هذه الموضوعات للناس من خلال هذين السبيلين الرئيسيين ، وهما طريق الكتابة وطريق الحديث ، فيكون قادراً على أن يتحدث حديثاً مؤثراً ومفيداً ونافعاً ، ومحسباً فيه الوقت وخصوصيات المستمعين والاضاع الحياتية والسياسية والاجتماعية ، التي يعيشها الناس ، وهذا ما يعبر عنه بالبلاغة .

وقد أصبح درس البلاغة مجمداً ، فهو أشبه بالأشياء التي توضع في (الثلاجة) ، أي : يراد منها أن تحفظ دون أن يكون لها تأثير في الحياة الواقعية ، وأصبح مجرد مفاهيم ومعلومات عند الانسان ، لكن من حيث تطبيقها قد لا يعرفها .

فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فأحياناً يقتضي الحال أن يختصر ، فتجد هذا الخطيب يُطيل ، ولا يراعي وقت الناس . وهذا خلاف البلاغة .

وعلى كل حال فهذا الانسان باعتبار أنه غير متعلم يرى نفسه غير متمكن ، فينساق في الحديث ، حتى يصير الحديث طويلاً ومملأً ومتعباً للناس .

وهكذا الشؤون الأخرى ، عندما يتحدث عن أوضاع معينة سياسية واجتماعية موضوعها

منفصل تماماً عن حياة هؤلاء الناس، وظروفهم ولا يرتبط بأوضاعهم، فالمجتمعات الريفية التي لا يوجد فيها السفور أو التبرج، يقف المتحدث ويطيل الحديث عن هذا الموضوع، مع أنه منفصل، وهناك موضوعات أخرى ذات علاقة بالأوضاع السلوكية والاجتماعية، المرتبطة بهؤلاء لا يتحدث عنها.

وهذه مسألة مهمة جداً في موضوع الحديث، وكيف يكون الحديث نافعاً ومؤثراً، ويدخل كعنصر أساس في موضوع العلم، وإن كان يحتاج الى شيء من التدريس، وتقويم اللسان في الحديث، سواء من ناحية الأخطاء النحوية أو اللغوية، أو ضبط النصوص التي يستشهد بها من الآيات الشريفة والاحاديث النبوية. وهذه قضية مهمة جداً، وأنا أتكلم بهذا الكلام من خلال معاناة، فنحن لم نتمكن أن نحصل على هذا المستوى من المعرفة والعلم، وعندما واجهنا الحقائق والوقائع والحاجة لهذا الأمر، شعرنا بالمعاناة الشديدة تجاه عدم القدرة على الاستفادة من هذه النصوص، وعدم وجود التقويم الصحيح لها.

إنني ألاحظ أن بعض الأخوة الذين يملكون معلومات ومواهب وقدرات جيدة يرتقون المنبر، ولكن عندما يقرأ آية كريمة لا يتمكن أن يضبطها، وأحياناً يقرأ تسع أو عشر آيات وهو غير ضابط لها، وإذا كانت القضية بهذه الدرجة فهذا غير صحيح.

أو أن يقرأ بيتاً من الشعر، فترى أنه يقرأه غير مضبوط وغير مقوم، الى غير ذلك من الخصوصيات التي لها تأثير كبير في الحالة النفسية والروحية التي يقدمها الانسان للآخرين.

وهكذا الأمر في الكتابة، فالكتابة الجيدة تخضع لمنهاج معين في العرض والأداء، وهذه من القضايا المهمة جداً التي ترتبط بالجانب المعرفي، وهذا ليس من الأمور الاختصاصية، فبعض الأخوة الأعزاء يفترض أن هذه الموضوعات ليست موضوعات قاعدية أساسية، يجب أن تدرس في هذه المراحل، وإنما من الموضوعات الاختصاصية التي يجب أن تدرس في مراحل متقدمة.

لا، ليس الأمر كذلك، فهذه من القضايا الاساسية التي يجب أن تُدرس في هذه المرحلة، وأن يكون البناء بناءً قوياً قادراً على أن يتكامل وينمو في المستقبل، بحيث يحصل الانسان على الأسس في هذه المرحلة، وتكميلها وتطويرها والوصول بها الى الدرجة العالية، يمكن أن يكون في المراحل المستقبلية.

هذا هو الجانب الذي يرتبط -إذا تحدثت عن النموذج والقُدوة- بالمضمون المعرفي والعلمي،

وفي تصوري أننا نحتاج الى الاهتمام بتطوير هذا الجانب .

الجانب الروحي والمعنوي

الأمر الثاني : ما يتعلق بالأسوة والقُدوة والمثال في هذه المدرسة ، وهو الجانب الروحي والمعنوي ، الذي نعبر عنه بـ (التقوى) ، أو يمكن أن نعبر عنه في مصطلحات الاخلاق بـ (جهاد النفس) .

فنحن نحتاج لهذه الأسوة والقُدوة ، والى تطوير كبير جداً في جانب التقوى بحيث يكون الانسان في داخل الانسان وازع نفسي وروحي ومعنوي ، يراقبه في كل حركاته وسكناته ، وفي كل كلماته وافعاله ونشاطاته ، بل يمكن أن يراقبه في تصوراتهِ وتخيالاتهِ ومسموعاتهِ ، فقد يسمع الانسان أشياء ليست محرمة ، ولكنه يراقب سمعه في هذه المسموعات ويحاسبه على ما يسمعه من الأشياء .

فقد يجلس في مكان ويأتي بعض الناس يمدحونه ، وقد يكون ليس أهلاً لهذا المدح ، فكيف يمكن أن يراقب سمعه في هذا المدح ؟ بحيث اذا لم يراقب هذا المدح مراقبة شديدة فقد يتحول هذا المدح تدريجياً الى حالة من الغرور ، والجهل المركب في فهم الانسان لنفسه ، وتكون له بعد ذلك تأثيرات كبيرة جداً على حياته وحركته .

ولكن عندما يراقب هذا السمع مراقبة دقيقة ، ويحاسب هذه الكلمات التي يسمعه منها الآخرين ، ويقيس نفسه لهذه الكلمات ومدى انطباقها على نفسه أو بعده عنها ، فبعده عنها يكون أحياناً بعداً شاسعاً ، وبالتالي يحاول أن يحاسب نفسه ، وهذه عملية مهمة جداً في التكامل الروحي والنفسي .

أيها الأخوة الأعزاء ، أيها السادة الأفاضل أنا واحد منكم ، ولا أعتبر نفسي في مثل هذه المحاضرة إلا كأحد الطلبة ، فأعظ نفسي قبل أن أعظ الآخرين ، ونحن نحتاج في هذا المسلك الذي اخترناه ، وفي هذا الانتساب للامام الحجة (عج) في هذه المسؤولية الكبيرة التي وضعناها على عاتقنا ، الى عمل كثير وكبير في هذا الجانب ، وهو محاسبة النفس وجهادها ، وجانب تقوية التقوى والورع .

كثير منا يتساح ، وبعض الناس تصير عنده حالة الاحساس بالأمن والطمأنينة ، فيقول : أنا طالب والحمد لله رب العالمين ، وأعيش في مدينة علم ، وهي مدينة قم ، وأنا قريب من العتبة

المقدسة للسيدة الشريفة فاطمة بنت الامام الكاظم عليه السلام ، وأنا متفقة وملتزم بالواجبات ، وغير ذلك ، فتصير عنده حالة الطمأنينة والشعور بالأمن من الوقوع في المحرمات ، أو التعرض للمغريات باعتبار وجود هذه الحصون والأسوار والموانع ، التي تحيط به ، فيتصور أنه في حالة أمن واستقرار ، فيتساهل ويطلق العنان لنفسه دون أن يحاسبها .

إن الله وضع قضية الامتحان والفتنة كقانون عام يبتلي به كل إنسان ، مهما تساهل ، ومهما كان في حصون محصنة ، وشأن هذا الامتحان والابتلاء شأن الموت ، الذي يلحق الانسان ويدركه حتى لو كان في حصون محصنة ، أو كان في بروج منيعة وعالية .^(١)

وقضية الامتحان والابتلاء هي قضية ملاحقة ، غاية الأمر أن الموت يأتي في آخر حياة الانسان ، أما الامتحان فهو مع الانسان في كل لحظة ومكان ، دون أن يتخلف ، وهذا هو مقتضى العدالة الالهية ، فالتناسيمتحنون ويبتلون ، وشأننا شأن بقية الناس ، غاية الأمر أن ابتلاءاتنا مداخل الشيطان ، لوجود مداخل الشيطان في نفوسنا .

وقد تختلف ابتلاءاتنا عن ابتلاءات الآخرين في أنواعها وأضافها ، ولكن مضمونها واهدافها شيء واحد ، وهذه قضية مهمة جداً بالنسبة الى العالم ، فالتطالب اذا أراد أن يكون هو المسؤول والقائد والرائد والهادي والدليل لهؤلاء الناس ، فهو يحتاج الى مستوى أعلى من ذلك ، وهذه قضية مهمة جداً في المدرسة ، ويمكن أن يؤخذ هذا الموضوع كقضية في التخطيط الكلي لهذه المدرسة ، من أجل أن يتبين هذا الأمر .

وهذا الأمر هو علاقة الانسان مع الله ، من قبيل التعاون على البر والتقوى ، فيجب أن يكون هناك تعاون بين الادارة والاساتذة والطلبة على هذا الأمر ، الذي هو أهم الأمور ، وهو تقوى الله .
السلوك والتقوى

الأمر الثالث : الذي أشير إليه في موضوع الكمال هو قضية السلوك ، والتقوى هي التي توجه هذا السلوك ، ولكن على كل حال لا بد أن نهتم بالممارسات السلوكية في عملنا ، سواء ذات العلاقة بالواجبات والمحرمات ، أم ذات العلاقة بالمستحبات والمكروهات والآداب ، بحيث يتحول هذا الانسان في مجمل سلوكه الى انسان يمثل القدوة والأسوة للآخرين .

وقضية التلبس بلباس أهل العلم تدخل - الى حد كبير - في القضية السلوكية ، فبعض

(١) قال تعالى : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ النساء : ٧٨ .

السادة الأفاضل من العلماء يشترط شروطاً من هذا القبيل في بعض المدارس، وأسلافنا الصالحون كانوا يهتمون بهذا الأمر بالنسبة للطلاب في بداية سلوكهم العلمي. وأنا تعممت بين الثانية عشر والثالثة عشر، وفي ذلك الوقت كنت في بداية الدروس، ولم أكن متقدماً في العمر، ولكن عليّ كل حال لبست العمامة، وهذه الحالة كانت عامة في كل الأسرة.

وفي بداية هذه الأسرة كان العلماء محدودين، فلم تكن من أول الأمر من الأسر العلمية، وإنما كانت لها أصول علمية، وفيها عدد محدود جداً من العلماء، وبعد ذلك تطورت وصارت أسرة علمية ببركة الامام صاحب الأمر، ومساعي الامام الحكيم عليه السلام وعندما أُشير الى هذا الموضوع فن أجل أن أقول: إننا عندما كنا نتعمم ونحن صغار، فهذا لا يعني أن كل أسرتنا كانوا معممين، وبالتالي فنحن نلتزم بهذه الحالة، وإنما هي قضية سلوكية، يؤخذ بنظر الاعتبار فيها كيفية تدريب الانسان وتعليمه على سلوك عالٍ ومهذب قادر على التأثير على الآخرين، ويكون هذا السلوك سلوكاً صالحاً.

فقد كان ممنوعاً علينا أن نضحك في الطريق، أو أن نأكل، فإذا رأنا أحد الصالحين من أهلنا وأحببتنا، أو من الذين لهم علاقة بنا - وهم كثيرون في النجف - نمشي ونأكل في السوق، فالقضية تكون من القضايا القبيحة في سلوكنا وفي حركتنا، فكانت هناك مسألة السلوك ومتابعة الآداب، فإذا كان الشعر طويلاً نحاسب حساباً شديداً، وكذلك الحذاء إذا كان له الشكل الفلاني.

وبعض الناس يرى أن هذه القيود التي تفرض على هذا الانسان تجعله في ظرف صعب. ولكن لا بد من ذلك، لأن الكثير من الامور التي نراها بسيطة وراءها فوائد كبيرة. منها أن يصبح الانسان مثلاً قادراً على التأثير في الآخرين.

أنا أعتقد أن رسول الله خاتم النبيين على ما وهبه الله من درجات وكمالات عالية، وعلى ما آتاه من علم وحكمة وفضل، وكان فوق ذلك القرآن الكريم والتسديد الالهي، مع ذلك فهذا النوع من السلوك الذي كان يتميز به رسول الله بين قريش كان له تأثير كبير وعظيم في هداية الناس، واقبالهم عليه وقبولهم للقرآن الكريم، لأن أولئك الناس لم يتأثروا بالمفاهيم والمطالب العلمية فقط، إنما كانوا يتأثرون بهذا النوع من السلوك العالي، وهذا الخلق والآداب، وبهذا النوع من التحمل والصبر وحسن المعاشرة والمداواة.

وقد ورد في بعض الروايات أن رسول الله قال: «أمرني ربي بمداواة الناس كما أمرني بأداء»

الفرائض»^(١)، فقضية المداراة لها هذه الأهمية، فلم يقل ﷺ: ما نزل عليّ إلا وأوصاني بالصلاة أو الصوم، وإن كان يوصيه، لكنه يقول: ما نزل عليّ مرة إلا وأوصاني بالمداراة. فكم عندنا من قدرة على أن نحقق هذا الأمر؟ فإذا جاء شخص وضغط علينا وتكلم كلاماً شديداً، فهل نتمكن أن نستوعبه ونداريه؟.

قضية البلاغ

الأمر الرابع: أن تكون المدرسة، والطلاب والأساتذة، الإدارة تمثل الهدف الحقيقي لهذه الحوزات العلمية، وهذا الخط الشريف، خط أهل البيت والانباء والمرسلين، وهو ما أعبر عنه بقضية البلاغ، فهذه الجماعة هي التي تتحمل مسؤولية إيلاغ الرسالات، وإيصال الهدى إلى الناس، وتحمل المصاعب والمشكلات والآلام من أجل تحقيق هذا الهدف. والآن أصبحت للبلاغ مفاهيم معقدة، مجالات وأبعاد كبيرة وواسعة ومعقدة، وهذا الشيء الذي نعبر عنه بالعمل الاجتماعي أو السياسي.

وهذا الموضوع في الحوزات العلمية له أصول وأركان وأسس، وأحد أصوله المهمة هو أن يعرف الطالب موقعه من هذه العملية، فهذا الطالب ابن هذه الحوزة، والحوزة مؤسسة من مؤسسات أهل البيت ﷺ، أريد لها أن تكون القاعدة والرائدة والموجهة والمشرقة على هذا العمل. وقضية أن يعرف الطالب موقعه مهمة جداً، وأما أن يكون منزوع السلاح يشعر بالتبعية والضياع وعدم وضوح الهدف، وبالتالي تتنازع هذه الفئة أو تلك، وقد تصبح القضية ذات مداليل ومضامين مختلفة، أو يتحول -نعوذ بالله- إلى وضع أسوأ من ذلك، إلى حالة من حالات الارتزاق، فيصبح يفكر كيف يعيش؟ وكيف يحسن أوضاعه الشخصية؟ وتصبح القضية قضية حرفة ومهنة وارتزاق. فهذا الشيء يختلف تماماً عن موقع هذا الطالب المجاهد والقائد والرائد. وهذا لا يعني أن يشعر الانسان بالغرور، فليس المقصود بالقائد أنه يقول: إذا قلت فلا بد أن يستمع كل الناس لي ويتبعوني، فهذه ليست قيادة وإنما رئاسة، وهي الرئاسة المذمومة في الحديث الشريف، بل القائد هو الذي يتحمل ويُعاني ويتألم، وعنده سعة صدر ومدارة للناس. فأمر المؤمنين ﷺ كان يتحدث عن موضوع الخلافة التي هي أهم منصب في النظرية

الاسلامية، ويقول: إنها لا تساوي عندي شسع نعل، أو عفتة عز مالم يحق الحق ويبطل الباطل^(١). هذا هو الركن الأول في عملية البلاغ.

الصبر والصمود في شخصية الطالب

الركن الثاني: في هذه العملية هو قضية الصبر والصمود في شخصية هذا الطالب، وهي قضية مهمة في هذا البلاغ، فلا يمكن أن يتحقق هذا الأمر مالم يتمتع الطالب بهذه الصفة. والصبر والصمود يجب أن ينسحب على كل حياته، فلا يصح أن يصبر في شيء ولا يصبر في شيء آخر، فلا بد أن يصمد في أكله وشربه ومسكنه وملبسه ومعاشرته للناس، وفي مواصلته لهدايتهم، الى غير ذلك مما يتعرض له الانسان من مصاعب وشدائد في هذه العملية. وعندما تقيس أوضاعنا مع أوضاع السابقين، الذين كانوا يؤلفون هذه المؤلفات، ويصلون الى هذه الدرجات العالية من العلم، في تلك الظروف، ظروف الحر التي كانت في النجف، ولا توجد في تلك الأيام مروحة أو مبردة، ولا يوجد فيها ثلج أو نور أو كهرباء أو وسائل أخرى، مع كل هذه الظروف الصعبة كانت بيوتهم صغيرة ومحدودة، وكانوا يعيشون على الدين، وعلى أقل القليل من الأكل.

أنا أذكر أن الامام الحكيم عليه السلام كان يقول: نحن أياماً كثيرة كان غداؤنا الرئيسي هو الخبز واللبن، وفي أول حياتنا أدركنا شيئاً من هذا القبيل، ومع كل هذه الظروف وصلوا الى هذه الدرجات العالية، لأنهم عندهم صبر وصمود وتحمل. وأما الآن فقد اختلفت أوضاع المعيشة وترقت، ولا يوجد عندنا هذا النوع من المعاناة، نعم قد توجد أنواع أخرى منها المعاناة.

الأمر الثالث المهم في التبليغ وأختم به الحديث لثلاث طوّل الحديث، ويكون خلاف البلاغة، هو مسألة الرؤية العامة للأوضاع الاجتماعية والحركة التاريخية، حركة المجتمع والأُمم والجماعات، فيجب أن يكون عند الانسان هذا النوع من الفهم الاجتماعي، وهذه الرؤية الاجتماعية. وهذه الرؤية تدرس - أحياناً - كحالة نظرية ولكن الجانب العملي مهم أيضاً، وهو أن يعيش الانسان مع المجتمع، فبعض الناس يعيش معزولاً عن المجتمعات، ويفترض أنه يتمكن أن يصل الى الدرجات العالية من خلال الانزواء، وهذا لا يمكن أن يتحقق.

ونجد أن أفضل الناس كانوا يعاشرون الناس ويدخلون معهم، ولا يعرفون حالة الانزواء،

(١) راجع نهج البلاغة: الخطبة: ٣، المعروفة بالشقشقية.

وحتى عيسى عليه السلام، الذي كانت هناك عنده دواعٍ للانزواء أكثر من أي انسان آخر، لأنه لا يوجد عنده أب ولا أوضاع خاصة، لكنه كان يتحرك في المجتمع ويدور بين الناس من أجل أن يحصل على هذه الحالات التكاملية.

فقضية التكامل لا يمكن أن تحصل إلا من خلال هذه الرؤية، وهذه الرؤية لا تحصل إلا من خلال فهم ودراسة ومعايشة وممارسة خارجية، ولذلك نجد الفقهاء الذين كانوا يعاشرون الناس، ويمارسون العمل الاجتماعي أكثر فهماً وفقاهة ومعرفة للنصوص من أولئك الذين كانوا بعيدين عن حالة المعايشة، وكانوا يمثلون حالة الانزواء والانطواء.

وهذه المسألة من المسائل المهمة، وأؤكد مرة ثانية على هذه النقطة، فهذه المسألة بالتخطيط تحتاج الى أولويات، ولا أقصد من ذلك أن يكون هذا الطالب شغله أن يدور على المجالس والفوائح والمناسبات، ويترك درسه باعتبار أنه يقول: أريد أن أقوم بالعملية الاجتماعية، وأريد أن أعاشر الناس وأكون معهم.

لا، فهذه المسألة تأخذ أولويات في حركة الانسان وتخطيطه، ولكن وجود الحالة الاجتماعية وقضية المعايشة هي قضية رئيسية يجب أن لا يغفلها الطالب في مجمل تخطيطه العام. نعم في المرحلة الأولى، وفي السنين الأولى، أول شيء هو طلب العلم والمعرفة، وكذا قضية التقوى والورع تأتي بالدرجة الأولى في حركة الطالب، وكلما تقدم تكون هناك عنده أولويات أخرى، وعنده فرص ومجالات أخرى.

أسأل الله بلطفه ورحمته وعنايته أن يرعاكم جميعاً بعينه التي لا تنام، وأن يوفقنا جميعاً لأن نكون القدوة والاسوة الصالحة في هذه الحركة، وأن تتحول هذه المدرسة ببركة هذه الجماعات الى سنة حسنة للآخرين، فيكون لنا أجرها إن شاء الله، وأجر من عمل بها واستفاد منها. وأن نكون في موضع الرضا من صاحب الأمر (عج)، فعندما يشعر الانسان أنه جندي يرضى عنه الامام الحجة فهذا فخر ما بعده فخر، وعز ما بعده عز، ونجاح ما بعده نجاح، وفلاح ما بعده فلاح.

أسأل الله لكم النجاح والفلاح والتوفيق والسداد، وأن يتقبل منكم، وأنا أشعر بالسعادة عندما التقي بالأخوة الأعزاء، وعندما أعيش معهم، وأرجو المعذرة من إطالة الحديث، وأسأل الله أن ينفعنا به وينفعكم به، والى أرواح الشهداء والماضين من سلفنا الصالح من علماء وشهداء ومراجع ومجاهدين ومؤمنين، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد.

الحوزات العلمية والحركة الثقافية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، والصلاة والسلام على سيدتنا ومولاتنا الصديقة الطاهرة الممتحنة الصابرة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج) ، والسلام على شهداء الاسلام منذ الصدر الأول للاسلام وحتى هذا العصر ، والسلام على سادتي العلماء الأعلام وإخواني وأعزائي المؤمنين والطلبة الكرام ورحمة الله وبركاته .

في رحاب ولادة الزهراء عليها السلام

في البداية أتقدم بالتهنئة والتبريك لكل السادة الأفاضل والأخوة الأعزاء بهذه المناسبة الشريفة ، ميلاد سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام ، حيث نعيش هذه الليالي على أعتاب ذكرى هذه الولادة المباركة ، وكان بودي أن أكرس الحديث وأوظفه في هذه الولادة ، وفي دورها في تاريخ البشرية بشكل عام ، وتاريخ الاسلام بشكل خاص ، حيث إن هذه الولادة ليست كالولادات الأخر التي نعرفها في الأعظم من رجال ونساء البشرية ، بل كان لها دور خاص ومتميز في تاريخ الانسانية ، باعتبار أن أطروحة أهل البيت عليهم السلام تمثل أطروحة إلهية للرسالة الخاتمة ، وهي الأطروحة التي تنتهي بإقامة حكومة العدل الالهي المطلق ، الذي يعم البشرية كلها ، وبالتالي فولادة الزهراء عليها السلام تمثل ولادة هذه الأطروحة بحركتها ووجودها وقدرتها على البقاء والاستمرار .

الحوزة قاعدة الإسلام

وهذه المناسبة الشريفة التي ترتبط بالزهراء عليها السلام في بعض آفاقها ، ترتبط بآفاق أخرى من

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الاربعاء ٣٠ / ١٠ / ١٩٩٦م ، المصادف ١٧ / ٦ / ١٤١٧ هـ . ق . ٩ / ٨ / ١٣٧٥ هـ . ق . في مدرسة الامام الكاظم عليه السلام في مدينة قم المقدسة تحدث فيه عن الحالة الثقافية في الحوزات العلمية .

حياتنا ومسيرتنا ، آفاق جهادية وروحية ومعنوية وثقافية وعقائدية ، وهي آفاق هذا المنهج والمسلک والمدرسة التي وضع أسسها أهل البيت عليهم السلام ، وهي الحوزة العلمية ، حيث نعيش في هذا الاجتماع أحد معالم حركة هذه الحوزة العلمية ، وهو هؤلاء الطلبة الأفاضل المجاهدون ، الذين سمعتم بعض الحديث عن جهادهم وتضحياتهم ومحنهم وآلامهم وصبرهم .

ثم بعد ذلك هذه الإرادة والعزم والتصميم المنبثق من الايمان بالله سبحانه وتعالى ، والمعتمد عليه ، والمرتبط بالاخلاص له ، الذي جعل هؤلاء الأخوة بدل أن يصابوا - كما أصيب الكثير من الناس - بحالة الانكفاء والانزعال والشعور بالاحباط ، نتيجة للمصائب والمحن والآلام ، وهذا ما كان يريده الأعداء لنا عندما يعرضوننا لهذه المحن والآلام والمصاعب ، يريدون أن ننكفئ وننعزل وننزوي ونخرج من ساحة الجهاد والعمل ، وبعض الناس عن غفلة لهدف الأعداء يُصاب بهذه الأمراض والحالات النفسية ، وجدنا هؤلاء الأخوة - والحمد لله - يتحاملون - كما هو شأن المجاهدين الصابرين الصامدين - على جراحاتهم والآلام ومعاناتهم ، يواصلون هذا الطريق ، طريق الجهاد في سبيل الله .

ونجدهم لا يكتفون بمواصلة هذا الطريق بشكله العادي ، بل يستمدون من محنتهم وآلامهم وصبرهم وصمودهم وإرادتهم القوة والعزيمة في أن يتقدموا خطوات في هذا الطريق . وسمعتم الأخ مدير مدرسة الامام الكاظم عليه السلام حين تحدث عن المنهاج العلمي والدراسي في هذه المدرسة ، حيث تمكن أن يطور وضع الدرس أكثر من مائة بالمائة في مجمل الحركة العلمية والدراسية المتعارف عليها في الحوزة العلمية .

ونحن نعتز ونتشرف بالانتساب والانتماء الى هذه الحوزة ، ونعتبرها القاعدة الحقيقية والقوية الصامدة في حركة الاسلام الأصيل ، وفي حركة أهل البيت عليهم السلام .

ومع ذلك فان هذه الحوزة التي هذا منهاجها الدراسي - ونحن لا نريد أن نستئين بهذا المنهاج - من الممكن للأخوة فيها أن يخطو خطوة كبيرة وواسعة لتطوير الأوضاع الدراسية .
تزكية النفس

والشيء الذي يبعث المزيد من الفخر والاعتزاز والشعور بالأمل وبالارتباط بالله سبحانه وتعالى ، هو هذه الالتفاتة الجميلة والمهمة والصحيحة ، التي تمثل قاعدة في حركة الحوزة العلمية ، وهي الالتفاتة الى موضوع النفس والتقوى والالتزام بالوظائف والواجبات الشرعية بشكل

دقيق ، بحيث يربي الانسان نفسه على هذا الجانب .

فليست المسألة فقط هي العلمية والدراسية ، بل المسألة الأهم والتي تشكل القاعدة والجذر القادر على البقاء والصمود ، هي الجانب النفسي والروحي والمعنوي والالتزام بخط التقوى وجهاد النفس ، كما عبر عن ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح المروي عنه ﷺ (١) . وهذا الأمر يفتح أمامنا آفاق الحديث ، ولا يمكن أن أتناولها كلها في هذا الوقت القصير ، حتى على مستوى الاختصار أو الاثارة ، خصوصاً في محضر العلماء الأعلام والأفاضل ، وإنما أشير في هذا الاجتماع الى واحد من هذه الآفاق ، وهو موضوع الثقافة الذي يشكل القاعدة الرئيسية في حركتنا ، حركة الحياة الانسانية والبشرية ، بعد الايمان بالله سبحانه وتعالى .

دور الايمان بالله في بناء الشخصية

واذا أردنا أن نأخذ التسلسل في البناء القوي والمحكم نجد أن الأساس الأول في هذا البناء المحكم هو قضية الايمان بالله سبحانه وتعالى ، ويتفرع عليه الايمان بالوحي والرسالات واليوم الآخر والولاية والامامة ، الى غير ذلك مما يرتبط بموضوع الايمان بالله سبحانه وتعالى ، والذي نعبر عنه - عادةً - بالعقيدة والجانب العقائدي في حركة الانسان .

وبعد هذا الأصل تأتي قضية الثقافة ، وهي قضية رئيسة وأساسية في بناء الانسان وحركته ، سواء كانت هذه الحركة فردية أم إجتماعية . أي حركة الانسان في تكامله الانساني وفي بنائه الذاتي المحكم كفرد ، أو حركته كمجتمع وجماعة تريد أن تتحرك في طريق التكامل ، وتصبح أمة من تلك الأمم التي تدخل الجنة ، وتصل الى الأهداف العالية التي وضعها الله تعالى أمامها .

العدوان البعثي على الجانب الثقافي في العراق

والقضية الثقافية لها هذه المهمة في المعركة التي نخوضها الآن في العراق ، وقد أصبحت من القضايا المهمة في عراقنا الجريح ، الذي يواجه فراغاً كبيراً جداً في الجانب الثقافي ، باعتبار العدوان الواسع الذي قام به النظام الحاكم في بغداد على هذا الجانب ، حيث حاول أن يقضي على كل الأنشطة الثقافية التي يعرفها الانسان العراقي ، وقد وجدنا أن النظام قام بما يلي :

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام « أن النبي ﷺ بعث بسرية ، فلما رجعوا قال : مرحباً بكم قضا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر ، قيل : يا رسول الله ، وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس » الكافي ٥ :

أولاً: العدوان على الحوزة العلمية ، باعتبارها تشكل القاعدة الثقافية الرئيسة .

ثانياً : قام بالعدوان على المنابر الحسينية ، باعتبارها الأداة والوسيلة الواسعة لنشر الثقافة .

ثالثاً : قام بإغلاق كل المؤسسات الثقافية الموجودة في العراق ، كالمدارس والمكتبات والمدارس ، حيث أخلقت أو أفرغت من مضمونها وقدرتها على ممارسة دورها الثقافي .

الى غير ذلك من الأعمال التي قام بها النظام من أجل ضرب الوضع والمضمون الثقافي ، وبهذا حصل فراغ ثقافي كبير جداً في العراق ، وهذا الأمر يلقي مسؤوليات كبيرة على عاتق المتصددين لمواجهة الطغيان في العراق .

الحوزة العلمية بعد مجيء النظام البعثي

واذا أردنا أن نلقي نظرة بسيطة على ما حدث في العراق من فراغ ثقافي ، فيمكن أن نأخذ الحوزة العلمية في النجف الأشرف كمثال وشاهد على هذا العدوان على الحالة الثقافية في العراق . فعندما جاء نظام العقائقة المجرمين الى الحكم كان عدد طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف حوالي سبعة آلاف شخص ، من العلماء والطلاب هذا من حيث الكم ، وأما من حيث الكيف فكان يمكن أن يصل الى أضعاف مضاعفة لهذا الكم ، بحيث كان عدد المجتهدين والمدرسين والمتقنين والخطباء والمبلغين والكتاب والباحثين كبيراً جداً .

وأحد المعالم التي يمكن أن يعبر عنها هذا الجانب الكيفي ، هو أنه بعد الهجرة التي حصلت في النجف ، بسبب الظلم والعدوان ، نجد أن أكثر المدرسين الكبار المعروفين الآن في حوزة قم ينتسبون الى هذا البعد الثقافي ، الذي كان موجوداً في حوزة النجف الأشرف .

إذن ، فهذه الحوزة من حيث الكيف كانت لها أهمية كبيرة جداً ، وهي الحوزة الأولى من حيث الجانب الكيفي .

وعندما توفي الامام الخوئي رحمته الله ، الذي هو زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، وقد صمد في النجف الأشرف من أجل أن يحافظ على الحوزة ، وعلى الوضع الثقافي ، عندما توفي كان عدد العلماء والطلاب بين ستمائة وسبعمئة شخص ، ومن هذا يمكن أن يفهم الحالة التراجعية التي حصلت بسبب الظلم والعدوان ، في وقت كان من المفروض ، في هذه الفترة التي هي حوالي أربع وعشرين سنة منذ مجيء البعثيين الى حين وفاة الامام الخوئي رحمته الله ، كان من المفروض أن تتقدم الحوزة أضعافاً ومضاعفة ، وتصل الى درجة عالية من التقدم .

وكنا نتوقع أن الحوزة لو كانت سائرة بنفس المنهاج الذي سارت فيه أيام مرجعية الامام الحكيم عليه السلام، قبل مجيء البعثين المجرمين، لكان من الممكن أن يصل عددها الى أربعين ألف دارس ومدرس، وكان من الممكن أن يتطور الجانب الكيفي في هذا المستوى وبهذا الشكل.

لاحظوا هذه الخسارة الكبيرة التي لحقت بالعراق وبالحوزة العلمية، وهذا مثال واحد، وهناك أمثلة على الأُسعدة الأخرى، ويمكن أن نلاحظ نفس هذه الخسارات والتراجعات في الوضع الثقافي في العراق، فهذا الوضع يحتاج الى عمل جاد وواسع من قبل الحوزة العلمية، وأحد هذه المبادرات تأسيس هذه المدارس، واتخاذ الخطوات لتطوير الوضع الكيفي والكمي للعلماء العراقيين وللحوزة العلمية.

وهذا واجب من الواجبات الشرعية والأخلاقية والانسانية والثقافية، وأي بعد من هذه الأبعاد ننظر له نرى أنه واجب من الواجبات المهمة والكبيرة، لا من المستحبات.

الحوزة العراقية في بلاد المهجرة

ونحمد الله سبحانه وتعالى ونشكره على ما تفضل به علينا في بلاد المهجرة، والشكر له أولاً، ولهذه الثورة والجمهورية، ولهذه الرعاية الموجودة في هذا البلد الكريم للحوزة العلمية العراقية، وللحوزات بشكل عام، بحيث تمكنت الحوزة العلمية العراقية أن تكون الثانية من حيث الكم والكيف في الحوزة الأم.

والحوزة الأولى والعظمى في عالمنا الاسلامي اليوم هي حوزة قم المقدسة، والحوزة العراقية هي الثانية، وأنا أقول هذا عن دقة، وعندني مطالعات ومراجعات، وهذا ما يعترف به بعض السادة الأفاضل العلماء في حوزة قم.

فبالأمس كان المسؤول عن شؤون الحوزات غير الايرانية في المركز العالمي الاسلامي يقول: الحمد لله رب العالمين إن الحوزة العراقية الآن هي الأولى بين الحوزات غير الايرانية من حيث كمها وكيفها، ولعل الجانب الكيفي يغلب على الجانب الكمي، خصوصاً اذا أخذنا بنظر الاعتبار المهاجرين من حوزة قم، الذين نعتبرهم نحن في حركتهم من العراقيين.

وهذا شيء نحمد الله ونشكره عليه، ولكن نحتاج الى أن نبذل جهوداً كبيرة في هذا المجال. وهنا أقول كلمة وانتقل الى أصل الموضوع الذي أريد أن أشير اليه في حديثي، أحاطب بها الطلبة والأساتذة؛ سادتنا وموالينا - جزاهم الله خير الجزاء على ما يبذلون من جهود كبيرة -

طلبنا أعزاءنا وأبناءنا وإخواننا الذين يدرسون ، أن يأخذوا بنظر الاعتبار الحالة الاستثنائية التي يعيشها العراق ، وتعيشها القضية العراقية ، لأن العراق ^(١) بلد الأئمة عليهم السلام ، بلد الامام علي عليه السلام والامام الحسين عليه السلام ، وستة من أئمة أهل البيت دُفِنوا في العراق ، فهناك خصوصية للعراق ، ومدرسة العراق والكوفة والنجف ، وهناك حالة استثنائية يواجهها العراق ، وهي تحتاج منا الى جهد استثنائي ، وهذا الشيء الذي كان الحديث عنه في مدرسة (الامام الكاظم) .

والمفروض أن ينعكس هذا الجهد الاستثنائي على كل المدارس العراقية بشكل من الأشكال ، ولذا نحن في مدرسة (دار الحكمة) أخذنا بنظر الاعتبار هذه الحالة الاستثنائية ، وحاولنا أن نصعد الحالة الدراسية في مدرسة دار الحكمة الى مستوى خمسين بالمئة ، أكثر من الدراسة العادية في الحوزة العلمية بشكل عام .

فبدل الدروس الأربعة التي تدرس في المدارس ، تدرس ستة دروس يومياً في مدرسة (دار الحكمة) ، وذلك من أجل تطوير الوضع الدراسي ، وهذه الحالة من المفروض أن تكون قائمة حتى في الدراسة الحرة ، فالطالب الذي يدرس دراسة حرّة ، ويعتمد في دراسته على تخطيط لا مركزي ، وحركة لا مركزية في عمله ، المفروض به أن يخطط ويأخذ بنظر الاعتبار هذه الحالة الاستثنائية في وضع العراق ، بحيث يبذل جهوداً استثنائية من أجل أن يملأ هذا الفراغ العقائدي .

وإن شاء الله أنتم من المجاهدين المقاومين للطغيان والعدوان الذي مارسه نظام صدام ضد الحوزة العلمية ، فنظام صدام قام بعدوان واسع ضد الحوزة ، وأحد أساليب مواجهة هذا العدوان - بشكل واقعي وعملي وبعيداً عن الشعارات - هو أن نكون في حالة استثنائية في الجانب الثقافي .

الجانب الثقافي في الحوزة

والجانب الثقافي - كما أشرت - فيه أبعاد ترتبط بالعلم والدرس ، وأبعاد ترتبط بالجانب الروحي والمعنوي ، وتطوير هذا الجانب ، وهنا وودت - ونحن نعيش ذكرى الزهراء عليها السلام - أن أشير الى معلم من معالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الجانب الثقافي ، ونحن نحتاج دائماً أن نبني هذا المعلم في هذا الجانب الثقافي ، وخصوصاً عندما تكون عندنا حالة استثنائية ، وإلا فالحالة الاستثنائية قد

(١) وهم : الامام علي عليه السلام في النجف الأشرف ، والامام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة ، والامام موسى بن جعفر الكاظم ، والامام محمد بن علي الجواد عليهم السلام في الكاظمية ، والامام علي بن محمد الهادي عليهم السلام ، والامام الحسن بن علي العسكري عليهم السلام في سامراء .

تؤدي بنا الى الضياع والوقوع في منزلقات وانحرافات وفوضى، نتيجة للازدياد الكمي والتوجه الى الحالة السطحية والكيفية، يعني الأفقية والكيفية في حركة الحوزة العلمية، بحيث تنتهي الى شيء من الفوضى، كما يحصل أحياناً في التكاثر السرطاني.

وهذه الأمثلة من أجل التوضيح - ولا أقصد التمثيل الدقيق بها - فالتكاثر السرطاني يحدث في نفس الخلايا، التي تنمو في الانسان بشكل عادي، لكنه نمو غير طبيعي، وأكثر من الحالة الطبيعية، وهذا النمو هو نمو وتكاثر، ولكن عندما يكون غير طبيعي فإنه يؤدي الى هلاك الانسان وسقوطه.

الاحطار التي تواجه الحركة الثقافية

وهذه المسألة من المسائل المهمة جداً في مدرسة أهل البيت عليه السلام في الحركة الثقافية، فصدر الأول للاسلام وحتى يومنا الحاضر كانت الحركة الثقافية تواجه أخطاراً، ولا بد أن ننتبه الى هذه الأخطار في الحركة الثقافية، وهي:

١ - خطر الجمود على النص

الخطر الأول: الجمود على النصوص، دون اعطاء فرصة لفكر الانسان وعقله في أن يتحرك في هذه النصوص، ويصل الى الحقيقة من خلالها.

والقرآن الكريم أول من نبه الى هذه الحقيقة، عندما أشار الى وجود نوعين من الآيات: ﴿ وفيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾^(١)، فهذه المتشابهات آيات تحتاج الى دقة ونظر وتدبر وتفكير، من أجل أن يصل الانسان الى الحقيقة من خلالها.

واذا أراد الانسان أن يجمد على شكل الآيات فسوف يقع في انحراف كبير، كما وقع في ذلك بعض المسلمين عندما فسروا آيات القرآن الكريم بطريقة جامدة كقوله تعالى: ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾^(٢)، فافترض أن الله سبحانه وتعالى يد، وهذا له معنى عرفي.

فان قيل: إذا كانت لله يد، فكيف شكلها؟ يقال: لا ندري، ولكن الله عنده يد، وعنده جسم وفيها يد!!!.

(١) آل عمران: ٧.

(٢) الفتح: ١٠.

وكذلك قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرشى استوى﴾^(١)، وهذا معنى عرفي - كما نعرفه - فيقال: هو جالس على العرش، وهل هذا العرش كبير أم صغير، أم كيف شكله؟ يُقال: لا ندخل في تفاصيل ذلك، ولكن نفترض أنه جالس على العرش.

وهذه الحالة من الجُمود على النصوص جعلت الانسان المسلم المثقف - وهو يعتمد على آيات - يصل الى مضامين منحرفة موجودة في المدارس الأخرى. أما مدرسة أهل البيت عليهم السلام فمن خصائصها أنها كانت تؤمن بالنص وتلتزم به، وتعمل به من أجل أن تأخذ الاسلام والدين من القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولكن تتدبر وتتأمل وتفكر وتدقق في هذا النص، وتقارن بين هذه النصوص حتى تصل الى الحقيقة.

٢- خطر التفسير بالرأي

الخطر الثاني: وهناك خطر آخر يمثل الجهة المقابلة لهذا الخطر، وهو خطر الافتاء أو تفسير القرآن الكريم، والوصول الى العقيدة والثقافة والحكم الشرعي على أساس الرأي والذوق والهوى والاستحسانات والميول، فالانسان عنده أحياناً إستحسانات وميول، ولا أقصد بالميل، الميول والرغبات الشهوية، إنما أعني الميول الناشئة من توجهات الانسان، فعندما يتحرك تحدث عنه بعض الميول والرغبات، ويستحسن هذا الشيء ويستقبح ذاك، ويراه بعيداً عن ذوقه، فيصح هذا الأمر كأنه هو الحاكم في فهم الاسلام واستنباط الثقافة الاسلامية، وهذا ما يعبر عنه في بعض الروايات: «من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض»^(٢)، أو «من فسر القرآن برأيه فقد كفر»^(٣). وهذا ما يسمى بمدرسة الرأي في المدارس الثقافية، سواء على مستوى العقيدة والثقافة أم على مستوى استنباط الحكم الشرعي.

ومدرسة أهل البيت مرتبطة بأهل البيت عليهم السلام، (وأهل البيت أدري بما فيه)، وبياب العلم وهو علي عليه السلام، وبعد ذلك مرتبطة بمدينة العلم وهو رسول الله ﷺ، وهذا هو الذي جعل هذه المدرسة في مأمن من الوقوع بهذا الخطر.

وهذه المدرسة تعتمد على النص، لكن لا تجمد عليه، وإنما تذهب وتفتش عن الدليل، وأما

(١) طه: ٥.

(٢) بحار الأنوار ٢: ١٢٢.

(٣) بحار الانوار ٣٠: ٥١٢.

ذوق الانسان ورأيه ورغبته واستحسانه وهذا أتفاعل معه وهذا لا أتفاعل ، فهذه مسائل ليست هي الأساس والقاعدة في حركة الانسان وثقافته وفهمه ، وإنما قيدنا الله سبحانه وتعالى بمنهج معين ، فلا بد أن نأخذ هذا المنهج .

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في هذه الآية الشريفة التي رسمت هذا الخط : ﴿ منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ ^(١) ، وبهذا الاعتبار فإن أم الكتاب في الآيات التي تكون مرجعاً ، والأم في معناها اللغوي هي : الأصل ، وتكون مرجعاً للآيات القرآنية في مقام تفسير القرآن بعضه ببعض الآخر .

والاستنباط صاحب حالات شاذة في اتجاهات محاولة تفسير الاسلام بالذوق والرأي ، فنحن نحتاج الى أن يكون استنباطنا استنباطاً مؤخوذاً من السنة النبوية الشريفة وأهل البيت عليهم السلام ، مثل استنباط صاحب الجواهر والشيخ الانصاري ، وهو الاستنباط الذي يعتمد على القواعد والأصول والأسس والنصوص ، لكي نصل الى الحقيقة .

٣- خطر النصب والغلو

الخطر الثالث : هو خطر التعصب للرأي ، بدرجة يؤدي الى أن يلتزم الانسان بهذا الرأي ، ويتحرك فيه الى حد يخرج فيه عن الدين والاسلام ، كما هو الحال بالنسبة للنواصب ، فقضية حب أهل البيت عليهم السلام واحترامهم قضية دينية إسلامية ، لا يمكن أن يشك فيها مسلم ؛ لأنها من القضايا التي تحدث عنها القرآن الكريم بشكل واضح : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ ^(٢) ، وكذلك ماورد في قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ ^(٣) .

ولا يوجد هناك من يشك في أن هذه الآية تشمل علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، حتى من يقول : إنها تشمل زوجات النبي أيضاً ، فهو يرى شمولها لهؤلاء الخمسة ومنهم الرسول ﷺ .

لكن مع ذلك ، فبعض الناس - نتيجة لحالة التعصب في الرأي - وصل الى حد بحيث صار

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) الوشري : ٢٣ .

(٣) الاحزاب : ٣٣ .

ناصبياً ينصب العداء لأهل البيت ، ويغضهم ويبيح لنفسه أن يقاتلهم ويقتلهم تحت شعار الاسلام ، ومنهم من قال هذا الكلام للإمام الحسين عليه السلام عندما قُتل ، فبعض الأشخاص كان يقول : « هذا قُتل بسيف جده »^(١) ، والحسين أحد الخمسة الذين يقول فيهم القرآن : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٢) ، ويوجد في شخصيته هذا القدر من الوضوح ، وهو مصداق من مصاديق هذه الآية الكريمة ، ومع ذلك فهذا المتعصب يسمح لنفسه أن يقول هذا الكلام في الحسين عليه السلام .

ولذلك ورد في بعض الروايات المروية عن أهل البيت عليه السلام : « إن الناصبي أنجس من الكلب »^(٣) ، لأن هذه حالة من الانحراف تؤدي الى الكفر ، ونجاسة الكافر أشد من نجاسة الكلب . وهذا التعصب قد يكون له مدلول آخر ، كما هو الحال في الغلو الذي يمثل حالة من حالات التعصب ، ويتحرك فيه الانسان الى حد يصل فيه الى درجة الغلو ، الذي يقول فيه أمير المؤمنين عليه السلام : « هلك في رجلان محب غالٍ ومبغض قالٍ »^(٤) . فالامام أمير المؤمنين عليه السلام قارن بين المغالي والناصري ، وكلاهما وضعهما في مستوى واحد وحاداً واحد .

والامام علي عليه السلام هو امام المتقين وسيد الوصيين ، وله هذه المرتبة العالية ، وهو أعرف الناس بنفسه وبالله وبرسوله ، ومع ذلك يتحدث عن المغالي بهذا الحديث .

والغلو أدى الى مشكلات كبيرة في صدر الاسلام ، في زمن الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، وبعد ذلك في زمن الأئمة عليهم السلام ، وهناك الكثير من الفرق الشيعية غالت وانحرفت ، وكان الضرر المترتب على هذا الغلو ليس على الجماعة المنحرفة فقط ، بل انعكس على كل شيعة أهل البيت واتباعهم . وهذا يفسر لنا ما ورد عن الأئمة عليهم السلام من ذم الغلاة ، والحديث عنهم بشدة وقسوة ؛ لأنهم كانوا يرون أن الأضرار المترتبة على هذا الغلو تلحق الغالين وتلحق من ينتسب لهم ، وأحياناً يحصل الخلط وعدم التمييز بين شيعة أهل البيت الحقيقيين والأصليين المرتبطين بأئمة أهل البيت عليهم السلام ، وبين هؤلاء المغالين .

(١) خلاصة عبقات الانوار ٤ : ٢٣٩ ، مع اختلاف يسير .

(٢) الاحزاب : ٣٣ .

(٣) بحار الأنوار ٧٣ : ٧٢ ، علل الشرائع ١ : ٢٩٢ / ١ .

(٤) نهج البلاغة : ٤٨٩ .

مدرسة أهل البيت تواجه التعصب

وهنا تأتي مدرسة أهل البيت عليه السلام التي تقوم على الأصول، وعلى فكرة الرجوع الى العالم في القضايا الدينية والاسلامية: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾^(١)، وهذه قضية من القضايا التي وضعها أهل البيت كأساس، واهتموا بها وأكدوا عليها، وهي مسألة الرجوع الى العالم والقول بالعلم، من أجل أن لا ينتهي هذا الانسان الى التعصب؛ لأن التعصب هو الرجوع الى النفس، فالانسان يتعصب الى رأي، فيصبح جزءاً من وجوده فيدافع عنه، وكأنه يدافع عن وجوده وحياته، وعندما ينتقد شخص هذا الرأي فكأنه ينتقده هو، وليس الرأي.

وقد يكون عند الإنسان رأي خاطئ فيتحول هذا الرأي الى جزء من وجوده، فيفقد توازنه في مقام انتقاد الآراء، ولذلك تشاهد بعض الناس غير مستعد أن يسمع نقداً. مستعداً أن يتكلم ويتحدث بعنوان حرية الرأي، لكنه عندما يسمع نقداً تراه يثار، ويتهم المنتقد بشق التهم. وهذه مسألة ناشئة من حالة التعصب، يعني أن يقول الانسان رأياً ويفترض أن رأيه أصبح هو الحقيقة المطلقة، المشبعة بوجوده، والعدوان على هذا الرأي هو عدوان على الحق وعليه هو، وعلى كل مظلوم في الدنيا، وتتحول القضية الى مسألة طويلة وعريضة نتيجة لهذا التعصب. وهذا خطر من الأخطار المهمة التي يجب أن ننتبه إليها في حركتنا الثقافية.

٤- خطر السطحية في الفهم

الخطر الرابع: الذي واجهناه في الحالة الثقافية هو: حالة السطحية في فهم الأشياء والالتزام بها. ولعل أبرز حالة عرفت في هذا المجال هي حالة الخوارج، وانعكست هذه الحالة السياسية فأصبح لها مداها السياسي. فهذا الانسان في فهمه السطحي للأمور وصل الى حد يقف فيه أمام باب مدينة العلم أمير المؤمنين عليه السلام.

هذا الانسان الجاهل الذي دخل الاسلام بالأمس، وليس له معرفة بالاسلام وعمقه، ولا يتمكن أن يراجع نفسه ويرى ما هو فهمه للاسلام، يقف أمام باب مدينة العلم أمير المؤمنين عليه السلام، الذي يعترف له القاصي والداني، وحتى الذين كانوا يناوؤنه كعماوية يعترف له بالعلم والفضل. وحتى هؤلاء كانوا يعترفون له بالفضل، لكن مع ذلك يقف هؤلاء أمامه ويقولون له: «لا

حكم إلا الله»، ويحاولون أن يخطئوه في فهمه للموقف السياسي والحركة السياسية، ومدى انسجام هذا الموقف مع الاسلام والشرعية والدين.

فهؤلاء يقفون ويتحدثون، ثم بعد ذلك يستعدون للدخول في حرب مع الامام علي عليه السلام، على هذه السطحية وحالة الخفة في فهم الأشياء والدين والعلم.

وهذه السطحية من الأخطار الكبيرة التي تواجه الحالة الثقافية، والآن نشاهدها في كثير من الكتاب والباحثين، الذين يُسمون أنفسهم اسلاميين، فترى الواحد منهم أن يتكلم بشكل جيد، ويستشهد بالآيات والروايات، ويحسن بعض القضايا ويتحدث عنها وكأنه يستنبط، ولكن عندما تتفحص هذا الانسان في حركته العلمية تجد أنه يتحرك بشكل سطحي، بعيد عن الواقع.

ومع الأسف، إن بعض هؤلاء تأخذه حالة العزة بالرأي - ولا أعبر تعبيراً آخر - فيرى أن هذه الحوزات العلمية التي وضع أسسها أهل البيت عليه السلام، وتمكنت أن تحقق هذه الانجازات العظيمة، يراها كأنها حوزات تعيش القرون الوسطى، بعيدة عن الواقع والمعرفة، وهو الذي يعرف الواقع، ويعرف حركة الانسان، وحركة المجتمعات الانسانية، أما كيف؟!

لأنه قرأ ثلاث أو أربع جرائد، وخمس مجلات وسمع بعض التحليلات من اذاعة مونتيكارلو مثلاً، أو البي بي سي، وما أشبه ذلك من القضايا التي يتداولها بعض الأشخاص، أو قرأ مقداراً من الكتب العلمية، وأصبحت القضية هي الفهم والمعرفة.

هذه الحوزات العلمية بهذا الزخم وهذه الثورة العظيمة تمكنت أن تصمد أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمن في مواجهة عمليات قمع منظمة، وواسعة وقوية وراءها دول كانت أعظم دول في العالم، تقمع بدون رحمة وبدون استثناء، تمكنت أن تصمد أمام كل هذا القمع. ولم يكن قمعاً مادياً فقط، وإنما كان قمعاً فكرياً وارهاباً نفسياً.

إن الحوزات تمكنت أن تصمد وتحقق إنجازات عظيمة، لم يتمكن أن يحققها أحد من الناس بعد أئمة أهل البيت عليه السلام، وتمكنت أن تتوسع وتنتشر وتعمق في هذا التاريخ، وتصبح الأمل الكبير الذي يعيشه الانسان في هذا العصر.

دور الحوزات في التاريخ الاسلامي

فالحوزات العلمية لها هذا الدور العظيم في تاريخنا وحياتنا وعمقنا، وأهم إنجاز تحقق في هذا

العصر على يد هذه الحوزات هو هذه الثورة الاسلامية، وهذا النهوض الاسلامي، والحركة الاسلامية العالمية. فما الذي قام بهذا الإنجاز غير الحوزات العلمية؟ وهل قاد هذه الثورة غير هذا العالم الرباني، إمام الأمة ﷺ!!!

وهكذا الانجازات التي تحققت في حوزة النجف الأشرف، التي كانت ممهدة لهذا الانجاز العظيم الذي حصل في ايران، والتي تمكنت أن تحقق تحركاً كبيراً جداً في العالم الاسلامي. الآن أتمكن أن أذكر أرقاماً في هذا المجال، وكيف حصل النهوض الاسلامي في لبنان وأفغانستان؟ وكيف حصل هذا النهوض قبل هذه الحوادث، قبل ثلاث أو أربع عقود؟، وكيف حصل النهوض الاسلامي في باكستان والهند ومناطق الخليج، فضلاً عن ايران والعراق، وحتى في مناطق افريقيا.

كيف بدأ هذا النهوض؟ وكيف تبلور؟ كل هذا على يد الحوزات العلمية، فان كانت هذه الحوزات العلمية تمثل القرون الوسطى - كما يقولون - فلا بأس على كل حال، هذا جيد فنحن لا نتعصب للقرن الأخير، ولا نتعصب للقرن الأول، بل نحن نتعصب للحق والعدل وللواقع، وهذه الحوزات لها هذا الدور.

وهذا التحليل ينشأ من الحالة السطحية، وهو خطر عظيم جداً نواجهه في حالة النمو والتطور السريع في حركتنا، إذن، فنحن أمام قضية، وهي: أن نبذل جهداً استثنائياً لتطوير حوزاتنا العلمية، سواءً على مستوى الكم أو الكيف، ولكن هذا الجهد الاستثنائي سوف يواجه خطراً كبيراً جداً، هو الاخطار التي أشرت لها، فيجب أن نكون على حذر من هذه الأخطار في حركة النمو في الحوزات العلمية.

وهذا لا يعني أن نتراجع أو نتقاعس ونعزل، بل - كما ذكرت في بداية حديثي وأؤكد على هذه النقطة - لا بد أن نواصل طريقنا. كيف أن هذا الانسان الذي تعرض للقمع، وسجن وغلقت عليه الابواب وحاول النظام أن يدمر الجانب الروحي والمعنوي عنده، ويغلق كل الافاق، كيف تمكن هذا أن يصمد، ثم بعد ذلك يواصل الطريق في حالة استثنائية. احذروا الأخطار ..

نحن نحتاج الى هذا العزم، ولكن في نفس الوقت نعرف أنفسنا، وأن أماننا أخطاراً يجب أن نحذر منها، وهذه الكلمة موجهة للطلبة والاساتذة ولننفي، فنحن نحتاج الى الكثير من الدقة

والحذر في التعامل مع هذه الحركة الثقافية الناشئة القوية المتطورة الميمونة ، وإن شاء الله ، تنمو هذه الحركة ببركة أهل البيت عليه السلام .

ولكننا نحتاج الى حذر وأن نتعامل معها بدقة ، وإذا غفلنا فقد تقع في مثل هذه المطبات ، كما وقع بعض الأشخاص نتيجة لعدم الالتفات ، وأنا لا أتهم أحداً من هؤلاء - نعوذ بالله - بالقصد مثلاً ، أو بهوى أو بشيء من هذا القبيل ، لكن - أحياناً - تحصل غفلة عند الانسان في حركته فيقع في هذه المطبات والمزلقات والاشكالات .

لذلك نحن نبارك للأخوة الأعزاء هذه الذكريات الشريفة ، وهذه الحركة المهمة وندعوهم جميعاً الى أن يواصلوا هذا الطريق ، ونسأل الله سبحانه وتعالى لهم التوفيق والسداد والنصر على أنفسهم وعلى أعدائهم ، إن شاء الله ، والنصر على المشكلات التي تواجههم في حركة العلم وطلبه . وإن شاء الله ينتصرون ويتجاوزن هذه العقبات ويحلون هذه المشكلات ، كما نسأله تعالى لهم المزيد من التوفيق والفرج لكل المسلمين وللشعب العراقي ، والفرج الأكبر الأهم لسيدنا ومولانا صاحب الأمر (عج) ، هذا الانسان المظلوم .

وفي مثل هذه الأيام اذا أردنا أن نتحدث عن ظلامه الزهراء عليها السلام فلا بد أن نتحدث عن ظلامه صاحب الأمر (عج) ، الذي يشاهد هذه المحن والآلام والمآسي التي يعيشها المسلمون ، منذ ذلك اليوم الذي شهد الغيبة والى يومنا الحاضر ، ويتحمل كل هذه المحن . فنحن لا نتحمل ، وأحياناً تمر علينا محن بسيطة فنبكي ، وأحياناً نجزع ونصرخ ونستغيث وهو عليه السلام تمر عليه هذه القرون الطويلة هذه الآلام والمحن فيتحملها عليه السلام .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل له الفرج وأن يفك أسرهِ ، ويفرج عنه وعنا بفرجه ، كما نسأل الله أن يفرج عن أبناء الشعب العراقي ، وأن ينصر المجاهدين الذين يخوضون في هذه الأيام معركة صعبة وشديدة مع النظام ، وقواته الآن تتكالب على المجاهدين وتتحشد وتتجمع .

وقد قام النظام يوم الاحد - كما سمعتم - بهجوم واسع ، والحمد لله رب العالمين ، أصابهم الله تعالى بالخذلان وهُزموا وقدموا خسائر كبيرة جداً ، ورجعوا مهزومين .

كما قام بهجوم آخر في مناطق الناصرية والفهود ، فتصدى له المجاهدون ، هؤلاء الأبطال الذين صمدوا ولا زالوا صامدين ، والحمد لله رب العالمين ، على كل حال . إنهم الآن يحتاجون الى دعائكم واستغاثتكم وصرختكم ، خصوصاً في موضع الاستجابة ، في صلوات الليل وعند

العتبات المقدسة ، عندما تزورون السيدة المعصومة استغثوا بالله سبحانه وتعالى والأئمة الاطهار ورسول الله ﷺ ، بأن يحقق النصر ويخذل الطاغية ، ويحقق الآمال إن شاء الله .
ونحن لدينا أمل كبير بالله ، ونعيش عملاً كبيراً جداً في هذه الجهود ، وببركة هذه الجهود يحقق الله النصر الكامل .

نسأل الله أن يحقق ذلك وأن يتغمّد شهداءنا الأبرار جميعاً برحمته الواسعة ، خصوصاً سيد شهداء العراق ، الشهيد الصدر ، وأن يتغمّد سلفنا الصالح ومراجعنا العظام ، خصوصاً إمام الأمة ﷺ يتغمّدهم جميعاً برحمته الواسعة ، وأن يتغمّد سلفكم والماضين منكم ، من آبائكم وإخوانكم برحمته الواسعة ، وإلى أرواحهم جميعاً رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

العلم والصبر^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين ، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين . والصلاة والسلام على سيدتنا ومولانا الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا ببقية الله في أرضه الحجة ابن الحسن (عج) . والسلام على شهداء الاسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للاسلام وحتى شهداء هذا العصر . والسلام على سادتي وإخوتي وأعزائي الحاضرين ورحمة الله وبركاته .

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(٢) .

أبارك أولاً للأخوة الأعزاء والسادة الأفاضل هذه الأيام الشريفة المنسوبة لسيدتنا ومولانا فاطمة الزهراء عليها السلام ، خصوصاً ونحن على أعتاب ولادتها ، وأسأل الله تعالى أن يجعلنا دائماً من الملتزمين بولائها وولاء أبيها وبعلمها وبنيتها ، والسائرين على منوالهم . كما أسأله تعالى أن يرزقنا يوم القيامة شفاعتهم . كما أبارك للأخوة الأعزاء لقاءهم بمسؤولي المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، في هذا البلد الكريم ، والمدينة المقدسة التي تمثل عش آل محمد عليهم السلام كما ورد في بعض النصوص ^(٣) .

وما يدعو للسرور والتبريك أن يتم هذا اللقاء بهذه الطريقة التي شاهدها ، بين مسؤولي المركز والأخوة الأعزاء من الطلبة للتداول في مختلف القضايا التي تهمهم .

ومن الإنجازات المهمة التي تستحق التقدير والثناء والاستحسان ، ما قام به ساحة السيد العزيز الرباني « حفظه الله » وأخوته الأفاضل الذين يشاركونه في إدارة هذا المركز ، من اللقاءات

(١) حديث السيد الحكيم (دام ظله) في مؤتمر الطلبة العراقيين في المدرسة الحجتية يوم الاثنين ٣ / ١٠ / ١٩٩٦ الموافق ٨ / ٦ / ١٤١٧ هـ ق - ٣٠ / ٧ / ١٣٧٥ هـ ش .

(٢) فاطر : ١٢٨ .

(٣) عن ابي الحسن الأول عليه السلام قال : « قم عش آل محمد ومأوى شيعتهم ... » البحار ٦٠ : ٢١٤ ، ح ٣١ .

والانفتاح على الأخوة الطلبة ، والاستماع إليهم عن كتب ، والتعرف إلى مشاكلهم وفهم وجهات نظرهم . ومثل هذا اللقاء مطلوب في العمل وتطويره ، ومحبوب عند الله . فجزى الله القائمين على ذلك أفضل الجزاء .

ولا يفوتني أن أقدم بالشكر الجزيل للأخوة الأعزاء لاتاحتهم الفرصة لنا لتحدث معهم .

الطلبة العراقيون : الوضع الاستثنائي ورعاية القائد

بعد الاستماع لبعض الإثارات والمشاكل التي تفضل الأخوة الأعزاء بطرحها تفتح أمامنا آفاق كثيرة ، فاننا نعرف أن وضع الطلبة العراقيين استثنائي في مجمل الأوضاع الحياتية ، باعتبار وجود النظام الحاكم في بغداد ، والطغيان الذي واجهه العراق ، والفراغ الكبير الذي حصل بسبب هذا في الجانب الثقافي والديني من ناحية ، والأوضاع الحياتية الصعبة التي يعيشها العراقيون من ناحية أخرى .

وكان هناك رعاية خاصة من سيدنا وولي أمرنا آية الله العظمى السيد الخامنئي « حفظه الله » فيما يخص الطلبة العراقيين ، سواء على صعيد القبول أو بعض الامتيازات التي أعطيت للأخوة العراقيين بشكل عام ، ولبعضهم بشكل خاص . في مسألة العمر باعتبار هذه الظروف الصعبة .

وهناك حديث مع الاخوة لإعطاء شيء من الامتيازات فيما يتعلق بموضوع القبول في مجالات أخرى ، حتى في مسألة العدد . فالأخوة في المركز تجاوزوا عدد المقبولين قياساً مع النسبة المئوية التي يضعونها للجاليات الأخرى ، بلحاظ الأوضاع العددية والحياتية للشيعه في العالم ، وذلك باعتبار وجود الخصوصية الاستثنائية في وضع الحوزة العلمية العراقية .

وهذا النوع من التوجه يعني أن الأخوة الأعزاء جادون في الوصول إلى الأهداف المرسومة في ملء الفراغ الثقافي الكبير الذي تعيشه الساحة العراقية بسبب ظروف الطغيان .

ونسأل الله للأخوة الأعزاء السداد والتوفيق ، ولدينا الأمل الكبير بهذا القائد العظيم الذي أولانا الرعاية الخاصة في موضوع الساحة العراقية . كما إن لنا الأمل الكبير بوجود هؤلاء المخلصين في إدارة هذا المركز .

ظهور الامام ومسؤولية العراقيين

وقبل ذلك ، وبعده العناية الإلهية ورعاية صاحب الأمر (عج) ، وهذا ماله عناية خاصة بموضوع العراق ، منذ بداية دخول التشيع إليه في الصدر الأول للإسلام حتى يومنا الحاضر ،

خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن بداية التحرك الحقيقي لصاحب الأمر (عج) سوف ينطلق من العراق. صحيح أن ظهوره في مكة، لكنه يأتي إلى العراق، ويقف على قبر جده الامام الحسين عليه السلام، ويخاطبه ويتذكر وصيته، ثم ينطلق بعد ذلك بشعار: «يا لثارات الحسين» في حركته الإصلاحية التغييرية العالمية.

فللعراق هذا التاريخ والأهمية المستقبلية، فلا بد أن يكون في رعاية خاصة من صاحب الأمر (عج).

وهنا يفتح لنا أفق واسع من الحديث حول المسؤولية الكبيرة التي نتحملها. وهذا شرف عظيم تفضل به الله علينا، ولكن بازاء ذلك مسؤولية كبيرة لا بد أن يتحملها العراقيون في حمل هذه الرسالة والتمهيد لظهور الامام، وتغيير الأوضاع المستقبلية في العراق.

العلم قرين المعاناة

وهناك أفق آخر يرتبط بهذا الموضوع وهو المصاعب التي يواجهها طلبة العلوم الدينية. وإذا ألقينا نظرة على التاريخ الذي عاشه الطلبة في النجف الأشرف، سواء ما عاصرناه نحن في بداية حياتنا، أو ما سمعناه من آبائنا وأجدادنا، نلاحظ أنهم يصرون على نظرية تقول: إن الوصول للمراتب العالية في العلم والتقوى، والجانب الروحي والمعنوي والتكامل النفسي لا يمكن أن يتحقق ما لم يقترن بالمصاعب والمشاكل والآلام.

ولا أدري إذا كانت هذه النظرية اهتزت الآن في ظروف العالم وتطوراته الاقتصادية والحياتية. لكنها موجودة في الحوزات العلمية لمدرسة أهل البيت عليه السلام التي أسسها الأئمة الأطهار. وقد تمكنت هذه النظرية أن تحقق الانجازات العظيمة في التاريخ الانساني والاسلامي، وكان أعظمها هذا الانجاز الذي حصل في عالمنا اليوم بقيام الكيان السياسي الاسلامي على يد العالم الرباني الامام الخميني رحمه الله.

إن هذا النوع من العلم الذي فيه قصد القربة إلى الله في كل خطوة وكلمة ومحضر، ولا بد أن يقترن بالاعتماد على التقوى بكل ما تعنيه الكلمة من معاني عميقة، إننا يمكن أن يتحقق من خلال الآلام والمعاناة. وأن كان ذلك - أحياناً - ليس عملية اختيارية للانسان يفرضها على نفسه، كما يصنع الرياضيون الهنود عندما يقومون بترويض أنفسهم بالقيام بأعمال فيها آلام ومعاناة من قبيل التعري والتدبد على سريره فيه مسامير ليتحمل آلامها لفترة طويلة. أو أن يقف مدة من الزمن تمتد

إلى عدة أيام أو أشهر ويمر بمعاناة الوقوف، وغير ذلك من الممارسات المشتتة على معاناة اختيارية، تؤدي إلى التريبة الروحية.

النظرية الاسلامية في المحنة والمعاناة

أما في النظرية الاسلامية فهذا مرفوض، ولكن يوجد أمر آخر ينطلق من فهم أن المعاناة تربي الإنسان وتجعله قادراً على تحقيق الأهداف الكبرى التي يسعى إليها، وذلك أن يتحمل ما يتعرض له من معاناة. فعندما يتعرض لمعاناة بفعل الطغاة أو الظروف. فهو باختياره يتحمل ويصبر ويصمد أمام المعاناة ويستمر أو يصاب بالجزع والإحباط وفقدان الأمل والانسواء والسقوط.

وهنا يأتي دور النظرية الاسلامية أن الانسان من خلال تحمل الآلام والمعاناة والصبر عليها يتكامل في هذا الطريق، وإذا تكامل تمكن أن يحقق أهدافه، ويصل إلى مرحلة الخشية التي تشير إليها الآية الكريمة.

هذه القضية يتحدث بها الآباء والأجداد كنظرية، وكانوا يقولون: إننا لم نصل لهذه الدرجات العالية، ولم يصل من سبقنا إلا بالصبر والتحمل، وممارسة العمل العلمي العالي في الظروف الصعبة.

أنظروا إلى مؤلفات السابقين، وكيف يذكرون في مقدمتها أو في ثناياها أنهم أنجزوا ذلك في ظروف من المعاناة يتحدثون عن بعضها بشكل واضح. فلا بد أن نربي أنفسنا على ذلك.

دور المركز في تحقيق معاناة الطلبة

لقد سمعت أن هناك مشاكل، وأعرف أنها مهمة وكبيرة، وأدرك معاناتها وآلامها، لكننا يجب أن نربي أنفسنا على كيفية استثمار الآلام والمعاناة، وأن نتحمل عليها، ثم نتحرك باتجاه ذاتنا. وفي مثل هذه الظروف يُنزل الله تعالى النصر.

وقد استنبط العلماء هذه النظرية أيضاً من القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ، مَسْتَهْمِ الْبُأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١)، أي: أن النصر في هذه المسيرة مقرون بهذا النوع من التعب والألم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُعيننا والآخرين ، وأن يعينكم على أن نساهم في التخفيف من هذه المعاناة وهذا شرف عظيم .

وقد سألت الأخوة عن مسألة السكن وما يمكن أن نساهم فيه ، وذلك في ما يطرحه سماحة الشيخ الأخ رفعتي ، وهو إن الأخوة العراقيين يمكن أن يتحركوا في المجالات التي يعرفونها في المساعدة في موضوع السكن ، وقال سماحته : إننا يمكن أن نهيم بيتاً لكل واحد من الأخوة بما يقرب من مليون تومان ، والبيت يكلف أكثر من ذلك بالتأكيد .

ونحن إن شاء الله . وبركة فاطمة الزهراء نساهم في هذا الموضوع ولو بشكل محدود . وهذه من الأفكار الجيدة ، ويمكن أن يتقدم الموضوع إذا صاحب ذلك تحرك وتوعية .

نسأله الله سبحانه وتعالى أن يحفظكم ويرعاكم ، ويتقبل منكم عملكم ويوفقكم للمزيد من العلم والعمل والتقوى .

﴿ رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين ﴾ (١)

وإلى أرواح شهدائنا ، خصوصاً الشهيد الصدر عليه السلام وأرواح علمائنا ومراجعنا وسلفنا الصالح خصوصاً إمام الأمة عليه السلام رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

دور العلماء في قيادة الأمة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

سمحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم : باعتبار سياحتكم أحد أعلام المحوزة العلمية العراقية ، نرجو منكم بيان دور العلماء في قيادة الجماهير العراقية المسلمة . وكم قدموا من الشهداء والتضحيات في هذا الطريق ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

في الوقت الذي أبارك لكم فيه هذا العمل والجهد ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله عملاً مقبولاً عنده ، وميموناً ونافعاً للمسلمين .

العلماء قادة الأمة

للعلماء الأعلام دور مهم جداً - على أساس النظرية الاسلامية - في فهم المجتمع وقيادته وإدارته . وهذا الدور يمثله أولاً الأنبياء ، ثم الأوصياء من بعدهم ومنهم أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ثم يأتي دور العلماء بعد ذلك ، وهم ورثة الأنبياء كما جاء في الحديث الشريف^(٢) .

ويمكن من خلال هذا الموقع أن نعرف أن العالم يمثل ولي الأمر ، كما يمثل في الوقت نفسه القيادة السياسية للمجتمع الاسلامي ، ويمثل القاضي الذي يفصل الخلافات بين الناس ، ويبين الحكم الشرعي ، ويبلغ الرسالات الإلهية التي نزلت من الله تعالى .

هذا هو الدور الرئيسي للعالم في النظرية الاسلامية . وعلى أساس هذا الدور نجد أن علماء

(١) لقاء المركز العالمي للدراسات الاسلامية مع السيد الحكيم (دام ظله) يوم الخميس ٢٧ / ٣ /

١٩٩٧م الموافق ١٧ / ١١ / ١٤١٧ هـ - ١٣٧٦ / ١ / ٧ هـ . بمناسبة المعرض الذي تقيمه المحوزة

العلمية في قم .

(٢) الكافي ١ : ٣٢ ، ح ٢ .

الإسلام منذ الصدر الأول للإسلام وحتى يومنا الحاضر يقدمون التضحيات الكبيرة الغالية في سبيل خدمة الإسلام . وهناك أعلام في تاريخنا الإسلامي استشهدوا في سبيل أداء هذا الدور الرئيس المهم وهو إقامة دعائم الإسلام .

ونلاحظ أن أئمة أهل البيت عليهم السلام بين مقتول في سبيل الله أو مسموم ، باستثناء الامام الحجة (عج) الذي أعده الله تعالى ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وبعد أئمة أهل البيت عليهم السلام نجد أن العلماء الأعلام يتعرضون للقتل والتشريد والمطاردة . فمرى مثلاً أن الشيخ الطوسي رحمته الله وهو مؤسس حوزة النجف أقدم حوزة علمية ، يعود تاريخ تأسيسها إلى ما قبل أكثر من ألف عام ، نرى أن هذا العلم الذي يلقب بـ (شيخ الطائفة) باعتبار موقعه المميز في المسلمين ، وأتباع أهل البيت عليهم السلام خاصة ، يتعرض للمطاردة والتشريد ، فيُهجَم على بيته وتُحرق مكتبته ومنبره ، ويضطر بعد ذلك إلى أن يهاجر من بغداد ليستقر في النجف . ومن خلال الهجرة والاستقرار استطاع أن يؤسس هذه الحوزة العريقة في النجف الأشرف .

ونجد أيضاً أمثال الشهيدين الأول والثاني اللذين يعتبران من أعلام العلماء الكبار ، وفي سلسلة الاجازات المباركة لرواية الحديث .

وهكذا تتوالى شهادات العلماء وتضحياتهم ونشاطاتهم وأعمالهم ، حتى كان هذا الإنجاز العظيم الذي حققه الإمام الخميني رحمته الله باقامة هذه الدولة المباركة . وقد تعرض الامام رحمته الله أيضاً لمختلف ألوان التهديد والمطاردة والتشريد والنفي من بلد إلى بلد ، كما تعرض للسجن والاعتقال ، بل تعرض للقتل ، لكن الله تعالى تفضل على المسلمين فأنجاه من ذلك . فالعلماء دائماً يتصدون لمثل هذه المقامات .

تضحيات العلماء في العراق

وإذا أردنا أن نتحدث عن العراق في هذا العصر نجد أن الامام الحكيم رحمته الله يتصدى للظغاة الظالمين ، ويعبئ الأمة روحياً ومعنوياً ، وينشر في أوساطها ثقافة الإسلام وفكر أهل البيت عليهم السلام . فتتنامى الحوزة العلمية في النجف الأشرف نمواً كبيراً ، وتتطور تطوراً عظيماً أيام مرجعيته ، حتى تصبح الحوزة الأولى من حيث الأهمية العلمية ، ومن حيث الجانب الكمي بفضل النشاطات العظيمة التي قام بها الإمام الحكيم رحمته الله ، حتى إن الامام الخميني رحمته الله قال في حديث خاص : إنني كنت أتوقع من خلال ما رأيته من نشاطات وأعمال قام بها الامام الحكيم رحمته الله ، أن يقام الحكم الإسلامي

في العراق قبل إيران .

وقد تعرض الامام الحكيم ﷺ بعد ذلك للحصار والمضايقة والمطاردة هو وأصحابه ، حتى مات ميتة هي أقرب للشهادة في سبيل الله .

ثم نرى بعد ذلك أن الامام الصدر ﷺ ، الشهيد الرمز ، قدم كل وجوده وحياته في سبيل خدمة الاسلام فكراً وعملاً وقولاً .

وقال كلمته الشهيرة في الثورة الاسلامية والامام الخميني : « ذوبوا في الامام الخميني كما ذاب هو في الاسلام » . وقدم نفسه بعد ذلك قرباناً من أجل القيم والمثل والمبادئ ، وضحى بنفسه وأخته العلوية الفاضلة الشهيدة بنت الهدى ، ليضرب المثل الأعلى للتضحية في هذا العصر .

ومن بعده نرى كيف ضحى الامام الخوئي في سبيل الاسلام ، وتصدى لقيادة انتفاضة الخامس عشر من شعبان ، ولاقي ما لاقى من أذى ومطاردة ، سواء على المستوى الشخصي ، أو على مستوى عائلته ومتعلقيه وأصحابه . ولا زال أكثر من مائة عالم من كبار المجتهدين في النجف الأشرف مفقودين على يد النظام المجرم الحاكم في بغداد . كل ذلك كان نتيجة هذا التصدي .

إذن ، فالعلماء من الناحية الفكرية والنظرية لهم موقع رئيس وأساس ، هو قيادة الأمة وتوجيهها وإبلاغ الرسالات الالهية . وكذلك من الناحية العملية والواقعية نجد أنهم يتحملون هذه المسؤولية ويقدمون ألوان التضحية والفداء ، فيصل بعضهم إلى منزلة الشهادة ، والبعض الآخر ينتظر ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ (١) .

الحوزة العلمية العراقية في المهجر

س : لما كانت الحوزة العلمية العراقية أقدم حوزة - كما ذكرتم - فلماذا لا نجد لها دوراً بارزاً أو - على الأقل - مكتباً يمثلها في إيران مثلاً ، ليتمكن الطلبة العراقيون من مراجعته وحل بعض مشاكلهم ؟

ج : الحوزة العلمية في النجف الأشرف هي أقدم حوزة علمية ، لكنها تعرضت في تاريخها إلى أزمات مختلفة ، وتمكنت أن تصمد أمام هذه الأزمات والضغوط على مختلف أدوار التاريخ .

فعندما نرجع إلى التاريخ الاسلامي نجد أن هذه الحوزة التي هي امتداد لمدرسة الكوفة ،

صمدت في مواجهة كل هذه الضغوط والحن والآلام والابتلاءات التي تعرضت لها، سواء في زمن العباسيين، أو بعد ذلك في زمن العثمانيين، والأزمة المتأخرة التي تسمى بالحكم الوطني. وآخر ما تعرضت له الحوزة من محنة وبلاء كان على يد النظام المجرم للعفالة الملقدين وصادم. وقد حاول هذا النظام أن يستأصل الحوزة من خلال القتل والسجن والمطاردة والتشديد.

لقد كان عدد العلماء والطلبة في النجف الأشرف عندما توفي الامام الحكيم عليه السلام عام ١٣٩٠ هـ حوالي سبعة آلاف. في الوقت الذي كانت فيه حوزة قم المقدسة تضم حوالي أربعة آلاف عالم وطالب. ولكن عندما جاء المجرمون العفالة، وحاربوا حوزة النجف الأشرف تناقص العدد إلى سبعمائة عند وفاة الإمام الخوئي عليه السلام. لكن هذه الحوزة مع كل ذلك صمدت صمود الأبطال، وبدأت الآن تستعيد نشاطها من خلال الأوضاع الجديدة التي حدثت في العراق بعد انتفاضة الخامس عشر من شعبان.

ومع ذلك أيضاً نجد أن العراقيين تمكنوا أن يستوعبوا ظروف الهجرة والمطاردة التي حصلت في حوزة النجف، فكونوا لأنفسهم وجوداً كبيراً في حوزة قم المقدسة، التي أصبحت الآن الحوزة الأم، والعظمى في تشكيلاتها وقدراتها.

ونجد أن الحوزة العراقية بعلمائها وأساتذتها وطلابها ومجتهديها وباحثيها ومؤلفيها وكتابها تأتي بالدرجة الثانية بعد الحوزة الإيرانية المباركة من حيث الكم والكيف. وأنها بالرغم من آلام الهنة والتشريد تمكنت أن توجد هذا الكيان المبارك الذي يقوم بدور عظيم، بحيث لا تجد الآن مؤسسة من مؤسسات البحث أو التحقيق أو التأليف والنشر أو مؤسسات العطاء الثقافي والفكري، إلا وللحوزة العراقية المباركة مساهمة فيها، فضلاً عن المساهمات داخل حوزة قم، والمساهمات الأخرى على مستوى التبليغ ونشر الرسائل الإلهية.

ولذلك لا يمكن أن نفترض بأن حوزة بهذا الحجم والسعة والعظمة يمكن أن تتلخص بوجود مكتب واحد يمثلها. فالحال إذا كان محدوداً ضيقاً يمكن أن يكون له مكتب يمثله، أما إذا كان واسعاً كبيراً فلا يمكن أن يمثله مكتب.

على أن هناك نظاماً في الحوزة العلمية في قم، وكل الجاليات والهيئات المتواجدة في هذه الحوزة المباركة تخضع لهذا النظام. ولذلك لا نجد للحوزات الأخرى أيضاً مكاتب، وليس هذا الأمر مختصاً بالحوزة العلمية العراقية.

فالحوزات الإيرانية أيضاً لا يوجد لها مكتب يمثلها، إنما الحوزة عبارة عن مؤسسات شورية تنظم كل أعمال الحوزة، والمركز الإسلامي العالمي ينظم أعمال كل المجاليات والهيئات العلمية الموجودة في هذا البلد، ويقوم بتقديم الخدمات لكل أبناء الحوزة العلمية، وكل ذلك تحت رعاية ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (حفظه الله) والمراجع العظام. وفوق كل ذلك رعاية سيدنا ومولانا صاحب الأمر «عج» الذي يرعى كل الحوزات العلمية، ونسأل الله تعالى أن يجعل هذه الأعمال كلها موضع رضا ورضا صاحب الزمان (عج).

خطوات توحيد المعارضة الإسلامية

س: باعتبار سماحتكم رئيساً للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، ماهي الخطوات العملية التي اتخذت من أجل توحيد كلمة المعارضة العراقية وخصوصاً الإسلامية منها؟
ج: هناك مجموعة من الخطوات اتخذت في هذا المجال:

الخطوة الأولى: إيجاد الإطار السياسي الإسلامي الذي يجمع القوى الإسلامية السياسية العراقية، وهذا الإطار يتمثل بالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وهو يضم في الوقت الحاضر مجموعة من القوى الإسلامية السياسية، وينفتح أيضاً على القوى السياسية الأخرى.

الخطوة الثانية: إيجاد لجان واجتماعات للهيئات التنسيقية لكل القوى الإسلامية في الساحة العراقية، ومن خلال ذلك يتم تداول القضايا الرئيسة والمهمة، وتُتخذ بشأنها القرارات المناسبة.

الخطوة الثالثة: التوجه لتوحيد العمل والجهد الميداني في مواجهة النظام في داخل العراق، حيث نجد أن القوى المجاهدة بالرغم من تعدد تشكيلاتها السياسية والعسكرية، تقف صفاً واحداً في مواجهة النظام، ويشترك بعضها مع البعض الآخر ويساعده في مقاتلة هذا النظام، نتيجة لهذه الخطوة المهمة والكبيرة التي عملنا على تثبيتها في ساحتنا الإسلامية العراقية، وهي خطوة توحيد الجهد الميداني.

مضافاً إلى ذلك، أن الساحة الإسلامية العراقية من الساحات السياسية المتميزة في وحدتها السياسية، حيث نجد بين القوى السياسية العاملة في هذه الساحة علاقات وثيقة من التزاور والاجتماع والاهتمام المشترك والتداول في مختلف القضايا.

وإذا أردنا أن نقيس هذه الساحة بالساحات الأخرى، سواء الإسلامية أو غيرها، نجد أن هناك فرقاً واسعاً وكبيراً بين ساحتنا الإسلامية العراقية وغيرها من الساحات.

ففي الساحة الكردية أو الفلسطينية أو الأفغانية نجد أن العلاقات تصل إلى حد الاقتتال ، مع أنها ساحات مهمة جداً ، ولديها أهداف كبيرة مهمة . أما في ساحتنا العراقية - والله الحمد - نجد علاقات المحبة والتزاور والاجتماعات المشتركة ، والائتلاف والتشاور في مختلف القضايا ، فضلاً عن تلك القضايا التي ذكرتها .

فيلق بدر والعمل الميداني

س : ساحة القائد العام للقوات المسلحة الإسلامية العراقية : هل هناك خطة مستقبلية لتفعيل دور فيلق (بدر المبارك) بشكل أكبر ، في تقرير مصير العراق ، سيما في هذه الظروف الحساسة التي يمر بها هذا البلد ؟

ج : لا شك أن هناك خطة للعمل الميداني الواسع في داخل العراق . ومن ضمن هذه الخطة تفعيل هذه القوة المباركة المتمثلة بفيلق (بدر المبارك) . وقد أصبح لفيلق بدر الآن دور رئيس ومهم جداً في ساحتنا الإسلامية العراقية ، سواء من خلال المشاركة الميدانية داخل العراق ، حيث يتحمل الآن المسؤولية الرئيسة في العمل الجهادي الميداني ، أو في مساهماته الفعلية الميدانية في العمل الجهادي ، حيث يقوم بدعم كل القوى الجهادية في الساحة الإسلامية العراقية وإسنادها ، على مستوى التدريب والتعليم ، أو على مستوى التوجيه والتخطيط ، أو على مستوى الدعم اللوجستي والمالي ، فضلاً عن الدعم المعنوي ، مما يمثل ثقله مهمة جداً في العمل الجهادي داخل العراق .

أضف إلى كل ذلك ، التوجه للعمليات النوعية في الداخل . وإذا أردنا أن نلاحظ الخط البياني للعمليات التي حصلت في السنة الماضية ، نجد أنه أصبح عالياً جداً ومتميزاً في خصائصه . فالتوجه للعمليات النوعية داخل العراق هو أحد الخطوط الاستراتيجية المهمة في هذه الخطة التي أخذت بنظر الاعتبار لهذه القوات المجاهدة .

ونضيف إلى كل ذلك ، العمل السياسي والإعلامي والثقافي الذي تقوم به هذه القوات المباركة في الداخل ، سواء من خلال الجهاز المبارك لممثلية الولي الفقيه في فيلق بدر ، أو من خلال الأخوة المجاهدين الذين يحملون الثقافة الإسلامية الأصيلة . حيث تمكن هؤلاء الأخوة أن ينشروا هذه الثقافة في العراق بشكل واسع . ونشاهد الآن هذا الإقبال الواسع على الإسلام في العراق ، والذي يمكن أن نقول عنه : إنه منقطع النظير في ساحتنا الإسلامية ، وكان للأخوة الأعزاء في فيلق

بدر دور مهم في هذا التطور الثقافي . صحيح أن هذا الدور يستند إلى تلك التضحيات الكبيرة الغالية التي قدمها العلماء كالشهيد الصدر رحمه الله ، وعلماء الإسلام من آل الحكيم عليهم السلام ، أو العلماء الكبار من العوائل العلمية الشريفة كآية الله السيد قاسم شبر ، وحجة الإسلام الشيخ محمد مهدي السماوي ، وحجة الإسلام السيد قاسم المبرقع وغيرهم .

وقد كان لهذه التضحيات الدور الأساس في هذا الوعي وفي نشر الثقافة . وهكذا كان دور مواكب الشهداء التي تقدمت هذه المسيرة .

ولكن ما من شك في أن الاخوة الأعزاء في فيلق بدر كانت لهم أيضاً مساهمة كبيرة في هذه التوعية ، وفي إيجاد هذه النقطة في الأوضاع الثقافية والمعنوية والروحية في داخل العراق .

إذن ، فهناك خطة تتحرك في الداخل :

أولاً : على مستوى توحيد العمل الجهادي .

وثانياً : على مستوى تطويره إلى عمل نوعي .

وثالثاً : تطوير هذا العمل على مستوى العمل السياسي والثقافي بحيث تتكامل هذه الخطة في أبعادها وأركانها الأساسية .

والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حركات الإصلاح في الحوزات العلمية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

قال تعالى: ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾^(٢) .

المقدمة

أبارك للأخوة القائمين على هذه الدورة والمنخرطين فيها ، هذا العمل ، وأسأله تعالى مزيداً من التوفيق والتسديد والقبول لأعمالهم والبركة فيها .

وأبارك لهم هذه الأيام الشريفة حيث تقترن هذه الدورة مع الشهر المنسوب الى مولانا أبي الحسن الرضا عليه السلام ، وتقترن - أيضاً - مع بداية شهر ذي الحجة الحرام ، وهو شهر الطاعة والعبادة وحج بيت الله الحرام .

وإقامة هذه الدورات والسعي الى حصول هذه المعلومات هو من العبادات ، التي يمكن أن يتعبد بها الانسان ويتقرب الى الله تعالى ، وعبادة العلم من أفضل العبادات ، إن لم تكن أفضلها .

ولا شك أن الاطلاع على هذا النوع من المعلومات التي تنفع المسلمين ، والذين يعملون في ميدان الخدمة العامة ، يأتي في صراط العلوم التي لا بد من اكتسابها ، وقد يكون من الواجبات الكفائية على المسلمين أن يطلعوا عليها ويمارسوا هذا الدور في الحياة الاجتماعية والسياسية العامة .

مناسبة الحديث

ونحن بين مناسبتين مهمتين ، إحداها في تاريخنا المعاصر ، والأخرى ، تعبر عن بداية تاريخ

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) في يوم الخميس ٣ / ٤ / ١٩٩٧ م ، المصادف ٢٤ / ١١ /

١٤١٧ هـ . ق ، ١٤ / ١ / ١٣٧٦ هـ . ش في مجمع الكوادر الاسلامية العراقية في مدينة قم المقدسة ،

حيث تطرق فيه الى حركات الإصلاح في الحوزة العلمية .

(٢) الانبياء : ٧٣ .

البشرية والانسانية :

والأولى : هي ولادة النظام الاسلامي والجمهورية الاسلامية في ١٢ فروردين ، حيث صوتت الأمة في ايران على اختيارها للنظام الاسلامي .

والثانية : هي يوم ٢٥ ذي الحجة ، وهو يوم دحو الارض وولادة الكعبة الشريفة والبيت الحرام ، كما يذكر في التاريخ ، حيث كان الدحو بيان تأسيس هذا البيت الشريف ، الذي جعل رمزاً لكل الرسالات الالهية ، منذ آدم عليه السلام حتى محمد ﷺ . كما إننا على اعتاب ذكرى شهادة الشهيد الصدر عليه السلام التي تصادف في هذا العام يوم وفاة الامام الجواد عليه السلام .

وكل هذه الذكريات لها مضامين إسلامية ، وفي هذه الدورة خطر على بالي أن أتناول موضوع حركات الاصلاح في الحوزات العلمية ، فنحن نعيش في قم مركز الحوزة العلمية ، وكان انتصار الثورة الاسلامية في ايران بقيادة الحوزة ، وقيام النظام الاسلامي بقيادة الامام الخميني عليه السلام الذي انطلق من الحوزة في حركته هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فنحن نعتبر الحوزة امتداداً للرسالات الالهية والنبوات ، وترتبط الحوزة بمعنى من المعاني بتأسيس هذا البيت الحرام ، وذكرى دحو الارض وهو يوم من الأيام المباركة المعروفة في مذهب أهل البيت عليه السلام .

والحوزة مضافاً الى ارتباطها بالذكريات ترتبط بذكرى الشهيد الصدر عليه السلام ، باعتباره يمثل بحركته منهجاً اصلاحياً مرتبطاً بالمناهج الاصلاحية التي شهدتها الحوزة ، ويحسن بنا أن نقف عليها قليلاً لنميز بعضها عن بعض من ناحية ، ونفهم مضمونها ونعرف موقعها منها من ناحية أخرى ، خصوصاً أن الحديث يجري في دورة أكثر روادها من طلاب الحوزات .

تقسيم المناهج الاصلاحية

ويمكن تقسيم الحركات الاصلاحية الى قسمين ، حيث نرى منهجين للاصلاح سار عليهما مراجعنا العظام والحوزات العلمية :

المنهج الأول : ينطلق من الرؤية الكلية العامة والمسؤوليات الرئيسة للأمة ، والقضايا التي تعيشها في أي عصر وزمان ، وهذا المنهج ينطلق من تصور شامل وعام ، بحيث يرى ارتباطاتها بعضها ببعض الآخر ويتفاعل معها ، ويؤثر العمل في هذا الميدان من قضايا الأمة على الميادين الأخرى .

اذن ، فهذا المنهج ينطلق من نظرة كلية شمولية لمجموع قضايا الأمة ، تمثل هدفاً رئيساً واحداً

شاملاً بالنسبة لأهداف الامة ، ويرتكز على نقطتين :

الاولى : النظر للقضايا العامة لا الجزئية ، والمفردات التفصيلية هنا وهناك .

الثانية : يركز بين هذه القضايا بنظرة شمولية ، بحيث يعتبر القضايا الكبيرة تمثل جزءاً من

الكل ، وينظر إليها من خلال نظرتة الى ذلك الكل الذي يربط هذه القضايا بعضها مع الآخر .

المنهج الثاني : ينطلق من الجزئيات والمفردات ، والمشاكل التي تعيشها الأمة في مختلف

مجالاتها ، ويحاول أن يصلح هذه المفردة أو تلك ، أو هذا المصداق أو ذاك من المصاديق التي ترتبط

بهذه المشاكل ، ويتصور من خلال جمع الاصلاحات والمفردات العديدة أنه يمكنه أن يصل الى

الهدف الكلي الذي يستهدفه المصلحون من المنهج الأول .

فهو لا يطرح القضية الكلية الشاملة ، ولا يلتفت الى القضايا الرئيسة الجديدة الموجودة في

الامة لأي سبب من الاسباب التي سوف أشير إليها ، وإنما يلتفت الى المفردات الصغيرة والمشكلات

الموجودة في الأمة ، ويحاول اصلاحها وحلها .

اتجاهات حركة الاصلاح

وفي كلا هذين القسمين يوجد اتجاهان رئيسان لحركة الاصلاح ، وهذا ليس كلاماً نظرياً ،

وإنما سأطبقه على أمثلة خارجية معاصرة عشناها شخصياً ، أو سمعناها من آبائنا تدخل في حياتنا

المعاصرة :

الاتجاه الأول : يرى أن الاصلاح يبدأ من الحوزة العلمية ، كمؤسسة ذات طبيعة واسعة

وشمولية ، ولها امتدادات في الأمة ، وهذه المؤسسة لا بد أن يكون الاصلاح من داخلها ، ويمكن أن

يتم الاصلاح الآخر سواء كان كلياً أو تجزئياً .

الاتجاه الثاني : يرى أن الاصلاح يبدأ من خارج الحوزة ، فيبدأ التحرك من وسط الأمة ،

وقد يكون رجالاً هذا الاتجاه من الحوزة ، لكن هؤلاء يقومون بعملية الاصلاح ولا يرون أن

هذا الاصلاح جزء من الحوزة ، ويرتبط بها كمؤسسة ، وإنما يبدأ التحرك في وسط الأمة .

فرضيات منهج حركة الاصلاح

فعلى هذا التقسيم نحن أمام فرضيات أربع :

الفرضية الأولى : هي فرضية المنهج الذي ينظر الى مشاكل الأمة نظرة كلية ، وينطلق في

حركته من الحوزة ، وهذا المنهج نجد له شاهداً في أشخاص معينين ، وفي قضايا معينة طرحت لهذا

المنهج وتحركت لتحقيق الاصلاح فيه ، حتى نفهم النظرة الكلية من ناحية ، ونفهم الاتجاه الذي كان يسير عليه المنهج من ناحية أخرى ، وسوف أشير الى ست من القضايا تشكل مجموعها الصورة الكلية :

القضية الأولى : تعبئة الأمة روحياً وسياسياً لتكون لها مشاركة حقيقية في عملية التغيير ، فالأمة إذا أريد لها أن تساهم فلا بد أن تعبأ روحياً ومعنوياً ، لأجل أن تخرج من عزلتها عن الأعمال ، السياسية والاجتماعية العامة ، التي كانت تعيشها ، وتدخل بشكل مباشر في العملية التغييرية .

وهذا ما كانت تعيشه الأمة في عصرنا الحاضر ، حيث كانت الأمة في العهد العثماني تعيش العزلة ، في ايران والعراق مع اختلاف في الدرجة .

ففي أيام الحكم العثماني كانت الأمة في العراق معزولة عن العمل السياسي والاجتماعي ، لأنها بحسب انتماءاتها المذهبية والقومية كانت بعيدة ، وتعيش حالة الاقلية التي تعيش في المجتمعات السياسية التي لا ترى لها دوراً حقيقياً في العمل السياسي ، وإنما هي تابعة لمستغيرات العمل السياسي .

هذا هو شأن الأمة في العراق ، والاكثرية إما من الشيعة ، أو الاكراد الذين يمثلون المجموعة الثانية من حيث العدد ، وكلتا هاتين المجموعتين بعيدتان عن الحالة السياسية العامة الحاكمة في العهد العثماني ، خصوصاً في الأدوار الأخيرة التي أدخل فيها العنصر القومي كقضية رئيسة في العمل السياسي ، فأصبح الشيعة والاكرد بعيدين عن الأوضاع السياسية العامة ، ولم يدخلوا إلا في فترة قصيرة ومحدودة التقت فيها المصالح العامة للحكم العثماني مع مصالح الأمة العامة ، وذلك عندما هُدد العراق بالغزو الانكليزي ، حيث تحركت الأمة في العراق لمواجهة الغزو .

وكذلك كانت قضية الاستقلال من القضايا العامة للأمة التي دخلت في هذا العمل .

ولكن عندما قام ما يسمى بالحكم الوطني في العراق رجعت الأمة الى عزلتها ، بسبب حوادث كثيرة ، منها نفي كل القادة الدينيين والروحانيين ، الذين كانوا يمارسون دور التعبئة الروحية والسياسية للأمة ، وبقيت الأمة معزولة عن الأحداث القائمة في العراق ، فكانت الأحداث السياسية تباشر من خلال القمة الحاكمة دون أن يكون أي دور للأمة في هذه الأحداث .

وإحدى القضايا التي كانت تسعى إليها الحركة الاصلاحية ، هي أن تُخرج الأمة من عزلتها

السياسية، وتجعلها امة مساهمة مشاركة.

القضية الثانية: الاهتمام بقضايا العالم الاسلامي الكبرى، وكان العراق أحد المفردات التي تعرضت للهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية من قبل قوى الاستكبار العالمي، التي كانت تقوم بمخطط واسع لفرض هيمنتها على العالم الاسلامي، من خلال شركات متعددة الجنسيات، كشركة قناة السويس - مثلاً - ومن خلال الهيمنة السياسية بواسطة الحكومات المرتبطة بالاستعمار، أو من خلال الهيمنة العسكرية كالحرب العالمية الاولى، والثانية.

وهذه قضية كانت تواجهها الأمة الاسلامية - وخصوصاً في العراق -، وكانت إحدى القضايا الرئيسية التي وضعتها حركة الاصلاح أمامها هي مواجهة هذه القضية.

وهناك قضية أخرى اهتمت بها حركة الاصلاح، وهي وحدة الأمة الاسلامية والعربية، لأنها كانت أمة موحدة من خلال الحكم العثماني. صحيح أن جزءاً منها اقتطع في القرن السابع عشر من خلال شركة الهند الشرقية، التي سيطرت على شبه القارة الهندية، ووجود الخلافات بين الدول الفاجارية والعثمانية، ولكن القسم الأكبر من العالم الاسلامي كان عالماً موحداً يخضع للدولة الاسلامية، وبعد سقوطها أصبح مجزأ ومتفرقاً الى دويلات، حتى أصبحت التجزئة في كل دولة، فقد طرح الانكليز فكرة تقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام، وإيران إلى خمسة أقسام، فضلاً عن التقسيمات الأخرى التي حصلت في مناطق أخرى.

فالعالم الاسلامي واجه هذا التمزق والتفرق، وقادة الاصلاح من المراجع والعلماء يضعون أمام أعينهم هذه القضية، وهي قطع جزء من العالم الاسلامي وتغيير هويته، فالعالم الاسلامي وقع كله تحت سيطرة الاستكبار، واصبح في قبضته، وكانت هيمنة الاستكبار تتمثل باستثمار ومصادرة الثروات والامكانات والقدرات.

وقد قام الاستكبار العالمي في فلسطين بمحاولة تغيير هوية المنطقة، بحيث تصبح هوية غير اسلامية، شبيهة بما وقع في الاندلس في تاريخنا الاسلامي، مضافاً إلى أهمية فلسطين باعتبارها أرضاً مباركة فيها بيت المقدس، وموقعها الجغرافي يربط بين جزئي العالم الاسلامي الكبير، بين آسيا وأفريقيا، والتي تجعل فلسطين ذات أهمية خاصة وكبرى في قضايا العالم الاسلامي.

الاصلاحيون والغزو الثقافي الغربي

ومن القضايا التي واجهها الاصلاحيون قضية الغزو الثقافي والعقائدي الذي قام به

المستكبرون الغربيون ، سواءً عن طريق حملات التبشير الواسعة ، أم من خلال الافكار والتيارات الثقافية الجديدة كالماركسية والاشتراكية والقومية والرأسمالية .

فكان هناك غزو ثقافي سياسي فكري منظم ، ولا نعرف الآن أخطاره ، كما كان في بداية العمل الذي كان يقوم به المصلحون ، إلا إذا التفتنا الى ما جرى في تركيا ، فقد كانت هناك حركة منظمة لحذف الحرف العربي من حياة المسلمين ، وقد تمت هذه العملية في تركيا ، وأريد لها أن تتم في ايران ، لكنها لم تنجح بسبب موقف الاصلاحيين .

وقد أريد تطبيق هذه العملية في البلاد العربية ، وكان لها دعاة ومروجون ، أمثال سلام موسى .

وعندما يحذف الحرف العربي من ثقافة المسلم فهذا يعني انقطاعه عن كل تاريخه الثقافي ، فالذي يتخرج من المدارس لا يستطيع أن يقرأ ما كتب بالحرف العربي في تركيا وايران ، وحتى الاردية التي كانت تكتب بالعربية ، وهذا يعني انقطاع هذا الجيل عن تاريخه وتراثه السابق ، وهذه من القضايا التي أهتم بها الاصلاحيون في ذلك الوقت .

القضية الثالثة : المحافظة على الوعي الديني والالتزام العقائدي والسلوكي في أوساط الأمة الاسلامية ، كالصلاة والصوم والحج والالتزام بالعبادات العامة ، وفي الأحوال الشخصية والممارسات المختلفة .

وعندما سقطت الدولة الاسلامية وجاءت الدول والأنظمة الجديدة ، والقوانين المدنية اهتز هذا الالتزام بكل جوانبه ، وهذه قضية واجهها المصلحون والمحافظون على قضية الالتزام بالدين الاسلامي .

ومن الجماعات المسلمة التي تعرضت الى العزلة القاتلة من الناحية الدينية ، جماعة العلويين في سوريا ، حيث عزلت بسبب الظروف السياسية العثمانية عن الثقافة الاسلامية ، وأصبحت تكاد تكون محكوماً عليها بالاعدام من الناحية الدينية .

وهكذا جماعة البكداشية في تركيا ، فباعتبار ارتباطهم بأهل البيت (عليه السلام) تحولوا تدريجياً الى جماعة معزولة من الناحية الدينية والوعي الديني ، وهم يمثلون الآن ثلث الشعب التركي ، فضلاً عن المسلمين في البلدان الأخرى كالألبانيا التي فيها ٨٥٪ ينتسبون الى البكداشية ، وقد تعرضوا الى هذا النوع من العزلة ، وما نعرفه في العراق من جماعة الشيك وغيرها .

المطالبة بالحقوق المدنية

القضية الرابعة : المطالبة بالحقوق السياسية والمدنية للناس ، ومحاربة الظلم الاجتماعي كحالة عامة شاملة ، لأن الحقوق المدنية في العهد الأخير للحكم العثماني ، أصبحت - تقريباً - مفقودة هؤلاء الناس ، بسبب التطورات التي حصلت .

وهكذا الحال بالنسبة للعهد الوطني ، حيث أصبحت هذه الحقوق مفقودة - أيضاً - ، لأن الحكومات منصبة من قبل الاستعمار ، وكان طريقهم الاستمرار والبقاء على القمع والارهاب والمحاصرة ، وحرمان الناس من الحقوق ، لكي يضمنوا بقاءهم واستمرارهم . وهذه قضية مهمة كانت تدعو لها هذه الحركة الاصلاحية .

تطوير مفاهيم التربية ومناهجها

القضية الخامسة : تطوير مفاهيم التربية والتعليم ، حيث كانت محدودة في عالمنا الاسلامي والعربي ، وتتناسب مع الظروف المدنية التي كان يعيشها الناس في العصور السابقة .

وأما في هذا العصر فقد تطورت الظروف المدنية كثيراً ، لوجود وسائل الاتصال ، والمدارس والمناهج والعلوم الجديدة ، وفطرة الانسان تدعوه لأن يتوسع ولا يكتفي بمعلومات محدودة . والمصلحون واجهوا هذه القضية ، فطوروا مناهج التعليم بكل الوسائل المتيسرة القديمة والجديدة ، بحيث تمكنوا أن يستوعبوا الحالة الجديدة التي واجهها عالمنا الاسلامي ، وفي الوقت نفسه حافظوا على التربية والتعليم والتزكية التي كانوا يباشرونها ، سواء في المدرسة أم المنبر أم في الكتب والاحتفالات وغيرها .

المحافظة على العلاقة بين الحوزة والأمة

القضية السادسة : المحافظة على العلاقة الروحية والمعنوية بين الحوزة كمركز هداية وتوجيه وارشاد يرتبط بالرسالات الالهية والأئمة عليهم السلام ، الذين يمثلون موقع القيادة السياسية والمرجعية الدينية والهداية التبليغية ، وبين أوساط الأمة التي انفتحت على الثقافات والوسائل الجديدة .

فقد كانت العلاقة محفوظة - سابقاً ، لأن مركز التنقيف والتعليم هو الحوزة العلمية ، فحتى الاطباء والمهندسون كانوا يتخرجون منها ، فابن سنا ، وجابر بن حيان وغيرهما كانوا من أبناء الحوزة .

فكانت الحوزة تنتج كل هذه الاصناف من الناس ، والذين لم يكونوا في الحوزة كانوا

يشعرون بأن الحوزة العلمية هي الأم، فإذا تمكن شخص من الحصول على معلومات من خارج الأم، فهو يشعر بأهمية وعظمة هذه الأم، ويبقى الارتباط الروحي والمعنوي والتسليم لأهميتها. ولكن بعد التطورات الجديدة أصبح للحوزة منافس وهو الخط الثقافي المتمثل بالجامعات والمدارس والمؤسسات التعليمية الجديدة، بل أحياناً يكون هذا الخط أكثر من منافس، بل هو خط مضاد ومعارض لخط الحوزة، ولذلك أصبح أحد الأمور الرئيسة لحركة الإصلاح هو أنه كيف نحافظ على العلاقة الروحية بين الحوزة العلمية، وبين الأوساط الثقافية الجديدة.

وأنا شخصياً قلت: كان هناك اهتزاز حقيقي في هذه العلاقة، فعندما يتخرج الانسان ويصبح مهندساً أو طبيباً فكأنه خرج عن الحوزة، وانقطع عن الارتباط المعنوي بها، وهكذا عندما يتعين شخص في ادارة، أو معلم في مدرسة فإنه ينقطع عن الحوزة، فقد اهتزت العلاقة بهذه الدرجة، وكان هناك مخطط لهذا الفصل والعزل.

وقد واجهت الحوزة قضية رئيسة ومهمة وحياتية عامة، وليست خاصة بجماعة معينة أو بلد أو زاوية معينة، وهذه القضية هي: كيف نحتفظ بهذه العلاقة، ويبقى هذا الارتباط قائماً بين الوسط المثقف والحوزة العلمية، وهذا هو الذي يعبر عنه الامام الراحل عليه السلام بشعاره: وحدة الحوزة والجامعة، وهو يرتبط بهذا الموضوع الرئيسي الذي هو هم من الهموم العامة.

ونجد الكثير من المثقفين لهم علاقة ومحبة وارتباط شديد بالحوزة، وهذا بسبب العمل الجاد الذي قام به علماء الاسلام للمحافظة على هذه العلاقة وهذا الارتباط.

هذه القضايا وغيرها كانت تشكل عناوين رئيسة لتلك النظرة العامة لقضايا الأمة، فكانت المرجعية والحركة اصلاحية تنظر الى هذه الخطوط الرئيسة العامة، والتي تحتها مفردات عامة.

مصاديق لحركة الإصلاح

ويمكن أن نذكر مصاديق وشواهد للحركة التي كانت تنطلق من هذه النظرة الكلية من تأريخنا، وهي حركة المشروطة في ايران، التي كانت تنطلق من الحوزة ويقودها وينفذها علماء الاسلام، وكانوا يدعون فيها الى تغيير كلي في المجتمع يُقَيّد بموجبه الحاكم المستبد بهواه ورأيه - كما هو الحال في الحكم القاجاري - الى حاكم مقيد بالاسلام ونظامه. فحركة المشروطة هي: حركة ذات شمولية، وكانت تأخذ بنظر الاعتبار كل هذه المشكلات مع قطع النظر عن التفاصيل.

وهناك مصداق آخر لذلك وهو حركة العلماء الذين قادوا الجهاد في وجه الانكليز، واستمروا في هذه العملية عندما دعوا الى حركة الاستقلال، أو ما يسمى بمصطلحات الحكم الوطني الجديد بـ «ثورة العشرين»، وهي ثورة الخامس عشر من شعبان، والمقصود من (سنة العشرين) هي السنة الهجرية، ولكن غُيِّر التاريخ ونسبت الثورة الى ٣٠ حزيران. وقد بدأت هذه الثورة وتحركت، وكانت أصولها اسلامية، وكذلك تأريخها، ولم يكن التأريخ الميلادي معروفاً، فالذين قادوا الحركة من هذا الموقع والمنظار، ولذلك عندما تخلفت بعض القضايا الرئسة التي كان يسعى إليها هؤلاء العلماء تراجعوا وانزلوا عنها، ووجدنا أنهم يتعرضون على يد نفس هذا الحاكم - الوطني والمستقل - الى النفي والتباعد والمطاردة، باعتبار طبيعة التوجهات العامة التي كانت عند هؤلاء العلماء.

الامام الحكيم وحركة التغيير الاصلاحى

قد يكون هناك فرق في الوضوح بين الحركة الفعلية - وسوف أشير إليها - وبين تلك الحركة، بوضوح بعض التفاصيل أو اخلال في التفاصيل بين هذا الشخص أو ذاك، ولكن الحالة الاجمالية الكلية العامة للحركة هي حركة اصلاحية تعتمد على المنهج الأول، وتنطلق من الحوزة العلمية وأمكاناتها وقدراتها، وتعتمد على اجهزتها، فالتعبئة التي جرت في حركة الجهاد اعتمدت على اجهزة الحوزة.

وهكذا حركة ثورة العشرين اعتمدت على ارتباط العشائر بالحوزة وأجهزتها، وارتباط الحوزة بالعشائر.

وأحد الشواهد على هذه الحقيقة في العقود المتأخرة هو الامام الحكيم عليه السلام، الذي قاد حركة التغيير الاصلاحى الشامل على أساس هذا المنهج، ويمكن أن تكون هذه العناوين الستة التي ذكرتها مستخلصة من هذه الرؤية الشمولية للامام الحكيم عليه السلام. ويوجد في حركته لكل واحد من هذه العناوين عدة مصاديق، وكانت نظراته شمولية، فهو يرى أن الاصلاح لا بد أن يتم بشكل شمولي عام، حتى يمكن تحقيق المزيد من هذه المفردات ذات العلاقة بقضايا الأمة.

وقد نشطت في أيامه الكثير من المؤسسات والمساجد والجمعيات، وانتشرت الكتب والنشرات والمطبوعات، وأوجد أرضية لكي تنشط الأمة في هذا المجال، فوجدت الكثير من الاحزاب والحركات السياسية هنا وهناك، ولكنها كانت ضمن هذا التحرك العام، الذي كان يقوده

الامام الحكيم عليه السلام ، وهذا الموضوع يحتاج الى تركيز ومتابعة في تاريخه وحياته .

فرضية المنهج التجزيئي

الفرضية الثانية : وهي فرضية المنهج التجزيئي الذي ينطلق من الحوزة ، وقاد هذا المنهج علماء كبار .

أما لماذا اختاروا هذا المنهج في قبال ذلك المنهج ؟ فهذا له حديث واسباب متعددة ، فقد يكون بسبب الظروف السياسية التي عاشوها ، أو بسبب الرؤية التي كانوا يرونها بعدم القدرة على القيام بعمل . ونحن نذكر المصداق مع قطع النظر عن الأسباب والخلفيات لهذا الحديث .

وفي الوقت نفسه نحن نقدر ونحترم وجهات النظر ، ونعتقد أن هؤلاء القادة الذين قادوا هذه الحركات أناس متقون ورعون مصلحون ، وقد يكون هذا التشخيص صحيحاً في بعض الأحيان ، فنحن ننظر الى حركة الاصلاح العامة التركيبية ، وليس الى المفردات ، فقد تكون المفردة ترتبط بتلك القضية الكلية ، ولكن لم يكن التحرك عليها من خلال تلك القضية ، وإنما كمفردة كان يسعى إليها العالم المصلح لمعالجة هذا العيب وحله .

العناوين المهمة في الحركة الاصلاحية التجزيئية

والعناوين المهمة في هذه الحركة الاصلاحية هي :

الاول : مناهج الدروس في الحوزة من حيث المحتوى والمضمون ، لأن الحوزة في أدوارها المتأخرة كاد ينحصر مضمونها العلمي بالفقه والاصول والرجال ، وأما العلوم الاخرى فإما علوم هامشية جانبية تدرس أو لا تدرس .

وقد يصل الأمر الى أن دراسة هذه العلوم يعتبر عملاً غير اسلامي ، ومحارباً من قبل هذا الشخص أو هذه الجماعة ، فكانت هذه مشكلة حقيقية أدركها علماء الاسلام فطوروا الحوزة من الضمور والانكماش الى توسعة دائرتها ، فشملت الفلسفة والكلام والتفسير والتاريخ ، والفقه المقارن ، وتدریس اللغات الاجنبية .

والشيخ الطوسي مؤسس حوزة النجف ، والذي يسمى بشيخ الطائفة عليه السلام كان يباشر شخصياً أكثر العلوم .

الثاني : تنظيم الدروس في الحوزات ، من قبيل إيجاد صيغة الامتحان في الحوزة ، ووضع المراحل التعليمية وضبط الحالة التدريسية ، وتعريف الاساتذة ومستويات الطلبة الى غير ذلك .

وكان السيد البروجردي رحمه الله أحد الدعاة إلى مسألة تنظيم الحوزة على هذا المستوى، فشرع بالامتحان، وعندما طرح فكرة تعميم الامتحان على الطلاب حصلت هناك ضجة كبيرة لمقاومة هذا الامتحان، وأدى إلى وقوع اصطدامات واسعة في أوساط الطلبة.

الثالث: تنظيم الموارد المالية، فقبل السيد أبي الحسن الاصفهاني رحمه الله لم يُعرف موضوع الرواتب في العالم الشيعي، ليس فقط في النجف وقم ومشهد، فالطالب يأتي إلى الدرس ولا يُعطى له راتب، وقد تُعطى توزيعات في بعض المناسبات.

وقد قام السيد الاصفهاني رحمه الله بترتيب الرواتب وتنظيمها، وأخذت تتطور نظمها، ففي البداية كانت توزع على نحو الاعانة على شراء الخبر، لوجود أزمة في أيام الحرب العالمية الثانية، شبيهة بالازمات الحالية في العراق، حيث تُعطى البطاقة التموينية، ثم تطور الأمر إلى موضوع الرواتب العامة. كما كان الاصلاحيون يسعون إلى تأمين الموارد المالية وقضايا السكن للطلاب.

الرابع: تطوير وتسهيل الكتب الدراسية، فقد كانت معقدة وكبيرة جداً يتيه الطالب فيها، وأول من بادر للقيام بهذا العمل هو المرحوم الشيخ الاخوند الخراساني صاحب الكفاية، فقد كانت الفصول والقوانين تدرس سابقاً، فجاء ولخصها في كتابه الكفاية، ثم طور الخطوات بعد ذلك.

الخامس: تطوير المنبر الحسيني الذي كان يمثل مدرسة سيارة، ويمثل حالة التوعية في اوساط الأمة، وكان من الامور المهمة تطويره وجعله قادراً ومؤثراً في تعليم الأمة وارشادها.

السادس: تنزيه الشعائر الاسلامية الحسينية مما يشعر بها من مشكلات، وذلك لما لها من دور في التزكية والتعليم والتربية.

السابع: الانفتاح على المذاهب الاسلامية، سواء كانوا علماء أم مفكرين، وهذه من القضايا التي اهتم بها المصلحون، وأول من بادر إلى التقريب بين المذاهب هو السيد البروجردي، الذي شجع دار التقريب في مصر، وأوجد علاقات مع شيخ الأزهر الذي زار إيران في تلك الأيام.

الثامن: ايجاد المؤسسات المساندة للحركة الاصلاحية، كمؤسسات النشر، ومؤسسات الأعمال الخيرية، والمدارس التعليمية والمكتبات العامة والقضايا الصحية.

التاسع: تغيير العتبات المقدسة والمساجد والحسينيات في مناطق التجمع الشيعي، والتشجيع على بنائها، وتشجيع الناس على إقامة الشعائر الاسلامية كصلاة الجماعة والدعاء والزيارة، إلى غير ذلك مما يرتبط بهذا الخط.

العاشر: إرسال البعثات التبليغية، وكان السيد البروجردي أول مرجع كبير أرسل بعثة تبليغية إلى أوروبا، وأسس المركز الاسلامي في هامبورغ، وأرسل السيد البهشتي ﷺ للقيام بهذه المهمة.

وهكذا الحال في افريقيا والخليج، فقد كان السيد البروجردي أول من عين وكيلاً عاماً له في الكويت، وهو آية الله السيد علي الشبر، إلى غير ذلك، كإرسال بعثة الحج. الحادي عشر: محاربة الفئات الظالمة عقائدياً في الأمة الاسلامية، كالبهائية والوهابية والنواصب والغلاة، فقد كان المصلحون يحاربون هذه الفئات.

وكذلك مواجهة حركات التبشير المسيحي الموجودة في العالم الاسلامي. هذه أهم العناوين التي كان يهتم بها أصحاب المنهج الثاني، الذي يمثل الفرضية الثانية، وكان آية الله السيد البروجردي يمثل مصداقاً بارزاً لهذا المنهج.

فقد عاش في فترة من أشد الفترات حساسية في العالم الاسلامي، حيث كانت مرجعيته بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، وما حصل من تحولات سواء في العالم الاسلامي أم في ايران، أم القضية الفلسطينية وتأمين النفط والتهديد بتقسيم ايران، ونشوء حركة فدائيان اسلام، وما أعقبها من تطورات وتحولات. وهكذا سقوط الملكية في مصر والعراق.

وكان هو المرجع الاعلى، وإن كان هناك مراجع مهمون كالامام الحكيم ﷺ، ولكن من حيث الأهمية والتقدم كان السيد البروجردي، وذلك باعتبار وجوده في ايران، التي لها ثقلها في عالمنا الاسلامي والشيوعي.

وحركة السيد البروجردي الاصلاحية في هذه المفردات أكثر من اتجاهها في المفردات الأخرى، مثلاً طبع في زمانه كتاب التباین لأول مرة، وكذلك بنى المدارس والمؤسسات والمكتبات.

وأما مواقفه من قضية فلسطين وهي قضية ساخنة فنجدها محدودة، ولا نجد له موقفاً مسانداً للحركة الاسلامية، وما جرى عليها قتل نواب صفوي ﷺ مع مجموعته.

وفي قضية اعتراف ايران بإسرائيل لا نجد له موقفاً واضحاً، وكذلك اعدام أو مطاردة الاخوان المسلمين في مصر، وغيرها من القضايا لا نجد هناك معالم واضحة تعبر عن ذلك المنهج الذي أشرت له.

وظروف الامام الخوئي مشابهة لذلك، لأننا عندما نراجع حركته نجدها انصبت على هذه القضايا والعناوين التي أشرت إليها، فقد باشر بتفسير القرآن، واهتم بموضوع علم الرجال وهكذا، وتغلبت عن القضايا السياسية، وقد تكون هناك أسباب لذلك ولا أريد الدخول في هذا البحث.

فقد دخل في الثورة الاسلامية التي قامت في ايران، لكنه تغلب عن هذا الموضوع وتركه، وكذلك دخل في الانتفاضة بكل وجوده وقدراته وامكانياته، لكنه لم يستمر، والمنهج العام الذي كان يتحرك ويفكر فيه يمكن أن يُحسب على المنهج الثاني.

فرضية الاحزاب السياسية

الفرضية الثالثة: الأحزاب الاسلامية التي تحركت في أوساط الأمة، ونظرتها كلية شمولية، وتنتظر الى العناوين الرئيسة.

نعم قد لا تكون نظرتها بهذا التفصيل كالمرجعية الدينية، التي كانت نظرتها أوسع وجذورها أعمق وامكانياتها وقدراتها أكثر.

وهذه الأحزاب الاسلامية انطلق قسم منها من الحوزة العلمية، وقسم آخر انطلق من خارجها، ولكنها لم تكن ترى في نفسها أنها مؤسسة من مؤسسات الحوزة وتابعة لها، وقد تصب في نفس الاهداف والمصالح التي تسعى لها الحوزة، ولكنها متجهة باتجاه ثانٍ.

فرضية الجمعيات

الفرضية الرابعة: التي تهتم بالجزئيات، لكنها خارج الحوزة، وهي فرضية الجمعيات التي تهتم بتلك المفردة أو هذه في الأمة، كالمدارس الجعفرية في العراق والتي اهتمت بقضية التعليم، وجمعية الصندوق الخيري في العراق التي اهتمت بالاعلانات، ثم تطورت لانشاء المدارس والكلديات.

وكذلك جمعية منتدئ النشر التي بدأت من الحوزة، واسمها يدل على ذلك، ويراد منها نشر الكتب واحياء التراث الاسلامي، وبعد ذلك تطورت وخرجت من ذلك الموقع الى موقع آخر خارج الحوزة، فأنشأت مؤسسات تعليمية وأسسست كلية، وكان عندنا فكرة تأسيس جامعة، ثم تطورت علاقاتها مع مؤسسات التعليم في العراق والعالم العربي.

وهكذا الجمعيات في ايران كصندوق قرض الحسنه أو المحبتيه، أو في لبنان كجمعية المقاصد

الاسلامية أو المدرسة الجعفرية التي أسسها المرحوم شرف الدين وغير ذلك .
وبعض هذه الجمعيات بدأت من الحوزة ثم انتهت فيها ، وبعضها بدأت خارج الحوزة وبعد ذلك انتهت الى الحوزة ، حسب حركة المرجعية الاصلاحية العامة .

فالصندوق الخيري بدأ من خارج الحوزة ، وليس له علاقة بها ، ولكن من خلال المرجعية القوية للامام الحكيم (عليه السلام) بدأت تستقطب حتى المفردات خارج الحوزة وتربطها بالحوزة ، واصبحت جزءاً من الحوزة ، وأكثر الحالات بهذا الشكل .

المنهج الأول أفضل المناهج

وأنا في تصوري أن طلاب الحوزة العلمية يجب عليهم أن يعرفوا الخصائص المميزة لهذه المناهج أولاً ، والخلفيات وماهي رؤياتها ودليلها الشرعي ، وجانب الحكم فيها ، والآثار الشرعية المترتبة على هذه المناهج ثانياً .

فأنا أعتقد أن المنهج الأول أفضل المناهج ، وهو منهج الاصلاح الذي ينظر الى القضايا العامة للأمة ، وتكون نظراته كلية شمولية وينطلق من الحوزة ، فالفرضية الأولى هي أفضل الفرضيات ليس على مستوى التحليل النظري ، بل على مستوى المشاهدة الخارجية العملية .

فند سقطت الدولة الاسلامية وحتى يومنا هذا عندما ننظر لهذه الحركات والنتائج التي ترتبت على الفرضيات الأربع ، نجد أن أكثر فرضية تمكنت أن تحقق إنجازات وتصل الى أهدافها كانت الفرضية الاولى والمنهج الأول ، وليس ذلك من خلال نظرتنا لما جرى في ايران فقط ، وإن كان هذا شيئاً عظيماً جداً ، وهو أكبر دليل وشاهد على هذا يصح الاستدلال هنا .

وهناك شواهد كثيرة على أن هذا المنهج هو المنهج الصحيح ، في العراق وايران وباكستان ، وعندني شواهد ومعرفة بما جرى في هذه البلدان ، والبلدان الأخرى ، تدل على أن آثار المنهج الاول ونتائجه وقدرته على تحقيق اهدافه من ناحية ، والثمار التي حققها في خدمة الاسلام والمسلمين من ناحية أخرى كانت أفضل بكثير من المناهج والفرضيات الأخرى .

وكان الشهيد الصدر (عليه السلام) قد انتهى الى الفرضية الأولى وتحرك حركته السياسية والاجتماعية على وفقها ، والنتائج الكبيرة التي حققها الشهيد الصدر (عليه السلام) كانت من خلال الفرضية الأولى ، وكان دمه الشريف أفضل شاهد على هذه الحقيقة .

وكان (عليه السلام) مؤمناً بهذه الفرضية إيماناً عميقاً ، بحيث إن دمه الشريف أريق في هذا السبيل ،

وهذا الشاهد موجود أيضاً في الامام الخميني رحمته الله وفي الامام الحكيم رحمته الله ، باعتبار استعدادهما للتضحية ، ولكنها لم يوفقا للشهادة ، والشهيد الصدر رحمته الله كان له هذا الشاهد البين في حياته .
والى أرواح جميع العلماء الذين ذكرناهم ، والتي كانت لهم هذه المساعي الاصلاحية التي قدموها باخلاص وتفانٍ وتضحية ، الى ارواحهم جميعاً الفاتحة .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حركة الشهيد الصدر الإصلاحية في الحوزة العلمية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب الله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا أبي جعفر محمد بن علي الجواد التقي ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الميامين ، والصلاة والسلام على مولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج) . والسلام على شهداء الإسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للإسلام وحتى شهداء هذا العصر . والسلام على سيدنا ومولانا آية الله العظمى المقتدى الشهيد الصدر رحمته . والسلام على سادتي العلماء وإخواني وأعزائي المؤمنين الكرام ورحمة الله وبركاته .

تعزية ومناسبات

في البداية أتقدم لكل السادة الأفاضل والأخوة الأعزاء ولعموم المسلمين لا سيما الشعب العراقي بالتعزية بمناسبة شهادة سيدنا ومولانا الإمام التاسع أبي جعفر محمد بن علي الجواد ، فكما هو معروف أن شهادته في مثل يوم أمس التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام ، وتقترن في هذا العام بشهادة سيدنا ومولانا آية الله العظمى الشهيد الصدر رحمته وذلك حسب التاريخ الهجري الشمسي المصادف في التاسع عشر من شهر فروردین .

ونعيش في هذه الأيام ذكريات كثيرة لأهل البيت عليهم السلام ، في التاريخ القديم - على ما يُذكر - أن في مثل هذا اليوم الأربعاء ، الأول من ذي الحجة - حسب الظاهر - كانت ولادة شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام جد أهل البيت الذي اصطفاه الله سبحانه وتعالى اصطفاً خاصاً . وعنوان « أهل البيت » أطلق في القرآن الكريم أولاً على إبراهيم وآل إبراهيم .

وفي مثل هذا اليوم - أيضاً على ما يُذكر في التاريخ - كان زواج سيدنا ومولانا الإمام أمير

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) في مكتبته في قم يوم الأربعاء ٩ / ٤ / ١٩٩٧ م - ١ / ١٢ /

المؤمنين ﷺ من الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ .

وفي الأيام الآتية ستقبل علينا شهادة سيدنا ومولانا أبي جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ . وهكذا تتجدد ذكريات أهل البيت ﷺ ... ولكن كما عُرف في تاريخهم ﷺ أن أعيادهم مآتهم ، لذلك فالحديث - عادةً - يكون عن جانب المظلومية والمأساة ، لأنها الطابع والصفة العامة التي جرت على أهل البيت ﷺ . ففي القديم جرت المظلومية على إبراهيم ﷺ عندما حطم الأصنام ، فكان عقابه من الطغاة أن ألقوه في النار ، ولكن الله جعلها برداً وسلاماً ، ولكن مع ذلك شرد إبراهيم وأخرج من دياره وهاجر إلى ربه وانتقل إلى بلاد أخرى ، ومنها انتشر الهدى في العالم إلى سادتنا ومواليها أئمة أهل البيت ﷺ الذين تعرضوا هم أيضاً إلى المحن والآلام ، حتى أصبحت المظلومية من القضايا الواضحة البارزة في هذه السلسلة الذهبية المباركة .

مضمون المظلومية وأبعادها

وقد تحدثنا في أحد الأحاديث في هذا المجلس عن المضمون المعنوي للمظلومية وعن أبعادها وأهميتها وطرح القرآن الكريم لها ، وهذا من الموضوعات المهمة جداً التي لا بد من فهمها بكل أبعادها لنعرف أن التفاعل مع مظلومية أهل البيت ﷺ وأولادهم ، حتى ما شهدناه في هذه الأيام من شهادات عظيمة ، كشهادة السيد الشهيد الصدر ﷺ ومن كان معه من العلماء الأفاضل ، ليس مجرد أحاسيس وانفعالات تجري في النفس ، وإن كانت نبيلة وصحيحة ومشروعة ومحبوذة عند الله سبحانه وتعالى ، وإنما هي أكبر من هذا بكثير ، ولذلك اهتم بها القرآن الكريم والأئمة ﷺ . وهذا يفسر لنا - أيضاً - أن الأعياد مآتم ، فقد ورد عن الإمام زين العابدين ﷺ أنه قال : « ما تجدد عيد إلا وتجدد الحزن لآل محمد »^(١) ذلك لأنهم يرون دائماً أن حقهم في العيد مغتصب ، وهذا يبدو واضحاً فقد كانت صلوات الأعياد سابقاً يؤمها الغاصبون لخلافة أهل البيت ﷺ .

ولكن في هذا العصر - والحمد لله رب العالمين - من سبحانه وتعالى علينا بهذه النعمة العظيمة والرحمة الواسعة وهي الدولة الإسلامية المباركة التي يقودها علماء ربانيون ، يقيمون صلاة العيد فيها ويجددون أعياد آل محمد ﷺ .

والحديث في هذه المناسبات واسع يحتاج إلى وقت طويل ، ولكن الحديث عن الشهيد الصدر ﷺ باعتباره حديث اليوم ، لذلك كان السؤال حول شخصية الشهيد الصدر ﷺ وهو في

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣ : ٢٩٥ . وعنه البحار ٤٦ : ٩١ - ٩٢ ، ح ٧٨ .

الوقت نفسه حديث عن الإمام الجواد والباقر وعن فاطمة الزهراء وعن آل رسول الله ﷺ ، وحتى عن إبراهيم عليه السلام لان الشهيد الصدر يمثل في حركته الامتداد الطبيعي لهذه الحركات والوجودات الشريفة ، وشرف هذه الوجودات باعتبار إنتائها الى الله سبحانه وتعالى وإلى السماء والرسالات الإسلامية ، فهي سلسلة مباركة يرتبط بعضها ببعض الآخر . ومن امتيازات الرسالة الإسلامية أنها صدقت كل الرسالات السابقة وأكدتها ، وكانت مهيمنة عليها - أيضاً - فانتهت بها الى مرحلة الختم .

ولذلك فالشهيد الصدر عليه السلام يمثل امتداداً حقيقياً لكل هذه الذكريات ، والحديث عنه حديث واسع واختير فيه الحديث عن حركة الإصلاح في الحوزة العلمية للشهيد الصدر عليه السلام .

حركة الإصلاح في الحوزات العلمية

لقد تحدثت في محاضرة سابقة في مجمع الكوادر الإسلامية الأسبوع الماضي عن موضوع أعتبره من الموضوع المهمة والجديدة التي نحتاج في الحوزات العلمية أن نستوعبها بشكل كامل . وهو موضوع حركة الإصلاح في الحوزات العلمية .

وقد قسّمت في هذا الموضوع حركات الإصلاح في الحوزات العلمية الى أربعة أقسام ، فتارة تكون حركة الإصلاح في الحوزات العلمية عامة وشمولية . وأخرى تكون حركة تجزئية تتناول جانباً وجزءاً من الأوضاع الفاسدة في المجتمع أو في الحوزة العلمية وتحاول إصلاحه .

وعندما أقول : جزءاً ، لا أقصد المصداق الواحد والمفردة الواحدة ، فربما يكون هذا الجزء مشتملاً على عدة مصاديق ومفردات ، لكن تبقى النظرة تجزئية لقضايا معينة يُراد تحقيق الإصلاح فيها . وكل من هاتين الحركتين العامة والتجزئية تتناولان جانباً وجزءاً من الأوضاع الفاسدة في المجتمع .

ونلاحظ أيضاً أن حركة الإصلاح في الحوزة تبدأ أحياناً من الحوزة وتكون جزءاً من كيانها وجهازها وتشكيلاتها ، بحيث تكون منتمية للحوزة إنتاءً عضوياً تشكيلتياً - وإذا صح التعبير - . وأخرى تنطلق من الحوزة ويقودها علماء من أبنائها ، لكنها تكون خارج الحوزة ، أي في أوساط الأمة دون أن تكون جزءاً من وجود الحوزة وتشكيلاتها وجهازها والعضوية فيها . وقد ذكرت هناك أمثلة لكل واحد من هذه الأقسام الأربعة .

الشهيد الصدر : النظرة الشمولية للإصلاح

وإذا أردنا أن ننظر إلى الشهيد الصدر رحمته نظرة شاملة وصحيحة لنعرف لأي قسم ينتمي من حركات الإصلاح، للإصلاح نظرة عامة وشمولية، فهو ينطلق من القضايا الكبيرة الواسعة في الأمة ومن همومها العامة في تحركه الإصلاحي، ويحاول أيضاً إيجاد التغيير العام الصالح في المجتمع ليتمكن من تناول كل المصاديق والمفردات الموجودة في العالم الإنساني والإسلامي.

الحركة الإصلاحية للإمام الخميني

وذكرنا أيضاً مثلاً واضحاً بيناً لحركة الإصلاح من هذا الصنف وهو ما قام به الإمام الخميني رحمته، فلم يُعرف عنه أنه قام بعمل إصلاحي في مفردة من المفردات أو في جانب من جوانب المجتمع فقط كبناء المدارس، والكليات والجامعات، أو تأسيس الجمعيات الخيرية، وغير ذلك فيما يقوم به الكثير من المصلحين في المجتمع، وإنما كان همه الرئيس إيجاد الإصلاح العام ووضع قضايا الأمة الرئيسة وهمومها العامة أمامه في هذه الحركة الإصلاحية، وتمكن من تحقيق الإنجاز العظيم المتمثل في هذا التغيير الكبير الذي حصل في المجتمع الإسلامي والذي أدى إلى إصلاح الكثير الكثير من المفردات على مستوى الحوزة العلمية، أو على مستوى المصاديق ذات العلاقة بالقضايا الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، إلى غير ذلك مما نشاهده من آثار حركة الإمام الخميني رحمته الإصلاحية.

وأذكر بهذه المناسبة ونحن نتحدث عن الشهيد الصدر، إحدى الملاحظات المهمة التي سجلها الشهيد الصدر رحمته لصالح الثورة الإسلامية في إيران التي قادها الإمام العظيم رحمته، فكان يقول: إن الإمام لم يبق بالكثير مما قام المصلحون من أعمال إصلاحية جزئية في هذه المفردة وتلك، لكنه قام بعمل عظيم هو إقامة الدولة الإسلامية، وهذا ما كانت له آثار وامتدادات لم يتمكن جميع المصلحين الذين قاموا بمختلف الأعمال الإصلاحية لمختلف المجالات من تحقيق هذا القدر من النتائج والآثار. وهذه النتائج كانت بسبب هذه النظرة الشمولية العامة للإصلاح.

مميزات الحركة الإصلاحية للشهيد الصدر رحمته

وفي مقابل هذا القسم، هناك قسم آخر من المصلحين، هم أولئك الأفئدة من العلماء الذين قاموا بأعمال إصلاحية كثيرة في الحوزات العلمية، ولكنها تتمثل في مفردات معينة كإحياء التراث أو كتاب المناهج الدراسية وتسهيلها أو توفير الكتب الدراسية أو إيجاد المدارس المنظمة أو التبليغ

أحياناً، كإرسال المبلغين وغير ذلك مما قاموا به، فجزاهم الله خير الجزاء. ولكن هذه الأعمال تبقى محدودة. وشهيدنا الصدر عليه السلام تميّز بميزات إضافية في حركته الإصلاحية، يمكن القول بأنها جعلته من المصلحين المتميزين. وعندما نقول: ميزات إضافية، لا نقصد عدم وجود نظير للشهيد الصدر عليه السلام - هذا بحث آخر - وإنما نريد بيان أن هناك خصائص في هذا المصلح الذي يتبنى هذا الخط، تجعله متميزاً في هذا العصر وفي الكثير من العصور الماضية إذا أردنا مقارنته مع المصلحين الذين ينتمون إلى هذا الصنف من المصلحين. لا إلى الأصناف والأقسام الأخرى.

١ - الدخول في المفردات الجزئية

الميزة الأولى: هي أنه عندما كان يتحرك على هذا المستوى من العمل الإصلاحي، نجده في الوقت نفسه يتحرك على الكثير من المفردات التفصيلية الجزئية للعمل.

وهذه من الميزات الفريدة، لأن الكثير من المصلحين الذين شاهدناهم يتحركون على الخط العام، وهو الخط الرئيس والأساس ويكون همهم الكبير هو الإصلاح الكلي، قد لا يجدون الوقت أو الفرصة المناسبة للدخول في التفاصيل الإصلاحية، أما الشهيد الصدر عليه السلام لما وهبه الله تعالى من قابليات وإمكانات ومواهب عظيمة كان يتحرك على الخط الإصلاحي العام، وفي الوقت نفسه يتحرك على الكثير من المفردات ذات العلاقة بالأوضاع المختلفة للمجتمع: الثقافية والسياسية والاجتماعية، لإيجاد مفردات إصلاحية تدعم التحرك الإصلاحي العام.

طرح الفكر الإسلامي

فتلاحظ مثلاً أن الشهيد الصدر عليه السلام على مستوى الفكر أحدث تحولاً كبيراً في عرض الفكر الإسلامي. والفكر الإسلامي هو فكر القرآن والرسالة الإسلامية، ولم يأت الشهيد الصدر عليه السلام بفكر جديد وبرسالة جديدة، لكنه في عرض الرسالة واستنباط مفاهيمها والتركيب والجمع بين هذه المفاهيم وطرحها على المجتمع كان في القمة في هذا العصر بالنسبة لهذه المفردة، وذلك من خلال النتاج الواسع الذي تركه في ما نسميه بـ (التنظير للفكر الإسلامي) على مستوى الفلسفة والاقتصاد والفقه والدراسات التاريخية وتفسير القرآن الكريم. وحتى على مستوى تصوّر النظرية الإسلامية في الحكم، والرسائل التي قدمها الشهيد الصدر عليه السلام في إعطاء التصور عن الحكم الإسلامي كانت على صغرها ومحدودية الوقت الذي كتبت فيه، وهو وقت قياسي، عملاً عظيماً، ونجد أن النتائج التي توصل إليها الشهيد الصدر عليه السلام كانت ذاتها التي توصل إليها العلماء الكبار في

مجالس الخبراء هنا في إيران، عندما أرادوا وضع الأسس للدستور الإسلامي . ومنها تلك المفردة المهمة التي تحدث عنها سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي (حفظه الله) ووضع أسسها الإمام ﷺ ، وهي مفردة مجلس تشخيص المصلحة الذي كانت فكرته واقتراحه من الأفكار والاقتراحات التي دونها الشهيد الصدر ﷺ في رسائله العملية الصغيرة ، في الوقت الذي لم تكن فيه أي مؤسسة من مؤسسات الجمهورية الإسلامية قد قامت ، وإنما صوّت الشعب الإيراني على النظام الإسلامي فقط .

وكذلك نجد أن الشهيد الصدر ﷺ في الوقت نفسه ينظر للمرجعية في ظل الدولة الإسلامية ، ماهي خصائصها ؟ وماهي الظروف التي تعبّر عنها المرجعية الموضوعية ؟ .

فعملية التنظير كانت عملية واسعة ومستوعبة وشاملة في حركة الشهيد الصدر ﷺ ، ونكاد نقول : لا توجد مفردة من المفردات لم يتناولها الشهيد الصدر ﷺ بالتنظير ، إما بشكل كامل وواسع ، وإما بتوضيح أصولها وعناوينها الأولية ، على أن تكمل في المستقبل . وحتى كتاب « مجتمعنا » الذي وعد به ، صحيح أنه لم يتمكن من طرحه في المجتمع ككتاب كامل ، إلا أن أصوله يمكن أن نفتش عنها ونجدها في كتاباته . وهذه خصوصية مهمة جداً من خصائص الشهيد الصدر ﷺ .

٢- ممارسة العمل الإصلاحي

الميزة الثانية : المهمة التي كانت في شخصيته ﷺ ، أنه كان يقدم الأفكار الإصلاحية ويطرح الأفكار الإصلاحية وينادي بها ويدعو الناس إليها ، وفي الوقت نفسه كان يمارس شخصياً هذا العمل الإصلاحي ، ويريد دائماً أن يكون القدوة في الدعوة والنداء الذي يطرحه على الناس . إن كل الأفذاذ والمخلصين الذين دَعَوْا إلى الإصلاح كانوا على استعداد دائماً للقيام بممارسة ذلك وتقديم القدوة ، ولكن ربما لم تنهياً لهم الظروف أو لم تسمح أوقاتهم بذلك ، أو لم يجدوا القدرة على أداء هذا الواجب .

أما الشهيد الصدر ﷺ - فبلطف من الله وفضل - كان يمارس هذه التفاصيل شخصياً في موضوع الإصلاح ، فهناك الكثير من المفردات الإصلاحية مارسها الشهيد الصدر ﷺ في مناهج الدراسة وتأسيس المدارس .

فقد لا يعرف الكثير من الإخوة أنه عندما أسس كلية أصول الدين في بغداد قام بكتابة مناهج علوم القرآن للصف الأول لهذه الكلية . وهذا المستوى يتمكن من تأديته أي طالب من

طلاب الشهيد الصدر عليه السلام آنذاك، ولكنه كان دائماً يقوم شخصياً بتنفيذ هذه العملية وممارستها. أما تيسير الرسائل العملية، فكل الإخوة الأعزاء المتفقهين يعرفون أن اللغة التي كتبت بها الرسائل العملية لعلماؤنا ومراجعنا هي لغة غير ميسرة ولا يفهمها بشكل كامل إلا الدارسون لهذه النصوص، بل ربما لا يفهمها الدارسون أيضاً بشكل كامل، إنما يفهمون بعضها أو قسماً كبيراً منها. فهي غير ميسرة للناس، وهي ليست كتباً دراسية، فقام الشهيد الصدر عليه السلام شخصياً بكتابة (الفتاوى الواضحة) وهذا مما لا أجد له نظيراً في تاريخنا.

قد يكتب بعض الفضلاء ويقوم بتيسير ذلك، كما حصل بالنسبة الى 'توضيح المسائل' التي أصبحت الرسالة العملية الفارسية المتداولة بين الناس. لكن هناك لجنة اجتمعت من أصحاب القلم والبيان وكتبوا هذه الرسالة، وروجعت بعد ذلك من المرجع العام في ذلك الوقت آية الله العظمى السيد البروجردي عليه السلام، فأقرها على فتاواه، فأصبحت الرسالة المتداولة بين الناس. أما الشهيد الصدر عليه السلام باعتبار أن وقته مزدحم، فقد حاول في بداية أن يكلف بعض الأشخاص المهمين - ولا أتذكر أسماءهم - فكتبوا شيئاً من ذلك، لكنه وجد أن هذا لا يفي بالغرض فقام شخصياً بكتابة (الفتاوى الواضحة) وعرضها للناس.

ومع الأسف لم يتوفر له الوقت، فعاجله الطغاة المجرمون وقتلوه قبل إتمام هذا المشروع، وإلا لأصبحت عندنا دورة فقهية كاملة مكتوبة بهذه اللغة الواضحة. وكان في (الفتاوى الواضحة) جانب تجديدي ليس فقط في اللغة والعرض، وإنما في منهج الجانب الفقهي في الفتاوى الواضحة. وفي نص (الفتاوى الواضحة) خصوصية أخرى مهمة جداً للشهيد الصدر، هي الجانب التقريبي مع المذاهب الإسلامية الأخرى، في الوقت الذي يحتفظ فيه تماماً بمذهب أهل البيت عليهم السلام، فيتجنب أن يذكر فيه أي شيء يثير حساسية المذاهب الأخرى ويؤذي مشاعر الناس في تلك المذاهب.

وهذه الخصوصية مهمة جداً في العمل التقريبي وهو من الأعمال المهمة على مستوى التجديد والإصلاح الذي كان يمارس في الحوزات العلمية. إذن، فهناك جانب مهم يمتاز به الشهيد الصدر عليه السلام، فبالإضافة الى موضوع التنظير والطرح والنداء ودعوة الناس وتذكيرهم وتعبئتهم باتجاه الإصلاح، كان شخصياً يقوم بممارسة ميدانية للعمل الإصلاحي حتى بالنسبة الى بعض الجزئيات والتفاصيل في سبيل تقديم القدوة في هذا المجال.

٣- شهادته

الميزة الثالثة : هي الشهادة . وإن كان كل العلماء الذين نعرفهم في الحركات الإصلاحية مستعدين لتقديم أنفسهم في سبيل الإسلام والمبادئ والقيم الإسلامية ، وكانوا يعرضون أنفسهم الى الأخطار الفادحة .

وإمام الأمة ﷺ تعرض الى أخطار ، وكان قريباً من الإستشهاد في سبيل الله والرسالة والدعوة . وأنا أعرف الإمام الحكيم باعتباره من العلماء الذين عايشتهم وكنت أراهم عن كتب ، فإنه ﷺ عندما سافر من النجف الى بغداد وكان مريضاً في سفره الأخير الذي حوَّصر فيه من قبل العفالة المجرمين ، قال : « أشعر الآن أن خروجي في هذا الموضوع كخروج الإمام الحسين ﷺ الى كربلاء » فكان يتوقع أن يجري عليه كل شيء ، ودوهم منزله وحوَّصر وكان من المحتمل أن يتعرض الى القتل كما يتعرض الشهداء . لكنه على كل حال لم يستشهد فيزات علمائنا في التاريخ أنهم دائماً على استعداد للتضحية والفداء والتعرض لمختلف الأخطار ، لكن قليلاً منهم من تعرض للشهادة . فهناك أعلام كالشهيد الأول والشهيد الثاني وغيرهم من الشهداء .

والشهيد الصدر ﷺ كانت من ميزاته في الحركة الإصلاحية ، أنه كان يدعو الى الإصلاح ، ويقوم شخصياً بتنفيذ العمل الإصلاحي ، ثم ختم ذلك بالشهادة والدم ليعطي القيمة الحقيقية للإصلاح .

والشهادة عندما ننظر الى مضمونها وعنوانها نجد أنها مأخوذة من الشاهد الذي يشهد على الحقيقة - شاهد الحق - والذي يتبنى الحركة الإصلاحية ، ثم يختتمها بالشهادة والدماء ، فتثبت حينئذٍ وتستمر من خلال هذا البذل وهذا العطاء .

والشهيد الصدر ﷺ إستشهد في سبيل الدعوة الإصلاحية ، والإستشهاد هنا كان عن تصميم وإرادة واختيار ، وكان ضمن التخطيط العام الذي يسير عليه .

فكان ﷺ يضع أمامه الشهادة ويستمر في هذا العمل حتى ينتهي لهذه الغاية . وهذه الشهادة تختلف عن الشهادات الأخرى التي هي أيضاً مظلوميات ولها درجات عند الله تعالى ، لكنها لا تكون عن تصميم واختيار . فالإنسان قد يدعو الى الحق ثم يتعرض دفعة واحدة الى ظلامة فيقتل ويستشهد بدون تصميم مسبق منه على ذلك ، غاية الأمر أن يكون مظلوماً يقتل بسبب دعوته الى الحق .

أما الشهيد الذي يستشهد وقد وضع ذلك أمام عينيه من أول مرة ، وإرادته قوية في هذا الطريق ، فهذه هي ميزة الإمام الحسين عليه السلام . عندما نظر الى الإمام الحسين عليه السلام باعتباره المثل الأعلى للشهادة ، نجد أن لديه تصميماً واختياراً للشهادة منذ حركته الأولى ومنذ أن كان هناك أمل كبير بالنصر . لكنه مع ذلك يقول « خط الموت على ابن آدم مخط القلادة على جيد الفتاة »^(١) فال موت والشهادة كانت موضوعة أمام عينيه ، لكنه يستمر على تصميمه مهما اختلفت الظروف وتغيرت حتى يصل الى هذه النهاية .

وهذه النقطة من النقاط المهمة جداً في شخصية الشهيد الصدر عليه السلام .

وبعض الأشخاص الذين تحدثوا عن الشهادة العظيمة له لم يحسنوا الحديث عنها ، بالرغم من إخلاصهم وحبهم له ، فبعضهم أظهر أنها عملية يائسة كأن ييأس الإنسان من الحياة ومن كل المسالك فلا يرى أمامه إلا أن يقتل في سبيل الله .

نعم ، هناك شهداء عظماء كانوا بهذا الشكل لكن شهادة الشهيد الصدر عليه السلام لم تكن بهذا الشكل ، وإنما كان يرى - بحسب ما أعرفه لأنني عشت أيامه الأخيرة عن كثب - أن لهذه الشهادة مضموناً ومعنى في تحقيق الآثار والنتائج .

فلم تكن عبارة عن حالة انقطاع الأمل بكل شيء ، عندئذ يفضل القرب من الله تعالى فيحبه ويفضله على لقاء الناس والبقاء بينهم . هذا النوع من الشهادة لا ينبغي أن نتحدث به عن الأفذاذ الرساليين الذين يتحملون المسؤوليات ، فالعمل في سبيل الله هو مسؤولية كل الصالحين فضلاً عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام الذين كانوا يحبون الشهادة .

فالإمام الحسن عليه السلام ذهب وهادن معاوية ، وكان يمكن أن يصاب باليأس عندما يرى خيانات وتخاذل الناس عنه ، فيذهب بعملية إستشهادية بالدخول في مواجهة مع معاوية ويقتل وينتهي الأمر . لكنه لم يصنع ذلك ، مع أنه رأى عبيد الله بن العباس تتخاذل عنه وهو أقرب الناس إليه ، وتخاذل عنه الذين يحرسونه في الطريق ، فهجموا عليه وحاولوا قتله في الأنبار ، لكنه مع ذلك كان يرى أمامه مسؤولية كبيرة في العمل .

والشهاد الصدر عليه السلام أيضاً كان يرى هذه المسؤولية ، لكنه يرى في الشهادة آثاراً ونتائج وأنها دواء للناس وتوعية وإيقاظ لضائرتهم ، فاستشهد في سبيل الله .

مضمون شهادته وثمرتها

كنت بالأمس أتحدث عن موضوع اعتبرته من الموضوعات المهمة، وهو الخطاب السياسي للشهيد الصدر عليه السلام. وقلت: إننا أصبحنا الآن أكثر إيماناً بعد مضي هذا الوقت من شهادته الشهيد الصدر عليه السلام - حوالي سبعة عشر عاماً مضت - أصبحنا الآن أكثر إيماناً بأهداف الشهيد الصدر عليه السلام لأننا وجدنا الآثار العظيمة - والحمد لله - التي ترتبت على شهادته، من الوعي الكبير الواسع الموجود الآن في العراق وشيعته، وتوجه الناس للإسلام، وفرض هذا الوعي حتى على النظام الفاسد الكافر الذي كان يتجاهر بالعداء للإسلام. فيضطر صدام للكتابة بيده «الله أكبر» على العلم العراقي من أجل تضليل الناس. ويجري الانتخابات - مثلاً - ليختار الناس صدام وهو لا يحترمهم ولا يعتقد أصلاً بالأمة والشعب، بل يرى نفسه مالكا لهم. لكن هذه الحركة الواعية للأمة هي التي فرضت نفسها على النظام وأضعفته ليقوم بهذه الأعمال.

ولو لاحظنا بيانات الشهيد الصدر، لوجدنا أنه كان يطالب بهذه المطالب، وأصبحت الآن مطالب الأمة كلها.

الارتباط بالحوزة

فلشهادة الشهيد الصدر عليه السلام هذا المضمون، وحركته كانت من الحوزة وإلى الحوزة، وكان يرى أن النجاح والفلاح في الحركة الإصلاحية إنما يمكن تحقيقه إذا كانت نابعة من الحوزة العلمية وأصالتها وطهارتها ونظافتها، ومن روح التقوى والإخلاص فيها، ومن روح الارتباط بالإسلام الأصل الذي لم يتأثر بالمؤثرات الخارجية.

وكان يرى أيضاً أن الإصلاح يمكنه تحقيقه من خلال جهاز الحوزة وتشكيلاتها وارتباطاتها بالأمة والإمكانات والقدرات التي تملكها في أوساط الأمة.

ولا يمكن أن تشبه هذه الطاقات والإمكانات أي طاقات وإمكانات أخرى إذا كانت مستمدة من الرسالة الإسلامية ومن العمق والجذر الموجود في نفوس الناس.

ولذلك نجد أن النظام حاول أن يقطع عن الناس كل شيء، لكنهم بقوا متمسكين بجذورهم، وهذا مثل لما يذكره القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توفي أكلها كل حين﴾ ^(١). فعندما هتف الناس في العراق «لو قطعوا أرجلنا

واليدين ، نأتيك زحفاً سيدي يا حسين » ، فقد قُطعت أرجلهم وأيديهم وصُلبوا على أعواد المشانق في كل مكان ، وطوردوا وشُردوا وأُخذوا من فوقهم ومن تحتهم ومن بين أيديهم ، لكنهم مع ذلك بقوا صامدين حتى تمكنوا من فرض وجودهم على الطغاة ، والآن أصبحت قضية الإمام الحسين عليه السلام وزيارته والتوجه إليه هي القضية الأولى البارزة في العراق .

وهذا الموضوع من الموضوعات المهمة التي لا بد أن نلتفت إليها في موضوع الشهيد الصدر عليه السلام ، وهو ما تميزت به حركته الإصلاحية . وإمام الأمة أيضاً كان يرى هذه الرؤية ، ونجاحه وفلاحه في تحقيق هذا الإنجاز كان لإرتباطه بالحوزات العلمية .

والإمام الحكيم عليه السلام الذي حقق إنجازاً عظيماً جداً على مستوى العراق وتاريخه ، باعتبار هذا النوع من الارتباط والتمسك بالحوزة العلمية .

ونحن أبناء الحوزة العلمية الذين نعيش في قم وفي هذا البلد المقدس ... في الحوزة العلمية الكبيرة الأم ، ونتطلع الى اليوم الذي تتحرر فيه حوزة النجف الأشرف من الطغيان والظلم ، لا بد أن نستوعب هذا الموضوع المهم قبل غيرنا ، ونفهمه فهماً كاملاً واضحاً قبل أن يستوعبه الأعداء الذين يدركون أن للحوزة العلمية هذا الدور ، وحاولوا في الأيام الأخيرة إحتواء الحوزة العلمية في العراق بأساليب مختلفة ، من تشتييت جهودها وإثارة الخلافات والصراعات في المرجعية ، وما أشبه ذلك مما صنعه أعداؤنا المستكبرون . ووجدنا - والحمد لله - كيف تمكنت الحوزة العلمية من الوقوف أمام كل هذه المحاولات والمؤامرات لتعبر عن الوحدة والارتباط بالمراجع وبالولاية وبكل الخصوصيات الموجودة في الحالة الإسلامية . وكل هذا يدل على وعي وإدراك للحقائق ، وقدرة على العمل المناسب في الوقت المناسب لاحتواء كل هذه المخططات والمؤامرات .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يصون الحوزة العلمية ، وأن يتغمد شهداءنا الأبرار برحمته الواسعة ، لا سيما شهيدنا الصدر عليه السلام . وأن يوفقنا للإقتداء بهم والإلتزام بمسيرتهم .

ونسأله تعالى أن يحقق النصر العاجل للمسلمين في كل مواقعهم . وأن يفرج عن المسجونين والمعتقلين في العراق ، وأن يرجعنا جميعاً الى بلادنا ، ويجمع شملنا مع أهلنا ، وأن ينتقم من الطاغية صدام انتقاماً عاجلاً ويرينا ذله وهلاكه في الدنيا قبل الآخرة .

اللهم صل على محمد وآل محمد وألق بأسهم بينهم ، وشتت شملهم ، وخذهم أخذ عزيز مقتدر ، اللهم إنك قادر على ذلك . اللهم ودكلمتنا واجمع صفوفنا ، واجعلنا دائماً ممن يتعاون على

البر والتقوى.

اللهم ارزقنا الإخلاص في نياتنا والصدق في عملنا، اللهم صلّ على محمد وآل محمد وأجرنا وإخواننا المؤمنين على ما لاقوا في سبيلك ووفقنا للمزيد من العمل الصالح وثبت أقدامنا .
وإلى أرواح شهدائنا ومراجعنا العظام جميعاً والسلف الصالح لإخواننا المؤمنين خصوصاً
الحاضرين، وإلى روح إمام الأمة عليه السلام والشهيد الصدر عليه السلام من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

موقع الحوزة من قضايا الأمة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا ونبينا سيد الانبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، والسلام على سيدتنا الطاهرة الممتحنة الصابرة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج)، والسلام على شهداء الاسلام في كل مكان منذ الصدر الاول للاسلام وحتى شهداء هذا العصر، والسلام على سادتي العلماء وإخواني طلاب العلوم الدينية الكرام ورحمة الله وبركاته.

المقدمة

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾^(٢). في بداية العام الدراسي أتقدم بالتهنئة والتبريك لكل السادة من الأساتذة الافاضل، والاخوة الطلبة الاعزاء، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله عاماً دراسياً نافعاً ومفيداً، ليس على مستوى العلم والمعرفة فحسب، بل على مستوى الأخلاق إن شاء الله.

كما نعيش في هذه الأيام ذكرى شهادة سيدتنا ومولاتنا الصديقة الطاهرة والممتحنة الصابرة فاطمة الزهراء عليها السلام، ولذلك أعزي السادة الكرام والاخوة الاعزاء بهذه المناسبة الأئمة، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أوليائها وأتباعها وأتباع أبيها وبعليها وبنيتها، وأن يحشرنا معها ويدخلنا الجنة بشفاعتها وشفاعة أهل بيتها عليهم السلام.

في بداية العام الدراسي أود أن أشير الى أفكار وخطوط عامة ترتبط بالدور الذي تتحركه

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الاربعاء ١ / ١٠ / ١٩٩٧م، المصادف ٢٨ / ٥ / ١٤١٨هـ. ق، ٩ / ٧ / ١٣٧٦هـ. ش في مدرسة دار الحكمة للعلوم الاسلامية، حيث تطرق فيه لتاريخ نشوء الحوزة وأهميتها.

(٢) التوبة: ١٢٢.

الحوزة العلمية ، هذه الحوزة المباركة التي يمتد تاريخها الى مئات السنين ، وهي حوزة قم المقدسة . وهذه الحوزات ترتبط بالرسالة الاسلامية ، وبأهل البيت بشكل خاص ، ويحسن بطلاب العلوم الدينية التعرف على الدور الرئيس لهذه الحوزات . وقد يكون من الضروري أن تكون هذه القضايا والابحاث جزءاً من المنهج الدراسي لطلبة العلوم الدينية ، بحيث يتعرفوا - ولو بشكل اجمالي - على هذا الدور وعلى تاريخ الحوزات العلمية ، وطبيعة عملها والأهداف التي تسعى إليها ، بحيث تكون عند الطالب صورة واضحة عن ذلك .

أهمية الحوزة العلمية

وسوف أحاول أن أرسم المعالم الكلية ، ولو بشكل اجمالي وبالقدر الذي يتناسب مع الوقت ، فإن طرح هذه الأمور يمثل بمحد ذاته أمراً مهماً في حركتنا وعملنا . وإذا أردنا أن ننظر الى الحوزة العلمية من ناحية أهميتها وتأريخها ، نجد أنها مشروع إلهي جاء به النبي ﷺ ، فهي مشروع هذا الموقع من حيث الاهمية ، وتشكل جزءاً من أجزاء هذه الرسالة ، بل يمكن أن نقول : إنها تمثل جزءاً مهماً من الرسالة الخاتمة .

وبهذا نعرف أن التاريخ والامتداد الزمني لهذا المشروع ، بدأ مع بداية الرسالة الخاتمة المتمثلة برسالة سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، والآية الكريمة التي تلوتها عليكم شاهد على أن هذا المشروع مشروع رسالي ، ويعتبر من المفردات المهمة في الرسالة الاسلامية ، بدليل أن القرآن الكريم تعرض لهذا المشروع وأكد عليه ، وجعله الى جانب مشروع الجهاد في سبيل الله ، في وقت كان الجهاد يعتبر العمل الأول والأساس في إرساء دعائم المجتمع الاسلامي .

ففي الوقت الذي نزلت فيه هذه الآية الكريمة كان للجهاد هذا الدور ، حيث لم يتم إرساء دعائم المجتمع الاسلامي إلا من خلال الجهاد في سبيل الله ، بمعنى القتال لا الجهاد بمعناه العام ، لأن النبي ﷺ قام بعمل تبليغي واسع ، وجاهد في سبيل الله وتحمل مختلف ألوان الاذى والمحن والآلام ، ولكن لم يتم اقامة المجتمع الاسلامي ولا الحكم الاسلامي في تلك المدة الزمنية الطويلة . وكانت المدة من حين بعثة النبي ﷺ الى حين وفاته ٢٣ سنة ، قضى منها ١٣ سنة في مكة ، وهي المدة الاطول ، ولكنه مع ذلك لم يتحقق هذا الهدف وهو إقامة المجتمع والحكم الاسلامي ، الى أن هاجر الى المدينة ، ومن خلال القتال والجهاد تمكن من تحقيق هذين الهدفين . ونجد أن هذه الآية الكريمة جاءت في هذه الفترة ، وهي تريد أن تجعل الحوزة العلمية عدلاً

للجهاد في هذه المرحلة ، وفي مثل تلك الظروف ، الأمر الذي يبين لنا أهمية هذا المشروع الذي جاء به الاسلام .

تفسير آية النفر

وهناك كلام في تفسير لقوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ ^(١) ولكن المعنى واحد على كل الاحتملات ، وهو أن للمؤمنين بعد هذا الاستقرار الذي حصل في المجتمع الاسلامي والقدرة التي حصلت للمسلمين ، لا ينبغي لهم أن ينفروا جميعاً الى الجهاد في سبيل الله ، بل لينفر منهم بقدر الحاجة الفعلية ، وليكون هناك نفر آخر وهو النفر للتفقه في الدين .

ثم بين القرآن الكريم الهدف في ذلك مثال : ﴿ لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ ^(٢) ، ومن هنا تتبين أهمية هذا المشروع .

فالقرآن الكريم يجعل الهدف من هذا المشروع نفس الهدف الذي جعل للاتبياء وللرسالة نفسها ، لأن الهدف من ارسال النبي ﷺ هو أن يكون بشيراً ونذيراً ، والهدف من نفر هؤلاء هو أن ينذروا قومهم ، والهدف من الرسالة هو ابلاغها ، وهدف هؤلاء من التفقه هو ابلاغ الرسالة أيضاً . إذن وضع القرآن هؤلاء في خط الرسالة والنبوة ، والمسؤولية العظيمة التي تعتبر المسؤولية الأولى في حركة المجتمع وتطوره .

تأسيس أهل البيت ﷺ للحوزة العلمية

إن هذا المشروع له هذا البعد التاريخي والرسالي ، وهذه الأهمية في نظر الشريعة الاسلامية ، وإذا أردنا أن نتحرك في التاريخ ، نجد أن هذه الأهمية بقيت قائمة كقضية واقعية وحقيقية متحركة ومؤثرة في حركة الأمة ، من خلال عمل أهل البيت ﷺ .

وإذا أردنا أن نرجع الى العمل الذي قام به أهل البيت ﷺ بعد أن أزيحوا عن قيادة الحكم الاسلامي ، لوجدنا أن عملهم هو هذه الحوزات العلمية ، وذلك بعد حصول الاستقرار والفرصة المناسبة لذلك .

صحيح أن أهل البيت ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ كان دورهم الرئيس هو المحافظة على بقاء الرسالة ، باعتبار أنها تعرضت الى تهديدات وأخطار حقيقية بعد رسول الله ﷺ ، ولكنه بعد أن استقر الأمر ، وأصبحت الرسالة ثابتة ليس من تهديد لها ، انتقل أهل البيت ﷺ الى هذا

المشروع، فكانت البداية بشكل واضح في عمل الصادقين؛ الامام الباقر عليه السلام والامام الصادق عليه السلام، ثم استمر هذا المشروع.

وكانت الاوضاع الاسلامية تدار من خلال عمل أهل البيت عليهم السلام، وعن طريق هذه الحوزات العلمية، سواء كانت على مستوى مواجهة الافكار الدخيلة كالزندقة والضلالة التي كان يتعرض لها المسلمون، أم على مستوى إرساء الحقائق الالهية التي كان يعرفها أهل البيت عليهم السلام، أم على مستوى بناء الجماعة الصالحة المتمثلة بشيعة أهل البيت، أم غير ذلك من الأهداف التي قام بها أهل البيت عليهم السلام.

ونجد أن المشروع الرئيس لأهل البيت عليهم السلام الذي كانوا يحققون أهدافهم من خلاله، ويمارسون نشاطهم العام في المجتمع الاسلامي هو مشروع هذه الحوزات العلمية.

الحوزة في عصر الغيبة

وإذا أردنا أن نتقدم خطوة الى الأمام من أجل أن نعرف هذا الدور وأهميته، نجد أنه المشروع الرئيس الذي اعتمده النواب العامون لأهل البيت عليهم السلام في عصر الغيبة الكبرى، وهو عصر غياب امامنا وسيدنا وولي أمرنا صاحب العصر والزمان (عج)، هذا العصر الذي قام به العلماء والمراجع العظام بمقام حضور الأئمة، وتحركوا في ظل رعاية هذا الامام الغائب (عج)، وكانوا يفتخرون ويعتزون بأن يكونوا جنودا له، وخداماً لأهداف رسالته، ويتشفرون بهذا الأمر، ونحن نتشرف ونستشعر هذا النوع من الانتماء والارتباط بهذا الامام في خطوة نخطوها.

الروح الرسالية في خط أهل البيت عليهم السلام

ونحن من خلال المراجعة السريعة لتاريخ المراجع والعلماء، نجد الترابط في تأسيس هذا المشروع، منذ زمن رسول الله وحتى يومنا هذا، بحيث لم يتخلف هذا المشروع في مسيرته عن أهدافه وأهميته ودوره ونشاطه، وإن كان قد يحصل اختلاف في درجات هذا النشاط، ولكن من حيث أصل المشروع نرى أن هذا المشروع له هذه الأهمية وهذا الدور.

ولذلك فإن الانتماء الى هذه الحوزة العلمية والارتباط بها ليس مجرد ارتباط بمهنة وحرفة، حتى لو كانت تلك المهنة من المهن الشريفة والواجبة.

وهذه من القضايا الأساسية التي تمكن أهل البيت عليهم السلام وخطهم أن يحتفظوا بها، فإن الأصل في هذا المشروع أنه مشروع اسلامي، وليس من المشاريع التي اخترعها أهل البيت عليهم السلام وسنوها

سنة حسنة، وإنما هو من المشاريع التي سنّها الاسلام وأكد عليها القرآن الكريم، ولذلك فالمسلمون جميعاً يؤمنون ويرتبطون به، ولكن الفرق بين خط أهل البيت عليهم السلام وبين غيرهم من الخطوط الاسلامية يتميز بهذه الخصوصية، وهي: إن أهل البيت عليهم السلام تمكنوا أن يحتفظوا بهذا المشروع، وأن يرتفع عن أن يكون مشروعاً حرفياً، ويتحول الى مهنة من المهن التي يمتنها الناس.

وبعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران، ووجود هذا الصدى الكبير في العالم الاسلامي بشكل خاص، والعالم بشكل عام، فقد سمعت من شخصيات مهمة جداً من اخواننا السنة، وبعضهم كتب أبحاثاً لبيان ميزه هذا الخط، وكان يؤكد على هذه النقطة، وهي: إن هذا الخط لم يتحول الى حرفة ومهنة، وإنما بقيت فيه الروح الرسالية، فأصحاب هذا الخط ينطلقون من الشعور بالمسؤولية، والاحساس بها احساساً كاملاً، ومن أجل اداء الوظيفة الشرعية والخروج عن عهدة التكليف الالهي.

ونجد في روايات أهل البيت عليهم السلام ما يشير الى هذا الموضوع، فبعض الروايات تحرم أو تجعل من المكروهات المشددة أن يستأكل العالم بعلمه، وعندما ننظر الى هذا المضمون قد يأخذها الاستغراب، وي طرح أماننا هذا السؤال: لماذا يحرم على العالم أن يستأكل بعلمه؟ فيقدم العلم للناس ويأخذ في مقابل ذلك ما يسد به جوعته، كما هو شأن الكثير من العلماء في هذا الزمان، فالطبيب يقدم علمه ويستأكل به وكذلك المهندس وغيرهما من العلماء، فلماذا لا يصح لهذا العالم أن يستأكل بعلمه؟

في مقام الجواب نقول: إن المضمون الرسالي هو الهدف من وراء هذه القضية، فإذا تحول هذا العالم الى عالم يستأكل بعلمه، فسوف يفقد ذلك العنصر الرسالي في حركته، ويتحول الى انسان محترف صاحب مهنة، تخضع لشروطها الحرفية والمهنية، وتدخل في سوق العرض والطلب، فإذا كانت هناك رغبة في هذا العالم أو الخطيب يدفع له أكثر، أو كانت هناك ندرة في العلماء يدفع أكثر وهكذا يخضع لهذا الميزان ويتحول الى حرفة من الحرف.

وهذه القضية من القضايا التي تمكن أهل البيت عليهم السلام أن يوضفوها في هذا الموضوع. ولذلك يطرح سؤالاً، خصوصاً من أولئك الذين تُلح عليهم الحاجة وهو: لماذا بُنيت هذه الحوزات على الحالة المجانية؟ فالطالب يدرس دون أن يكون هناك عوض، وكذلك المدرس، مع أننا نرى الاستاذ في مكان آخر يأخذ أجراً، وكذلك الطالب عندما يتخصص يأخذ شيئاً في مقابل

ذلك، كما هو الحال في جامعات العالم، وهي جامعات تهتم بالعلم وتحترمه، وليست القضية قضية مهنة.

نقول: إن حوزاتنا العلمية أقيمت على هذا الأساس وهذا العنصر، بينما الجامعات لم تُقم على ذلك، وهذه من القضايا المهمة جداً، ولا ينبغي أن يخطر على بال الأخوة الأعزاء أنه لماذا في هذه المدرسة يدفع شيء من العوض؟ فإن هذا في الحقيقة ليس شيئاً من العوض، وإنما هو عملية شبيهة بما يدفعه المراجع أو المؤمنون المتصدون لشؤون طلاب العلوم الدينية، من أجل تنظيم عملية الاكتفاء الذاتي لهذه الحوزة، لتتمكن من الوصول إلى أهدافها.

وإذا تحولت هذه القضية إلى حرفة ومهنة، وخضعت لقانون العرض والطلب، فهذا مما يفسد أصل هذا المشروع الإلهي الرسالي، المرتبط بأهل البيت (عليه السلام). وعندما صار الآخرون أئمة جماعة، وصارت أمور المساجد بأيديهم وارتبطوا بالاجور وبهذه الأسماء، وجدنا أن هذه القضية أصبحت قضية حرفة ومهنة، وخسروا أشياء كثيرة.

العناصر الأساسية في حركة الحوزة

وبعد هذه الفكرة عن أهمية الحوزة، أنتقل إلى ما اعتبره عناصر رئيسية ومهمة وأساسية لا بد أن تتوفر في حركة هذه الحوزة العلمية، لتؤدي هذا الدور، والرسالة التي أعدها الله سبحانه وتعالى لهذه الحوزة، وسوف أتحدث في عدة نقاط:

١ - استقلالية الحوزة

النقطة الأولى: استقلالية هذه الحوزة، فقد أريد لهذه الحوزة أن تعبر عن الإرادة الإلهية وأن لا تخضع لأية إرادة أخرى، فقد أريد للحوزة أن يكون لها هذا الدور: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ (١).

وهذه الحوزة لا بد أن تحتفظ بهذا الجانب من الاستقلال في قرارها، وهذا أحد المميزات الرئيسية التي جعلت الحوزة العلمية قادرة على البقاء، والاستمرار في مواجهة كل المشكلات والضغوط والمؤامرات، وكل عمليات القمع والمطاردة على مدى التاريخ الإسلامي.

وهذا الأمر هو الذي جعل الحوزة قادرة على أن تحقق هذا الانجاز العظيم في هذا العصر، وهو الرجوع إلى الإسلام من خلال إقامة الدولة الإسلامية، ودعوة المسلمين عملياً وواقعياً إلى أن

يرجعوا الى الاسلام ، من خلال هذا المشروع الاسلامي وهذا الاستقلال في القرار ، الذي جعل هؤلاء قادرين على أن يقفوا في مواجهة الاستكبار العالمي في هذه الفترة الطويلة من الزمن .
فند سقوط العالم الاسلامي تحت هيمنة الاستكبار العالمي ، لم تتمكن أية دولة من الدول أن تصمد أمام الاستكبار صموداً مطلقاً ، وتقف في مواجهته دون أن تحني رأسها ، إلا هذه الدولة الاسلامية التي تستند على مفاهيم الحوزة العلمية .

حتى الاتحاد السوفياتي مع أنه يمثل استكباراً ، وقوة عظمى ، إلا أنه كان ينحني أمام القوى الاعظم منه المتمثلة بحلف الناتو ، وبعد ذلك سقط في هذه المواجهة ولم يتمكن من الاستمرار فيها ، فضلاً عن الدول الأخرى التي عاشت هنا وهناك .

وأما هذه الدولة وهذه الحوزة فلمدة ثمانية عشر عاماً تقريباً تقف صامدة في مواجهة الاستكبار العالمي ، وتقول : لا للاستكبار العالمي ، من خلال الاعتماد على الله وعلى الذات ، ولا تقف في مكانها ، وإنما تتقدم باستمرار وتتطور وتحقق الانتصار تلو الانتصار ، من خلال الاعتماد على الله .

فقد يتراجع الانسان الرافض عندما يتعرض للضغط الشديد ، أما هذه الحوزة فيفضل الله وعنايته قالت : لا للغرب ، ولا للشرق ، ووقفت عند قولها ، ثم استمرت في هذا الطريق وعزّت يوماً بعد آخر : ﴿ والله العزة ولسوله وللمؤمنين ﴾ ^(١) .

فلم تكن قضية سلمان رشدي أن شخصاً ألف كتاباً وانتهى الامر ، وإنما هي مؤامرة كبيرة جداً على الاسلام ، واستهانة واستخفاف بالحرمت والمقدسات الاسلامية ، من آدم وحتى نبينا ﷺ ، فالكاتب يستهزئ ويطعن ويسب بلسان بذيء كل هذه المقدسات بدون استثناء ، ولم يقف قبال هذه المؤامرة إلا الحوزة العلمية .

والاستقلال في قرار الحوزة العلمية يمثل أمراً جوهرياً ورئيسياً في حركتها ، ولذلك رأى امام الأمة ﷺ أن تبقى الحوزة على استقلالها وعلى حريتها ، لكي تحقق الانجاز تلو الانجاز .

وهذا البحث يغنينا عن كثير من التفاصيل التي تطرح هنا وهناك ، بحيث إن بعض الناس يستصغر هذه الحوزة ويستهيئ بها ، الى حد يجعلها تخضع لقرار هذه الفئة أو تلك الجماعة .

هذه الحوزة مشروع إلهي يفترض أن يتعالى عن كل هذه الضغوط ، لأنه يرتبط بالارادة

الالهية ، لا بالمعنى الذي يقوله الصوفيون أو أهل الحديث ، كما في حالتي الافراط والتفريط ، بمعنى أن نترك كل الضوابط ونرتبط بالله سبحانه وتعالى ، كما يقول بعض المتطرفين من الصوفية : من أننا لا نمارس عبادتنا لأننا وصلنا الى درجة اليقين ، فنحن نرتبط بالله ولا حاجة بعد ذلك لأن نصلي ونصوم .

أو كما يقول بعض أهل الحديث : إننا لا نأخذ حكمنا من العلماء والمجتهدين ، إنما نأخذه من أحاديث أهل البيت عليهم السلام ، فنرتبط بالامام الحجة ، وعندكم الأئمة أفضل من هؤلاء العلماء ، فنرتبط بأحاديثهم ، وأحاديثهم موجودة في الكتب ، فنأخذها ونعمل بها .

هذا الفهم فهم عامي ليس له مضمون ، وقصدي من الارتباط بالله هو الارتباط بهذه السلسلة الذهبية التي تربطنا بالارادة الالهية ، وهذا الارتباط هو الأساس الذي يجب أن نحافظ عليه ، وهو عنصر مهم في موضوع الاستقلال .

٢ - بناء الجانب الاخلاقي عند طالب الحوزة

النقطة الثانية : بناء طالب الحوزة بناءً روحياً ومعنوياً وأخلاقياً ، ليكون مستعداً لتحمل المسؤولية ، وتكون عنده نظرة بعيدة ، فلا بد أن يتمتع طالب العلوم الدينية بالروحانية التي كان يجسدها رسول الله ﷺ عندما يقول : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي لما تركت هذا الأمر أو أهلك دونه » .

وهذا يحتاج الى روحية عالية وتصميم وإرادة ونظرة بعيدة ، واستقامة ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ﴾ ^(١) ، وهذه الروحانية من القضايا المهمة في بناء طالب العلم ، وهكذا الجانب الاخلاقي ، وما يتعلق بسلوك الانسان في كل المواقف الاخلاقية التي يدرسها علماء الاخلاق ، من التواضع والصبر والزهد وجهاد النفس .

وهكذا فيما يتعلق بـمدارة الناس وحسن المعاشرة معهم ، الى غير ذلك من الجوانب الاخلاقية ، فضلاً عن القضايا الواضحة من قبيل الصدق وغيره من الامور التي يجب أن يتمتع بها الانسان . فالاخلاق تبني الطالب بناءً يكون فيه إنساناً متقياً في كل خصوصياته وجوانبه .

وهكذا الحال في البناء العلمي ، فلا بد أن يكون الطالب طالباً للعلم حقيقة ، لا طالباً للدرجة التي تعطيها المدرسة ، لأن قضية الامتحانات والدرجات ليست هدفاً ، إنما هي وسيلة لاستكشاف

مقدار ما حصل عليه الطالب من علوم ومعرفة ، ولو كانت هناك وسيلة أخرى - من قبيل الاجهزة التي تستخدم لقياس ضغط الدم - يمكن من خلالها معرفة ما حصل عليه الطالب من معلومات ، لما وضعت هذه الامتحانات .

قد يبذل أحد الطلاب جهوداً لكي يحصل على درجة جيدة ليفتخر بها أمام الطلاب ، أو يتقرب بها الى الله ، فهذه القضايا تابعة للنيات ، وكل حسب مجاهدته لنفسه .

وقد يهتم الانسان بالحصول على الدرجة من أجل أن يبين أنه قد حصل على علم ، أو يبين ذلك لأساتذته ، ولكن ذلك ليس هدفاً من الأهداف ، إنما الهدف الحقيقي هو أن يكون الانسان طالباً للعلم حقاً ، وأن يكون مهتماً بالمعرفة والوصول الى الحقيقة ، لا مجرد الوصول الى الدرجة ، وإلا فسوف يقع في جهل مركب ، وهذا أشد ضرراً على الانسان في دنياه وآخرته .

وأحد الأركان الرئيسية في حوزاتنا العلمية هو هذا النوع من طلب العلم ، سواء كان هذا العلم بسيطاً أم عميقاً ، سائراً في خط الاجتهاد ، أو في خط التبليغ أو التحقيق ، فالمهم أن يحصل الطالب على العلم الحقيقي ، لأن تكون القضية سطحية .

٣ - اهتمام الحوزة بالقضية الاجتماعية

وهناك عنصر مهم جداً وهو أن يكون هناك بناء اجتماعي ، فالحوزات العلمية أريد أن يكون لها هذا الدور الخاص في حركة الأمة ، وأريد أن يكون دوراً متكاملأ في العبادة الروحية والاخلاقية والعلمية والاجتماعية ، وأما أن يكون هذا الانسان ذا روح عالية ، ومستعد أن يصبر تحت السياط أياماً طويلة ، ومستعد أن يكون متواضعاً وزاهداً ومتقياً ، ومستعد أن يكون طالباً متعمقاً في العلم ، ولكن ليس له أي اهتمام بالاوضاع الاجتماعية التي يعيشها الناس ، فهذا الانسان قد فقد جانباً مهماً ورئيسياً بل يمكن أن نقول : إن هذا الانسان قد حصل على أشياء ، ولكن باعتباره ينتمي الى هذه الحوزة ، والى هذا الدور المهم للرسالة الاسلامية ، قد يكون فاقداً للهدف من هذا الانتماء والارتباط ، إذا فقد العنصر الاجتماعي .

ومن خلال التجارب الطويلة التي عشتها ، - فند صغري كنت اعيش الحوزة في همومها وخصوصياتها ، وكانت لي تجربة طويلة - كنت أرى أن بعض الأخوة ينسئ طبيعة انتائهم للحوزة ، وكأنه يفترض أن هذا الانتماء للحوزة هو انتاء للذات .

والانتماء الى الحوزة يعني أن يكون الانسان متعبداً ، فيلتزم الحرم الشريف بالعبادة ، ويكون

مكباً على الكتاب ليل نهار، وأن يكون زاهداً متواضعاً، ولا بد أن يفهم أن هذا إلتناء إلى الرسالة، وليس إلتناء إلى الذات، فمن يريد أن يكمل نفسه ببعض الأمور، يفقد هدفه وغايته ودوره، وبالتالي يفقد نفسه، ولذلك جاء في الحديث: إن طالب العالم أفضل من العابد، لأن طلب العلم يراد منه نشر العلم والعمل به، فإذا فقدت هذه الغاية فقد أصل هذا الإلتناء.

فالإلتناء إلى هذا المشروع ليس إلتناء إلى الذات، حتى يصبح الإنسان بذاته شيئاً من الاشياء، ويكون انساناً محترماً لذاته، وإنما هو إلتناء إلى الرسالة، وأنا أؤكد على هذا الجانب وهو: إن طالب العالم يجب أن يستكمل في حركته وبنائه الذاتي هذه الأبعاد الرئيسية.

٤ - اهتمام الحوزة بالقضية السياسية

والقضية السياسية جزء رئيسي من هذه القضايا، وهي ليست عبارة عن كذب وخداع وبهتان وألعيب، وغير ذلك مما نراه من بعض السياسيين، أو من أولئك الذين لا يفهمون معنى السياسة في الاسلام، فيفقدون أنفسهم عندما يدخلون في العمل السياسي، ويتحولون إلى مخادعين وكذابين، وبعد ذلك يسقطون في مستنقع النفاق، بسبب هذا النوع من الحركة السياسية. إن الحركة السياسية حركة إلهية ربانية اسلامية، يراد منها ابلاغ الرسالات، وهي أفضل عمل عند الله يمكن أن يقوم به الانسان، عندما يكون ضمن الضوابط والالتزامات الشرعية التي وضعها الله سبحانه وتعالى.

وقد جسد ذلك رسول الله ﷺ، ولنا أسوة برسول الله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾^(١)، وكذلك جسده أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده.

٥ - انفتاح الحوزة على مشاكل الامة

إن الحوزة العلمية تحتاج إلى أن تتفتح بمجموع حركتها على الأمة، وهذا وعي لا بد أن يترسخ في أعماق هذه الحوزة، فيجب أن تتفتح هذه الحوزات على الأمة انفتاحاً كاملاً في كل خصوصياتها. وهذا الحديث له عدة أبعاد وجوانب، ولكنني أشير إلى المطالب الرئيسية في هذا الانفتاح.

فمن الضروري أن تتفتح الحوزة على مشاكل الأمة الفكرية، لأن أمتنا الاسلامية تعيش

مشاكل كثيرة من خلال الغزو الفكري والثقافي للأعداء، وتداخل هذا العالم بحيث تحول الى قرية - كما يعبر عن ذلك - بسبب تطور الاتصالات.

فالغزو الثقافي موجود في أمتنا الاسلامية والحوزات العلمية هي التي يمكن أن تقوم بدور الهداية، وتقدم الجواب الصحيح والرؤية الواضحة التي تنطلق من الاسلام، في قبال ما يُشاع من ضلالات وانحرافات وبدع واثارات تؤدي الى تشويش أفكار الناس، وتفرقهم وتمزقهم، وتجعلهم يضرب بعضهم بعضاً.

والحوزة العلمية اذا انفتحت على مشاكل الأمة، وقدمت الحل الصحيح لهذه المشاكل، فحينئذ يمكن أن تقوم بدورها الحقيقي.

وهكذا بالنسبة الى الانفتاح على المشاكل الاجتماعية للأمة، فهذه الأمة لديها مشاكل اجتماعية حقيقية، ونحن نعتقد أن الرسالة الاسلامية هي رسالة كاملة، وفيها الحل لكل مشكلة وحادثة، والحوزة العلمية هي التي تقدم الحل لكل مشكلة وحادثة، ولكن بعض الحوادث تحتاج الى دراسة دقيقة لكل تفاصيلها حتى يمكن معرفة الحكم المناسب لها من الناحية الاسلامية، فالحوزة تحتاج الى هذا النوع من الانفتاح على الأمة لحل مشاكلها.

وهكذا بالنسبة الى الانفتاح على مشاكل الامة من خلال التعايش معها، فالانفتاح على مشاكل الأمة لا ينحصر باعطائها الرؤية والموقف الصحيح، وإنما يحصل من خلال التعايش مع همومها ومشاكلها، لأن الحوزة العلمية لها أدوار رسالية، والرسالة تقدم الرؤية الصحيحة والحكم الصحيح الذي يُعبر عنه القرآن الكريم ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾^(١)، وكذلك للرسالة دور آخر وهو تركية الناس وتربيتهم وتطهيرهم، والارتفاع بهم من السقوط في أحضان الدنيا والالتصاق بالأرض، الذي يعبر عنه القرآن بالاخلاق^(٢) الى الأرض.

والحوزات العلمية هي التي تتحمل مسؤولية الارتفاع بالناس من هذا السقوط والاخلاد الى الأرض، وتجعلهم يتوجهون الى الله سبحانه وتعالى.

إذن، فقضية التزكية والتطهير قضية رئيسية، ولا يمكن أن تحصل إلا من خلال التعايش مع الأمة.

(١) آل عمران : ١٦٤، الجمعة : ٢.

(٢) قال تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهَا بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ الأعراف : ١٧٦.

وأما النظر الى الأمة من بعيد ، والقاء الكلام واعطاء الرؤية الصحيحة من دون تعايش ، فهذا لا يحقق التزكية والتطهير .

ولقد قام رسول الله ﷺ بهذا الدور بنفسه ، بالرغم من المسؤوليات العظيمة الملقاة على عاتقه في ابلاغ الرسالة ﴿ ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ ^(١) .
نسأل الله أن يوفقكم لذلك ، ويجعلكم ممن يتحمل هذه المسؤولية ، وأن تجدوا الطريق الى حب هذه الرسالة .

وبطبيعة الحال فان حب هذه الرسالة يحتاج الى عمل ، واعداد روحي لكي يتحول الانسان الى محب لله ، وأن يجعل قلبه متيماً بحب الله ، وهذا أحد الأشياء التي يطلبها الانسان في دعاء كميل ^(٢) . ونحن نحتاج الى الاهتمام بهذا الجانب ، بحيث نخرج من الحالة الروتينية الى حالة الحب والعشق .

نسأل الله أن يجعلنا من عشاقه ، لأن العاشق يبذل جهوداً ويتحمل الآلام والحن ، من أجل الوصول الى معشوقه ، أسأل الله أن يهيئ لنا هذه الفرصة ويوفقنا ، كما أسأله أن يحفظكم ويرعاكم ، ويتقبل عملكم ويبارك لكم في أيامكم .

كما أقدم الشكر للأساتذة الأفاضل والاخوة الاعزاء ، سواء أولئك الذين يقومون بإدارة هذه المدرسة الشريفة ، أم أولئك الذين يقومون بالتدريس والاهتمام برعاية الطلبة علمياً وأخلاقية وروحياً ، أم الطلبة الاعزاء الذين انتسبوا لهذه المدرسة .

أسأل الله أن يتغمد مراجعنا العظام برحمته الواسعة ، خصوصاً إمام الأمة ﷺ والامام الحكيم ﷺ الذي هو أحد المؤسسين لهذه المناهج ، ولعل أول حوزة علمية أسست في هذا الطريق هي مدرسة العلوم الاسلامية في النجف الاشرف ، بأمر ورعاية الامام الحكيم ﷺ ، ثم كان تأسيسه لـ (دار الحكمة) .

أسأل الله أن يتغمد مراجعنا العظام الذين قاموا بهذه الخدمات برحمته الواسعة ، ويتغمد شهداءنا الذين تكرم الله عليهم وأختارهم الى جواره ، وخصوصاً الشهيد الصدر ﷺ ، والشهداء من آل الحكيم ، كما أسأله أن يتغمد سلفنا الصالح برحمته الواسعة ، وأن يحفظ هذه الدولة المباركة

(١) آل عمران : ١٦٤ ، الجمعة : ٢ .

(٢) (... وقلبي بحبك متيماً) .

وأن يحفظ ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي (حفظه الله) ، وأن يقيه ذخراً وشرفاً وتبقى رايته مرتفعة للمسلمين ، ويبقى راعياً للحوزات العلمية ؟ فهو من أولاد هذه الحوزات ومن رجالها ، وله اهتمام خاص بها ، وله اهتمام خاص بالعراقيين - كما أعرف - أسأل الله أن يحفظه ويرعاه .

والى أرواح الماضين جميعاً - الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم - من المؤمنين رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلوات .

الحوزة العلمية والنهضة الإسلامية المعاصرة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج) ، والسلام على شهداء الإسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للإسلام وحتى هذا العصر ، والسلام على سادتي وإخواني وأعزائي علماء وطلاب الحوزة العلمية الحاضرية في هذا المكان المقدس .

المقدمة

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾^(٢) .

في البداية اعتذر من الأخوة الأعزاء والسادة الأفاضل عن كون الحديث باللغة العربية ، حيث إن اللغة المشتركة التي يفهمها الأخوة الأعزاء هي الفارسية ، وهي نعم اللغة ، فهي لغة الثورة والنهضة الإسلامية الحديثة المعاصرة ، مضافاً إلى أنها لغة ثقافة أهل البيت عليه السلام ، لكن اللغة العربية في نفس الوقت هي لغة الإسلام ، واللغة التي تتداول فيها النصوص العلمية في هذه الحوزات المباركة ، ولذلك أتوقع أن الأخوة الأعزاء والسادة الأفاضل يفهمون اللغة العربية ، وسوف أحاول - إن شاء الله - أن استخدم مفردات من هذه اللغة تكون قريبة ما إلى النصوص ، التي يدرسونها ، بحيث تتمكن - إن شاء الله - من الخروج من هذا الاجتماع ، بما ندعو الله سبحانه به دائماً في أعقاب

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الجمعة ٩ / ١ / ١٩٩٨ م ، المصادف ٧ / ٩ / ١٤١٨ هـ . ق

١٩ / ١٠ / ١٣٧٦ هـ . ش ، في مدرسة الامام الخميني عليه السلام في مدينة قم المقدسة ، حيث تحدث فيه

عن ارتباط الحوزة العلمية بالنهضة الإسلامية المعاصرة .

(٢) آل عمران : ١٠٤ .

صلواتنا، أن يوفقنا للعلم النافع، حيث ورد في الدعاء: «أعوذ بك من علم لا ينفع»^(١)، والعلم الذي ينفع هو المطلوب.

أبعاد الحديث

وأحاول أن أجعل الحديث حول موضوع الحوزة العلمية والنهضة الاسلامية المعاصرة، حيث نجد أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين هذين العنوانين، وسوف أتناول أبعاداً ثلاثة في هذا الموضوع: البعد الأول: العلاقة بين الحوزة العلمية والنهضة الاسلامية المعاصرة.

البعد الثاني: إلقاء نظرة عامة على المشكلات التي يعيشها عالمنا المعاصر في هذا الزمان. البعد الثالث: دور الحوزة العلمية، الذي يجب أن تقوم به تجاه النهضة المعاصرة، وتجاه عالمنا المعاصر.

البعد الأول: العلاقة بين الحوزة والنهضة الاسلامية المعاصرة

أما بالنسبة للبعد الأول فنلاحظ أن هناك عدة قضايا مهمة ورئيسية تجعل العلاقة بين الحوزة العلمية، وبين النهضة الاسلامية علاقة وثيقة، وهذه القضايا هي:

١- إن هذه النهضة المعاصرة إنما كانت ببركة هذه الحوزة العلمية، فالنهضة المعاصرة من النعم العظيمة التي منّ الله بها على حوزاتنا العلمية، حيث كانت هذه النهضة بقيادة عالم رباني تخرّج من أوساط هذه الحوزة العلمية، وانتهل من مناهلها الصافية النقية، وتربّى تربية التزكية والتطهير التي تعتبر من مميزات الحوزات العلمية.

وهنا لا بد أن أشير إلى أن أحد الامتيازات المهمة التي تمتاز بها الحوزات العلمية لأتباع أهل البيت عليه السلام، قبال الحوزات العلمية الأخرى هو موضوع التزكية والتربية والتقوى، ونحن وإن كنا نفتخر بالعلم، ونقول: الحمد لله، لدينا علماء وفضلاء متبحرون في العلم، وهذا من معالم الفخر، ولكن عندما نريد أن نقارن هؤلاء العلماء بالعلماء الآخرين الموجودين في الحوزات الأخرى في طول التاريخ، نجد فضلاً لعلمائنا على غيرهم.

لكن هذا الفضل ليس بدرجة بحيث تصبح القضية كأنها واضحة في امتياز هذا الجانب على ذاك، لكن عندما نقارن في موضوع التزكية والتطهير والتقوى والورع والاخلاص والعلاقة بالله تعالى، والإستعداد للتضحية والفداء من أجل الله سبحانه وتعالى، نجد هذا الموضوع واضحاً،

وهذه الميزة واضحة وبيّنة لا شبهة فيها ، وهذا من أهم القضايا التي تتميز بها حوزاتنا العلمية .
ولولا هذا الجانب في قضية التطهير والتزكية والتقوى والورع الموجود في هذه الحوزات العلمية ، لما تمكنت هذه الحوزات أن تصمد وتثبت طيلة هذه القرون الطويلة من القمع والمطاردة الذي كانت تمارسه الحكومات الجائرة ضد حوزاتنا العلمية ، الشيء الذي جعل هذه الحوزات قادرة على البقاء ، وكل هذا بسبب جانب التقوى والورع والجانب الروحي والمعنوي الموجود في هذه الحوزات العلمية .

والآ فهاك الكثير من الشعوب التي كانت على درجة عالية من العلم ، لكنها انتهت وسحقت بكاملها في الحركة التاريخية عندما فقدت جانب التقوى والورع .

وحوزاتنا العلمية باعتبار هذه الخصوصية فيها ، كانت قادرة على البقاء الاستمرار ، ولذلك عندما نتحدث عن هذا الانجاز العظيم الذي تحقق في عصرنا الحاضر ، وهو وجود النهضة الاسلامية ببركة هذه الحوزات ، فلا بد أن ننتبه الى هذه الصفة والخصوصية . فهذه الثورة وجدت على يد عالم رباني ومرجع من مراجع المسلمين ، تتوفر فيه تلك الشروط العلمية والروحية والسلوكية ، التي تعتبر شروطاً مهمة في علاقتنا بالله سبحانه وتعالى ، لأن علاقتنا بالمراجع ، وبأئمتنا والرسول والأنبياء إنما ترتبط بهذه الشروط والمواصفات ، التي تجتمع في هؤلاء ، وهذه النهضة هي وليدة هذه الحوزات .

٢- إن هذه النهضة أخذت من الاسلام المحمدي الأصيل ، كما عبر عن ذلك السيد الامام عليه السلام ، وهذا الموضوع يجب أن نقف عنده ، فعندما نقول : الاسلام النقي الذي يكون مرتبطاً بهذا الرسول ، فقد يقول بعض الناس : إن هذا إدعاء ، لأن كل مسلم أو كل مذهب من المذاهب الاسلامية يدعي بأن اسلامه هو الاسلام المحمدي النقي ، بدليل أنه التزم به . فقد يقول بعض الناس : إن هذا إدعاء ندعيه في مقابل الآخرين .

ولكن إذا أردنا أن نتأمل قليلاً ، الفرق بين حوزاتنا العلمية ، وبين الحوزات الأخرى ، نجد أن هذا الادعاء له من الشواهد والبراهين والأدلة ما يجعله إدعاءً واضحاً لا شك وشبهة فيه ، فما هو هذا الدليل ؟

نقول : إن من إحدى خصائص هذه الحوزات العلمية ، التي عرفت بها منذ الصدر الأول للإسلام وحتى يومنا الحاضر ، وأكد عليه الامام عليه السلام ، ولاحظ الباحثون والدارسون هذه الخصائص

في هذه الثورة الاسلامية ، من أجل أن يعرفوا كيف وجدت ؟ وماهي خصائصها ؟ ، إن إحدى هذه الخصائص هي أن هذه الحوزات العلمية كانت تأخذ الاسلام والعلم بالله والشريعه والقرآن الكريم من أهل البيت عليه السلام بشكل مباشر ، ولم تخضع طول التاريخ الى المؤثرات ، سواء كانت خارجية من قبيل الحكومات الجائرة ، التي كانت تفرض سياستها وأفكارها وعقائدها وأغراضها وأهواءها على العلماء في بعض الحوزات العلمية في التاريخ الاسلامي ، أم المؤثرات الداخلية ذات العلاقة بقضية المصالح والمنافع والمناصب والمواقع والشهوات والأموال ، التي كان يحصل عليها الذين يتصدون لمثل هذه القضايا في الحوزات العلمية الأخرى .

وحوزاتنا العلمية منذ بداية تاريخها وحتى الآن كانت بعيدة عن كل هذه المؤثرات الخارجية أو الداخلية ، فلا الطغاة والسلطين والجائرون كانت لهم يد في هذه الحوزات ، لأنها كانت بعيدة ، بل مطاردة . ولا الشهوات والمناصب والأموال والمواقع كان لها تأثير على هذه الحوزات العلمية . فقد بقيت هذه الحوزات بعيدة عن كل هذه المؤثرات ، ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام .

وهذه القضية مهمة جداً في تاريخ هذه الحوزات ، وفي أصالتها وقدرتها على تحقيق الأهداف الاسلامية ، انظروا نظرة سريعة - وهذا بحث تاريخي ، ويحتاج الى فرصة طويلة من أجل أن يستعرض الانسان كل المعالم التاريخية ذات العلاقة بهذا البحث - تجدون في هذا العصر أنه لم تبقَ هناك دائرة من الدوائر الثقافية والعلمية في عالمنا الاسلامي إلا وتأثرت بالفكر الغربي ، وبالحضارة الغربية . لماذا ؟

ذلك لأن الفكر الغربي سيطر على كل العالم الاسلامي ، سيطرة عسكرية وسياسية واقتصادية وثقافية ، ولذلك أصبحت كل المراكز العلمية الموجودة في العالم الاسلامي متأثرة بالحضارة والفكر الغربي ، باستثناء الحوزات العلمية التي بقيت بعيدة عن التأثير بهذا الفكر .

واذا أردنا أن نرجع الى التاريخ ، نجد هذه الصورة موجودة ومشهودة لنا ، نراها بأعيننا من خلال تجربتنا الخاصة ، وسوف أضرب مثلاً من أجل توضيح هذه الفكرة .

لو نظرنا الى الأزهر وجامع الزيتونة في تونس ، والجامع الأخرى في عالمنا الاسلامي ، نجد أنها تأثرت بالفكر الغربي والحضارة الغربية ، فضلاً عن الجامعات والمؤسسات العلمية والمعاهد والمراكز العلمية الأخرى ، فقد تأثرت بالأفكار الغربية بشكل أو بآخر .

أما هذه الحوزات فقد بقيت بعيدة عن هذا التأثير، ولذلك بقي فيها هذا النقاء والصفاء والاصالة في انتائها للإسلام، مضافاً إلى قضية أهل البيت عليهم السلام، وهم الجماعة الوحيدة من بين المسلمين، التي تمكنت أن تعرف الإسلام بكامله، وأن تحفظ القرآن والسنة بكاملها.

وبقي أهل البيت عليهم السلام بعيدين عن التأثير بالأهواء والأغراض والشهوات والمواقع والمناصب، وغير ذلك من عوامل الضغط والتأثيرات الداخلية داخل الوضع النفسي للناس، أو الوضع الاجتماعي لهم. وهذه الحوزات لها هذا الجانب، فهي حوزات نقية، والإسلام الذي قدمته إلى العالم هو ذلك الإسلام النقي، الذي يتميز عن كل الاطروحات الأخرى.

٣- إن هذه النهضة الإسلامية ترتبط بقضية مهمة وهي قضية الامام المهدي (عج)، التي لها أبعاد كثيرة ولا أريد أن أتناولها بكل أبعادها، وهي من الموضوعات التي فيها أبحاث كثيرة، لكن فيما يتعلق بهذا البحث، من الواضح أن هذه القيادة الربانية المتمثلة بالمراجع، وهذا الفكر الإسلامي الأصيل المتمثل بمضمون هذه الحوزات العلمية يرتبط بهذه النهضة، التي تضع قضية الامام المهدي (عج) أمامها كهدف من الأهداف التي تسعى إليها.

وهذا الهدف هو اقامة الحق والعدل، وانقاذ البشرية من الظلم والجور، وإيصالها إلى مرحلة التكامل المطلق في حركة التاريخ، ثم بعد ذلك على المستوى المنظور هو هدف التمهيد لظهور الامام (عج)، فهذه النهضة عندما تتحدث عن ارتباطها بالحوزات العلمية لابد أن تنظر إليها من هذه الزاوية، ومن رؤية أن هذا العمل هو الذي يمهّد لتحقيق ذلك الهدف الكبير المتمثل بوجود الامام المهدي (عج).

وهذا الفكر لا يوجد في الحوزات والمراكز العلمية الأخرى، صحيح أن كل المسلمين يؤمنون بفكرة الامام المهدي (عج)، ويعتقدون أنه سوف يأتي يوم يظهر فيه ذلك الانسان، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ولكن الفرق بيننا وبين غيرنا من المسلمين هو أننا نعتقد أن عملنا يتجزأ تحت راية هذا الانسان بالفعل، لأننا نعتقد بوجود الامام المهدي وبحياته ورعايته لهذا العمل، فنحن إذاً نعمل تحت رايته ونتحرك برعايته، وهو الذي يقود هذه المسيرة من وراء السحاب، كما عبّر عن ذلك في روايات أهل البيت عليهم السلام.

وقد ورد في روايات أهل البيت: إن وجوده عليه السلام من قبيل وجود الشمس من وراء

السحاب^(١)، الذي يؤثر في حياة الناس، فوجوده في هذه المسيرة وجود فعلي ومؤثر في حياة الناس بالفعل، ولكن هذا التأثير «سحابي»، اذا صح التعبير، باعتبار أن السحاب دائماً فيه الرحمة والبركة والخير، فكان تعبير الأئمة عليهم السلام لذلك.

إذن، فهذه النهضة ترى في نفسها أنها نهضة تُهد لهذا الظهور، ومتربطة بمركته ارتباطاً فعلياً، وليس تعليقاً أو تصورياً أو مثالياً، فهو عليه السلام الآن يقود هذه المسيرة، وهذا أمر مفيد جداً في مسألة النهضة الاسلامية.

لاحظوا شهر رمضان الشريف، وهو شهر الرحمة والمغفرة، وشهر ليلة القدر وضيافة الله، وشهر القرآن الكريم، هذا الشهر فيه هذه الميزات الكثيرة، وعندما نقرأ دعاء الافتتاح وهو من الأدعية التي نكرها في شهر رمضان، لنعبر عن علاقتنا بالله سبحانه وتعالى، وارتباطنا به، نجد أن من الميزات الموجودة في شهر رمضان، والتي يغفل عنها الانسان أن دعاء الافتتاح نصفه موظف للامام المهدي (عج)، فالدعاء من بدايته تمهيد للامام المهدي (عج) الى أن يُختم بذكر الامام، وبعد ذلك يدعو الانسان أن يجعل الله له الفتح والفرج.

وهنا يوجد سؤال وهو: لماذا هذا التكريس والتوظيف والاهتمام بقضية الامام المهدي (عج) في دعاء الافتتاح؟.

وهذا الأمر يرتبط بموضوع شهر رمضان من ناحية، وبموضوع الهدف من الرسالة الاسلامية من ناحية أخرى.

أما ارتباطه بموضوع شهر رمضان، فشهر رمضان ليس شهر الصلاة والصيام فقط، وإنما هو شهر التعبئة الروحية والجهادية والسياسية، والارتباط بالعمل الاجتماعي والسياسي، قضية أصلية ومهمة في شهر رمضان، وليست من القضايا الجانبية.

لاحظوا معركة بدر، وهي من أهم المعارك الاسلامية، إن لم أقل أهم معركة؛ لأنها كانت في بداية حركة الاسلام، وحقق فيها الله تعالى النصر للمسلمين، وكان الفتح في بدر يمثل فتح مكة والجزيرة العربية والفتوحات الاسلامية فيما بعد. وكان البديون هم المثال والقُدوة لكل المجاهدين

(١) عن جابر الأنصاري أنه سأل النبي ﷺ: هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟ فقال ﷺ: إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم لينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب. بحار الأنوار ٥٢: ٩٢-٩٣، ح ٨.

حتى أنه عندما يُمتدح أصحاب الحسين عليه السلام يقال: إنهم كانوا كالبدريين .

وقد كانت هذه المعركة في شهر رمضان ، وكذلك فتح مكة الذي يمثل المعركة المهمة الأخرى في زمن النبي ﷺ ، وهكذا الاستعداد للفتوحات الأخرى كالاستعداد لخير ، كان في شهر رمضان ، فشهر رمضان كان يمثل الشهر الذي يعبئ فيه رسول الله ﷺ المسلمين للقتال والجهاد ، وممارسة هذا الدور في حياة المسلمين . ولذلك لم يجعل شهر رمضان - على قداسته وعظمته - من الأشهر الحرم ، فالأشهر الحرم هي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم . أما شهر رمضان الذي فيه هذه الخصوصيات العبادية فلم يجعل من الأشهر الحرم ، فما هو السبب ؟ .

الجواب : لأن شهر رمضان هو شهر التعبئة الروحية والجهادية والسياسية للمسلمين ، ولذلك كان نصف دعاء الافتتاح سياسة وممارسة لهذا الدور السياسي .

خطر انعزال الحوزة عن العمل السياسي

وإنما أؤكد على هذه الأمور ، لأن أحد الأخطار التي نواجهها في حوزاتنا العلمية أن تنعزل الحوزة العلمية أو تنزوي عن العمل السياسي ، وحالة الانعزال عن العمل السياسي هي أكبر الأخطار التي تصيب الحوزات العلمية ، وإنما تمكنت هذه الحوزة العلمية من تحقيق هذه النهضة الإسلامية باعتبار ممارستها لهذا الدور السياسي .

ولذلك نجد أن أوعى الناس وأفضلهم في الحوزات العلمية هم الذين يمارسون العمل السياسي ، مع احتفاظهم بالجانب العلمي ، ففي الوقت الذي يمارسون فيه العمل السياسي يحتفظون بالجانب العلمي .

وقضية العمل السياسي ليست قضية فضل فقط ، وإنما هي واجب على كل واحد من أبناء الحوزات العلمية كوجوب الصلاة والصيام ، غاية الأمر أن العمل السياسي الذي يتناسب مع وضعه وعمله وفضله وموقعه وخصائصه ، يمكن تشخيصه من خلال ادارة العمل ، لكن أصل العمل السياسي من الأمور التي لا بد أن يمارسها طالب العلم ، ومن أعظم الأخطار أن تنزوي هذه الحوزات .

ولذلك نجد أن نصف دعاء الافتتاح - الذي يقال : إنه مأخوذ من الامام الحجة (عج) ، والذي يمثل منهجاً لشيعته وأتباعه في زمن الغيبة الكبرى ، - موظف للعمل السياسي .

هذا من جانب، ومن جانب آخر فهو يرتبط - كما قلت - بالهدف، الذي هو هدف الاسلام، بل هدف كل الديانات والرسالات الاسلامية، والاسلام هو اسم لكل دين نزل من الله سبحانه وتعالى، اذا أخذناه بهذا المعنى، وأما اذا أخذناه بالمعنى الخاص فهو خاص بهذه الرسالة الخاتمة، لكن الهدف هدف لكل الرسالات، وهو هدف وجود الامام المهدي (عج)، الذي بشر به كل الأنبياء والرسالات الالهية.

ولذلك نجد أن حركة التاريخ لا بد أن تنتهي الى ظهوره، ولا يمكن أن يصدق النص الالهي الذي خاطب الله به ملائكته في أول خلقه آدم: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾^(١)، إلا بظهور الامام المهدي (عج)، وإن المسيرة التاريخية إنما هي مقدمة للوصول الى ذلك الهدف المتمثل بالامام المهدي (عج)، وهذا التأكيد في دعاء الافتتاح إنما هو بلحاظ هذا الهدف.

ومن هنا نعرف ارتباط الحوزة العلمية بهذه النهضة، باعتبار أنها مقدماتية - إذا صح التعبير - وتمهد لظهور الامام المهدي (عج)، ونعرف أن هذه الحوزات لها ارتباط وثيق بهذه النهضة الاسلامية، لأن أبناء الحوزة العلمية جنود الامام المهدي، ومن أولى من أبناء الحوزة في أن يقاتلوا تحت هذه الراية، ويعملوا تحتها؟.

إن شرف أبناء الحوزة العلمية أن يكونوا جُند الامام المهدي، أكلنا من الامام المهدي وشربنا منه، وهو يقيم إعالتنا وإدارة شؤوننا وتعلمنا وفضلنا منه، أملنا في هذه الحياة أن نرى وجهه الشريف، ونتعرف على ذلك اليوم الذي يظهر فيه، وشرفنا أن نخدم تحت رايته، وإذا نظرنا للنهضة الاسلامية بهذا المنظور نعرف أن أبناء الحوزة العلمية هم جنود الامام المهدي (عج).

البعد الثاني: مشكلات العالم المعاصر

إن عالمنا اليوم يواجه مشكلات كبيرة ومعقدة، ولا بد أن تنتهي به الى التحول والتغير، ولا يمكن أن يتحملها هذا العالم، بل لا بد أن تسقط هذه الحضارة الغربية تحت هذه المشكلات ويحصل التحول.

ولذلك نحن نأمل - والله أعلم بذلك - أن يكون هذا العصر عصر ظهور الامام الحجة (عج)، ولا نوقت لذلك، فقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام: «كذب الوقتون»^(٢)، لكن كأن الانسان

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) الكافي: ١ / ٣٦٨.

يرى - والله أعلم بالمستقبل - أن هذا عصر الظهور ، لأن المشكلات التي يواجهها الانسان من ناحية ، ومسألة التضاد بين طبيعة الشعارات والمفاهيم التي يرفعها الانسان ، ويتحرك فيها في هذا العصر من ناحية ثانية ، والواقع الذي يعيشه من خلال هذه المشكلات من ناحية ثالثة ، يفرض وجود هذا التحول المستقبلي في وضع العالم .

ومن هنا يمكن أن نعرف أهمية هذه النهضة الاسلامية وقضية الثورة الاسلامية .

١- مشكلة الأسرة

وإحدى هذه المشكلات التي أعددتها بالعناوين - لأن كلاً منها يحتاج الى بحث ، واطرك هذا الموضوع الى الأخوة الأعزاء والسادة الأفاضل ، من أجل أن يبحثوه ولو في أبحاثهم العلمية الداخلية - موضوع الأسرة .

في البناء والتصميم الالهي للمجتمع البشري أخذت الأسرة كلبنة أولية لهذا البناء الانساني ، وعندما نرجع للقرآن الكريم ، نجد معالم ذلك منذ خلقه آدم وحواء الى يومنا الحاضر ، والقرآن الكريم يتحدث عن تاريخ البشرية ، وأن هذه القضية ترتبط بالأسرة ، بحيث إن الأسرة إذا هُددت في وجودها فسوف تنزل النعمة والغضب الالهي على المجتمع .

وقضية قوم لوط ترتبط بهذا الموضوع ، فقوم لوط ارتكبوا ذنباً ، والذنوب الكبائر - كما نعلم - كثيرة ، وليست منحصرة بهذه الكبيرة ، بحيث ينزل العذاب الالهي على القوم لارتكابهم هذه الكبيرة ، وإنما القضية مرتبطة بأن وحدة المجتمع البشري أصبحت مهددة ، بسبب هذا العمل الذي يقوم به هؤلاء القوم ، فنزل الغضب الالهي والهلاك المطلق على هؤلاء البشر .

والآن تعتبر الأسرة من المفردات التي تواجه مشكلة حقيقية في المجتمع الانساني ، وخصوصاً في الحضارة الغربية ، وأحد الشواهد العجيبة على هذا الموضوع هو أنه عندما عُقد في العام الماضي المؤتمر العالمي للأسرة في بكين ، وهو أعظم مؤتمر عُقد في العصر الحاضر وبحث فيه موضوع الأسرة ، فهؤلاء الغربيون الحمقى يرون أن للأسرة ثمانية عشر شكلاً ، ومن جعلتها علاقة إنسان بحيوان ، أو علاقة حيوان بحيوان ، فأدخلوا الحيوان ضمن الأسرة البشرية ، باعتبار أن الحيوانات تعيش مع الناس وكأنها جزء من حياتهم ، بحيث جعلوا هذه الأسرة في صورة ظلامية ضبابية غائمة غير واضحة ، كأن لا وجود لها في المجتمع الانساني .

فعلاقة رجل برجل اعتبروها أسرة ، وعلاقة امرأة بامرأة اعتبروها أسرة ، وهكذا علاقة

رجل بحيوان، أو امرأة بحيوان، أو حيوان بحيوان، والآن توجد قوانين وتشريعات بهذا الخصوص . ونحن نضحك ونهزأ ونسخر من هذا الأمر ، ولكن عندما يجتمع مجلس الشعب - مثلاً - عندهم ، أو المجالس البرلمانية تناقش قوانين ترتبط بمثل هذه القضايا العجيبة المضحكة هذا هو وضع الأسرة في المجتمع الغربي .

٢- تجارة المخدرات والجنس

المشكلة الثانية التي يواجهها المجتمع الغربي هي مشكلة ما يعبرون عنه بالتجارة السوداء ، التي هي من أعظم المشكلات التي يواجهها المجتمع الغربي .

والتجارة السوداء ليست كالتجارة السوداء في مجتمعاتنا ، وإنما هناك تجارة المخدرات ، فهناك توجد قوى خفية تتاجر بها ، ونسبة الأموال التي تتاجر بها تمثل نسبة عظيمة جداً من رأس المال العالمي . وهذه القوى تؤثر على وجود دول ، بحيث تسقط حكومات وتُنصب حكومات بقدراتها في هذا المجال .

والتجارة الأخرى هي تجارة الرقيق الأبيض ، أي تجارة البغاء والجنس ، الذي تحول الى أمر يهدد الكيان الغربي .

ومن يقرأ التقارير ذات العلاقة بهذا الأمر يصبه شيء من الهلع والدهشة ، وعدم القدرة على تصور وجود هذه الحالة في المجتمع الانساني .

وعندما أقول : العالم الغربي ، فلأن العالم الغربي يسيطر على أكثر العالم بالفعل ، إما سيطرة اقتصادية أو ثقافية أو عسكرية . وجنوب شرق آسيا الآن تحت سيطرة العالم الغربي ، وإن لم يكن من العالم الغربي .

٣- أسلحة الدمار

والأمر الآخر هو تجارة الاسلحة التدميرية ، فأسلحة الدمار من التجارات المحرمة عالمياً ، ولكنها متداولة بين دول العالم ، وتسمعون الآن ما يجري في العراق ، من التفتيش عن بعض الأسلحة ، والتقرير الأخير يثبت امتلاك النظام العراقي للسلاح الجرثومي ، وكان النظام يدعي أن عنده أربعة غرامات من مادة جرثومية معينة تسمى (VX) ، ويقال : إن هذه الأربعة غرامات تكفي لأن تهلك شعباً بكامله ، وبعد الفحص تبين أن عنده أربعة كيلو غرامات ، وليس أربعة غرامات ، وهذا يعادل ألف ضعف مما كان يدعيه . بحيث يقال : إن هذه الأربع كيلو غرامات ، التي

اعترف بها النظام يمكن أن تهلك البشرية بشكل مضاعف ، وهم يحتملون أن يكون لديه مقدار أكثر من هذا .

وهذا النوع من أنواع التجارة المحرمة موجود في العالم ، وقد تمكن النظام العراقي أن يحصل عليها . والكثير من الأنظمة في العالم تملك هذه الأسلحة المحرمة ، ومنها اسرائيل التي تمثل تهديداً عظيماً للعالم الاسلامي . ولا يمكن السيطرة على هذه المشكلة بشكل مطلق .

٤- الصراع الاقتصادي

ومن المشكلات التي يواجهها عالمنا اليوم ، الصراع الاقتصادي الذي أصبح الهم الأول في هذا العالم ، وأنتم الآن تلاحظون سقوط الأسهم في مناطق شرق آسيا ، وكان بعض الناس المتأثرون بالحضارة الغربية وبأمريكا ، وبما يسمى بالسوق الحرة والاقتصاد الحر ، يقول : تعالوا انظروا الى كوريا الجنوبية ، كيف تمكنت أن تتطور وتصبح دولة عظيمة من خلال السوق الحرة .

وكان بعض الناس يعتقد أن هذا أمر مهم جميل ويدعو الى أن يكون للجمهورية نظام سياسي اقتصادي بهذا الشكل ، وكوريا الجنوبية مثال للاقتصاد ، والآن تبين أن هذا الاقتصاد - ونحن نعرف ذلك من أول الأمر من خلال دراستنا للاقتصاد الاسلامي - ليس فقط لا يحفظ شؤون البلد ، بل هو اقتصاد مدمر .

فالعملة الكورية - الآن - تسقط بطريقة مروعة ، بحيث أصبح العالم كله يخاف من ذلك ، وليس أهل كوريا فقط ، وهذا الخوف أدى الى أن يبادر صندوق النقد الدولي أن يقرض كوريا الجنوبية عشرين مليار دولار .

والجمهورية الاسلامية بقيت خمس سنوات تسعى لأجل الحصول على قرض من البنك الدولي فلم تتمكن من ذلك .

فالغربيون يريدون أن ينقذوا أنفسهم فقدموا هذه المليارات الى كوريا الجنوبية ، إلا أنه لم ينفع هذا ، لأنهم قالوا : لا يكفي هذا المقدار ، بل نحتاج الى خمسين مليار دولار ، حتى يمكن انقاذ الموقف لماذا ؟ .

لأن كوريا الجنوبية مدينة بمائة وثمانين مليار دولار الى الشركات الاقتصادية العالمية ، فهذا الشعب الكوري المسكين المستضعف مدين للعالم الآن .

وهذه الأرقام لا يمكن أن نفهمها بسهولة مالم نتمعق بها ، ونذهب اليها ونعرف أن هناك

مشكلة عويصة ومعقدة يعيشها العالم ، ولا يمكن السيطرة عليها .

٥ - التناقض بين الشعارات والواقع

ومن المشكلات المهمة ، المشكلة الأخلاقية التي اعتبرها من أهم المشكلات ، وهي قضية التدافع والتضاد بين الشعارات التي يرفعونها ، وبين الواقع الفعلي المتمثل بالمصالح والأهواء والشهوات التي يسعون إليها .

يرفعون الآن شعار حقوق الانسان ، ولا تجد دولة من دول العالم إلا وترفع هذا الشعار ، وتوقع على ' وثيقة حقوق الانسان ، ويعتبرون هذه القضية من معالم الحضارة الجديدة ، ومن معالم حركة الانسان الجديدة ، وفي الوقت نفسه يرفعون شعار وحدة العالم ، من إدعاء أمريكا النظام العالمي الجديد الى وجود الأمم المتحدة التي تمثل وحدة العالم ، الى وجود الاتحادات العالمية الكبيرة ، من قبيل حركة عدم الانحياز ، والاتحاد الأوروبي ، ومنظمة المؤتمر الاسلامي ، وهكذا ... يسعون الآن الى إيجاد وحدة عالمية ، وهذه ليس إلا شعارات يرفعونها ، وإذا أردنا أن نأتي الى الواقع العملي نجد أن هناك فرقاً بين هذه الشعارات وبين الواقع ، وتكاد تختلف هذه الشعارات مائة وثمانين درجة عن هذا الواقع .

وأول من يسحق حقوق الانسان أمريكا واسرائيل ، وعندما أقول اسرائيل فلا أقصد دولة الصهاينة ، وإنما أقصد أمريكا وكل العالم الغربي ؛ لأن اسرائيل هي الممثل للغرب في البلاد الاسلامية ، ولذلك يدافعون عن اسرائيل ، لأنهم يرونها ممثلة الغرب ، ومجسدة الحضارة والفكر الغربي والطموحات الغربية ، في الاقتصاد والاجتماع ، ويدافعون عنها من هذه الرؤية ، فإذا كانت اسرائيل أول من يسحق حقوق الانسان ، فهذا يعني أن الغربيين هم الذين يسحقون حقوق الانسان .

والغربيون يحاولون الآن أن يفتنوا ويمزقوا هذا العالم ، في حين أنهم يدعون الوحدة والنظام العالمي الجديد ، ولذلك نجد في شرق الأرض وغربها صراعات داخلية بين الناس تحاول أن تفككهم .

فهذا العراق واذربيجان وفلسطين والجزائر ، ورواندا والكونغو كمبوديا ، وفي داخل الوضع الاوربي ، بدأ الآن صراع داخلي ، في اسبانيا وفرنسا وبريطانيا وايرلندا .

وفي كندا التي تعتبر دولة متطورة يوجد الآن صراع داخلي ، فاقليم الكبك يريد أن ينفصل

عن كندا وهكذا ...

يوجد الآن تناقض كبير جداً بين الادعاء وبين الشعار الذي يرفعونه، والذي يمثل تكاملاً في طريق الإنسانية، لأن قضية حقوق الانسان ووحدة الإنسانية تمثل جانباً تكاملياً يقيناً، لأن الله تعالى خلق الناس من ذكر وأنثى: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾^(١). فالأصل في الإنسانية الوحدة وهذه الحقوق، ولا أتكلم عن تفاصيل الحقوق، وإنما عن مبدأ حقوق الانسان وهو شيء تكاملي، وفي مقابل هذا الشيء التكاملي يوجد تسافل في الأخلاق وفي التطبيق، بشكل لا ينسجم مع هذا الشيء التكاملي الذي يرفعونه.

وهذا التناقض في الحركة الإنسانية بين الشعار وبين العمل، لا بد أن يصل بالانسان الى السقوط والهلاك، كما وجدنا ذلك في قضية اليهود، وعندما يتحدث القرآن الكريم عن اليهود، يذكر هذا التناقض، فيقول: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾^(٢)، لماذا؟.

نقول: لأن هؤلاء أصحاب رسالات إلهية، ويرفعون شعار الله والوحي الإلهي وهو شعار التوحيد، وعبادة الله في مقابل عبادة الاوثان، وهؤلاء يدعون أنهم يرتبطون بآبراهيم واسحاق ويعقوب الذين يحاربون الوثنية، فهؤلاء هذه شعاراتهم، لكن واقعهم أنهم يعبدون أحبارهم ورهبانهم، واتخذوهم أرباباً من دون الله.

وعندما يوجد هذا التناقض، فسوف تسقط هذه الجماعة وتنتهي، ولذلك نحن نعتقد أن هذه المشكلات وغيرها - مما لا يسعنا الوقت لبيانها - سوف تنتهي بالبشرية والحضارة الغربية الى السقوط حتماً، وإحدى علامات هذا السقوط انهيار الاتحاد السوفياتي.

نعم، قد يتحقق هذا السقوط بعد عقد أو عقدين أو ثلاثة، فالله أعلم بذلك، والأمور بيده. وأنا أتوقع أن هذه العقود القريبة - والتي قد يشهدها صغارنا - سوف تسقط فيها الحضارة الغربية بكاملها، وعندئذٍ، فهذا الانسان الذي يعيش هذه المشكلات سوف يتطلع الى المنقذ، وهو النهضة الإسلامية التي هي نهضة تمهيد لظهور الامام الحجة، والمنقذ الحقيقي هو الامام الحجة (عج).

لكن المنقذ الذي يسوق البشرية الى ذلك الهدف إنما هو النهضة الإسلامية وهذه الحوزات العلمية، أي: أنتم أيها المؤمنون الدارسون، فلا تستصغروا أنفسكم، فالانسان قد يستصغر نفسه

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) التوبة: ٣١.

ويحتقرها ويرى نفسه ضعيفاً - والله خلقه ضعيفاً - ولكن عندما يرتبط بالله سبحانه وتعالى ويكون مخلصاً وعلى ثقة بالله سبحانه، ومتوكلاً على الله، ومستعيناً به ومستمداً لقوته من قوة الله تعالى، يصبح شيئاً عظيماً جداً، وكما قيل: فإن همم الرجال تزيل الجبال، همة هذا الرجل عندما تكون لديه إرادة، فكيف اذا كانت هذه الارادة ضمن ارادة الله تعالى، ومستمدة منه؟ فلا بد أن يصل هذا الانسان الى هذه النتيجة.

كيف يتم إنقاذ العالم من الهلاك؟

وهذا الانقاذ والتهديد هو على عواطفكم ... على عواطف أبناء هذه الحوزات العلمية، ولذلك أنتم الذين تأتون من أماكن بعيدة وتتحملون هذا العناء يجب أن تنظروا الى مسيرتكم من هذه الزاوية، وإلا فلا يوجد شيء يستحق هذا العناء والتعب والأذى، والجوع والمحاصرة والمحنة، إلا هذا الهدف الكبير الذي يجب أن يسعى إليه الانسان.

وهذا الهدف إنما يتحقق بعدة أمور أشير إليها بشكل سريع جداً، واعتبر أن هذه من مسؤولية الأخوة الأعزاء في الحوزة العلمية.

الأمر الأول: الارتباط بالله تعالى ارتباطاً دائماً، والذي نعبر عنه بالايان بالغيب، وهذا شرط من شروط المؤمنين، وبعض الناس يفهم الايمان بالغيب بمعنى أن تؤمن بالله، والحال أنا جميعاً تؤمن بالغيب حتى العامي يؤمن بالله، ويشهد الشهادتين.

والايان بالغيب له معنى أعمق في أوضاعنا وفي حوزاتنا، فهو يعني أن الانسان دائماً يستحضر أن الله تعالى حاضر في حركته وعمله، فيراقب الله في هذا العمل، حتى يكون عملاً له تعالى وليس للشيطان. فيستعين بالله سبحانه وتعالى.

إذن، فعندما يكون الله حاضراً، عمله يكون مهماً جداً، حضور الله يعني أن الله يوفقه في هذا العمل أو غير ذلك من معنى الحضور.

وهذه مسألة مهمة جداً يجب أن يتمثلها طالب العلم والعلماء وأبناء الحوزات العلمية وهي قضية الحضور لله سبحانه وتعالى في كل أعمالنا وتصرفاتنا.

الأمر الثاني: قضية الجهد والبذل والسعي المتواصل من أجل الوصول الى الهدف، فاذا بذل الانسان كل جهده من أجل أن يصل الى هدفه فسوف يصل الى هذا الهدف حتماً، وهذا وعد الهي

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ ^(١) ، فإذا نصرتم الله وبذلتهم ما عندكم ، فالله يضيف من قدرته الى ما عندكم ، فيتحقق النصر لهذا الانسان .

فالانسان اذا كان عنده عشرة ، يضيف الله له التسعين فتكون مائة ، واذا كان عنده خمسة عشر يضيف الله الخمسة والثمانين ، أما اذا كان بمقدور الانسان عشرة ، وقال : إن الله كريم واسع وقادر ، أنا أبذل خمسة ولا أبذل العشرة كلها ، فالله لا يضيف شيئاً ، بل يقوله له : أنا أتركك الى نفسك ، فعلى الإنسان أن يبذل جهده ، بمعنى أن الطالب يبذل جهده في العلم والتبليغ والوصول الى مدارج التقوى والصلاح .

الأمر الثالث : الجهاد والتضحية في سبيل الله ، وهذه القضية من القضايا القانونية ، يعني من السنن الالهية ومن القوانين الاجتماعية ، التي تحدث عنها القرآن الكريم فقال : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ﴾ ^(٢) ، والجنة يعتبرها القرآن الكريم هدف الانسان في مسيرة التكامل ، فيقول : هل يمكن أن تحسبوا وتظنوا أن تصلوا الى الجنة ، مالم يجز عليكم ما جرى على الأقوام السابقة ، ﴿ ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ﴾ ^(٣) ، الرسول هو الذي يقول ، وليس الانسان العادي ، والمؤمنون يقولون : متى نصر الله ؟ عندئذ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ألا إن نصر الله قريب ﴾ ^(٤) .

فالانسان لابد أن يكون مضحياً ، ويتحمل البأساء والضراء والآلام والمعاناة حتى يصل الى هذا الهدف ، فقضية التضحية والجهاد في سبيل الله هي قضية الوصول الى الأهداف .

وأيضاً قضية الأمل ، فالانسان الذي يرتبط بالامام الحجة (عج) ويتحرك دائماً بالأمل يكون أمامه أمل الوصول ، وبمجرد أن ينطفئ الأمل في نفس الانسان يقف ويجمد .

واحدى مسائل الامام الحجة وقضايا المهمة هو أن هذا الانسان يرى أنه يشترك في معركة لابد أن ينتصر في نهايتها ، وهو جندي حتى لو سقط في الطريق واستشهد ، فسوف ترفع الراية وتصل الى أهدافها .

(١) محمد : ٧ .

(٢) البقرة : ٢١٤ .

(٣) البقرة : ٢١٤ .

(٤) البقرة : ٢١٤ .

ولذلك أدعو نفسي وادعو الأخوة الأعزاء خصوصاً ونحن في هذا الشهر الشريف ، شهر التعبئة الروحية والجهاد في سبيل الله ، وجهاد النفس وتكاملها ، أدعوهم جميعاً الى أن يوفروا هذه الشروط لعلنا نكون - إن شاء الله - في موضع الرضا من الامام الحجة (عج) ، وأن يقبلنا جنوداً عنده ، ويقول : نعم ، سجلت أسماءكم في قائمة الجنود والاتباع ، وإذا عرفنا أننا من هؤلاء الجنود فهذا شيء عظيم ، لعل الله سبحانه وتعالى عندما يوفر هذه الأمور في هذا الشهر الشريف ، وهو شهر طاعة ومناجاة واقبال على الله ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا ويوفقكم لذلك . واكتفي بذلك .

فكرة الامام الحجة من مميزات الرسالة الخاتمة

سؤال : لماذا جعلت هذه الوظيفة الكبيرة ، وهذا الشرف العظيم وهو اقامة الدولة الاسلامية ، وخلافة الله في الارض ، على عاتق الامام المهدي (عج) ولم يكن هذا الشرف لأفضل الأنبياء ؟ فما هي الحكمة والغاية من ذلك ؟

سماحة السيد الحكيم : هذا الشرف العظيم شرف لخاتم الأنبياء ﷺ ؛ لأن الامام المهدي (عج) ليس اماماً مستقلاً عن هذه الرسالة الخاتمة .

وهذه المسائل فيها بحث ، وهو ان الرسالة الخاتمة فيها عدة قضايا وميزات ، إحداها التي تميز هذه الرسالة وترتبط بنفس الرسالة والأطروحة ، التي جاء بها رسول الله ﷺ قضية الامام المهدي (عج) ، كما إن القرآن الكريم هو من مميزات الرسالة الخاتمة ، وثورة الامام الحسين عليه السلام ووجوده كذلك .

وهذا النوع من التوضيحية الخاصة من خصائص الرسالة الخاتمة ، وقضية الأئمة الاثني عشر ، التي تحدث عنها الرسول ﷺ هي قضية الرسالة الخاتمة ، وقضية الامام المهدي الذي بشر بها رسول الله ﷺ وأكد على ذلك بقوله : « المهدي من ولدي »^(١) ، وعندما يقول : من ولدي وأهلي ، فيعني : أنه منه ﷺ ، كما قال عن الحسين : « حسين مني وأنا من حسين »^(٢) .

فالامام المهدي من رسول الله ، ورسول الله من الامام المهدي ، فهذه الدولة التي تقوم إنما شرفها لرسول الله ﷺ ، غاية الأمر أن هذا العمل لا يمكن أن يكون محدوداً بالزمان الذي عاش به

(١) الامالي للصدوق : ٢٩٨ ، ح ٣٣٤ .

(٢) الارشاد ٢ : ١٢٧ .

رسول الله، فزمنه محدود كبشر، والبشر يتعرضون للموت.

فقد قدر الله أن يكون عمر رسول الله ﷺ هذا العمر المحدود، ولذلك قضى رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة، وعشر سنوات في المدينة، وهذا العمل العظيم لا يمكن أن ينسجم مع هذا العمر المحدود لرسول الله ﷺ، لذلك شاء الله تعالى أن يكون تنفيذ هذه الرسالة الخاتمة على مراحل، كما شاء الله أن يكون تنفيذ الرسالات الالهية كلها على مراحل، فقد كانت رسالة نوح عليه السلام، ثم ابراهيم عليه السلام، ثم موسى عليه السلام، ثم عيسى عليه السلام، ثم محمد ﷺ.

وكذلك شاء الله أن يكون تنفيذ الرسالة الخاتمة على مراحل، فهناك مرحلة نفذت في مكة، ومرحلة في المدينة، ومرحلة في عصر أئمة أهل البيت، ومرحلة في عصر الغيبة الكبرى نفذت ولا زالت تنفذ الآن في الرسالة الخاتمة، وهناك مرحلة أخيرة - إن شاء الله - هي ظهور الامام الحجة (عج) وهي الرسالة الخاتمة أيضاً.

أسأل الله لي ولكم التوفيق، اللهم اغفر لنا ذنوباً وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، اللهم إنا نسألك في هذا الشهر الشريف أن تجعلنا ممن استزاد من طاعتك وتقرب اليك بالعمل الصالح، اللهم إنا نسألك أن تقبلنا في ضيافتك، وتفضل علينا برحمتك.

اللهم احفظ هذه الدولة الشريفة، وثبت دعائمها، وقوّ أركانها واجعلها دولة الممهدين لظهور الامام المهدي (عج)، اللهم اجعلنا من المساهمين في هذا العمل الشريف، ومن المساهمين في الجهاد، ومن المجاهدين في سبيلك.

اللهم احفظ ولي أمر المسلمين وأطل في عمره الشريف، اللهم وفقه وسدده وثبته وسدده في القول والعمل، اللهم انصره على أعدائه، أعداء الاسلام.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا ممن رضيت عنه في هذا الشهر، اللهم وفقنا ليلية القدر، اللهم قدر لنا فيها ما فيه خيرنا وصلاحنا، اللهم ارزقنا حج بيتك الحرام في عامنا هذا وفي كل عام.

اللهم تغمد الماضين من علمائنا ومراجعنا برحمتك الواسعة، اللهم تغمد امام الأمة برحمتك الواسعة، اللهم بلغ ثواب هذه الأعمال الى روحه الطاهرة، فإن له فضلاً كبيراً علينا، اللهم ارحمه برحمتك الواسعة. اللهم تغمد شهداءنا برحمتك الواسعة.

اللهم إنا نسألك أن تحفظ إخواني الحاضرين، وتوفقهم للعلم، وللأعمال الصالحة، اللهم سددهم في طلبهم للعلم وسددهم في الرأي. اللهم أرهم الحق حقاً فيتبعونه والباطل باطلاً

فيجتنبونه .

اللهم إنا نسألك أن تفعل بنا ما أنت أهله لا ما نحن أهله ، اللهم أدخلنا في كل خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد ، وأخرجنا من كل سوء أخرجت منه محمداً وآل محمد .

والى أرواح شهدائنا وعلمائنا ، والماضين من أسلافنا الصالحين ، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

وشكراً لكم من صميم القلب ، ونشكر السادة الأفاضل والأخوة في إدارة المدرسة على إتاحتهم لهذه الفرصة ، والحمد لله رب العالمين .

موقع الحوزة العلمية من العمل السياسي^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، والسلام على سيدنا ومولانا الامام المهدي (عج) ، والسلام على شهداء الاسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للاسلام وحتى هذا العصر ، والسلام على سادتي وإخواني وأعزائي الحاضرين ورحمة الله وبركاته .

المقدمة

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه : ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطناً يغيط الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون * وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾^(٢) .

هذه الآيات الكريمة هي من أواخر ما ذكره القرآن الكريم في سورة التوبة ، وهي تشكل قاعدة عامة لتأسيس الحوزة العلمية ، ونلاحظ أن هذه القاعدة الشريفة جاءت في إطار الجهاد في سبيل الله .

وقبل أن أتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل ، أتقدم بالتهنئة والتبريك للأخوة الأعزاء بمناسبة شهر رمضان المبارك ، حيث نعيش أيامه الشريفة ، كما أبارك للأخوة الأعزاء جميعاً هذا

(١) كلمة سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الاحد ١١/١/١٩٩٨م ، المصادف ٩/٩/١٤١٨ هـ . ق ،

٢١/١٠/١٣٧٦ هـ . ش في مدرسة الامام موسى الكاظم (عليه السلام) في مدينة قم المقدسة ، حيث تحدث

فيها عن موقع الحوزة من العمل السياسي .

(٢) التوبة : ١٢٠ - ١٢٢ .

العمل الشريف المتمثل بهذه المدرسة المباركة ، المنسوبة لسيدنا ومولانا الامام الكاظم عليه السلام ، هذا العبد الصالح الممتحن ، الذي كان أسير السجون ، ينتقل من سجن الى آخر .
أبارك هذا الانتساب والانتفاء والعمل الجاد في هذه المدرسة الشريفة ، الذي يمكن أن يعتبر عملاً نموذجياً ومثالياً في حركة مدارس الحوزة العلمية في هذا العصر ، فأسأل الله سبحانه وتعالى لهم التوفيق والقبول والبركة في عملهم .

المرجعية والعمل السياسي

وددت أن أتناول في هذا الاجتماع موضوعاً من الموضوعات الهامة في نظرنا ، وقد يكون له ارتباط بالموضوع الذي طرحه سماحة السيد ابو علاء حول المرجعية وحركتها ، وارتباط العمل السياسي بالمرجعية من ناحية ، وبالحوزة العلمية من ناحية أخرى .

وهذا الموضوع هو الموقف العام الذي يتمثل في حركتنا السياسية تجاه الحوزة ، فنذ مدة طويلة ونحن نتصدى للعمل السياسي بشكل واسع وواضح ، وكانت لهذا التصدي آثار ونتائج كبيرة ، كما اقترن بتضحيات في سبيل الله ، من أجل تحقيق هذه الآثار والأهداف ، وهذا العمل الذي كنا نمارسه طيلة هذه الفترة ، ماهي نظرتة وموقفه تجاه هذه المؤسسة الشريفة ، ومؤسسة الحوزة العلمية ؟ ، ومن ثم ماهو الموقف الصحيح للعمل السياسي في الساحة الاسلامية تجاه الحوزة العلمية ؟ ، وماهي نظرتة ؟ فهل هي نظرة صحيحة شرعية تنطلق من القرآن الكريم والسنة الشريفة ؟

والآيات الكريمة التي تلوتها عليكم تمثل قاعدة وأساساً ومنطلقاً لهذه النظرة ، ونحن - في اتجاه الحوزة العلمية - نعتقد أن هناك مجموعة من المبادئ والأسس لا بد أن تعتمد عليها هذه النظرة وهذا الموقف تجاه الحوزة العلمية .

ومن ثم أعتقد أنه من الضروري جداً أن يكون هناك اهتمام في أوساط طلاب العلوم الدينية ، ومدرسيها ، والمؤسسات ذات العلاقة بها ، بحيث تكون هذه النظرة واضحة لدى العلماء والقادة في الحوزة ، ولا بد أن تكون نظرة واضحة لدى كل أوساط الحوزة ، وتُربى أوساط الحوزة على ذلك .

ولا أريد أن أقول : إن هذا الموضوع يختص بي ، وإنما أعتقد أن هذه نظرة مستنبطة ومنتقاة من الاسلام الحنيف ، ومن التجربة الطويلة التي عشناها في ظل المرجعيات الرشيدة المتصدية في

ساحتنا العراقية والاسلامية .

ومن هنا أعتقد أنه من الضروري أن تتحول هذه النظرة الى ثقافة عامة في أوساط الحوزة ، لاسيما عندما نرى أن هذه الحوزة تتهددها أخطار كثيرة من داخلها وخارجها ، بسبب عدم وضوح الموقف والتصور العام عن الحوزة العلمية وموقعها .

وفي هذا المجال أود أن أشير الى ضرورة أن يكون هذا الموضوع من موضوعات البحث والتداول في أوساط الفضلاء والعلماء في الحوزة العلمية ، فكما أن تفاصيل الشريعة الاسلامية هي موضع البحث والتداول في أوساط العلماء والفضلاء ، وفي مجالسهم من الدروس العلمية الى الأبحاث الكتابية والمطالعات والمجالس ، واللقاءات ، فالعلماء عندما يلتقون يطرحون الموضوعات العلمية ويتداولونها ، وإن كان المجلس في نفسه لم يعقد من أجل البحث ، وإنما العالم عندما يلتقي بعالم آخر يتحدث في هذه الشؤون ، فتكون القضية العلمية إحدى هذه الشؤون ، فهذا الموضوع لا بد أن يكون من الموضوعات المهمة التي تطرح ، لكي تصبح واضحة المعالم من خلال البحث العلمي والدليل والبرهان والنص الشرعي الذي يؤكد هذا المضمون .

ولذلك أحاول أن أطرح في هذا الاجتماع المبادئ والأفكار مجردة عن أدلتها التفصيلية ، لأن هذا البحث يحتاج الى وقت طويل ، إذا أردنا أن ندعمه بالأدلة التفصيلية ، وإنما أكتفي بمقدار ما تكون في ذهني طيلة المدة السابقة من العمل والبحث والتصور ، وأعتقد أن هذا هو الشيء الصحيح الذي يمكن أن يدعيه الانسان تجاه النظرة والموقف العام للحوزة العلمية .

موقع الحوزة من الحركة السياسية

وتوجد هنا عدة قضايا :

القضية الأولى : ماذا تمثل الحوزة العلمية بالنسبة الى هذه الحركة السياسية ؟ .

نحن نعتقد أن الحوزة العلمية تمثل بالنسبة الى الحركة السياسية أبعاداً مهمة ، وهي : أولاً : البعد العقائدي ، لأن الحركة السياسية تعتمد في عقيدتها على فكرة الامامة ، والحوزة العلمية تمثل امتداداً لهذه الفكرة ، فالامامة هي للنبي ﷺ والأئمة المعصومين . والفقهاء يمثلون نواباً عامين - كما في مصطلحاتنا الفقهية - لهؤلاء الأئمة .

والحوزة العلمية - بكيانها المتعدد الاطراف - تمثل المؤسسة التي يولد منها هؤلاء النواب ، وتمثل - في الوقت نفسه - الذراع التي يتحرك من خلالها هؤلاء النواب في الأمة والمجتمع .

كما أن هذه المؤسسة تمثل الأجهزة والتشكيلات التي تعتمد عليها الامامة والنيابة، فالحوزة العلمية لها هذا البعد العقائدي، وهو أنها امتداد للامامة، ولها هذا الموقع في فهمنا وحركتنا السياسية.

وبهذا الامتداد نعرف أن الحوزة العلمية تمثل الجذر التاريخي لهذه الحركة السياسية. والبعد التاريخي في كل حركة سياسية يمثل قضية مهمة جداً، مهما كانت هذه الحركة شريفة وراقية ومتكاملة في خصائصها ومضامينها ومصادرها وتقائها.

وقد يقول بعض الناس: ما أهمية التاريخ الذي نتحدثون عنه، وعن الانساب والماضي؟ لننظر للحاضر، فإذا كان هذا الحاضر تقيماً صحيحاً أصيلاً له علاقة بالله سبحانه وتعالى، فما الداعي للحديث عن الماضي وعن التاريخ؟

نحن نعتقد أن التاريخ يمثل الجذر، وعنصر الثبات لهذه الحركة من ناحية، كما يمثل وضوحاً في قدرة هذه الحركة على التعايش مع الفطرة الانسانية ومع البشرية، وقدرة هذه الحركة على حل المشكلات الانسانية، والانسجام مع المجتمع الانساني من ناحية أخرى.

فقضية الجذر التاريخي لها دور وأثر في هذا الجانب، ولذلك نجد أن الرسالة الخاتمة التي هي أفضل رسالة عرفها تاريخ البشرية، وهي رسالة موحة من الله سبحانه وتعالى، وفيها القرآن الكريم، الذي يمثل المعجزة الخالدة، والدليل الدائم المستمر على صحة هذه الرسالة، وجاء بها أفضل الأنبياء وسيدهم، إلى غير ذلك من خصائصها، ومع كل هذا، فهذه الرسالة الخاتمة اهتمت أن تنسب نفسها لهذا التاريخ الالهي، والرسالات الالهية السابقة والجذور الأصيلة، كإبراهيم عليه السلام وارتباطها به.

ولكي تصبح رسالة تمثل الشجرة الطيبة، فلا بد لها من جذور متأصلة في عمق التاريخ، حتى يكون لها هذا الثبات، وهذه القدرة على الاستمرار والبقاء.

والحوزة العلمية في حركتنا السياسية تمثل هذا التاريخ، فعندما نتحدث عن الحركة السياسية لا نتحدث عن مقطع زمني معين، نحدده بالعقود فنقول: قبل عقدين أو ثلاثة أو أربعة. صحيح أن حياتنا محدودة وتصدينا محدود بهذه العقود والسنين المحدودة، ولكن البعد التاريخي في هذه الحركة إنما هو بعدٌ يرتبط بكل حركة الحوزة العلمية، منذ تأسيسها على يد النبي ﷺ، ورعايتها بعد ذلك على يد الأئمة الأطهار، وتطورها ونموها على أيديهم عليه السلام، إلى أن

أصبحت تمثل النيابة للإمامة في حركتها.

هذه الحركة السياسية لها هذا الجذر التاريخي، وهذا لا يمكن أن يكون مجرد ادعاء، مالم يُعبر العمل السياسي عن حقيقة هذا الجذر في شعاراته ومفاهيمه وانتائنه وطبيعته حركته، وفي كل خصوصياته التي تمثل هذا التاريخ.

وقد طرح الامام الخميني رحمه الله شعار: (ولاية الفقيه امتداد لحركة الأنبياء)، وأراد بهذا الشعار أن يعطي هذا الجذر التاريخي لقضية الولاية.

فالحوزة العلمية تنظر إليها بهذا المنظار وهذه الرؤية في حركتنا السياسية، مضافاً إلى ذلك، نحن نجد أن الحوزة العلمية لا بد أن تشكل في هذه الحركة السياسية القاعدة الرئيسية في تنفيذ الحركة والاجراء والنشاط والعمل الذي يمكن أن تقوم به الحركة السياسية للوصول إلى أهدافها وغاياتها، التي وضعها الله تعالى أمامها.

إذن، فالحوزة العلمية لها هذا الموقع في الرؤية السياسية، ومن هنا يمكن أن نفهم الآية الكريمة التي جاءت في سياق آيات الجهاد: ﴿وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾^(١)، فهذا حديث الجهاد في سبيل الله، والقرآن الكريم يشير إلى معالم هذا الجهاد بقوله: ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطناً يغيب الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً﴾^(٢)، ثم يقول: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً﴾^(٣)، وهذه كلها معالم الجهاد في سبيل الله.

وفي هذا الاطار طُرحت الحوزة العلمية، ووضعت كأداة من أدوات تحقيق هذا الغرض، ولذلك جاءت الصيغة بهذا الشكل: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر...﴾^(٤)، هذا الجهاد وهو النفر للقتال في سبيل الله، ما كان عليهم أن ينفروا جميعاً إليه، بل عليهم أيضاً من أجل تحقيق هذه الأهداف أن يكون لديهم نفر آخر، وهو النفر للفتقه في الدين، ومن ثم هداية الناس وارشادهم وتحذيرهم، ليصلوا إلى أهدافهم.

(١) التوبة: ١٢٠.

(٢) التوبة: ١٢٠.

(٣) التوبة: ١٢١.

(٤) التوبة: ١٢٢.

فالحوزة العلمية تمثل أداة رئيسية ومهمة للوصول الى هذه الأهداف من الناحية العملية، ولا يمكن أن نفترض أن هذه الأهداف يمكن أن نصل إليها، وتكون الحوزة العلمية على هامش العمل، أو لا يكون لها دور رئيس فيه.

ثم بعد كل ذلك، نعتقد أن هذا النشاط والعمل لا بد أن يتم من خلال الحوزة العلمية وفي إطارها، وقضية الاطار السياسي لهذا العمل مهمة جداً، لأن الاطار السياسي للعمل يمثل محور الولاء في العمل؛ فالعمل السياسي ليس مجرد نشاط يقوم به الانسان في حركته، بل إن هذا النشاط إنما يكون في إطار عهد وميثاق بين الانسان وبين الله سبحانه وتعالى، وقد بين القرآن الكريم هذا العقد والعهد والميثاق، وهذا يمكن أن يكون بحثاً من الأبحاث العلمية في حوزاتنا العلمية، وهو بما هو مفهوم الولاء؟ وما مدلوله؟ وما هو مضمون هذا العقد؟.

مفهوم الولاء وأطرافه

ونحن عندما نقرا - منذ الطفولة - عقائد الاسلام والواجبات الاسلامية ونعدها، فنقول: يوجد عندنا الصوم والصلاة والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نقول كذلك: يوجد عندنا التولي والتبري.

وقضية الولاء تمثل مسألة مهمة جداً في العمل السياسي، فما هو محور هذا الولاء؟ وما هو الطرف الآخر لهذا الولاء في الحركة السياسية؟

إن طرفاً من الولاء هو الأمة، وهم هؤلاء المؤمنون الذين يتحركون ويعملون، ولا شك أن الله تعالى هو الطرف الأول فيه. وهذه قضية يكاد يشترك فيها كل المسلمين، وهي: إن الولاء لله سبحانه وتعالى، والطرف الآخر هو الرسول ﷺ، وهذا طرف يذكره القرآن الكريم، وهو في طول الولاء لله، وليس في عرضه.

ثم يوجد عندنا محور ثالثاً يمثل امتداداً للأول والثاني من محاور الولاء، وهم المؤمنون الذين يعبر عنهم القرآن الكريم بقوله: ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾^(١)، ويشخص الولي بالامام أمير المؤمنين عليه السلام، باعتباره أول الأئمة، وأول المؤمنين الذين وضعوا محور الولاء، ويكون الامتداد لذلك في الأئمة عليهم السلام وفي نوابهم.

فالولاء قضية مهمة جداً في حركتنا السياسية، وهو يشكل إطار العمل السياسي، فلو نظرنا

الى الساحة السياسية العالمية ، لوجدنا انه عندما تكون هناك حكومة ملكية ، فسوف يكون محور الولاء فيها هو الملك ، الذي يشكل الاطار السياسي لهذا الوجود ، وعندما تكون هناك حكومة جمهورية ، يكون محور الولاء فيها هو الشعب ، والقضية المرتبطة بهؤلاء الناس ومصالحهم أو أهوائهم وشهواتهم ورغباتهم ، حسب المفاهيم التي تُطرح في هذه الحكومة الشعبية .

وعندما تكون هناك حكومة ديكتاتورية ، يكون محور الولاء فيها هو الدكتاتور الذي يجعل دائماً الاطار السياسي في حركة هذه الجماعة . فعندما ننظر الآن الى 'محور الولاء' في حكومة صدام في العراق ، نرى أن الولاء إنما هو لهذا الدكتاتور ، لذلك يكون الاطار السياسي مرتبطاً به .

وعندما تكون الحكومة حكومة الحزب الواحد - كما هو في النظرية الماركسية التي تعتبر الولاء للطبقة ، والحزب يعبر عن وجود الطبقة ، ومن ثم يكون الحزب هو الحاكم بحسب التسلسل - يصبح الحزب هو محور الولاء السياسي في هذه الجماعة ، ويكون الاطار السياسي الذي تتحرك فيه الجماعة والأمة . فال محور السياسي في الولاء هو الذي يعبر دائماً عن الاطار السياسي لحركة الجماعة والأمة . فما هو محور الولاء في هذه الحركة السياسية ؟ .

قلنا : على مستوى الولاء لله سبحانه وتعالى والرسول ﷺ ، فنحن نشترك مع كل المسلمين في هذا المحور ، ولكن عندما نصل الى الامامة قد نختلف مع بعض المسلمين ، ونرى أن الامامة هي محور ولاتنا ، ثم عندما ننزل من الامامة الى ما بعدها في الغيبة الكبرى ، نجد أنه يوجد هناك نوع من الاختلاف في محور الولاء ، حتى في أوساط من يعتقد بالامامة .

ولا أريد أن أطيل البحث في هذا الجانب ، ولكن قد نجد اختلافاً بيننا وبين الاخباريين - أحياناً - فيما يتعلق بهذا النوع من الفهم لقضية العمل والاطار السياسي ، فنحن نعتقد أن الحوزة العلمية تمثل المحور في قضية الولاء في حركتنا السياسية .

فهويتنا السياسية التي يمثلها محور الولاء هي الحوزة العلمية ، فهذه الحركة السياسية لها هذه الرؤية ، وترى أن الحوزة العلمية لها هذا الموقع الخاص ، وهذه هي الحركة السياسية الصحيحة التي نعتقد بها .

وهذه من الأبحاث المهمة جداً ، التي يجب أن تُربى عليها أوساط الحوزة العلمية ، وتناقش عملياً لكي نصل الى الوضوح في هذه القضايا ، بحيث يفهم أبناء الحوزة العلمية موقعهم من هذه الحركة السياسية .

واجبات الحوزة العلمية

وهناك نقطة مهمة أخرى فيما يتعلق بهذه النظرة وهذا الموقف، وهي: ماهي واجبات الحوزة العلمية؟ فهي لها موقعها، فهل هذا الموقع هو تشريفاتي فقط - كما نعر - يمثل حالة من التكريم والتقدير والتبجيل، ثم تقف عند هذا الحد، أم أن هذه الحوزة لها وظائف واجبات يجب أن تقوم بها؟

إن البعد الأول: هو الذي يمكن أن نعر عنه بحقوق الحوزة العلمية. أما الأمر الثاني: فهو واجبات الحوزة العلمية ووظائفها. فن الأمور المهمة أنه لا بد أن تكون هناك نظرة واضحة تجاه قضية الحوزة العلمية، وإلا فقد نجد حتى في أوساط الحوزة العلمية من يختلف في موضوع الواجبات حيث يحاول بعض الناس في الحوزة العلمية أن يأخذ كل الحقوق في الحوزة، من الأكل والشرب والاحترام والتقدير وتقدير الأيدي، ولكن في مقام الواجبات يحاول أن يقتصر على أقلها، إذا كان يؤمن بالواجبات، وبعضهم قد لا يؤمن بالواجبات فيفترض أن الحوزة العلمية هذه واجباتها، ويكتفي بهذا القدر.

وهذه الحركة السياسية كانت حصيلة حركة مراجع تصدوا في ساحتنا الإسلامية، فكان لهم شأن عظيم، وأصبحوا موضع اعتراف مطلق من قبل أوساط الحوزة العلمية، فهؤلاء المراجع الثلاثة مثلاً: الامام الحكيم والشهيد الصدر والامام الراحل رحمه الله، يوجد لهم اعتراف عام ومطلق في أوساط الحوزة العلمية في صحة هذه الحركة، فما هو مضمون رؤية هذه الحركة لواجبات الحوزة العلمية؟

من أجل أن تكون هذه القضية من القضايا الواضحة أشير إلى رؤيتنا لهذا الموضوع، وأدعو للاهتمام به، وأعتقد أن الواجبات كالتالي:

أولاً: تنقيف الأمة والناس بشكل عام، والأمة هي الأمة الإسلامية وغيرها. بالاسلام الأصيل، وحمل الرسالة الإسلامية وإيلاغها إلى أولئك الذين لم تبلغهم هذه الرسالة.

هذا هو الواجب الأول الذي يذكره القرآن الكريم للنبي ﷺ، باعتبار أن هذه الحوزة هي امتداد للنبي وللإمام، وليست أمراً منقطعاً عنها، وقد وردت روايات تؤكد على ذلك منها: (إن العلماء ورثة الانبياء)^(١)، وكانت الروايات تؤكد على هذا الجانب، وأكدت على أن هؤلاء يعلمون

الناس القرآن والسنة .

ثانياً: الدفاع عن الاسلام ، وعن مذهب أهل البيت عليه السلام ، وهو من أهم الواجبات التي تتحمل مسؤوليتها الحوزة العلمية ، ونجد أن الحوزة العلمية في طول تاريخها كان تتصدى لموضوع الدفاع عن الاسلام الأصيل المتمثل بمذهب أهل البيت عليه السلام .

ثالثاً: مواجهة الظلم والطغيان ، فعندما يتعرض المجتمع الاسلامي الى الظلم والجور والطغيان ، ويواجه المسلمون طاغية يحكم بلادهم ، فإن أحد واجبات الحوزة العلمية المهمة هو مواجهة هذا الطغيان .

أما كيف وماهي الأساليب ؟ وماهي الحلول والامكانيات ؟ فهذه تفاصيل تأتي ضمن الخطط التي لابد أن يرسمها القادة ، أو المواقف التي لابد أن يشخصوها . لكن أصل قضية التصدي للظلم والطغيان من الأصول التي لا يمكن أن يُغض النظر عنها في حركة الحوزة العلمية ، بل إن مبدأ التقية - الذي يحاول بعض الناس أن يطرحه كبداً للتشبيط وللتخلي عن هذا الواجب في مواجهة الطغيان والظلم والجور - إذا أردنا أن ندقق فيه ونقف عنده قليلاً ، نجد أنه لم يوضع إلا من أجل هذا الواجب ، ومن أجل تسديده وجعله واجباً ممكن الاجراء بحسب الخارج .

وإذا لم يكن هناك تصدُّ للطغيان والظلم ، فلماذا نحتاج للتقية أصلاً ؟ ولماذا نفترض أنه سوف تكون هناك تقية في موضوع الدين ، وموضوع الموقف السياسي وموقف المواجهة ، وإلا فإذا كان الظلم عاماً فهذا لا يحتاج الى تقية ، فالذي يتقي والذي لا يتقي يتعرض الى الظلم .

والتقية إنما تكون فيما إذا كان هناك قمع لحركة سياسية في مواجهة الظالم ، وإذا لم يكن هناك عمل لمواجهة الظالم ، ويكون انسجام مع حركته بشكل عام ، فهنا لا نحتاج للتقية ، وقد يتعرض الانسان المنسجم مع الظالم الى الظلم ، لكن هذا الظلم ليس فيما يسمى بالتقية .

إن مبدأ التقية إنما وضع باعتبار وجود هذا الواجب على عاتق المسلمين والحوزة العلمية ، وعلى عاتق المتصدين ، فالتصدي للظلم والطغيان الذي يعتبر جزءاً من العمل السياسي ، لا يكون إلا بهذا النوع من العمل ، وهو التصدي لمثل هذه المظاهر ، وهذا واجب من واجبات الحوزة العلمية ، ولذلك قلت في أحد الاماكن : إنه لا يمكن لطالب العلم أن يتكامل روحياً ومعنوياً وعلمياً وعملياً ما لم يكن سياسياً .

وعندما أقول : سياسياً فلا أقصد أن يكون متفرغاً للعمل السياسي ، وإلا يأتي هذا الكلام في

الآية الكريمة: ﴿ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾^(١)، وهذا النفر الثاني إنما هو في إطار العمل السياسي، ومن هنا يوجد عندنا نفران: نفر للعمل السياسي، ويكون الانسان متفرغاً فيه للعمل السياسي، ويكون همّه الأول والأكبر في حياته هو العمل السياسي. ونوع آخر: أن يعمل الانسان عملاً آخر فيطلب العلم ويحمله للناس وينذرهم به، ويحذرهم، ولكن يكون أيضاً في إطار العمل السياسي.

وهذا نوع من أنواع التصدي للعمل السياسي، ولكنه محدود، بحيث يكون همّه الأول هو التفقه في الدين وطلب العلم، فوجود العمل السياسي في شخصية طالب العلم من الواجبات المهمة في الحوزة، وهو من الواجبات الكفائية، ولكن قد يتحول الواجب الكفائي من الناحية العملية والتنفيذية الى واجب عيني، فاذا كان في الخارج من فيه الكفاية، فيبقى هذا واجباً كفائياً عاماً لكل الأفراد، ولكن يكون عينياً للأفراد، والى توجه النداء لكل فرد من هؤلاء الناس في مثل هذه الظروف، ولا يبعد أن يكون التصدي للعمل السياسي لكل واحد منا واجباً عينياً، لكن بقدره وحده.

رابعاً: التصدي لقضايا الأمة، فالأمة تعيش مشكلات ومحناً وآلاماً ومصائب، وتمر بأزمات، فلا بد أن تتصدى الحوزة لهذه القضايا.

فالنبي ﷺ عندما كان يقاتل، كان في الوقت نفسه يتصدى لقضايا المسلمين المختلفة، حتى إنه يتدخل أحياناً لحل مشكلة بين هذا المسلم، وذاك.

وهذا الواجب - كما ذكرت - هو واجب كفائي يقوم به كل واحد منا، وهو اهم الأول في عملنا، بمعنى أن أصل العمل والواجب، أنه من الواجبات التي لا بد أن يمارسها طالب الحوزة العلمية، بشكل يتناسب مع أولوياته وظروفه، وتقسيم وقته، والمنهج الذي وضعه لنفسه.

أما أن نضع مشاكل الأمة على جانب، ونقول: نحن مشغولون بطلب العلم والتحصيل، دون أن يكون لنا أي هم يرتبط بشؤون الامة، فهذا لا يتناسب مع هذه الرؤية وهذا المبدأ.

خامساً: الواجب الخامس وتوجد فيه تفاصيل، وهنا أذكر مسألة مهمة جداً واجهناها في العمل السياسي، نتيجة لكثرة القضايا التي تعيشها الأمة، ووجدنا أنه توجد هناك تيارات ثلاثة في الحوزة العلمية حصلت في اتجاه هذا الواجب.

تيار كان يتصدى لهذه الشؤون، وهو تيار المرجعيات الثلاث التي أشرنا إليها، ولها امتداد في كل التاريخ الاسلامي، ونلاحظ أن التيار الذي بقي في عقول الناس وفي قلوبهم، والذي يعبر عنه القرآن الكريم: ما ينفع الناس^(١)، هو هذا التيار الأول.

والى جانبه يوجد تيار آخر، وهو تيار العزلة والانزواء والانطواء على النفس، وعدم التصدي لقضايا الأمة.

وهناك تيار ثالث، وهو تيار الخروج عن الحوزة العلمية وإطارها، حيث يرى أصحاب هذا التيار أهمية هذا التصدي ويفقدون القدرة على بقاءه وارتباطه بالحوزة، فيخرج بعض الناس من إطار الحوزة الى خارجها، من أجل أن يقوم بهذا الواجب.

ونجد أن هناك علماء كباراً في الحوزة، بسبب الظروف التي عاشتها الحوزة، وصلوا لهذا الأمر، وخرجوا عن الحوزة في عملهم وتصديهم للعمل السياسي والاجتماعي، الى خارجها من أجل أن يقوموا بهذا الواجب.

ونحن نعتقد أن من الضروري جداً أن تقوم الحوزة بهذا الموضوع ضمن الاطار العام للحوزة العلمية وحركتها.

سادساً: التصدي لمواجهة تيارات التحريف، التي يتعرض لها الاسلام، وتعرض لها الحوزة العلمية، منذ الصدر الاول للاسلام، وحتى يومنا الحاضر، فقد تعرضت الرسالة الاسلامية الى تيارات من الافراط والتفريط، حتى في وسط مذهب أهل البيت عليه السلام.

نلاحظ تيار الغلو - مثلاً - الذي كان من التيارات الواسعة في وسط أتباع أهل البيت عليه السلام، وهو يمثل حالة من الافراط في فهم الولاء لأهل البيت عليه السلام، وفهم شخصيتهم وفكرهم.

وفي مقابل هذا التيار كان هناك تيار التفريط، الذي يتمثل في بعض التيارات الموالية لأهل البيت عليه السلام، ومن خلال التفريط خرجت عن ارتباطها بأئمة أهل البيت عليه السلام، مثل الزيدية، الذين اذا رجعنا لأصولهم، نجد أنها أصول امامية شيعية، ولكنهم فرطوا في الكثير من الخصوصيات ذات العلاقة بأهل البيت، ومنها الامامة المتوازنة التي تتمثل بالجمع بين الصفات المطلوبة في الامام من العلم والتقوى والشجاعة والخبرة والمعرفة بشؤون الحياة، وعدم الانتهاج لمنهج واحد، فقد فرطوا بهذا الأمر، وأخذوا مبدأ الخروج بالسيف فقط، وأن الامام هو من يخرج بالسيف. وتوجد أمثلة

(١) قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبَيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ﴾ الرعد: ١٧.

أخرى في تاريخ أهل البيت عليه السلام تعبر عن حالة التفريط .

وإذا أردنا أن ننظر الى 'الحالة الثقافية في الوضع الشيعي'، نجد أمامنا تياراً يستمثل بالتيار الوسط المتوازن ، وهو ما يعبر عنه بالأصوليين ، ونجد الى جانبه تياراً ثقافياً آخر يتمثل بالتيار الإخباري ، الذي يتمثل بالجمود على 'النصوص الحديثة والوقوف عندها ، وفيه تفريط لجانب العلم والتحليل والفهم للنصوص .

وتيار آخر فيه حالة الافراط وهو الشيخية ، الذي يعبر عن حالة تفسير هذه النصوص تفسيراً باطنياً بعيداً عن القواعد العلمية ، والمبادئ والأصول الفكرية ، فيتحول الى 'حالة من الغلو والافراط في فهم المعاني .

وفي التاريخ توجد نظائر لهذا ، والحوزة العلمية دائماً في معرض هذه الأخطار ، فإذا تعرضت الأمة لخطر الافراط أو التفريط ، فالحوزة العلمية هي التي يمكن أن تتصدى لهذا الخطر . وهذا الخطر ليس من الاخطار السياسية ، وإنما يرتبط بالحالة الفكرية والثقافية ، والجانب المعرفي في الحياة ، والحوزة باعتبار أنها تمثل العمق الفكري والعلمي للإسلام ، فلا بد لها أن تتصدى لهذا الجانب .

الإصلاح والتجديد في الحوزة

وكان بودي أن أشير الى بعدين في موقفنا السياسي ، بُعد الرعاية للحوزة العلمية ، وأهمية أن يكون التيار السياسي له هذا الاهتمام ، والبعد الآخر هو قضية الاسناد والمساهمة والتشجيع لحركة الإصلاح في الحوزة العلمية ، التي نعتقد أنها من الحركات التي لا بد أن تكون موجودة وباقية .

والتجديد في الأساليب والمناهج التي تلائم كل عصر وزمان ، من القضايا المهمة التي تتبناها الحركة السياسية في موضوع الحوزة العلمية ، ونحن نعتقد أن هذا التجديد والإصلاح لا بد أن يكون ضمن أسس وقواعد وضوابط ، من أجل أن يكون إصلاحاً وتجديداً مرتبطاً بالإسلام ، وبأصل الحوزة وفكرها ، وأنا أذكر أمثلة لهذه الضوابط ، لكن أصل قضية الإصلاح من المتبينات الرئيسية لهذا الخط .

أما حالة الجمود والركود والانكفاء على الذات والبقاء على 'الوسيلة الواحدة والأسلوب والمنهج الواحد ، كمبدأ من المبادئ والتمسك بالتراث ، فهذا كله يرتبط بشيء رفضه القرآن الكريم

وأدائه ، وهو موضوع التقليد : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾^(١) ، هذه الحالة من الحالات المرفوضة في هذا الفهم السياسي للحوزة العلمية ، فلا بد أن تكون الحوزة في حالة تطور وتجديد واصلاح ، لكن ضمن ضوابط وقواعد ترتبط بهذا الموضوع .
وشبيه هذا الموضوع ، ما تبنته حوزاتنا ومنهج أهل البيت في موضوع الاجتهاد ، فهو لم يقبل حالة الاجتهاد المنفرد المطلق ، حيث ورد الحديث بدم الاجتهاد الذي يعتمد على الاستحسانات والمصالح المرسله والظنون ، وغير ذلك^(٢) ، هذا الاجتهاد الذي أدى الى وقوع مصائب في أوساط المسلمين .

كما إن هذا المنهج رفض حالة الانغلاق في حركة العلم ، وما يسمى بسد باب الاجتهاد ، ففي الوقت الذي نرفض فيه سد باب الاصلاح والتجديد في الحوزة ، نعتقد أيضاً أنه لا بد أن يتم ضمن قواعد وضوابط واضحة محددة ، ولها خطوط هادية تتؤدي الى حركة الاصلاح والتجديد ، ومن جملتها نتائج الاصلاح الذي قام به علماء ومراجع وفقهاء ، يُعترف لهم في هذه الحوزات العلمية بهذه الصفات والاعمال والنشاطات ، كالامام الحكيم والامام الخميني عليه السلام ، وآية الله السيد الخامني (حفظه الله) والشهيد الصدر عليه السلام .

وهناك أمثلة أخرى لعلماء آخرين يمكن أن نستفيد من فكرهم ومنهجهم الاصلاحى ، لأنه منهج استنبط من الاسلام ، وتراث أهل البيت عليهم السلام .

هذه هي النظرة العامة للحوزة العلمية ، وهذا الخط السياسي يرى الحوزة العلمية بهذه الرؤية ، وأنا أعتقد أن هذه الرؤية هي الرؤية الصحيحة ، التي يجب أن تنظر إليها من داخل الحوزة لطلاب ودارسين في الحوزة ، أو كعاملين تتحرك في المجتمع ، ونريد أن نهدي الناس ونوصلهم الى الاهداف الصحيحة النبيلة ، التي وضعها الله سبحانه وتعالى أمامنا ، وننظر للحوزة من موقع هذا العمل ، وأن الحوزة لها هذا الموقع .

هذا ما وددت أن أتحدث به مع الأخوة الاعزاء في هذا اللقاء الذي تظللله النفحات الروحية لهذا الشهر الشريف ، شهر رمضان المبارك ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لأن نكون في

(١) الزخرف : ٢٣ .

(٢) عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال : « من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله ، لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، ولحقه وزر من عمل بفتياه » ، المحاسن ١ : ٢٠٥ ، ح ٦٠ ، والكافي ١ : ٤٢ ، ح ٣ .

موضع الرضا منه عليه السلام، وفي موضع الرضا من الامام الحجة (عج)، الذي يحمل هذه الراية، وتعمل هذا الحوزات تحت ظله الشريف وباسمه، وتأكل من مائدته، وتأخذ حقوقها من سهمه عليه السلام، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وإلى أرواح مراجعنا وشهادتنا وعلماؤنا وسلفنا الصالح من المؤمنين، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد.

أسئلة وردود

الفرق بين حوزتي النجف وقم

س: نسمع كلمات من البعض حول حوزة النجف وحوزة قم، فبعض يقول: إن حوزة النجف تمتاز بالدقة وما شاكل ذلك، والآخر يفضل حوزة قم، فمن خلال تجربة السيد الحكيم في كلتا الحوزتين، ماهي أهم الخصائص التي تميز إحداها عن الأخرى؟.

سؤال آخر: إن السيد تفضل وقال: إن الحوزوي لا يمكن أن ينال كماله إلا من خلال ممارسته للسياسة، فما المقصود من العمل السياسي في الاطار الحوزوي؟

سماحة السيد الحكيم: فيما يتعلق بالسؤال الاول، وهو ما يطرح في موضوع التنافس بين حوزتي النجف وقم، وتفضيل إحداها على الأخرى بطريقة أو أخرى، فهذا الموضوع يحتاج الى شرح طويل، ولكني أشير الى بعض الكلمات والنقاط التي تنفع في معالجة هذا الموضوع.

هناك حالة أخلاقية ونفسية، قد تكون موجودة عند هذه الجماعة أو تلك، وتؤثر في بعض الناس، فيتحدث عن نفسه بطريقة وبأخرى، فعندما ينتمي الى النجف يحاول أن يتحدث عن نفسه بالحديث عن النجف، كما يتحدث الانسان أحياناً عن نفسه عندما ينتمي الى منطقة أو بلد أو عشيرة، بالحديث عن ذلك البلد أو العشير، فقد يتحدث بعض الناس عن النجف وقم بهذه الطريقة.

هذا الحديث له بحث آخر، وهو يرتبط بالحالة الأخلاقية والنفسية والروحية للأشخاص الذين يتحدثون بهذا الحديث، وهو في نفسه حديث مرفوض، إذا كان الانسان يتكلم عن نفسه بهذه الطريقة الايهامية والنفاقية، وإذا كان يرى في نفسه شيئاً من الفضل فليتحدث عن نفسه وفضله، وأما الحديث بهذه الطريقة فنحن نعتبره غير صحيح.

ومع الأسف، نجد هذا النوع من الأخلاق يشيع في هذا الوسط أو ذاك، ولذلك لا ندخل في

هذا البحث، وإنما نذكر إجمالاً الرفض للحديث عن النفس بهذه الطريقة.

وهناك نقطة أخرى ترتبط بتاريخ حوزة النجف وقم، ولا شك أن قم منذ أيام أئمة أهل البيت عليهم السلام كان فيها علماء ومحدثون وعاملون في سبيل الله، وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام يؤكدون على أهمية هذا البلد، وأهمية هذه الجماعة التي تعيش فيه، وهم الأشعريون.

ثم تطور هذا البلد، وأخذوا بعد ذلك من الأشاعرة الذين كانوا من الناحية التاريخية من الكوفة، فأبعدوا وهجروا وأخرجوا من ديارهم زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، إلى أن استقروا بهذه البلاد، وحملوا مذهب أهل البيت عليهم السلام وفكرهم إلى أهل هذه البلاد، فأصبحت من المقرات التي تقوم بهذا الواجب في ذلك العصر، إلا أن الحوزة كمدرسة علمية دائمة ومستمرة، وفيها عدد من المجتهدين والمدرسين والطلاب، ولها فعل ونشاط، فهذا لم يكن في حوزة قم على طول التاريخ، وإنما حصلت انقطاعات وتحولات في هذه الحوزة، بحيث مرت بعقود من الركود والابتعاد والانقطاع عن العلم. على خلاف النجف الأشرف، فالنجف منذ زمن الشيخ الطوسي رحمته الله - وقد يكون قبله بقليل - وإلى يومنا الحاضر ويتوفيق الله لها استمرت في هذا النشاط العلمي حتى يومنا الحاضر، وهذه حقيقة لا يمكن أن ينكرها أو يتجاوزها أحد من الناس.

وهذا الوضع التاريخي كانت له آثار ومدايل على الناحية العلمية والتراث العلمي، باعتبار أن كبار علماء شيعة أهل البيت عليهم السلام تخرجوا من هذه الحوزة العلمية، ولا سيما في القرون الثلاثة الأخيرة، حيث كان النشاط العلمي في حوزة النجف في أوجه، ومثل مرحلة كبيرة وعظيمة في حركة الجانب العلمي.

لكن هناك نقطة مهمة جداً تعيننا بشكل خاص، وقد تحدثت فيها مع الأخوة، ونهت على أخطارها، وهي ترتبط بموضوع العلم والعمل، فهنا يوجد فارق بين حوزتي النجف وقم وهو أن حوزة النجف بسبب حالة الضمور التي عاشتها في العقود الأخيرة من حياتها، ولا سيما بعد سقوط الدولة الإسلامية، وقيام ما يسمى بالحكم الوطني في العراق، كان هناك ضمور في الحوزة العلمية في النجف الأشرف في الجالية العراقية التي تعيش داخل الحوزة، وأدّى هذا إلى أن تكون الكثرة الكاثرة من طلاب الحوزة العلمية في النجف من غير العراقيين، والجماعة الكبرى التي كانت في الحوزة هم المهاجرون من إيران، والجماعة الأخرى من حيث العدد هم الذين جاؤوا من أفغانستان، ومن المناطق المشتركة بين أفغانستان وباكستان، وكانت هناك مجموعات أخر.

والطلاب العراقيون - بسبب الظروف الصعبة - كانوا يمثلون الأقلية القليلة في الحوزة ، باستثناء ما حدث في السنوات العشر الأخيرة من مرجعية الامام الحكيم عليه السلام ، وتوجهه الخاص للاهتمام بالطلاب العراقيين ، وحصول نوع من التطور في وضع الطلاب العراقيين الموجودين في النجف .

وهذا التطور لم يصل في حركته الى الحد المناسب ، باعتبار أن المدة كانت قصيرة جداً . وبدأ يأخذ أثره بشكل واضح في تطور الحوزة ، ولكنه لم يصل الى أوجه ، فجاء هذا الحكم الكافر الظالم وأخذ يضرب الحوزة العلمية بكل وجودها ، ومن جملة ما تضرر فيها بشكل بالغ هو الوجود العراقي .

وهذه الحالة انعكست على الحوزة العلمية في النجف بأثرين ، أحدهما إيجابي ، والآخر سلبي .

أما الايجابي : فهو أن هؤلاء المهاجرين باعتبار أنهم يعيشون ظروف الهجرة ، كانوا معزولين عن العمل الاجتماعي والسياسي لأمتهم وأوطانهم ، باعتبار بعدهم عنها ، وعن العمل السياسي والاجتماعي للمجتمع الذي كانوا يعيشون فيه ، باعتبار وجود الاختلاف في اللغة بينهم وبين ذلك المجتمع ، مضافاً الى الاختلاف في المفهوم التي لها ارتباط بالأوضاع السياسية والاجتماعية في ذلك المجتمع . وبسبب هذه العزلة السياسية والاجتماعية توجهوا الى حد كبير لطلب العلم والمعرفة ، وكان هناك نشاط علمي في هذه الاوساط بسبب هذه العزلة .

الاثر السلبي : أنه بسبب بعدهم عن الحالة السياسية والاجتماعية ، أصبحت مساهمتهم في القيام بواجباتهم مساهمة قليلة جداً ، وأحياناً معدومة ، لأن هذا الانسان إما أنه لا يجد الفرصة لكي يساهم ، أو أن وضعه الحياتي لا يكون قادراً على المساهمة ، أو يتحول وضعه النفسي ، نتيجة لانشغاله بالجانب العلمي وهموم الحوزة وابتعاده عن الحالة السياسية ، وعدم تأثره بالوضع الاجتماعي ، أصبح بينه وبين هذا العمل حاجز ، فالحوزة في النجف أصبحت تعيش مثل هذه الظروف القاسية كحوزة علمية عامة ، وليس الحوزة العراقية فقط . ومن هنا نجد هذا النوع من الحديث في التنافس بين حوزتي النجف وقم .

وعلى العكس من ذلك حصل في حوزة قم ، لأن الاكثية الساحقة ، بل كلهم تقريباً من أهل البلد ، ولم يكن فيهم من الغرباء إلا عدد محدود جداً ، من اللبنانيين والافغان والباكستانيين ،

لأن التوجه العام كان في النجف، وكان الانفتاح بهذا الشكل في ذلك الوقت في حوزة قم، فإذا فتشت عن عراقي فسوف تجد واحداً واثنين، فالكثرة الكاثرة في حوزة قم كانت من أبناء هذا البلد. ومن ثم فهم يتفاعلون مع الأحداث الموجودة فيه.

أما كيف يتفاعلون؟ وما هو مستوى تفاعلهم؟ فهذه مسألة أخرى، ولكن أصل التفاعل موجود باعتبار أنها جزء من حياتهم ووجودهم، وتوجد لديهم فرصة في أن يذهبوا ويبلغوا، وتنعكس عليهم الهموم والمشاكل، فأصبح هذا جزءاً من وجودهم. وهذا الأمر كان له تأثير إيجابي من ناحية، وسلبى من ناحية أخرى، ومعاكس للتأثيرين السابقين.

فالتأثير الإيجابي: أن أفراد الحوزة اهتموا بقضايا الناس والأمة اهتماماً بالغاً، وأخذوا يعيشون هذه القضايا على مختلف تفاصيلها، من التبليغ في المواسم، وأصبحت سنة من السنن التي لا يسمح بتجاوزها في الحوزة، وكذا وسائل هذا التبليغ وقدرتهم على الخطابة والحديث وغير ذلك، وحتى الاهتمام بالشؤون العامة في هذه الأمة، كبناء المساجد والحسينيات والمكتبات، إلى غير ذلك من الشؤون المرتبطة بمواجهة الظلم والعدوان والجور وغير ذلك. وأصبحت هذه القضية جزءاً مهماً في حركة الحوزة، باعتبار أنها تمثل الحالة الموجودة في البلد، وليست حوزة مهاجرة.

وفي مقابل هذا الأثر الإيجابي كان هناك أثر سلبي في موضوع الاهتمام بطلب العلم والتعمق فيه، مضافاً إلى أن إعادة الحياة لهذه الحوزة تم في عهد قريب، وعلى يد المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري رحمته الله الذي كان أحد مراجع الإسلام، وتوفي سنة ١٣٥٥ هـ، أي قبل حوالي ٦٣ سنة من الزمن، فهذه الحوزة ذات عمر ثمانية أو تسعة عقود.

فبعد الحرب العالمية الأولى - تقريباً - وبعد المشروطة بدأت هذه الحوزة التي أنشأها الشيخ عبد الكريم واستمرت بهذا الشكل وهذا النشاط، بخلاف حوزة النجف، يعني هذا العمق التاريخي، مضافاً إلى ما ذكرت من أن هذه الحوزة انشغلت بالأحداث الموجودة هنا، وتلك الحوزة لم يكن لديها هذا الانشغال.

وهذا الموضوع إنما قلت: إن له تأثيراً مهماً في حياتنا، لأننا حوزة مهاجرة، وهذه الحوزة من المفروض أن تحفظ التوازن، ونحن يجب أن نستفيد من هذا البحث عندما نتحدث عن قم وعن

النجم .

وبلحاح هذه النقطة يجب أن نستفيد من هذه العبرة ، وهي : ان من الضروري أن تحفظ الحوزة العلمية التوازن بين العلم والعمل ، بين الاهتمامات العلمية ، وهي ضرورية ولابد منها ، ولابد من الوصول الى درجة مناسبة فيها ، بحيث لا يضيع العلم على حساب الانشغال بأمور أخرى ، وفي الوقت نفسه يجب أن تحافظ على الاهتمام بالعمل وقضايا الأمة .

والآن توجد عندنا مشكلة ، فنحن لا نتمكن أن نذهب الى العراق ونبليغ فيه ، وهنا في ايران قد لا توجد لدينا فرصة ، وهذه المشكلة يجب أن يفكر فيها أبناء الحوزة العلمية والمسؤولون فيها أو الموجهون ، فيجب أن يفكروا باستمرار أنهم كيف يعملون من أجل المحافظة على هذا الجانب ؟ . نعم ، توجد هناك فرص ، منها : وجود الأوساط العربية هذه ، ويمكن الاستفادة منها ، ويجب أن نعيش همومها ، مضافاً الى أن عدد العراقيين في المهجر أصبح كبيراً جداً ، ويمكن أن يكونوا مجالاً لهذا النوع من الاهتمام . هذا ما يخص السؤال الأول .

طالب الحوزة والعمل السياسي

وأما السؤال الثاني ، وهو أن الكمال الحوزوي لا يتم إلا بالعمل السياسي ، فنحن عندما نتحدث عن العمل السياسي لطلاب الحوزة العلمية ، فإننا نريد منهم ألا يصابوا بحالة الانزواء والانطواء والعزلة عن المجتمع ، وهمومه ، وعن القيام بدورهم الحقيقي في المجتمع ، وهذا من أكبر الأخطار التي نواجهها ، خصوصاً هنا ، وأنا لا أشعر بخوف من هذا الخطر في العراق .

نعم هناك أخطار أخرى تهدد الحوزة ، لكنها ليست من هذا النوع ، لأن الناس في العراق جزء من الأمة ويعيشون همومها ، ويدخلون في العمل السياسي رغماً عنهم ، ومن لا يدخل في العمل السياسي تكون له حالة خاصة نفسية وروحية .

وأما هنا فباعتبار ظروف الهجرة ، فالإنسان يشعر أن ظروف دخوله في العمل السياسي محدودة ، فيحتاج أن يفكر كيف يمارس هذا العمل حتى يحصل له تفاعل ؟ فيصاب بعزلة ويوضع على الرف ، كما توضع الكتب العلمية .

عندنا الآن كتب علمية كثيرة جداً ، فعندما تدخل بعض المكتبات ، تجد أن هذا الكتاب العلمي لا يؤثر في المجتمع ، وأحياناً يتحول بعض الناس الى كتاب علمي موضوع على الرف ، فتراه مملوءاً من العلم والمعرفة ، ولكنه لا ينفع الناس ، ولا يحس الناس بوجوده ، ولا يحس بوجودهم .

فيمكن أن يفيد هذا الكتاب بعض الناس إذا طبع ، وإذا لم يُطبع سيكون تراثاً . وهذه حالة
خطرة جداً تواجهها الحوزات العلمية ، وهذا ما أنبه عليه باعتبار أن حوزاتنا مهاجرة .

وهناك أخطار أخرى، قد يكون الله سبحانه وتعالى جنبنا إياها، فنحن نعيش في دولة الاسلام، وفي ظروف دينية مناسبة، ولا توجد مطاردة ولا قمع ولا قتل ولا حالة اندساس، وفي العراق توجد حالات اندساس في الحوزات ومسائل وأخطار غير موجودة هنا، والله سبحانه وتعالى تفضل علينا وجنبنا إياها، لكن يوجد عندنا خطر آخر وهو قانون الامتحان والابتلاء، وهو من القوانين الالهية التي لا يُترك فيها أحد. فإذا جنبنا الله خطراً يعرضنا الى آخر، فيجب أن نحذر من هذا الخطر أيضاً.

س: هل ترون أن هناك مجالا لنجاح العمل السياسي من الناحية الشرعية اذا كان هذا العمل لا يقع تحت اشراف المرجعية؟

سماحة السيد الحكيم : نحن نشترط في العمل السياسي أن يكون تحت اشراف المرجعية السياسية ، بمعنى 'أن يكون هناك إشراف للولاية على' العمل السياسي حتى 'يكون عملاً شرعياً' .

إنجازات المعارضة الإسلامية

س ١: ذكرتم أن الحوزوي لا بد أن يكون سياسياً، ففي مراحلنا هذه ما الذي يجب فعله ؟
 س ٢: أكد سماحتكم على 'مسألة الم جذر التاريخي، فما السبب في عدم تحقيق المعارضة لأي
 نجاح فعلي في مجابهة النظام البعني ؟

سماحة السيد الحكيم : الحكم القائل : إن المعارضة لم تحقق أي نجاح فعلي في مجابهة النظام البعثي حكم غير صحيح . فنحن نعتقد أننا حققنا إنجازات عظيمة ، إذا كان المقصود من المعارضة ، المعارضة الاسلامية .

أما إذا كان مقصودكم المعارضة الوهمية الخيالية ، فلا يوجد عندنا حديث عنها ، وأهم هذه الانجازات التي حققها المعارضة الإسلامية أنها أسقطت أطروحة البعث في العراق ، فالبعث أطروحة كان يُراد منها مسح هوية الشعب العراقي ، وانتائه الى الاسلام ، ومن عاش منكم في السجون يعرف الاساليب التي استخدمها البعثيون ، ليحققوا هذا المسح .

ومن خلال العمل الكبير الذي قامت به القوى الإسلامية، من التضحيات العظيمة والصمود والصبر تمكنت أن تثبت الهوية للشعب العراقي، بحيث اضطر النظام أن يتعامل مع هذه

الحقيقة، فالنظام الذي تجرباً أن يحكم على كل داعية وعامل للإسلام سياسياً بالقتل، ثم يقتل بهذا الحكم عشرات الآلاف من الناس في العراق، يضطر الآن من أجل أن يحتوي الحالة الإسلامية، ويهيمن على قضية الهوية الثابتة للمتدينين أن يتحدث عن الحملة الإيمانية^(١).

وعندما جاء وفد النظام إلى مؤتمر القمة الإسلامي^(٢) يحمل خطاب صدام المدون في صفحتين. كان يتحدث وكأنه أحد الروحانيين من حيث الاستشهاد بالآيات القرآنية، ولو أن المضمون كان سخيلاً، لكنه حاول أن يعبر عن التظاهر بالإسلام في هذا الخطاب. إلى غير ذلك من المظاهر التي صارت الآن توجه الشعب العراقي إلى الإسلام.

والانتفاضة العظيمة التي حصلت في العراق أمر عظيم جداً، حيث كان الناس بهذه الحالة من الوعي والاستعداد لمنازلة النظام، فيقاتلون ويضحون ويقدمون أنفسهم شهداء، ويستمررون في هذا الطريق، هذا كله شيء عظيم جداً، فمن الذي قام به؟

لقد كان وراء ذلك - بعد الله سبحانه وتعالى - دماء الشهداء والتضحيات والصمود للقوى الإسلامية، فكيف يمكن أن نطلق أحكاماً بهذا الشكل ونقول: لم يتحقق أي نجاح فعلي؟ إننا نتحدث مع طلبة يدرسون العموم والخصوص والمطلق والمقيد والخاص والعام، ويدرسون اللغة ويتحدثون بطريقة مناسبة جداً. ولا نتحدث مع عامة الناس.

وهذا الموضوع من الموضوعات المهمة جداً في عملكم، وهذه نصيحة أذكرها لكم، وأنا مبتلى بهذا الأمر في الاوساط السياسية العامة، فمن الضروري جداً للطالب أن يحاكم كلامه بشكل دقيق، عندما يتحدث، لأنه مسؤول.

توجد عندنا ما نعبر عنه بالأحكام المطلقة، والعوام عندهم هذه الحالة، فعندما يرى أحدهم تاجراً يسيء المعاملة يقول: كل التجار هكذا، وعندما يرى روحانياً يسيء في حديثه وكلامه، يقول: هؤلاء كلهم هكذا.

أما أنتم فلا بد أن تكون أحاديثكم مقاسة بمقياس دقيق وصحيح.

(١) قام النظام بحملة أسمائها بهذا الاسم حيث شجع بعض المظاهر العامة، وبث البرامج التلفزيونية والإذاعية، واستغل بعض المأجورين لخدمة أغراضه، وقام بالاشراف على هذه الحملة نائبه عزت الدوري.

(٢) المنعقد في طهران عام ١٩٩٧ م.

مسألة سقوط النظام، وهي ليست بسيطة جداً كما يتصورها بعض الناس، ونحن نتمنى بكل لحظة أن يسقط النظام، خصوصاً بعد هذه التضحيات والدماء، ولكن إذا أردنا أن نرجع الى تاريخ هذا النظام، نجد أنه نظام فتي وليس هراً ويرتكز على دعائم قوية من الناحية المادية، وفي فترة من الفترات كان يحصل على الدعم العالمي، فالصين كانت تقف الى جانبه، وكذلك الاتحاد السوفياتي وأمريكا وأوروبا الغربية والهند ودول المنطقة والدول العربية والاسلاميه، ومنها باكستان وتركيا.

وأفضل شاهد على هذا، أننا إذا أردنا أن نرجع الى قائمة ديون النظام في تلك الفترة، نجد أنه استدان من كل دول العالم حتى من الدول الفقيرة، كالأردن الذي أصبح دائماً لنظام صدام بليار دولار. والهند - التي يموت الناس فيها جوعاً - أصبحت دائنة لصدام بثلاث مليارات ونصف المليار دولار، ويوغسلافيا - التي هي دولة ممزقة وفقيرة وعملتها سقطت مثل ما سقط الدينار العراقي - أصبحت دائنة لنظام صدام بحوالي أربعة مليارات دولار، وهكذا فرنسا الدائنة بمبلغ ٢٥ مليار فرنك، وروسيا ١٢ مليار دولار، وهذه كلها مساعدات كانت توافيه خلال الحرب. فالنظام كانت عنده هذه القوة القدرة، والآن انتهى الى هذا الضعف، فأنتم تشاهدون أن أمريكا هي التي جاءت وضربت النظام.

لكننا عندما ننظر بشكل دقيق نرى أن هذه ضربة إلهية ببركة دماء الشهداء وهذه التضحيات، ولا أقول هذا من باب تسليتكم، إنما لدينا حساب، يؤكد أن سلسلة الاحداث وتربطها بعضها مع بعض من صمود الشعب العراقي، وما قامت به القوى الاسلامية من عمل متواصل وضعت النظام في هذه الزاوية الحرجة، التي أدت به الى أن يقوم بعمله في الكويت، الذي أدى به الى أن توجه له هذه الضربة، ولا زال محاصراً بسبب هذا الموقف.

فلولا وقوف الشعب العراقي، والقوى الاسلامية التي ثبتت على هذا الموقف وصمدت، ولم تتنازل أمام الضغوط، من القتل والارهاب الذي مارسه النظام، كان يمكن للنظام العراقي أن يصبح مثل ليبيا، ومثل نظام كوبا التي لم تتمكن أمريكا أن تفرض عليها لجان تفتيش، تنازلات، ولم تتمكن أن تأخذ من أموالها، وكذلك ليبيا التي فرضوا عليها حصاراً، لكن موقف الشعب العراقي يجعل النظام يشعر دائماً بحالة خوف من الشعب، فيقدم تنازلات للآخرين، من أجل أن يحفظ نفسه في مقابل الشعب العراقي.

فالقوى الإسلامية لها هذا الدور ، وقضية إسقاط النظام تحتاج إلى عمل متواصل وطويل ، لأن وراءه مثل هذه الخلفية الكبيرة .

إن رسول الله ﷺ على عظمته ما تمكن أن يسقط قريشاً ، بحيث لم تسقط إلا بعد عشرين سنة من الدعوة ، فالتضاء على مثل هذه الأنظمة الفتية يحتاج إلى وقت كبير .

إن افتراض أن هذه العملية أشبه بمن يقوم بعملية قتال ، أو عملية جراحية للزائدة الدودية ، أو أمثالها ، ليس بهذا الشكل ، فيجب أن يكون عندنا وعي وفهم للركائز والمؤشرات في العوامل والأحداث ، وعمليات التغيير ، خصوصاً أن التغيير فينا تغيير حقيقي كبير ، يؤدي إلى اخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وهذه العملية تحتاج إلى وقت كبير وجهود كثيرة .

العلاقة بين القيادة والقاعدة

س : سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم ، نرى كأن هناك تباعداً بين عوام الناس وبين قيادة المعارضة ، فما السبيل لاستيعاب أكثر الناس ولقّهم حول قادتهم ؟ وما هو دورنا كطلبة حوزة ؟ .

سماحة السيد الحكيم : أعتقد أن السبيل لذلك هو أداء هذه الواجبات التي وضعها الله سبحانه وتعالى على عاتق أبناء الحوزة العلمية ، وهذا أفضل طريق لكسب الناس ، لأن الناس في بداية الرسالة وأية دعوة يعرضون عنها ، وهذا قانون وسنة ، والقرآن الكريم يشير إلى ذلك ، ويبقون يعرضون عنها حتى تحقق لهم إنجازاً ، فيتحولون إلى أناس يدخلون في دين الله أفواجاً ؛ ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك ﴾ (١) .

يقال : عندما نزلت هذه السورة على الرسول ﷺ أخذ يستعد إلى الانتقال من هذه الحياة الدنيا ، وكأنه اعتبرها إيذاً له بانتهاء حياته .

وهذه الحقيقة يجب أن نفهمها في حركتنا ولا نستوحش كثيراً من إعراض الناس ومقاومتهم ، وقد أكد القرآن الكريم على هذا بالنسبة إلى رسول الله ﷺ ، ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ (٢) ، فلا تتأثر ويحترق قلبك : ﴿ لعلك باخع نفسك أن لا

(١) النصر : ١ - ٣ .

(٢) طه : ١ - ٣ .

يكونوا مؤمنين ﴿١﴾.

هذه هي المعادلة مع الناس ، فالمهم أن يقوم الانسان بواجبه ووظيفته ، وأرجو من الأخوة الأعزاء أن يستجيبوا لذلك إن شاء الله .

صلاة الجمعة في العراق

س : ما هو رأي سماحتكم في صلاة الجمعة التي تقام الآن في العراق في ظل سباحة السيد محمد الصدر (حفظه الله ورعاه) ؟ .

سباحة السيد الحكيم : هذا حديث يحتاج الى شرح وخلفية ، وقد ذكرت للأخوة المؤمنين اجمالاً أن يشتركوا في هذه الصلوات ، ويكونوا على حذر من المشروع كله ، لأنه توجد حوله شبهات ، وأن يكون الحذر من أولئك الذين يخاطبون في هذه الصلوات ويؤمنون هذه الجماعات ، أقول : الحذر ... ولا أقول الإدانة لهم ، ويراقبوا بحذر ليروا ما وراء هذه العملية .

السياسة والأعلمية

س : هناك من يشكك في أعلمية المرجع المتصدي للأُمور السياسية ، وإدارة شؤون الدولة ، حيث يبعدهُ ذلك عن الدرس وطلب العلم .

سباحة السيد الحكيم : اذا كان المقصود بالأعلمية في الاستنباط والاجتهاد ، فهذا التشكيك في محله ، واذا كان المقصود الأعلمية في تشخيص المصالح السياسية ، والموقف والرؤية السياسية ، ومطابقة هذه المصالح والرؤية مع الشريعة ، فهذا التشكيك ليس في محله ، ومن ادعى شيئاً من ذلك لا بد أن يأتي بدليل .

واذا كان المقصود من الشك أنه لا يعلم ، ويجب عليه أن يفحص ، كما نفحص نحن عندما نريد أن تقلد شخصاً في الفتوى ، فان كان التشكيك ما قبل الفحص ، فلا بد أن يفحص ، واذا كان ما بعد الفحص ، فلا بد أن يبين كيفية الفحص ، ونرى هل كان فحصه صحيحاً أو غير صحيح ؟ .

وبعكس ذلك فإن الشخص الذي يشتغل بالأُمور السياسية سوف يكون أعلم بها ، والذي يشتغل بالعلوم الدينية يكون أعلم ، وهذا الدليل عكس المطلوب .

واذا كان الحديث في المرجع المتصدي وهو السيد علي الخامنئي (حفظه الله) ، فالرجل لم يدعِ الأعلمية بهذا المعنى الذي يتحدثون عنه ، واذا كان الحديث عني ، فأنا ذكرت رأبي .

كتب دراسية مقترحة

س : هل يوجد لدى ساحتكم برنامج خاص لادخاله للحوزات العلمية ؟ وهل توجد لدى ساحتكم كتب سياسية يمكن أن تدرس في الحوزات العلمية ؟ .

سماحة السيد الحكيم : أما البرنامج الخاص فقد ذكرته وأشرت له ، والآن عملنا في إطار الاسناد والتشجيع والمساهمة ، هذا هو برنامجنا لعملية الاصلاح ، هذا أولاً .
وثانياً : لدينا قضية الرعاية للحوزة العلمية .

وأنا في تصوري أن بعض الكتب السياسية التي كتبها يحسن تدريسها في الحوزات العلمية ، من قبيل كتاب الحكم الاسلامي ، وكتاب الوحدة الاسلامية ، وكتاب الجماعة الصالحة ، الذي سوف يصدر قريباً^(١) . وهكذا ما كتبته للحوزة في علوم القرآن ، الذي يعطي في بعض فصوله الرؤية السياسية للأحداث ، وهكذا قصص القرآن ، وتصوري أنه مفيد جداً في دراسته من أجل أن يكون الانسان دائماً قريباً من الفهم الاجتماعي والسياسي للأوضاع .

طالب العلم وهموم الأمة

س : بم تنصحون طالب الحوزة الذي يعاني من عظم المسؤوليات وهموم ودقة وعمق المسائل التي يدرسها ، وقد يشعر أنها لا تمت لهموم الأمة وتطلعاتها بصلة ؟

سماحة السيد الحكيم : أنصح به بأن يبقى على حمله لهموم الأمة وعلى دراسته لبيع الدهن المنتجس ، وأما المسؤولون عن هذا الطالب ، فنصحهم بأن يهتموا بتطوير المناهج والموضوعات والأساليب ، لكن هذا الطالب الآن هذا هو درسه ، وأختير له الآن هذا الاختيار ، وعليه أن يقوم بهذا العمل .

العمل السياسي في إطار الحوزة

س : تفضلتم بالتحدث عن الذين خرجوا عن الحوزة في العمل السياسي ، وهذا عمل يؤدي إلى نفع ، وإذا أدى فما الفرق بينهم وبين الحوزة لو كان يؤدي للنتيجة المطلوبة ؟

سماحة السيد الحكيم : الفرق هو أنهم لو أدوا هذا العمل في الحوزة ، لكان أنفع - إذا كان عملهم نافعاً - وبعض هؤلاء الذين خرجوا لم يكن عملهم نافعاً ، بل وكان مضرراً ومؤذياً ، فالفرق في أمرين : بعض هؤلاء الذين كان عملهم منسجماً بشكل عام مع حركة الحوزة وأهدافها ، لو كانوا

(١) صدر بعد ذلك بمجلدين تحت عنوان : دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة .

قد قاموا بذلك داخل الحوزة لكانت فائدة هذا العمل أكثر، ولذلك نحن ندعو الى أن يكون العمل في اطار الحوزة، لأن فائدته أكثر.

وبعض هؤلاء الذين كان عملهم غير نافع فهو غير نافع أساساً.

طالب العلم والروح الجهادية

س: إن طلاب الحوزة - وكما أشرتم - ماتت فيهم الروح الجهادية، وليس لديهم أي تفاعل مع قضيتهم، فأرجو أن تكون هناك برامج ذات صلة بواقع الساحة لاهياء تلك الروح.

سماحة السيد الحكيم: نعم هذا اقتراح صحيح، وأنا أقبله، وهذا البرنامج - إن شاء الله - من ضمن هذه البرامج، والأخوة الأعزاء ينبغي أن يهتموا بهذا.

التاريخ: الجذر السياسي

س: لماذا يشكل التاريخ جذوراً في العمل أو الخط السياسي؟ وما هو وجه الملازمة بينه وبين هذا الخط أو العمل السياسي؟

سماحة السيد الحكيم: يمثل التاريخ الجذر السياسي، وقد ذكرت الدليل عليه إشارة، وذكرت الأثر العملي له، وأما الدليل على ذلك فهو اهتمام الرسالة الاسلامية بتاريخها، فهي أفضل وأكمل رسالة، ومع ذلك اهتمت بالتاريخ، الأمر الذي يعني أن هذا الموضوع له أهمية.

وأما الأثر، فذكرته بصورة الشجرة الثابتة وغير الثابتة الشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين هي تلك الشجرة التي يكون أصلها ثابتاً، والثبات إنما يكون بهذه الجذور.

وهذا الموضوع طرحته في بحث التفسير، وذكرت بعض المعالم ذات العلاقة بهذه الجذور. ووجه الملازمة أننا عندما نقول: هذا خط سياسي، نريد أن نقول: هذه هويتنا وهذا تاريخنا، فإذا أردنا أن نتحدث عن خطنا السياسي، فلا بد أن نلتفت الى هذا الجذر وهذا التاريخ، والى ارتباطه بهذا الجذر والتاريخ.

وحركتنا السياسية ليست وليدة هذا اليوم أو هذه العقود والسنين، وإنما لها هذا الامتداد، فإذا كان بعض الناس يفتخر علينا بالسبق السياسي، فنحن نقول: إن عملنا كان قبلكم وقبل وقتكم، وله هذا الامتداد والجذور.

وقد كان اليهود يفتخرون على رسول الله ﷺ، ويقولون: نحن ننتسب الى اسرائيل ويعقوب، وأنت من الجزيرة فما هو نسبك؟ فقال ﷺ: نسبي ابراهيم، وابراهيم أبو اسحاق وجد

يعقوب ، ثم يقول : نسبي الى نوح : ﴿ إن الدين عند الله الاسلام ﴾ (١).

س : ماهو موقف سماحة السيد من الاحداث التي حدثت يوم الجمعة ٢٥ شعبان ؟ .

السيد الحكيم : موقفه مثل موقفكم .

يجب إطاعة القائد

س : فهمنا من كلام السيد أنه يجب على الحوزة إطاعة القيادة ، فمن هي القيادة المقصودة ؟ وحتى لو كنا غير مقتنعين بعمل القيادة ورؤيتها ، وعدم صلاحيتها لاسباب كثيرة ؟ .

سماحة السيد الحكيم : عندما يختار الانسان القائد يجب أن يطيعه ، واختيار القائد عملية اكتشاف وليست عملية اختيار ، بمعنى أنه يريد أو لا يريد .

الاختيار في المفهوم الاسلامي عملية اكتشاف للقائد ، فيجب عليه أن يفحص عن هذا القائد الذي فيه هذه الصلاحيات ، وعندما يجد فيه الصلاحيات فيجب أن يطيعه ، لأنه من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية » (٢) .

واذا فحص ولم يتمكن من الوصول الى القائد ، فعليه أن يحتاط في العمل ، كما في التقليد ، فأول مسألة من مسائل الرسالة العملية هي : - يجب على المكلف أن تكون أعماله وأفعاله متطابقة مع الحكم الشرعي ، وهذا إما أن يكون عن اجتهاد واستنباط ، أو عن تقليد أو احتياط .

وكذلك في العمل السياسي اذا وجد قائداً صحيحاً فيجب عليه أن ينتقاد له ، واذا لم يجد فعليه من الآن أن يبحث ويسعى أن يكون هو القائد ، أو يحتاط ، وتوجد مواقف يجب أن يحدد موقفه منها ، أن يعمل أو لا يعمل ... يسكت أو يصرخ ... يسير من هنا أو من هنا ، فإما أن يذهب ويفحص ويكتشف إنساناً لديه قدرة على تشخيص الرؤية والمواقف الصحيحة فيتبعه ، أو يذهب ويصبح مجتهداً أو محتاطاً .

يوجد لدينا أمران في التقليد : تشخيص الفتوى والحكم ، وتطبيق الحكم على مصاديقه الخارجية ، فما دام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً ، وما دام الوقوف في مقابل الكفر والدفاع عن الاسلام واجباً ، فهذا يحتاج الى تشخيص ، والى شخص عنده قدرة على أن يشخص الوضع الفعلي ، ويحدد الموقف تجاه الوضع الفعلي على ضوء الشريعة الاسلامية ، وعلى ضوء تلك

(١) آل عمران : ١٩ .

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٧٧ .

الاحكام يشخص الرؤية الفعلية للمسائل - مثلاً - هل نتعامل مع هذه الجهة أو لا؟ وماهو الموقف الامريكي أو الروسي الآن؟ وماهو موقف المنطقة والنظام تجاه الأحداث؟ ثم يقول بعد ذلك: افعلوا أو لا تفعلوا. اشتركوا في صلاة الجماعة أو لا تشاركوا.

الآن - مثلاً - الأخ يسأل: عندنا صلاة جمعة تقام الآن، فهل نشترك فيها أو لا؟ قد يكون الاشتراك في صلاة الجمعة فيه ترويج للضلال أو ترويج لأطروحة قام بها النظام، ويريد أن يحتوي بها الحالة الاسلامية، أو بالعكس يكون الاشتراك فيها فيه ترويج للدين ولشعائره، فالأمر يدور بين محذورين: بين حرام وواجب، وهذا الانسان يجب عليه إما أن يقوم بهذا العمل، أو يترك. فإما أن تكون عند الانسان قدرة اجتهادية ويتمكن أن يقول: هذا واجب وهذا حرام، وأنه يركن الى ركن ركين، فيرى إنساناً جامعاً للشرائط، مجتهداً عالماً، وعنده خبرة في هذه الأمور، ويثق به، عندما يقول له هذه الرؤية، وهذا الانسان بذل كل جهده وقدرته لتشخيص الموقف، وراعى في ذلك المصالح الاسلامية، ولم يراع مصالحه الخاصة ونزواته وشهوته، الى غير ذلك مما يرتبط بموضوع العدالة، وكذلك موضوع الخبرة، فإذا تمكن من الاحتياط فليحتط.

بعض الامور يدور أمرها بين المحذورين والاحتياط غير ممكن، فهذا إما حرام أو واجب، فإذا كان ترويجاً لشعائر الاسلام في العراق فهو من الواجبات، وإذا كان بالعكس، والقضية فيها ضرر، على الاسلام، فالمساهمة فيها تكون من المحرمات.

وهذه من الامور التي لا تبحث في الرسائل العملية، ولست أنا الذي أضيف هذا الشيء، بل المجتهد يجب أن يدخل في هذا الموضوع، وعندما نتحدث عن حركة الاصلاح في الحوزة فأحد جوانبها أن تكون عندنا رسائل عملية تتعرض لكل هذه التفاصيل وتقف الأمة بهذا الموضوع. ففيما يتعلق بشرب السيكار - مثلاً - لا تجدون رسالة عملية تتحدث عن أن شرب السيكار أمر مكروه، أو لا يحسن أو حرام أو واجب أو مباح، وإنما يذكرون القضايا الكلية العامة. أما بعد أن أصبح السيكار من الأمور ذات الاضرار الواضحة، أفلا يستحق هذا أن يأتي من يذكر في الرسائل العملية أن شرب السيكار مكروه أو حرام أو مباح؟

هذه القضايا غير موجودة في الرسائل العلمية، والرسائل العملية لا تتعرض لهذا النوع من التفاصيل، وهذا يرتبط بموضوع حركة الاصلاح التي نحتاجها في الحوزة، لكن من يتابعها؟، فكل حوزة لابد أن تنشأ في داخلها حركة اصلاحية من أجل اصلاح الرسالة العملية، والكتب الدراسية

والمناهج ، وكل المسائل ذات العلاقة باصلاح الحوزة .

التوفيق بين طلب العلم والسياسة

س : ماهي الطريقة العملية التي ينتهجها طالب الحوزة للربط بين الجانبين العملي والسياسي ؟ .

سماحة السيد الحكيم : هذا يحتاج الى 'منهج عام يمكن أن أبينه في وقت آخر ، ويحتاج الى ادارة خارجية ، من قبيل الاعمال الحربية ، التي تحتاج الى 'منهج عام تضعه القيادة العامة ، وتوجد عملية ادارة يقوم بها قادة الوحدات في كل منطقة .

وموضوع التوفيق بين الوقتين يختلف من طالب لآخر ، فظروف الطالب يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار ، ولذلك فأحد واجبات ادارت المدارس والمشرفين على شؤون الطلاب إرشادهم الى هذا الموضوع ، حيث يُدرّس وقت الطالب ، وامكانياته العلمية وتوجهاته وقدراته ، فبعض الطلاب عنده قدرة على أن يبدع في هذا الجانب ، وليست له قدرة على أن يبدع في جانب آخر . وهذه المسائل تدخل في تشخيص هذه العملية ، ولا يمكن إعطاء قاعدة كلية ، كما تُعطى في الطهارات والنجاسات أو في الواجبات الأصلية ، وانما تحتاج الى دراسة ميدانية من أجل تشخيص هذا الموضوع ، وفي الوقت نفسه تحتاج الى 'منهج كلي عام .

ففي هذه الندوة - مثلاً - أحد الأمور التي يمكن الاستفادة منها في هذا الجانب ، أن يكون هناك طرح للقضايا ذات العلاقة بالامة وحركتها في العراق ، والتي نجعلنا حاضرين في حركة الأمة وأحد الأمور التي تجعل الانسان مهتماً أن يكون عنده حضور ، فما هو طريق هذا الحضور هل نسمع إذاعة مونتيكارلو مثلاً التي قد تشوه الحقيقة ؟ أو إذاعة الجمهورية الاسلامية ، وهي قليلاً ما تتحدث عن الحقيقة في العراق ؟

فإذا كانت عندنا أخبار عما يجري في العراق ، فلا شك أننا سوف يكون عندنا حضور ذهني ، وهو نوع من أنواع الحضور ، وسوف يثير اهتمامنا ، وهكذا في العالم الاسلامي عندما يكون عندنا حضور ، فسوف يثير اهتمامنا ، ويجعلنا نهتم بهذا الجانب ويصبح جزءاً من تفكيرنا .

ولا أريد أن أقول : إن هذه الندوة يجب أن تتولى ذلك ، ولكن من باب المثل ، أن يدرس هذا الموضوع ليتناسب مع وضع الطلبة وخصوصياتهم وظروفهم ووقتهم ومنهجهم .

التصدي والاهتمام بشؤون الناس

س : ساحتكم متصدّ للقضية العراقية ، فأنتم المسؤول الأول عن العراقيين أمام الله تعالى .
 سماحة السيد الحكيم : أما الأول فنعم ، وأنا متصدّ وأما الثاني فلا ، ولست المسؤول الأول لأن الحاكم هو المسؤول الأول ، أما قبل الحكم فلا يكون المسؤول الأول عن أوضاع الناس إنه مثلهم وحاله حالهم ، هو مشرد وهم مشردون ، هو مطارّد وهم مطارّدون ، يتألم ويتألمون ، وقد يقتل مثلما يقتلون ، وهذا النوع من المسؤولية غير موجود ، فإن كان المقصود المسؤولية عن أوضاعهم وحياتهم فالحاكم هو المسؤول الأول عمن يحكم . أما الشخص الذي يجاهد ، ويريد من الناس أن يجاهدوا فهذا غير مسؤول عن أمورهم الحياتية ... يريد منهم أن يقاتلوا ويجاهدوا وشغله الأول هو هذا .

س : ولكن العراقيين في ايران لا أحد يهتم بشؤونهم ، حتى أن هناك عوائل
 سماحة السيد الحكيم : هذا أيضاً غير صحيح ، وأنا أعرف أن كثيراً من الناس يهتمون بشؤونهم ، وجزاهم الله خيراً ، كالشيخ الآصفي (حفظه الله) ، الذي يهتم بأمر الناس ، ويجمع أموالاً ويعطيها ويصرف من وقته . ولو أنه حوّل الى العلم أو الى شؤون الخاصة لكان من الفضلاء . لكنه يصرف وقته لهموم الناس ، فجزاه الله خيراً . وأعرف آخرين يصرفون جل وقتهم في هموم الناس ، مثل الحاج حسين الشاكري ، وأذكر ذلك لا لأمدح شخصاً ، فالحاج حسين الشاكري شيخ كبير تاجر بنى مدرسة لأبناء العراقيين . فلماذا أقول : لا أحد يهتم بهم ؟ هذا حكم مطلق .
 إذا قرأنا مثل هذا في النصوص الشرعية نرتب عليه حكماً شرعياً ، فإذا قلنا : لا أحد يصلح لإمامة الجماعة في الجماعة الفلانية ، فإننا نرتب حكماً شرعياً وهو أن هؤلاء كلهم لا يصلحون . إنني أعرف مئات ، بل آلاف الناس يهتمون ، مثل الدكتور صاحب الحريري الذي يأتي بمئات الملايين سنوياً ، ويتعرض الى أخطار عظيمة جداً ، ويُقسمها على الناس .

إنني لا أتحدث عن نفسي ... قد أكون أنا لا أهتم بشؤون الناس ، لكن يوجد أناس مؤمنون وصالحون ، وهذا النوع من نكران فضلهم ، وما يؤدونه ، قد ينزل غضب الله علينا ، لأننا ننكر النعمة .

نعم ، لنقل : نحن نتألم ، ونحن ممتحنون ومضايقون ، هذا أقبله ، لكن ليس معنى هذا أنه لا يوجد من يهتم ، بل يوجد من يهتم ، لكن قضيتنا كبيرة ، فالبحر لا يحلو ولو أفرغت فيه شاحنات

من السكر . فالقضية كبيرة جداً ، ومأساتنا كبيرة ، ووراءها نظام وتآمر دولي ، وخلصنا باسقاط صدام .

أما بهذه المعالجات الجزئية ، فلا يمكن الحل مهما كان الاهتمام ، كما أن أحداً مبتلى بالسرطان يعطي دواءً فيهدأ ، لكنه يعاني من مشكلة حقيقية ، وهذه الأمور لا تحل مشكلة السرطان ، فبعد يوم أو يومين أو عشرين يوماً سوف يموت .

ونحن الآن مشكلتنا الحقيقية التي أدت الى هذا الوضع هي أننا عندنا نظام قاسٍ ووحشي ، ويخطط من أجل أن يوجد لنا مشكلة وقضية ، ويشغلنا بهذه المشاكل والقضايا ، فلا يمكن أن نُحلّ هذه المشكلات عن هذا الطريق .

س : هناك عوائل كثيرة تحتاج الى رعاية ، خصوصاً في الخيمات ، وبالأخص عوائل الشهداء ، وكذلك هناك بعض التصرفات لبعض المؤسسات الإيرانية تجاه العراقيين ، حتى المجاهدين منهم وطلاب الحوزة . ووصل الأمر في بعض الاحيان الى التسفير للعراق بسبب أبسط الأمور ، ولعلكم اطلعتم على بعض الحالات ، ولكن لا نرى أية مطالبة .

سماحة السيد الحكيم : (ولا نرى أية مطالبة ؟!) ، لقد طالبنا كثيراً ، واذا أردت أن أحصي لكم الساعات ، فأنا شخصياً - ولا أتكلم عن الآخرين الذين قد يكونون مثلي أو أكثر - يمكن أن أعد آلاف الساعات ، بحيث لو كنت أصرفها على التأليف والتدريس فيمكن أن أولف عشرات الكتب في هذه الساعات التي صرفتها في المطالبة ، لأن المطالبة جزء من واجباتي ، ويجب أن أقوم بها . وأذكر هنا أمثلة خاصة - وأنتم يجب أن تتربوا على مثل هذا - كلفنا الشيخ الآصفي ، ودار حديث بأن نأخذ جماعة من علماء الحوزة ، ونذهب للسيد الخامني ونتكلم معه عن موضوع الأخوة العراقيين ، وذهبت وبذلت ماء وجهي وتكلمت ، والحصول على موعد خاص مع السيد الخامني ليس سهلاً ، الى أن صدرت الموافقة ، وكان المقرر أن نذهب أنا وفلان وفلان ، وفي الليل تبين أن هؤلاء الأشخاص غير مستعدين للذهاب .

فلان وفلان غير مستعد لكي يذهب الى السيد الخامني ، ويتكلم بهذا الموضوع ، أو تبين أن أحدهم مسافر ، والثاني استخار وجاءت الخيرة غير جيدة ، وهؤلاء محترمون وكلكم تقدسونهم وتقبلون أيديهم .

وبالنتيجة اضطررت أن ألغي الموعد ، فهل يمكن أن نقول : لا أحد يطلب !!

هناك من يطالب ، ولكن هذا وضعكم وهذه حياتكم وهذا مجتمعكم وهذه أمتكم وجماعتكم ، فيجب أن نعرف الحقائق ، وأقول لكم : إن عدد الساعات ليس مبالغة ، ولدينا مستندات في ذلك الأحاديث والاجتماعات والجلسات التي جرت كثيرة جداً .

في قضية التظاهر عطلت درسي ، ونصف وقتي المخصص للتأليف ، وذهبت وتحذرت ، إن أصل علاقتنا بالله سبحانه وتعالى هو الشكر للنعم ، وهذا النوع من التنكر للحقائق يحجب رحمة الله ، فالله سبحانه وتعالى يعرف الأمور ، وهو مطلع على الصغيرة والكبيرة ، وعنده نظام كوني ، وهو رؤوف رحيم ، لكنه حكيم أيضاً .

وهذا لا أقوله للأخ الذي كتب السؤال ، لكن الحالة العامة هي هذه ، ويجب أن نربي أنفسنا حتى نصل إلى أمة كاملة قادرة على أداء وظائفها وواجباتها .

في موضوع المظاهرة ، كانت هناك حالة من الارجاجف والاحباط الكبير ، لماذا ؟ .
إفرضوا أنهم اعتدوا عليكم ، فإذا كانت لدينا قضية ، فما معنى أنهم دفعونا أو ضربونا ، فهل نتنابنا حالة الاحباط في قضيتنا ؟

في العراق اذا أمسك النظام برجل مسكين ، فإن جيرانه يقولون : لا بد أن هذا عنده سوء ، ولا يقولون : إن النظام ظالم وجائر .

وبهذه الطريقة انصبت الحمم على الناس كلهم ، وهذه مسألة مهمة جداً في عملنا وسلوكنا وفهمنا الاجتماعي ، فلماذا هذا النوع من الارجاجف والرعب والخوف ؟ . افرضوا أن هذا عمل قنابله قربة إلى الله ، نعبر به عن قضيتنا ، وكل الناس رأونا ضُربنا في الطريق ، لكن قضيتنا تستحق أكثر من ذلك .

إنكم تشاهدون في التلفزيون أحياناً مظاهرات تخرج في أوروبا وغيرها من أجل أشياء تافهة ، لكن أصحابها يتحملون ما يتحملون من أجل قضيتهم تلك .

أسباب ضعف المستوى الثقافي في المخيمات

س : ماهي أسباب ضعف المستوى الثقافي في المخيمات ومجمعات العراقيين ، وضعف الثقافة الاسلامية فيها ؟ .

سماحة السيد الحكيم : يرجع السبب إلى عاملين رئيسيين :

الاول : يرتبط بجرمان أبناء الشعب العراقي في العراق من الثقافة والمعرفة ، بحكم هذا النظام

الفاقد للجائر، لأن ثقافتنا مصدرها إما المنبر الحسيني أو العالم في الجامع، أو الكتاب الاسلامي أو الجمعيات والمدارس، وكلها قضت عليها النظام.

والناس أصبحوا يحبون الاسلام باعتبار أن جذورهم إسلامية، لكن الثقافة الاسلامية ضعيفة، فالضعف في الحالة الثقافية بسبب هذا الحرمان.

الثاني: إن الأخوة الذين يذهبون الى هذه النخبات - جزاهم الله خيراً، وأنا ادعو لهم بشكل خاص - ليسوا على مستوى عالٍ جداً من القدرة الثقافية، بحيث يتمكنون من معالجة هذا الضعف في المستوى الثقافي، والذين عندهم ثقافة أفضل لا يذهبون، فقد يرى بعضهم أنه مدرس في الحوزة، فكيف يذهب ويبلغ لأناس مساكين من أهل الهور مثلاً؟!؟

العلاقة بين نظام صدام وإيران

س: على ضوء زيارة وفد النظام البعثي للمؤثر الاسلامي الاخير في الجمهورية الاسلامية، هل هناك تأثير في موقف المعارضة الاسلامية؟.

سماحة السيد الحكيم: لا، ليس له تأثير، لأن النظام دائماً يبعث وفوداً الى ايران وباستمرار، والايраниون يستقبلون هذه الوفود، ويهتمون بها، ويتحركون معهم.

وفي ايام احتلال الكويت أرسل النظام وفداً، وكان عزت الدوري وراء ارساله، وكان رئيسه السيد محمد الصدر الذي سبق الحديث عنه، ومعه أربعة آخرون، اثنان من السنة، واثنان من الشيعة، وتحدثوا مع العلماء واستقبلتهم وزارة الخارجية، وكان بصحبته شخص من وزارة الخارجية، وجاء بهم وسلموا علياً وتحدثوا معي.

ومنذ ذلك الوقت والنظام يبعث وفوداً، والجمهورية الاسلامية تستقبلها، ولكن العلاقات لم تتطور، ولا أتوقع أن تتطور، والسبب هو صدام، لأنه لا يريد أن تتطور العلاقة، وعندئذ تبقى المشكلة قائمة.

ونحن قد تكون مصلحتنا في تطور العلاقة مع الجمهورية الاسلامية، وتنفذ على الوضع في العراق وبالعكس، لكن صداماً يرى أن هذا ليس من مصلحته، ولذلك يحاول دائماً أن يتظاهر بهذا الأمر عندما يعيش أزمة، فيتظاهر، لأنه يريد أن يحفظ علاقته مع أمريكا، أو يحفظ نسبة الفاصلة بينه وبينها ولا يريد أن يبتعد أكثر، فهو يأمل أن يرجع لأمريكا ويعيد العلاقة معها، فعندما يقترب من الجمهورية الاسلامية، فسوف يكون أبعد عن أمريكا، فهو يقوم بهذه العلاقات، ولكنه يحفظ

دائماً خط الرجعة ، وينظر الى الوراء بالنسبة لعلاقته مع امريكا ، ولذلك نعتقد أنه لا تتطور العلاقة بشكل حقيقي ، واذا تطورت فذلك يخدم - في تصوري - الحالة الاسلامية .

مخاطر المناورات الثلاثية^(١) على العراق

س : ماذا يرى سماحة السيد الحكيم لمخاطر المناورات الثلاثية على بلدنا العراق الحبيب ؟ .
 سماحة السيد الحكيم : هذه قضية مرتبطة بكل العالم الاسلامي ، وليس فقط بالعراق ، فالأخطار التي يواجهها العالم الاسلامي هي هذا النوع من التطوير في العلاقة بين تركيا واسرائيل . وعلاقة تركيا واسرائيل منذ البداية علاقة متميزة ، وأول دولة في العالم الاسلامي على الإطلاق اعترفت باسرائيل هي تركيا ، وبقيت هذه العلاقة متطورة ، وأخذت تتطور الى تعامل عسكري في مثل هذه الظروف الصعبة ، وهذا يشكل خطراً كبيراً جداً على الحالة الاسلامية ، ونحن نهينا الى هذه المخاطر منذ عدة سنوات ، وأنا شخصياً تكلمت كثيراً في الاوساط هنا ، وفي اجتماعات عامة عن وجود الخطر الكبير ، لما أعبر عنه بالجيش التركي .

والشعب التركي شعب مسلم ، وتركيا بلد اسلامي ، لكن الجيش التركي يمثل خطراً كبيراً جداً على الأوضاع الموجودة في عالمنا الاسلامي ، وخصوصاً على العراق ، عندما تصبح تركيا راعية للأوضاع في شمال العراق ، والمناورات الآن قضية عامة ، لكن الخطر منها بالنسبة الى بلدنا هو أن تركيا تتحول الى راعية للأوضاع في شمال العراق ، ومن ثم يمكن أن تحوّل شمال العراق الى منطقة عدوان على ايران وسوريا ، وعلى العراق نفسه ، وأيضاً منطقة قلق مستمر بالنسبة لكل المنطقة .

ومرة ثانية أشكر لكم اتاحة هذه الفرصة ، وأعتذر اذا كان في الحديث أحياناً شيء من الحدة ، وقصدي منها - يشهد الله على ذلك - النصيحة والحرص عليكم وعلى أوضاعكم . نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

(١) أجريت هذه المناورات المشتركة بين كل من تركيا وأمريكا وإسرائيل .

دور العلم في حياة الانسان^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا أبي الحسن علي بن موسى الرضا المرتضى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج) ، والسلام على شهداء الاسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للاسلام وحتى شهداء هذا العصر ، والسلام على سادتي وسيداتي وإخواني الكرام ، ورحمة الله وبركاته .
قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (٢) .

المقدمة

في البداية أتقدم بالتهنئة والتبريك لكل السادة الأفاضل والسيدات بمناسبة مولد سيدنا ومولانا الامام الرضا عليه السلام ، حيث لازلنا نعيش هذه الأيام ذكرى ولادته الشريفة ، كما أتقدم بالشكر الجزيل للسادة الأعزاء والأخوة الأفاضل على هذا العمل المبارك ، وهو إقامتهم لهذا المهرجان ، وأسأل الله سبحانه وتعالى التسديد والتوفيق لهم . كما أشكرهم على إتاحتهم لي هذه الفرصة للحديث .

دور العلم في الحياة البشرية

أحاول أن أختصر الحديث وأضعه في عدة نقاط ، ليست غريبة على السادة الأفاضل والأخوة الأعزاء ، ولكن من باب التأكيد والتذكير ، وهذه النقاط كالتالي :
النقطة الاولى : وهي ترتبط بالعلم والعلماء ، وتشكل القاعدة والأساس في هذا المهرجان

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الخميس ١٢ / ٣ / ١٩٩٨ م ، المصادف ٢٣ / ١١ / ١٤١٨ هـ ٢١ / ١٢ / ١٣٧٦ هـ . ش ، في مهرجان الشيخ الطوسي الأول في مدينة قم .

(٢) المجادلة : ١١ .

وأمثاله من الاعمال العلمية التحقيقية .

ولا شك أن للعلم في نظر الاسلام دوراً مهماً في الحياة البشرية ، فنذ بداية الحياة كان موضوع العلم هو الموضوع الأول والبارز الذي طُرِح في تفسير وجود الانسان على الأرض ، حيث أشار القرآن الكريم الى مشهد الملائكة وهم يُخبرون بقرار خلافة الانسان على الأرض ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ^(١) فيتساءلون عن تفسير هذا القرار ، ويكون التفسير الالهي لهذا القرار هو العلم .

فكانت قضية العلم هي القضية الأولى التي وضعت في حياة الانسان ووجوده ، ولذلك كان العلم من الحقائق الثابتة .

صحيح أن العلم حقيقة مرتبطة بهذه الدنيا ، ولكنها لا تزول بزوالها ، وإنما يبقى العلم مع الانسان حتى في الدار الآخرة .

ومن خلال النظرية الاسلامية نلاحظ التأكيد على العلم ، باعتباره يوصل الانسان الى معرفة نفسه وربّه وحياته وآخرته ومستقبله . كما أنه يوصله الى الهدى ، ويخرجه من الظلمات الى النور .

ولذلك نجد أن النظام الاسلامي أعطى للعلم موقعاً إجتماعياً خاصاً بما نعرفه من قضية الإمامة والولاية ، فعندما نرجع الى أحاديث أهل البيت عليهم السلام ، وقبل ذلك الى القرآن الكريم ، وبعده الى الواقع العملي التاريخي الاجتماعي في مسيرة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم ، نجد أن العلم يأخذ الموقع الأول في هذا التركيب الاجتماعي .

فأئمة أهل البيت عليهم السلام عندما يتحدثون عن إمامتهم وولايتهم يؤكدون على دور العلم وموقعه ، وأنهم هم العلماء بالله سبحانه وتعالى ، وهم أعلم الناس ، وعندما يفسرون الآيات القرآنية التي تتحدث عن العلم والعلماء يفسرونها بهم ، باعتبار ما للعلم من موقع إجتماعي .

ثم بعد ذلك عندما يريد أئمة أهل البيت عليهم السلام أن يוכלوا مهمة الامامة من بعدهم ، فإنهم يוכלونها الى العلماء ، ومن هنا كانت فكرة ولاية الفقيه ، حيث أصبح العنوان ولاية الفقيه ، لا ولاية المتقي - مثلاً - مع أن التقوى أساس من أسس الولاية ، فالعنوان وُضع بهذا الشكل ، باعتبار أن العلم له دور في حياة البشرية .

دور الحوزات العلمية في التاريخ البشري

وقد كان للحوزات العلمية دور مهم في تأريخنا وتأريخ المسلمين ، وسوف يكون لها دور حقيقي في تأريخ البشرية كلها ، باعتبار تميز هذه المجوزات بالعلم الأصيل النقي المتمثل بعلم أهل البيت عليه السلام ، الذي هو العلم الحقيقي للإسلام .

وكان هناك اهتمام من قبل أهل البيت عليه السلام ، حيث تميزوا على بقية المذاهب الأخرى بتأسيس الحوزات العلمية ، والتأكيد على دورها ، ودعوة الناس للانخراط فيها ، لأنهم يعرفون أن الحوزات سوف يكون لها دور كبير في حياة أتباعهم وحياة المسلمين البشرية جمعاء .

ومن خلال نظرة سريعة لهذه الحوزات ومسيرة أتباع أهل البيت عليه السلام ، يمكن أن نجد هذه الحقيقة واضحة بينة لا تعترها أية شبهة ، وقد كان للحوزات العلمية دور في المحافظة على وجود هذه الجماعة الصالحة ، هذا أولاً .

وثانياً : كان لها الدور في تطوير ونمو هذه الجماعة الصالحة ، بحيث تمكنت أن تصمد عبر القرون أمام المحن والابتلاءات ، وعمليات القمع والابادة والمطاردة التي واجهتها في التاريخ . ولم تكتفِ هذه الجماعة بالصمود والبقاء فقط ، بل تمكنت أن تطور نفسها من خلال هذه الحوزات العلمية ، فأصبحت الجماعة الأولى في العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر .

وإذا أردنا أن نصنّف المسلمين سواء من الناحية الكمية أم الكيفية ، نجد أن جماعة أهل البيت عليه السلام أصبحت الجماعة الأولى من حيث المحتوى والمضمون والقدرة والنشاط والحركة ، وحتى من حيث الكم والانتشار في مختلف أنحاء الأرض . ولا نجد وراء هذه الحقيقة إلا الحوزات العلمية بعد رعاية الله وعنايته ، والتي كان لها هذا الدور في حفظ هذه الجماعة وتطويرها .

ويكفي الحوزات العلمية فخراً وشرفاً أن تكون قادرة على إنجاز هذا العمل في تاريخ المسلمين ، ولذلك كلما تحدث المتحدثون عن وجود نقص أو عيب أو إشكال في وضع الحوزات العلمية ، فنحن لا يمكننا أن نرى شيئاً أعظم وأكبر من هذه الحقيقة ، التي يمكن أن تستوعب كل هذه الاشكالات والنواقص الموجودة في حوزاتنا ، وهي إن أصل هذا المشروع يمثل شيئاً عظيماً في حياة المسلمين .

والآن نجد هذا الانجاز العظيم الذي حققته الحوزات العلمية من خلال إقامة الدولة الإسلامية ، بقيادة عالم رباني تربي في هذه الحوزات وتخرج منها ، وحمل العلم النقي الذي يُدرّس

فيها .

فهي ليست دولة في أرض محدودة هي إيران المباركة ، وإنما لابد أن ينظر إليها على أنها رجوع الاسلام الى الحياة الانسانية ، من خلال هذا الانجاز الذي حققتة الحوزات العلمية ، ومن ثم يصبح إنجازاً للبشرية كلها .

وبلا مبالغة أقول : إن البشرية - الآن - تتطلع الى المنقذ المتمثل بالاسلام ، وهذه حقيقة يجب أن ننظر إليها من خلال موضوع العلم ودوره ودور الحوزات ، وعندما نتحدث عن العلم ، فإننا نتحدث عن العلم المتمثل بالحوزات العلمية .

وأنا أعتقد أن من القضايا المهمة التي يجب أن يُربى عليها طلاب الحوزات العلمية ، ولا سيما في المركز العالمي للعلوم الاسلامية ، أن يُربى الطلاب على الدور الخاص لهذه الحوزات في حياتنا . إن بعض الأخوة والأخوات المنخرطين في الحوزات ينظرون لها من ناحية البعد العلمي فقط ، كقضية محدودة في المعلومات وفهم هذه المسألة وتلك مهما كان هناك من تعقيد أو سعة ، مع أن هذه الحوزات العلمية - بهذه الرؤية التي أشرت إليها - تمثل المشروع الأساس في هذه الجماعة الصالحة والمسلمين والذي يمكن أن يهدي البشرية .

وقد أخذ هذا المشروع عن القرآن الكريم ، وأهل البيت عليهم السلام يأخذون أعمالهم ومشاريعهم من القرآن الكريم ، ويضعون للمشاريع أسسها وتفصيلها ومناهجها ، فقد قال الله تعالى : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ ^(١) . فنحن نحتاج الى مادة دراسية تنقي هذا الجانب لطلاب الحوزات العلمية .

منهج الشيخ الطوسي

النقطة الثانية : وهي ترتبط بعنوان هذا المهرجان ، وهذا العنوان له مضمون ، وليس مجرد تكريم لشيخ الطائفة الطوسي رحمته الله ، وإن كان يستحق كل تكريم وتمجيد وتعظيم ، فشيخ الطائفة يمثل مرحلة مهمة جداً من مراحل الحركة العملية للحوزات ، حيث إننا عندما نقارن بينه وبين الشيخ الصدوق - والفاصل الزمني بينهما محدود - نجد فرقاً كبيراً من الناحية النوعية .

فقد كان الشيخ الصدوق يعرف بكثرة مؤلفاته ، حيث تناولت مختلف الموضوعات الاسلامية ، وكذلك الشيخ الطوسي رحمته الله . ولكن من حيث المنهج نجد أن هناك تحولاً كبيراً ، فقد كان

منهج الشيخ الصدوق يعتمد بشكل أساس على تدوين الأخبار وتصنيفها وعرضها بشكل واسع ، وبعض كتب الشيخ الصدوق موجودة الآن وهي كتب مهمة .

وأما الشيخ الطوسي رحمته الله ، فنجد أنه في الوقت الذي يحتفظ به بأصول ذلك المنهج ، ويقوم بتدوين الكثير من الكتب في مختلف العلوم ، نجده ينقل المنهج إلى مرحلة جديدة ، وهي مرحلة الاستنباط وبيان المحصلة والنتيجة المستنبطة من تلك الروايات ، ثم يصنفها إلى كتب وأبواب ويقدمها للباحثين .

ولعل هذا التطور والتحول في منهج الشيخ الطوسي هو الذي يراد بيانه في هذا المهرجان المبارك ، وذلك عندما يراد الشروع بمرحلة جديدة في الحوزات ، ولا نريد أن ندير ظهورنا لتلك المرحلة السابقة ، ونلغي كل معالمها وآثارها ، بل لابد أن يكون عملنا تطويراً وتكاملاً يعتمد على المرحلة السابقة ، وبعد ذلك تبدأ مرحلة جديدة من التطور .

وعندما نضع موضوع المنهج الجديد الذي تبناه هذا المهرجان وهذا المركز ، وهذه المرحلة الجديدة ، فهنا تأتي قضية التطوير لأعمالنا العلمية ، وكذلك التطوير على مستوى الوضع الذي تعيشه الحوزة العلمية ، فالحوزات العلمية كانت تهتم حتى الآن بمنهجها على موضوع الدرس والتدريس ، من أجل فهم مضامين الكتب والروايات واستنباط المضمون ، هذا أولاً .

وثانياً : تعتمد على المبادرات الفردية لهذا العالم أو ذاك في الوصول إلى هذه النتائج ، دون أن يكون هناك منهج عام يحكم الحوزات العلمية في تنظيم هذه المبادرات ، والوصول فيها إلى أفضل النتائج .

وهذه المبادرات لها أهمية كبيرة وهي تستحق الكثير من التقدير والتجديد ، فعلماءنا الأعلام - جزاهم الله خير الجزاء - قاموا بأعمال عظيمة على مستوى هذه المبادرات ، ومنها مبادرة شيخ الطائفة الطوسي .

وحقاً يومنا الحاضر كان المنهج العام أن يبادر هذا العالم إلى اختيار موضوع من الموضوعات ، أو يلتزم قضية من القضايا من أجل إيجاد عمل لتطوير حركتنا العلمية .

الحاجة إلى تطوير الحوزات

ونحن في هذا العصر نحتاج إلى تطوير واسع في الحوزات العلمية ، التي تتحمل هذه المسؤولية الكبيرة ، فهي لا تتحمل مسؤولية علمية فحسب ، وإنما لها هذا الموقع الذي تتطلع إليه البشرية ،

والآن في هذا العصر ونحن نواجه هذا التطلع البشري والآمال العريضة التي يعقدها الناس على الحوزات ، وهذه المسؤولية الثقيلة التي تتحملها الحوزات ، فإننا نحتاج الى هذا التطوير ، والى أن يكون هناك عمل يتسم بالمنهجية والتخطيط ، ويكون قادراً على تحقيق هذه الأهداف الكبيرة ، فالأعمال الفردية مهما كانت عظيمة لا يمكنها أن تفي بالحاجات الكبيرة التي تواجهها الحوزات العلمية في العصر الحاضر ، فلذلك نحتاج الى الأعمال الجماعية .

وهذا لا يعني إلغاء العمل العلمي .

مضافاً الى أن المبادرات الفردية لا يمكنها أن تلبي كل هذه الحاجات ، وتبقى تعبر عن إحساسات الحاجة الفردية ، فالانسان بحسب ادراكه للحاجة سوف تتخذ مبادرة لسد الفراغ ، ويبقى الاحساس بالحاجة ذاتياً مهما توسعت دائرة إحساس هذا الانسان .

أما عندما يتحول الى إحساس جماعي فلا شك أن حجم هذا الاحساس سوف يكون أكبر ، وأبعاده تكون متعددة ، فنحتاج الى مبادرات جماعية تلبي هذه الحاجات عن طريق فهم هذه الحاجات ومعرفة خصائصها ، ثم سد الفراغ الذي تعانيه مجتمعاتنا في هذا العصر .

وهذا من الموضوعات المهمة التي يسعى إليها هذا المهرجان وفيه فوائد كبيرة لتجديد هذه الطاقات ، والأرقام التي اطلعت عليها تستحق الفخر ، ولكني أقول : إن هناك شيئاً أكبر وأهم من هذه الأرقام التي نتحدث عن طاقات جيدة وعظيمة متفجرة عن الاقبال على العلم والتحقيق من خلال هذه الاحصائيات ، والشئ المهم هو أن نحول هذه الطاقات الى حركة جماعية علمية تتوجه الى حل المشكلات في هذا العصر ، هذا أولاً .

وثانياً : تلبية هذه الحاجات وسدها ، وهذا ما نرجوه من هذا المهرجان المبارك ، لا سيما وأنه سُمي بهذا الاسم المبارك .

وهناك نقطة أردت الإشارة إليها وهي الأصالة الموجودة في تاريخ جماعة أهل البيت (عليه السلام) في موضوع التدوين والتحقيق ، والذي استحققت به هذه الجماعة أن تكون هي المؤسسة لعلوم الاسلام ، ولكن الوقت لا يسعني ، فأكتفي بهذا القدر من الحديث ، واستمع السادة الأفاضل والأخوة الأعزاء عذراً ، إذا كان في حديثي شيء من الخروج عن الموضوع ، وأشكرهم مرة أخرى وأتمنى لهم التوفيق والتسديد في عملهم ، وأن يكون هذا العمل بداية لانطلاقة واسعة وكبيرة إن شاء الله .

وأخص بالشكر السادة الأفاضل القائمين على هذا المشروع ، لا سيما سماحة الأخ العزيز السيد الرباني ، الذي كان له دور متميز ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ هذا الوجود المبارك لهذه الدولة ، وأن يحفظ ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامني ، الذي كانت له هذه المبادرات والرعاية ، وهذه مفخرة من مفاخر وجوده الشريف .

كما نسأله سبحانه وتعالى أن يحفظ جميع مراجعنا وعلمائنا وساداتنا ، وأن يتغمد الماضين منهم برحمته الواسعة ، ولا سيما إمام الأمة الذي كان له علينا هذا الفضل الكبير .
إلى أرواحهم جميعاً وإلى أرواح شهدائنا الأبرار ، لا سيما الشهداء من العلماء ، وإلى أرواح السلف الصالح من ساداتنا وإخواننا وأخواتنا الحاضرين ، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

إثارات حول الحوزة العلمية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

نطلب من سماحتكم بيان دور الحوزة في حفظ الشريعة وعلوم أهل البيت عليهم السلام ، من جانب . وتسليط الأضواء على الأحداث التي عاشتها حوزة النجف الأشرف أخيراً ، من جانب آخر .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، حبيب إله العالمين ، أبي القاسم محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

في البداية ، أبارك لكل السادة الأفاضل والأخوة الأعزاء هذه الأيام الشريفة ، أيام مولد سيد الكائنات نبي الرحمة وقائد البركة وخاتم الأنبياء وسيد المرسلين أبي القاسم محمد بن عبد الله عليه السلام ، وكذلك مولد حفيده الإمام الصادق عليه السلام الإمام السادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وهي أيام شريفة ، وقد اقترنت بهجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة ، وقيام هذا الكيان السياسي الإسلامي المستقل فيها بسبب هذه الهجرة . هذا الحكم الذي استمر عدّة قرون في بلاد المسلمين ، وتفَضَّلَ الله سبحانه وتعالى علينا في هذا العصر والزمان بعودته إلى حياة المسلمين .

هذه أيام مباركة ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن تعمّ بركتها جميع بلاد المسلمين ، لا سيما أبناء شعبنا في العراق ، وأن يجعلنا من المتأسين برسول الله ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام ، لا سيما الإمام الصادق عليه السلام .

إن الحديث حول الحوزة العلمية ، له علاقة بالإمام الصادق والإمام الباقر عليهم السلام ، فهو يرتبط بهذه المناسبة الشريفة وكذلك بولادة الإمام الباقر عليه السلام أيضاً ، ولكن في الوقت نفسه ، يكتسب الحديث عن هذا الموضوع أهمية خاصة في هذه الأيام ، لوجود إثارات وأسئلة كثيرة حول الحوزة

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) ، في مدرسة دار الحكمة / قم المقدسة ، وذلك يوم الأربعاء ، المصادف : ١٥ / ٧ / ١٩٩٨ م - ٢٠ / ٣ / ١٤١٩ هـ . ق - ٢٤ / ٤ / ١٣٧٧ هـ . ش .

العلمية تُطرح في ساحتنا الإسلامية، لاسيما العراقية في داخل العراق، وفي بلاد الغربية والهجرة، وفي الأيام الأخيرة وصلت الى يدي مجموعة من المنشورات والكتابات توزع في داخل العراق بشكل واسع، وتثير قضايا حول الحوزة العلمية والأوضاع الموجودة فيها، ونحن الى جانب هذه المنشورات والبيانات التي تصدر هنا وهناك، نسمع أحياناً إثارات من قبل هذه الجهة أو تلك، أو هذا الشخص أو ذاك، حول الحوزة، تحت عناوين متعددة، أبرزها عنوان التجديد، باعتبار أن الحوزة العلمية مؤسسة قديمة عريقة ولها تاريخ طويل، فإذا كان الشعار هو التجديد، فيحسن أن يشمل مثل هذه المؤسسة القديمة التي قد تتحول الى مؤسسة تراثية وأثرية في تاريخنا وحياتنا.

أسئلة ثلاثة

أحاول في هذا الحديث أن أشير الى عدة أسئلة مرتبطة بهذا الموضوع:

السؤال الأول: حول أهمية هذه الحوزة العلمية ودورها في حياة المسلمين وفي النظرية الإسلامية، وما تمكنت أن تحققه في تاريخ المسلمين وحياتهم، لاسيما في حياة الجماعة الصالحة من أتباع أهل البيت عليه السلام.

السؤال الثاني: حول موضوع التجديد والإصلاح والتغيير في أوضاع الحوزة، وهل إن هذه الحوزة تبقى كما هي، بالصيغ والأساليب والأوضاع التي تعيشها في الوقت الحاضر نفسها؟ أو نحتاج الى إيجاد تغييرات أساسية ورئيسة في أوضاعها، من أجل أن نواجه الأوضاع العالمية التي يعيشها الإنسان والمجتمعات في هذا الزمان؟ لاسيما ونحن نُقبل على القرن الواحد والعشرين، وكأنا نخرج من هذا العصر الى آخر. ونواجه هذه التطورات الكبيرة التي حصلت في الأوضاع الإنسانية والاجتماعية والمدنية.

السؤال الثالث: حول الأوضاع التي شهدتها حوزة النجف في الأيام الأخيرة، ومن ثمّ ماهو تفسير موقف النظام الحاكم في بغداد تجاه الحوزات العلمية؟ هذا الموقف الذي يحمل النظام على القيام بعمليات تصفية بدنية وجسدية لكبار العلماء في حوزة النجف، دون أن تكون هناك أي مبررات سياسية خاصة ترتبط بهذه التصفيات، كما كان النظام يستخدم هذه المبررات لتصفيات جسدية سابقة تجاه علماء الحوزة.

١ - الأساس الشرعي في تأسيس الحوزة العلمية

أما عن السؤال الأول فنقول: إذا أردنا أن نرجع الى القرآن الكريم الذي فيه تبيان كل شيء،

نجد أنه يبين الموقف تجاه الحوزة العلمية وقضية هذه المؤسسة وهذا المشروع الإسلامي، بما ورد في قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾^(١). فهذه الآية الكريمة في أواخر سورة التوبة تعبر عن مرحلة انتهى إليها المجتمع الإسلامي والرسالة الإسلامية، وهي مرحلة استقرار الدولة الإسلامية بعد فتح مكة، ونزول سورة براءة، وأصبح الجهاد من أجل تثبيت الوضع الإسلامي، يمثل مرحلة جديدة، حيث إنه حقق أهدافه وأغراضه، وانتقل النبي ﷺ إلى مرحلة جديدة اقتضت أن يؤسس هذا المشروع، وهو أن ينفر من كل فرقة طائفة في الدين وتعلمه، ثم الرجوع بعد ذلك لإبلاغ الرسالة وبيانها، لعل قومهم يحذرون ويلتزمون بما أمر الله به وبما نهى عنه.

إذن، فأصل تأسيس الحوزة العلمية وبيان مشروعيتها، كان في عهد النبي ﷺ، وبيان من أعلى مستوياته وهو القرآن الكريم.

ومن ناحية أخرى، نجد أن تأسيس الحوزة في العراق الذي يُعتبر البلد الثاني في دخوله الإسلام بعد الجزيرة العربية، كان في زمن الإمام علي عليه السلام، وهو زمن يمثل الصدر الأول للإسلام. ومنذ ذلك الوقت وحتى يومنا الحاضر، نجد أن هذا المشروع من المشاريع الثابتة الصامدة والمستمرة بدون توقف، حيث كانت الحوزة في الكوفة، وتطورت ووصلت إلى مرحلة الرشد في زمن الصادق عليه السلام، حتى يقول المحدث: «إني أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد الصادق عليه السلام»^(٢).

واستمرت هذه الحوزة في الكوفة، وانتقلت إلى بغداد عندما تحولت بغداد إلى مركز وعاصمة للدولة الإسلامية. ثم انتقلت إلى النجف الأشرف في عهد الشيخ الطوسي، ومرّت بتحويلات ومراحل، وتوسعت إلى كربلاء والحلة.. ومن ثم كانت هذه المنطقة - الفرات الأوسط وبغداد - هي التي أسست فيها الحوزة واستمرت حتى يومنا الحاضر.

هذا من حيث تاريخ الحوزة وعمقها وأهميتها وصمودها وقدرتها.

الآثار والنتائج

وأما على مستوى الآثار والنتائج التي تمكنت أن تحققها الحوزة، يمكن أن نجد أمرين

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) رجال النجاشي: ٣٩ ترجمة الوشاء.

رئيسيين ، يمكن للبحث أن يتسع فيها معاً :

مشروع الكيان الاسلامي

الأمر الأول : أننا إذا أردنا أن ندرس المؤسسات والمشاريع والتنظيمات الإسلامية ، في كل تاريخ الرسالة الإسلامية كله ، منذ عهد رسول الله ﷺ وإلى يومنا الحاضر ، نجد أن أول وأهم مشروع هو مشروع الدولة الإسلامية ووجود الكيان السياسي الإسلامي . هذا المشروع الذي تمكن أن يحفظ الإسلام ويدافع عنه ، ويحفظ للأمة الإسلامية وحدتها ووجودها ، ويحفظ للشعائر الإسلامية وحدتها ووجودها ، ويحفظ للشعائر الإسلامية بقاءها واستمرارها ، إلى غير ذلك من الآثار التي ترتبت على وجود هذا المشروع الإسلامي الذي أسسه رسول الله ﷺ في أول فرصة أتاحت له ، وهي الهجرة إلى المدينة المنورة ، ومن ثم تطور هذا الكيان .

وأهميته يمكن أن نراها من خلال آثارها ، ومن خلال استمرار هذا الكيان وقدرته على الصمود والبقاء ثلاثة عشر قرناً ، وعندما تعرض هذا الكيان للغزو العسكري في عصرنا الحديث ، نجد أنه ما أسرع ما يستعيد المسلمون أنفاسهم مرة أخرى ويبدؤون بإعادة الحكم الإسلامي للحياة ، وبقي المسلمون جميعاً في هذه الفترة القصيرة - وهي عبارة عن سبعة عقود تقريباً أو أقل بقليل منذ الإطاحة بالحكم الإسلامي إلى قيامه - يطمحون إلى إقامة الحكم الإسلامي ، وكانت هذه من القضايا المطروحة في أوساط المسلمين ويتحرك المسلمون من أجلها .

ووجدنا أنه بمجرد أن عاد الحكم الإسلامي إلى الحياة ، حدث هذا التطور العظيم والصحو الإسلامي التي نشاهدها ونراها في كل العالم الإسلامي ، بل وغير الإسلامي أيضاً . وأحس المسلمون بالعزة والكرامة والفخر والشرف .

إذن ، فهذا المشروع يمثل الأول والأهم في الرسالة الإسلامية ومؤسساتها .

دور الحوزة في حفظ الشريعة

والأمر الآخر أن المشروع الثاني هو الحوزة العلمية . فعندما نريد أن نبحث هذا الجانب في الحوزة ، نرى أنها المشروع الثاني من حيث الأهمية في كل الوجود والتاريخ الإسلامي ، الذي تمكن أن يحفظ القرآن الكريم والسنة والعلوم الإسلامية ، ويحفظ وعي المسلمين وحياتهم وحركتهم .

وأفضل شاهد على هذا الدور والأهمية ، هو تطبيق هذه القضية على حياة وتاريخ الجماعة الصالحة من أتباع أهل البيت عليه السلام ، الذين لم تكن هناك دولة خاصة بهم ، وإنما كانوا يعيشون ضمن

الدولة الإسلامية العامة التي أصابها الكثير من الانحراف والضعف، وواجهتها الكثير من الآلام والمحن وعمليات القمع والمطاردة والمحاصرة، ولكن مع ذلك تمكنت هذه الحوزة أن تحفظ لهذه الجماعة وجودها وأن تطورها وتوسعها، وتصل بها لهذا المستوى الذي وصلت اليه جماعة أهل البيت عليهم السلام.

لاحظوا الحالة التي كانت عليها هذه الجماعة في زمن غيبة الإمام المهدي (عج) سنة ٢٦٠ هـ، عند شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ثم بقاء الإمام المهدي (عج) يُدير العملية بشكل مباشر عن طريق النواب الأربعة، في غضون سبعين عاماً، وبدأت بعد ذلك الغيبة الكبرى سنة ٣٢٩ هـ، ومنذ ذلك الوقت وحتى يومنا الحاضر، تحملت الحوزة العلمية أعباء المسؤولية في إدارة شؤون الجماعة.

وتتمكنون أن تقارنوا بين وضع هذه الجماعة في زمن الغيبة، ووضعها في هذا العصر، من حيث التطور الذي حصل منذ ذلك الوقت الى هذا. وكانت هذه الجماعة تمر دائماً بمراحل نمو وتطور ورشد بسبب هذه المسؤولية وهذا المشروع.

إذن، فيمكن أن نقول: بأن هذه المؤسسة هي أفضل مؤسسة بعد الدولة الإسلامية، ومرت بتجربة استمرت إثني عشر قرناً من الزمن ولم تكن محدودة، وهذه التجربة التي استمرت هذه المدة الطويلة، أثبتت بأنها كانت تجربة ناجحة.

فأي تجربة تاريخية عندنا - لأي كيان ومؤسسة وجمعية أو حزب أو وجود - أفضل وأعظم من هذه التجربة؟! حتى إذا أردنا أن نفصل عن البلاغ القرآني، ونأتي الى التجارب التي من خلالها نريد أن نثبت النتائج، كما يتحكم العقل التجريبي الآن في عقول الناس وحركتهم، نرى أن أمامنا تجربة استمرت هذه الفترة وتمكنت أن تحقق هذه النتائج الملموسة الواضحة، التي لا يمكن أن ينكرها أحد من الناس في كل التاريخ.

ولعل هذا من أفضل الأدلة على أن هذا المنهج، في أصوله وأساسه وقضاياه العامة، هو أفضل منهج يمكن أن يتبناه المسلمون، إذ إنه لو كان هذا المنهج ناجحاً في قرن من الزمن وفترة معينة، لأمكن أن نقول: إنه في ذلك القرن وتلك الفترة كانت الظروف مناسبة لهذا المنهج. لكنه استمر هذه الفترة الطويلة في كل هذه الأدوار والظروف والمحن.

٢- التجديد والإصلاح في الحوزة العلمية

أما عن السؤال الثاني: فالموقف واضح من أئمة هذه الحوزة وعلمائها الذين نبتوا وتربوا فيها، وكانوا في أعلى المستويات، وفي موقع الاعتراف الكامل من الأمة. هؤلاء دَعَا إلى قضية التجديد في الأساليب والمناهج الحوزوية..

فإذا كان المراد من قضية التجديد، هو التجديد في أصل حركة الحوزة، بمعنى تهميش الحوزة والتحول إلى أساليب تنظيمية جديدة في مجتمعاتنا الإسلامية، فهذا أمر رفضه كل هؤلاء العلماء، والتجربة دليل على فساد هذه النظرية.

وإذا كان المراد هو التجديد في المناهج والأساليب وما يشبه ذلك مما يرتبط بتطور الحوزة، فهذا مما دعا إليه الإمام الحكيم رحمته الله، وهو مرجع لا يمكن لأحد من الناس أن ينكر دوره في المرجعية وموقعه في الحوزة العلمية. ودعا إليه بعد ذلك الإمام الخميني رحمته الله وكتب رسالة خاصة في هذا المجال، يبين فيها هذا الأمر بشكل واضح بأننا بحاجة إلى الاجتهاد الجواهري وإلى ذلك الطريق الذي سلكه الأسبقون، من أجل الوصول للحكم الشرعي والمعرفة الشرعية، ولكن في الوقت نفسه نحتاج إلى تجديد في أساليبنا ومناهجنا وطريقة تعاملنا مع هذه الأحداث، بحيث تتمكن أن نواكب الحاجات القائمة في هذا العصر.

وهكذا كان الحديث الرائع الجيد الدقيق الذي ألقاه سماحة ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي «حفظه الله»، عند زيارته إلى مدينة قم قبل سنتين، حيث تحدث في هذا الموضوع حديثاً واسعاً كاملاً، وهو شخص له موضع اعتراف كامل من قبل هذه الحوزة، من خلال ما جرى له من استقبال وحفاوة، ومن خلال ما تتعامل به هذه الحوزة معه، ويمكن الرجوع إلى كل هذه النصوص. وقد تحدثت أنا أيضاً في جانب من جوانب هذا التجديد في بعض المحاضرات.

ومن ثم لا يوجد شك في هذا الجانب ولا إشكال. ولكن لابد من الدقة في الملاحظة، وأن لا يخرج عن الأسس والأطروحات التي تشكلت وتكونت منها الحوزة منذ بداية وجودنا وحتى يومنا الحاضر. وهذا ما تحدث عنه كل هؤلاء الذين ذكرت أسماءهم، وكانوا يرون بأن التجديد لابد أن يكون من داخل هذه الحوزة، وفي إطارها وعلى أسسها وقواعدها والأصول والضوابط التي وضعت لها، لا أن يكون تهميشاً وإلغاءً لها ولأصولها، أو زعزعة لقواعدها وأسسها.

٣- التآمر البعثي في ضرب الحوزة

هناك مخطط ومؤامرة يجري الآن تنفيذها بدقة وحماس وبإعداد واسع في العراق ، لضرب الحوزة العلمية ، باعتبار أن العدو الأول للنظام المستبد الظالم إنما هو الحوزة العلمية .

فهو منذ اليوم الأول شخّص هذه الحقيقة ، لذا نجد أن أول مؤسسة استهدفتها النظام بالطغيان والعدوان هي الحوزة العلمية . وكان الصراع الذي حدث بين الامام الحكيم عليه السلام ونظام الحكم في العراق ، بسبب عدوان النظام على الحوزة ، حيث بدأ النظام بتسفير الطلبة غير العراقيين الذين جاؤوا من مختلف أنحاء البلاد الإسلامية من أجل أن يستقروا في النجف الأشرف ، أولاً ، ثم التصفية البدنية لرموز الحوزة ، ثانياً . ثم تغييب عدد كبير من علماء وفقهاء الحوزة وشخصياتها ، ثالثاً .

وتصاعدت خطوة التشريد لأبناء الحوزة والوصول بها لدرجة الإبادة والقمع . وسار النظام في هذه الخطوات سيراً حثيثاً ، لكن موقف الشعب العراقي من ناحية ، وموقف الحوزة وصمودها من ناحية أخرى ، وفوق كل ذلك ، التأييد والنصر والرعاية والعناية الربانية للحوزة ، ورعاية الإمام الحجة (عج) التي هي من وراء الغيب ومن وراء الغمام ، كما ورد في بعض أحاديث أهل البيت عليهم السلام ، عندما يصورون وجود الامام الحجة (عج) وتأثيره في حياتنا^(١) ، كل هذه الأسباب وأمثالها ، كان لها الأثر في بقاء الحوزة وصمودها في وجه الطاغية ، فبدّل الطاغية سياسته ، وتبدّل هذه السياسات ليس من ناحية الحوزة فقط ، وإنما من ناحية الصحوة الإسلامية والتطورات الكبيرة التي حصلت من خلال العمل السياسي الجاد الذي حصل في العراق ، ومن خلال الانتفاضة الشعبانية وتأثيراتها في الأوضاع السياسية داخل العراق أيضاً ، الى غير ذلك .. مما جعل النظام ينتقل من مرحلة إبادة الحوزة الى مرحلة إحتوائها والاعتراف والقبول بأصل وجودها .

سياسة النظام في احتواء الحوزة

إنّ خطة النظام تشتمل على عدّة عناصر :

العنصر الأول

إخراج الحوزة العلمية من حالة الاستقلال التي كانت تتمتع وتتصف وتتميز بها منذ عصر الإمام الحجة (عج) وحتى يومنا الحاضر . وقدرة الحوزة على التأثير والقيام بواجباتها ، إنما هي

(١) في الحديث « وأما وجه الانتفاع بي في غيبي فكالانتفاع بالشمس اذا غيبتها عن الأبصار السحاب ، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء .. » بحار الأنوار ٥٢ : ٩٢ .

بوجود هذا الاستقلال في قرارها وقدرتها على الحركة ، وهذا ما يغبطنا عليه الآخرون ، وأنا سمعت من كبار علماء السنّة عندما يحلّلوا التطورات في الصحوّة الإسلاميّة ، وما حدث من انتصارات في إيران ، وقدرة الحوزة على التأثير ، يقولون : إن أحد العناصر الأساسيّة والمهمة التي نغبطكم عليها ، هي أن حوزتكم مستقلة وإرادتكم كذلك ، وهي قادرة على أن تتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب المنسجم مع الواجب والتكليف الشرعي الملحق على عاتق المسلمين والحوزة .

العنصر الثاني

تفريغ الحوزة من مضمونها العلمي ، مع أنه الأصل فيها : كما قال تعالى : ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ ، وما بقي إنما هو تبع وملحق لهذا الأمر ، ولذلك كانت هذه الصفحة البارزة في الحوزة . فالنظام يحاول الآن أن يفرغ الحوزة من مضمونها العلمي ، وذلك بتصفية المراجع والمدرسين والعلماء ، وضع عناصر طفيلية فارغة في الحوزة ليس لها محتوى ومضمون ، وإعطاء فرصة لحركة هذه العناصر ، ومن أحد الأمور التي تُلاحظ الآن على الكثير من الخطباء والمبلغين داخل العراق ، أنهم من العناصر التي ليس لها محتوى ، وإن كانت هناك عناصر جيّدة وممتازة وتستحق التقدير والثناء ، لكن الكثير ليس لهم مضمون أو محتوى علمي معرفي ثقافي ، والهزال واضح في خصوصياتهم .

العنصر الثالث

إيجاد وإثارة الاستفهامات والشبهات ، وتوجيه الاتهامات للحوزة بالتخلف وعدم القدرة على القيام بواجباتها وأداء مسؤولياتها ، وإظهارها بمظهر العجز وعدم القدرة ، وذلك من خلال محاصرة العلماء العاملين الذين يتمكنون من القيام بدور ، كما صنعت الأنظمة الطاغوتية السابقة أيام العباسيين ، فعندما وجد الخلفاء الذين جاؤوا بعد المأمون العباسي ، أن الدور الذي قام به الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام دور عظيم جداً في نشر الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام ، قاموا بمحاصرة الإمام الهادي عليه السلام والإمام الحسن العسكري عليه السلام ، من أجل إيراز الأئمة وكأنهم غير قادرين على القيام بدور في الحياة الإسلاميّة وفي حياة المسلمين .

وهذا من الأهداف المهمة للنظام ، وإلّا فأى معنى أن يُنْعَم الآن مرجع كبير يُعتبر من المراجع الأوائل الآن - إن لم يكن الأول - في عالمنا الشيعي ، كآية الله العظمى السيد السيستاني أن يصلي في

مسجد الخضر^(١) وهو ليس من المساجد الكبيرة ؟ ثم يُحاصر في منزله ثلاث سنوات ، بحيث لا يتمكن من زيارة الإمام الحسين عليه السلام ؟ وهو بلا شك يرغب أن يزوره في كل أسبوع ، على أقل تقدير ، وعندما ينقطع هذا المرجع والعالم عن الناس والأمة ، تأتي وراءه دعايات واسعة بأن هؤلاء المراجع لا يقومون بواجباتهم ولا يؤدون مسؤولياتهم ولا يجيبون عن الأسئلة والاستفهامات ولا يتابعون الأحداث ، بالرغم من أنه يُمنع حتى من طبع رسالة عملية وهي من أبسط الشؤون الحوزوية فضلاً عن طبع الكتب الأخرى .

وهناك عناصر أخرى ، لا أرى الوقت يتسع تناولها .



أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ هذه الحوزات العلمية من كل مكروه ، وأن ينتقم من الطاغية المستبد صدام . وأن يفشل هذه المخططات ، كما فشل السابقة ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾^(٢) . وسوف يرون مكر الله سبحانه وتعالى بهم وكيف أن المكر السيئ لا يحق إلا بأهله^(٣) .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق كل ذلك . وأن يحفظ مراجعنا وعلماءنا . وأن يتغمد شهداء الحوزة العلمية وكل شهداء الإسلام برحمته الواسعة .

الدفاع عن الحوزات واجب شرعي

وهنا لابد أن نقول كلمة وهي : إن من الواجبات الشرعية الآن على كل أبناء الشعب العراقي وكل المسلمين أن يكون لهم دور في الدفاع عن الحوزات العلمية والحفاظة عليها ، وكشف المخططات الرهيبة التي يقوم بها النظام ، من أجل القيام بمسؤولياتنا تجاه هذا المشروع الذي ورثناه من أئمتنا عليهم السلام ومن رسول الله صلى الله عليه وآله ، والذي يأتي بدرجة الأهمية بعد الدولة الإسلامية . ومثل هذا المشروع لابد لكل مسلم أن يدافع عنه بأي نحو وأسلوب .

والى أرواح علمائنا وشهدائنا وأسلافنا الصالحين جميعاً ، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

(١) الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية من الصحن العلوي الشريف .

(٢) الأنفال : ٣٠ .

(٣) قال تعالى : ﴿ ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ فاطر : ٤٣ .

موقف الحوزة مما يجري في أفغانستان^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم : ماهو موقف الحوزة العلمية تجاه ما يجري من مذابح في أفغانستان ؟ .
سماحة السيد الحكيم :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج) ، والسلام على شهداء الاسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للاسلام وحتى هذا العصر ، والسلام على سادتي العلماء وإخواني المجاهدين ورحمة الله وبركاته .
في مواجهة الجيش الأحمر

ما يجري في أفغانستان يمثل ظاهرة سياسية مهمة في عالمنا الاسلامي ، وهو يرتبط بموضوع النهضة الاسلامية التي شهدها عالمنا الاسلامي ، لا سيما انطلاق هذه الثورة في هذا البلد الكريم ، الجمهورية الاسلامية .

وما يجري في أفغانستان يمثل امتداداً للصراع الذي وقع في هذا البلد بين أبناء الشعب الأفغاني المسلم ، وبين الحكم الشيوعي الماركسي الذي سيطر على أفغانستان ، حيث تدخل الجيش الأحمر في أيام الاتحاد السوفياتي الذي كان في أوج قوته وقدرته آنذاك .

واقترن هذا الموضوع بانتصار الثورة الاسلامية في إيران ، ووجود النهضة الاسلامية في العالم الاسلامي ، حيث إنعكس هذا الانتصار على أفغانستان ، الأمر الذي أدى الى أن يقف أبناء الشعب الأفغاني بكل طوائفه وقومياته وقفة واحدة في مواجهة الحكم الماركسي ، وتدخل الجيش

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الاربعاء ١٢ / ٨ / ١٩٩٨م ، المصادف ١٩ / ٤ / ١٤١٩هـ . ق ، ٢١ / ٥ / ١٣٧٧هـ . ش ، في مكتبته بمدينة قم المقدسة حيث تناول فيه الاوضاع الجارية في افغانستان .

الاحمر .

وكان الجيش الأحمر يعتبر أقوى جيش في العالم في ذلك الوقت ، بما يملكه من امكانيات وعدد وتدريب وممارسة في القتال ، مضافاً الى أن الاتحاد السوفياتي كان مجاوراً لأفغانستان ، ولم يكن هناك فاصل بينه وبينها حتى يحتاج الجيش الأحمر في تدخله الى عبور مناطق عن طريق الجو أو البر ، ليصل الى أفغانستان .

وهناك مجموعة من دول آسيا الوسطى التي استقلت أخيراً عن الاتحاد السوفياتي - والتي كانت سابقاً جزءاً من أفغانستان من قبيل طاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان - تجاور أفغانستان ، وفي الوقت نفسه كان الاتحاد السوفياتي الى جانب افغانستان ، لأن ايران - قبل انتصار الثورة - كانت تعتبر قاعدة من القواعد الأمريكية التي تتمركز فيها أجهزه التجسس والمراقبة على الاتحاد السوفياتي .

ويوجد هناك إعداد لمواجهة الاتحاد السوفياتي ، إذا أراد أن يمتد نحو المياه الدافئة ، أي مناطق الخليج ، وبحر العرب ، والمحيط الهندي ، والتي يمكن أن يصل إليها الاتحاد السوفياتي عن طريق افغانستان أو بلوجستان ، أو عن طريق باكستان ، لأن بلوجستان منطقة ترتبط بايران وأفغانستان وباكستان .

الشعب الافغاني والاحتلال السوفياتي

وكان الغرب يخطط لمواجهة الاتحاد السوفياتي في هذه المنطقة ، من خلال الشعب الأفغاني المسلم ، فقد قام الغربيون بامداد الشعب الأفغاني بالسلاح وبعض الامكانيات من خلال باكستان ، ولكن الشعب الأفغاني تحمل هذه المسؤولية بصورة أساسية ، وقاتل انطلاقاً من الاسلام ومفاهيمه ، ولذلك كان للصحوه والثورة الاسلامية دور بارز ، بالرغم من التحولات السياسية والعسكرية التي كانت لصالح الاتحاد السوفياتي ، باعتبار أن ايران تحولت من قاعدة امريكية الى قاعدة اسلامية .

ولكن مع ذلك نلاحظ أن روح الثورة الاسلامية كانت أقوى من السلاح الذي يملكه الاتحاد السوفياتي ، وتمكن الشعب الافغاني - بعد أن قدم مليوناً ونصف المليون شهيد - أن يحقق انتصاراً عظيماً على الجيش الأحمر ، فاضطر الاتحاد السوفياتي أن يعلن انسحابه من أفغانستان ، فسقطت الحكومة الماركسية فيما بعد ، وتعلم المجاهدون الأفغان الحكم في أفغانستان .

القتال بين المجموعات الأفغانية

وهنا بدأت مأساة وكارثة - كما نشاهدها الآن - وذلك بسبب الاختلاف ، فالمجاهدون الذين يتحدون بشكل عام ، ولا يوجد اختلاف بينهم أيام قتال الاتحاد السوفياتي ، لأن الموقف العام الذي كان يجمعهم هو مواجهة الكفر والالحاد والطغيان ، وإذا بهم يختلفون الى حد أن يتقاتلوا بنفس الأسلحة التي حصلوا عليها من الاتحاد السوفياتي .

فعندما سقط الحكم الأفغاني كانت أفغانستان قد امتلأت بمختلف الأسلحة - من البندقية الى صواريخ أرض أرض الضخمة - التي كانت قد أعدت من قبل الحكم الشيوعي وقد توزعت هذه الأسلحة بين المجموعات الأفغانية .

وعندما كنت في زيارة بيت الله الحرام ، زارني سفير المملكة العربية السعودية في أفغانستان ، وتحدث عن الأوضاع في كابل ، في الوقت الذي كان فيه الصراع على أشده بين المجموعات الأفغانية ، فقال : إن هؤلاء الذين أتصل بهم كلهم بين حافظ للقرآن الكريم أو حافظ للسنة النبوية ، وهم يستشهدون بالآيات الكريمة والروايات ، ولكنهم مع ذلك يتقاتلون فيما بينهم أشد القتال .

ثم قال : الحمد لله رب العالمين إن الصواريخ الضخمة - الآن - تحدث يد أحد العلماء الشيعة وهو آية الله الشيخ محمد آصف محسني ، وهذا عنده مقدار من التقوى والاحتياط ، ولا يسمح بأن تُستخدم هذه الصواريخ في قتل الناس وهدم المدن .

وقد تطور القتال بين المجموعات الأفغانية ، وبقي الاختلاف عميقاً ، وهذا الاختلاف ليس له أي مضمون شرعي أو سياسي ، وإنما هو مجرد إختلاف ذاتي يعبر عن هوى في السلطة والهيمنة ، والمسألة الأساسية التي كانت بين هؤلاء هي مسألة الحصص ، فكل واحد من هؤلاء كان يقاتل من أجل أن تكون حصته أكبر من الآخرين ، وقد تستثنى بعض المجموعات وبعض الأشخاص ، ولكني أتكلم من الحالة العامة .

والخطر الذي كان يواجه أفغانستان والمنطقة بشكل عام ، كان يواجهه أتباع أهل البيت (عليه السلام) بشكل خاص ، وهو أن تأتي حكومة أفغانية تحت شعار الاسلام ، ويقودها جماعة يسمون أنفسهم بالمجاهدين ، ولكنها في الوقت نفسه متعصبة ولا تفهم من الاسلام إلا العناوين والشعارات والأسماء .

وقد عقد مؤتمر من أجل أفغانستان في طهران قبل سقوط الحكم الماركسي، وطلب مني الحديث فأشرت الى هذا الخطر وحذرت المجموعات الأفغانية من مواجهة مثل هذا الأمر في أفغانستان، كما حذرت دول المنطقة من خطورة هذه النتائج.

حركة طالبان مشروع غربي

وقد حصلت الآن تطورات بسبب دخول جماعة الطالبان، والتحرك السريع الذي حصل لهذه الجماعة والاستيلاء على أفغانستان، وتهميش أكثر القوى المجاهدة التي كانت موجودة أيام القتال مع الاتحاد السوفياتي والحكم الماركسي.

وطالبان لم يكن لهم أي دور في هذا القتال، وفي تحرير أفغانستان من قضية الاتحاد السوفياتي، وانما كانوا خارج البلاد ونُظموا من قبل الحكومة الباكستانية، وأدخلوا من أجل أن يملؤوا الفراغ الذي حصل بسبب الاختلاف الواسع بين المجموعات الأفغانية.

وهذه المجموعة تُعبر عن مشروع غربي، وله دول في المنطقة تؤيده، وهو مشروع له بعدان: البعد الأول: وهو اقتصادي يرتبط بدول آسيا الوسطى والامكانات الموجودة فيها، فهل تكون مرهونة بما يسمى بطريق الحرير؟ ويكون العبور من آسيا الى الخارج عن طريق ايران، كما هو مقتضى المنطق الطبيعي الجغرافي؟ أو يكون لها طريق آخر، وهو عن طريق أفغانستان، ومن ثم باكستان، فالوصول الى البحر عن طريق باكستان، لأن أفغانستان ليس لها سواحل على البحر؟. هذه هي القضية الاقتصادية المركزية المطروحة، وتوافق كل من الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبار موقفها من الثورة الاسلامية، وبباكستان، باعتبار وجود المصالح الباكستانية في هذا المجال، التي تعتبر هذه القضية حيوية بالنسبة الى اقتصادها وتطورها ونموها، وقدرتها على مواجهة الأخطار القادمة من الهند، لأنها تعتبر محاصرة من الهند من ناحية، والثورة الاسلامية من ناحية أخرى: ومن ثم فهي ترى أن وجود الطريق من اسيا الوسطى يسمح لها بتطور اقتصادي كبير.

وبباكستان ترى أن لها حق وراثه الحكم الماركسي، لأنها كان لها الدور الأكبر في اسناد المجاهدين الأفغان والاطاحة بهذا الحكم. وهذا الجانب الاقتصادي يجعل باكستان تضع كل ثقلها الى جانب حركة طالبان من أجل أن تستولي هذه الحركة على كل مقدرات البلاد.

وهناك تحليلات سياسية تقول: إن حركة طالبان - بعد سقوط كل أفغانستان بيدها - سوف

لا تبقى على هذا المستوى ، وإنما سوف تكون هناك تصفيات في داخل الحركة ، من أجل الوصول بالحكم إلى الأهداف الكاملة التي تسعى إليها الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان .

البعد الثاني : وهو الأخطر على المسلمين ، وهو تقديم مثال مشوه عن الاسلام للعالم الاسلامي وللعالم الغربي ، فبعد انتصار الثورة الاسلامية حدثت صحوّة ونهضة اسلامية في كل العالم الاسلامي ، وذلك من خلال المثال المشرق الذي قدمته الثورة الاسلامية في ايران ، وهو مثال ثورة يقودها عالم رباني يفهم الاسلام بمعناه الصحيح ، هذا الاسلام النقي المأخوذ من أهل البيت عليه السلام ، والذي يهتم بقضايا المستضعفين والمحرومين ، مضافاً إلى اهتمامه بالشعائر والعبادات .

وقد تمكّن هذا المثال أن يجذب كل المحرومين في العالم ، والآن يُراد أن يضرب هذا المثال من خلال تقديم مثال آخر ، وهذا ما صنعه الاستكبار العالمي بعد الحرب العالمية الثانية عندما أسقط الخلافة العثمانية في تركيا ، وحاول أن يُقدم مثلاً مشوهاً للإسلام من خلال الحكومات التي حكمت في العالم العربي باسم الاسلام .

والآن يراد تقديم نفس ذلك المثال الذي يهتم بالشكل دون أن يكون هناك أي مضمون حقيقي ، فطالبان عندما يدخلون لأي بلد فهم يهتمون بالقضايا الشكلية ، بأن يكون الرجل حليق الرأس ، وأن تكون لحيته بمقدار القبضة ، وإذا كانت أقل فهي غير شرعية ، وغير ذلك مما يرتبط بحجاب المرأة ، وهم يتمسكون بذلك تمسكاً شديداً .

أما القضايا الأخرى كقضية المخدرات التي تعتبر من أخطر القضايا التي يواجهها العالم فلا يهتمون بها ، ومركز المخدرات في منطقة الشرق هو هذا المثلث الذي يقع بين أفغانستان وباكستان وايران .

وقد نما انتاج المخدرات في افغانستان نمواً كبيراً عندما سيطر طالبان على مناطق أفغانستان ، باعتبار أنه يمثل ثروة ، وهم يشجعون على انتاج المخدرات وبيعها للعالم .

وأذكر هنا أن أحد القادة في ايران كان يتحدث عن المخدرات وخطورتها ، فقال : في أول أيام الثورة طُرح على الامام عليه السلام فكرة أن نقوم بتسهيل عبور المخدرات إلى أوروبا ، وبهذا نحصل على أموال كثيرة جداً من خلال عملية الترانزيت هذا أولاً ، وثانياً : نحارب أربا التي تقوم بالعدوان على الثورة الاسلامية من خلال المخدرات .

فرفض الامام عليه السلام مثل هذا الاسلوب رفضاً قاطعاً ، وقال : صحيح بهذه الوسيلة تتمكن أن

نضعف أوروبا، ولكنها وسيلة غير شرعية، وهي أسلوب غير شريف، فلا يمكن أن نستخدمه.
وأما طالبان فيعتبرون هذه الاداة الرئيسية التي يعتمدون عليها في تأمين أوضاعهم،
ويقدمون مثلاً سيئاً للعالم الاسلامي.

وشعوب العالم الاسلامي، من المثقفين والطلاب والشباب عندما يقدم لهم الاسلام بهذه
الصورة المشوهة الجامدة التي لا تعرف من الاسلام غير الالفاظ والشعارات، فلا شك أنهم سوف
ينفرون من هذا الاسلام، فضلاً عن الشعوب الأخرى غير الاسلامية التي ترى الاسلام هذه
الرؤية، وتفهم منه هذا الفهم.

الهدف الغربي من مساندة طالبان

والغرض من تقديم نموذج طالبان هو القيام بأخبث عملية في المنطقة، ويراد منه عدة أمور:
الأمر الأول: التعريض ضد الجمهورية الاسلامية، لأن المناطق الحدودية بين أفغانستان
والجمهورية الاسلامية يسكنها إخواننا أهل السنة، وسوف تحدث قلاقل واضطرابات في هذه
المنطقة، بسبب التطورات التي يمكن أن تنشأ من وجود هؤلاء.

الأمر الثاني: التخطيط للصراع الطائفي من قبل الاستكبار العالمي، فالبريطانيون خططوا
لهذا الصراع في شبه القارة الهندية، بين الهند وباكستان، وسوف يوجع هذا الصراع بشكل واسع
وكبير في أفغانستان.

وأعتقد - على المستوى البعيد - أن باكستان سوف تكون الضحية الأخرى بعد
أفغانستان، وليست ايران كما يريدون، وإن شاء الله سوف لن يبقى طالبان حتى لا نرى هذا الأمر.
ولكن لو قدر الله بقاءهم في افغانستان، فسوف تكون باكستان هي الضحية الثانية من خلال
تأجيج الصراع الطائفي.

وهناك صراع طائفي تقوده بعض المجموعات، لكنها لم تتمكن أن تحول الحالة الباسكتانية
الى هذا الصراع، وهذه المجموعات تسمى بجيش الصحابة، وهم يكفرون الشيعة علناً ويقتلونهم،
ويتجربون على سب أئمة أهل البيت (عليه السلام)، ولا سيما الامام الحجة (عج) وينصبون العداء للأئمة.

واذا تمكن هؤلاء فسوف تشتد الحالة، بحيث يصبح الصراع الطائفي كبيراً جداً، ومن ثم فإن
باكستان التي تعتبر أهم البلدان الاسلامية، ولا سيما بعد حصولها على القدرة النووية، سوف تكون
الضحية الأخرى لهذا الاسلام المشوه.

الأمر الثالث : قع أتباع أهل البيت داخل أفغانستان ، لأن إحدى المجموعات الرئيسية التي تمكنت أن تهزم طالبان في مزار شريف في العام الماضي هم أتباع أهل البيت عليه السلام ، وطالبان يرون أن شيعة أهل البيت كفار ولا بد من تصفيتهم ، وهم يطاردون الانسان لقصر لحيته وطول شعره ، فكيف بمن يروونه كافراً ، وخارجاً عن الاسلام ١١ .

وإذا ثبتت هذه الحالة في أفغانستان ، فسوف يكون لها مردودات كبيرة على العالم الاسلامي ، لأن الكثير من بلدان العالم الاسلامي مرشحة لمثل هذا النوع من الانحرافات .
ففي الجزائر توجد مجموعات تفكر بنفس هذه العقلية ، وكثير منها هي التي ترتكب المجازر الآن ، كما ترتكب الحكومة المجازر أيضاً ، فهناك فعل ورد فعل بين الحكومة وهذه المجموعات التي تقتل بدون حساب .

وفي مصر والعراق بدأت الآن حركة واسعة تغذيها جهات بالأموال والتخطيط ، ومن ثم فيحتمل أن يكون هناك تفجير في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، وهذا كله يخدم المصالح الغربية .

الجوانب المشرقة في العالم الاسلامي

ونحن بعد الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وأن قدرته فوق كل شيء ، نقول : إن هناك عدة عوامل يجب أن نأخذها بنظر الاعتبار لمواجهة هذه الظاهرة ، بحيث تفتح آمالاً وآفاقاً في مواجهتها ، وإن كانت الصورة بائسة ، ويغلب عليها شيء من التشاؤم بسبب الأخبار الاخيرة ، ولكن مع ذلك توجد جوانب مشرقة في حالة العالم الاسلامي ، وهنا يأتي دور الحوزة والعلماء في مواجهة هذه الحالة ، وهذه الجوانب هي :

أولاً : إن الشعب الأفغاني شعب مقاتل ، وقد أثبت ذلك في مواجهته للحكم الماركسي وللجيش الاحمر الروسي ، وأفغانستان - من حيث الجغرافية - منطقة معقدة ، وفيها الكثير من الجبال والوديان والمناطق المنيعه ، التي يمكن للمقاتلين بامكانات بسيطة أن يصمدوا لفترة طويلة .
وطالبان وإن كانوا إستولوا على أفغانستان ، إلا أنهم استولوا على الطريق الرئيسي الذي يدور في أفغانستان ، واستولوا على المناطق ، ولكن المناطق الأخرى لا تشملها شبكة الطرق ، وهي كثيره جداً ومنيعه ، ولم يتمكن طالبان من الدخول الى تلك المناطق بعداتهم التي يمتلكونها ، وتوجد في هذه المناطق مقاومة كبيرة جداً ، وقسم من هذه المناطق يسكنها أتباع أهل البيت عليه السلام ، وقسم يسكنها الطاجيك والأوزبك ، وهم مصنّفون كجماعة في مقابل حركة طالبان .

ثانياً: إن الصحوۃ الاسلامیة بعد انتصار الثورة الاسلامیة أصبحت عالیة الدرجة، فلا یمكن هذه الحكومة مهما استخدمت من أسالیب القوة والقسوة أن تصمد أمام هذه الصحوۃ.

وقد تمكن هؤلاء - لأسباب عديدة - أن یحققوا انتصارات وقتیة، ولكن على المدى البعید لا یمكن لهذا المثال المشوۃ للاسلام أن یصمد أمام الصحوۃ الاسلامیة.

ثالثاً: لابد أن تتحمل الحوزات العلمیة دوراً كبيراً جداً، وأنا أقول - من خلال مباحثة وأحادیث مع القادة الأفغان، لاسیما العلماء منهم - : إن الحوزة العلمیة فی المرحلة الأخيرة كان موقفها غیر واضح، وهنا لابد أن یكون لها موقف واضح، لأن الخطر الذي یشكله الطالبان على الاسلام، وعلى جماعة أهل البیت كبيراً جداً، ویمكن أن تقوم الحوزة بأمر:

واجبات الحوزة فی مواجهة حركة طالبان

الأول: أن یكون الحكم من قبل الحوزة العلمیة حكماً واضحاً، ولابد من بیان الموقف الشرعی الواضح تجاه هذا الحدث، وهذا من مسؤولیات العلماء، فلا بد أن یبینوا هذا الأمر، وعندما یبین فسوف یكون له تأثير كبير جداً على الشعب الأفغانی، لأن هذا الشعب مستدین ومرتبط بالاسلام، وعندما یكون هناك حكم واضح فسوف یكون له تأثير كبير.

الثانی: من الممكن أن تقوم الحوزة العلمیة بتعبئة كبیره جداً فی أوساط الافغانیین، والأوساط الاسلامیة بشكل عام من أجل بیان خطر هذه الظاهرة.

الثالث: توعية المسلمین، و بیان الاسلام الأصل لأن قضیة الاسلام تبقي قابلة للتشویه، والقرآن الکریم أشار الى أنه فیہ آیات متشابهات ﴿ وأخر متشابهات فأما الذین فی قلوبهم زیغ فیتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأویلہ ﴾ (١).

فالاسلام دائماً يواجه محاولات التحریف والزیغ والتضلیل من قبل أولئك الجماعة، والحوزة العلمیة هی التي تقوم بدور توضیح الصورة الناصعة المشرقة للاسلام، لكي یكون لهذا التوضیح أثر فی المسلمین.

أما أن یفهم الاسلام من خلال بعض المظاهر فهذا غیر صحیح، كما نرى ذلك فی الكثير من أوساطنا، حیث ینظر البعض للاسلام من هذه الزاویة فقط، وعندما یرید أن یحكم على ظاهرة اسلامیة، فإنه یحكم علیها من خلال هذه المظاهر.

نعم قد تكون هناك بعض المظاهر كالتقص في الحجاب ، أو مخالفات في بعض الممارسات والسلوكيات الفردية في المجتمع ، فكل هذا محرم ولا نريد أن نقلل من أهميته ، ولكن عندما نريد أن نحكم على الاسلام فلا نحكم عليه من خلال هذه المخالفات المحدودة ، بل يجب أن نحكم عليه من خلال النظر الى الأبعاد المتعددة ، ومدى مطابقتها للاسلام .

والامام عليه السلام في أحاديثه وخطابه الثقافي والسياسي قام بعمل مهم وعظيم من أجل توضيح الصورة الصحيحة للاسلام ، وكذلك البيانات التي يصدرها ولي أمر المسلمين (حفظه الله) ، ويتحدث فيها عن هذه الابعاد .

فالحوزة العلمية لابد أن تولي هذا الموضوع أهمية خاصة ، فهي تقوم بواجبات كثيرة في موضوع الدراسات والعلوم والاستنباط ، ولكن هذا من الجوانب المهمة التي تجب أن توليها أهمية خاصة ، من أجل تنوير المسلمين وتعريفهم على أبعاد الاسلام وحقائقه .

ولا شك أن هذا العمل سوف يكون له تأثير مهم جداً في مواجهة هذه الظاهرة ، لأنها وإن كانت ظاهرة محصورة في أفغانستان ، ولكن سوف يكون لها - إذا ثبتت - آثار سلبية واسعة ، بحيث تشمل كل العالم الاسلامي .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا ، وكل العلماء والخطباء والمبلغين الى القيام بمسؤولياتنا وواجباتنا تجاه الاسلام ، ولمواجهة هذا النوع من الظلم ، والله ولي النصر والتوفيق والسداد ، وهو نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين .

والى أرواح شهدائنا وعلماؤنا والماضين من أسلافنا رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

الحوزة العلمية والثقافة السياسية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، والصلاة والسلام على سيدتنا ومولاتنا الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ، والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج) ، والسلام على شهداء الاسلام في كل مكان ، والسلام على سادتي وإخواني وأعزائي ورحمة الله وبركاته .

﴿ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾^(٢) .

المقدمة

في هذا اللقاء مع السادة الأفاضل وأبنائنا الاعزاء في بداية العام الدراسي للحوزة العلمية ، وفي الأجواء السياسية المتفجرة في عالمنا الاسلامي ، ولا سيما الأحداث الأخيرة التي شهدتها أفغانستان - وكانت تظاهرة هذا اليوم تعبيراً عن التجارب مع هذه الأحداث - يجد الانسان أمامه مجموعة من الآفاق للحديث .

وباعتبار أن هذا لقاء محدود بزمته ، وله موضوع خاص ، لذلك أحاول أن أتحدث فيه حول عدة نقاط يجمعها عنوان واحد ، وإن كان يتفرع عنها عدة قضايا .

والعنوان هو الحوزة العلمية والثقافة السياسية ، وهذا الموضوع ينسجم مع كل هذه المناسبات ، سواء اللقاء مع الأخوة الأعزاء في هذه المدرسة التي تمثل امتداداً لمنهج وراثته عن الصالحين من أسلافنا وأئمتنا عليهم السلام ، وتتمثل في العصر الحديث بمرجعية الإمام الحكيم عليه السلام وتأسيسه

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) في يوم الأربعاء ١٦ / ٩ / ١٩٩٨ م ، المصادف ٢٤ / ٥ / ١٤١٩ هـ . ق ، ٢٥ / ٦ / ١٣٧٧ هـ . ش في مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية في مدينة قم المقدسة .

(٢) يوسف : ١٠٨ .

لمدرسة دار الحكمة ، أم في مناسبة العام الدراسي الجديد ، وإن كانت الموضوعات والمضامين - عادة - رتيبة تتكرر في كل عام ، وكذلك يتناسب مع الأحداث السياسية الكثيرة ، وإن كان الوضع في أفغانستان يتميز بأنه شديد الحرارة ويقرب من الانفجار .

الأبعاد المختلفة للقضية العراقية

والاحداث في العراق منذ عدة سنوات ، وما يجري فيه من مآسٍ يعرفها العراقيون قبل غيرهم ، تشبه الى حد كبير من حيث محتواها ومضمونها السياسي والانساني والعقائدي ما يجري في أفغانستان .

وعندما قلت : المضمون السياسي والانساني والعقائدي ، فأعني أشياء خاصة لكل عنوان منها ، فما يجري في أفغانستان له أبعاد كثيرة تتلخص بهذه الأبعاد الثلاثة ، ويمكن أن تتشعب عنها أمور كثيرة .

ففي عراقنا الجريح ومنذ مجيء هذا النظام الحاكم في بغداد ، وما قبله نجد هذه الأبعاد قائمة في أوضاعنا السياسي والاجتماعية والثقافية والانسانية .

فهناك بُعد يرتبط بالقضية السياسية ، لأن علماء أهل البيت الذين عُرفوا بالاتزان والتعقل والحكمة ، والالتزام بالهدي الالهي - من خلال القرآن الكريم وسيرة أهل البيت (عليه السلام) - في تعاملهم مع هذه القضايا ، اضطروا الى الدخول في مرحلة نسميها بالمرحلة الجهادية والقتالية ، لأنهم لا يرون أمامهم إلا أن يقاتلوا النظام من أجل أن يحفظوا الاسلام والدين ، وهذا تعبير عن وضع سياسي خاص ، ورأينا كيف جرت الدماء الطاهرة في العراق تعبيراً عن البعد السياسي في مرحلة المواجهة .

وهكذا فيما يتعلق بالجانب الانساني ، وما يجري من امتحان لكل القيم والمثل الانسانية ، وانتهاك لكل الحرمات واستهتار بكل الضوابط والقوانين التي عرفها الانسان في تاريخه ، ونجد لما يحدث في أفغانستان صورة من القتل الفضيع الذي جرى في عراقنا تحت الستار ، وفي طي الكتان ، وبعيداً عن الأنظار والوسائل الاعلامية .

الصراع العقائدي

ونفس الشيء يمكن أن نقوله في البعد العقائدي ، لما يجري هنا وهناك ، كقضية الصراع بين الاسلام والكفر ... بين الصحوة والحضارة الاسلامية التي كتب الله لها أن تبقى وتستمر حتى تملأ

الأرض وترثها - كما أكد على ذلك القرآن^(١) - وبين الكفر العالمي المتمثل بالغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية .

وما يجري في أفغانستان والعراق والجزائر ، وفي مناطق أخرى من العالم الاسلامي تعبير عن هذا النوع من الصراع ، الذي يأخذ أشكالاً وأساليب ومراحل تدخل فيها كثير من التعقيدات والخصوصيات ، التي تمثل هذه المصلحة أو تلك ، ولكن أصل الصراع هو تعبير عن هذه الحقيقة . ومن هنا أطلق في حديثي ، وسوف أتناول هذا الموضوع باختصار على طريقة الإثارة ، لأن اللقاء لا يستوعب أكثر من ذلك .

الثقافة السياسية

هناك عدة نقاط أشير إليها من أجل تكميل الصور في موضوع الحوزة العلمية والثقافة السياسية ، وهي كالتالي :

النقطة الاولى : وهي ترتبط بموقع الحوزة العلمية في النظرية الاسلامية ، ولا سيما في رؤية أهل البيت عليهم السلام ، التي تعبر عن الرأي الاسلامي الأصيل ، ومن ثم فهي تعبير عن الحق بكل ما تعنيه هذه الكلمة .

فالحوزة - على ما يبدو - تأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهمية في سلسلة المؤسسات والكيانات بعد الدولة الاسلامية ، وفي غياب الدولة الاسلامية نجد أن الحوزة العلمية تأخذ موقع الدولة في إدارة المجتمع والأمة الاسلامية ، والتعامل مع ظروف الامة حسب إمكاناتها وقدراتها المتيسرة ، وهو ما يعبر عنه بـ (بسط اليد) .

ومن خلال هذا الدور الخاص ، تمكنت الحوزة أن تحقق إنجازات عظيمة في تاريخ الاسلام ، منذ الغيبة الكبرى للامام الحجة (عج) وإلى يومنا الحاضر ، وذلك باعتبار المواصفات والخصائص التي تتمتع بها والتي يتم التأكيد عليها دائماً ، وهي العلم والمعرفة والتقوى والورع ، والصبر والصمود وتحمل الآلام والمعاناة في هذا الطريق ، والاحساس بالمسؤولية تجاه قضايا الامة ، والحرية في التفكير والبحث والتحقيق الذي يعبر عنه بفتح باب الاجتهاد ، واستمراره مفتوحاً في حوزاتنا العلمية ضمن الإطار العام والضوابط العامة ، التي وضعها الاسلام ، وبمجموع هذه

(١) اشارة الى قوله تعالى ﴿وَوَرِثُهُ أَنْ تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ، القصص : ٥ .

الخصائص كانت للحوزة هذه الآثار والنتائج والانجازات التي حققتها في كل تاريخها .
مسؤوليات الحوزة العلمية

النقطة الثانية : التذكير بمسؤوليات هذه الحوزة ، باعتبار أن للحوزة هذا الموقع الخاص ، فهي تتحمل مسؤوليات عظيمه ، وباعتبار اهتمامها وقيامها بهذه المسؤوليات عبر التاريخ تمكنت أن تحقق هذه النتائج .

وإحدى هذه المسؤوليات هي المحافظة على الاسلام والعقيدة الاسلامية والفقه الاسلامي ، وذلك من خلال المحافظة على 'منهج الاجتهاد الصحيح' ، الذي رسمه أهل البيت عليهم السلام . لأن الاسلام ليس كتاباً يحفظ وإنما هو عبارة عن تراث واسع وكبير ، نجده في القرآن الكريم محفوظاً بنصه كما نجده في شروح القرآن ، وفي ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، ونجده في كتابات ومؤلفات العلماء والمحققين .

والمحافظة على 'حقيقة الاسلام' إنما تكون من خلال المحافظة على 'خط الاجتهاد' ، لأن الاجتهاد هو الذي يوصلنا الى الاسلام وفهمه ، لأن الفاصل الزمني بيننا وبين نزول الوحي الالهي ، أو بيننا وبين نَقْلَ الوحي - وهم النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت - واسع وكبير ، وإن كان الامام الحجة (عج) لا زال يعيش في زماننا ، ولكن من حيث الاتصال والنقل والآخذ يبق الفاصل هو مبدأ الغيبة الكبرى وحتى عصرنا الحاضر .

وهذا الفاصل لا يمكن أن تصله إلا من خلال مدرسة الاجتهاد ، ومنهجه الصحيح ، ولذلك كان تأسيس الحوزات العلمية والاهتمام بايجادها أحد أهداف أهل البيت عليهم السلام الرئيسية .
وعندما بدت بعض المعالم مما يمكن أن نعبر عنه بغض النظر أو الاهمال لهذه المدرسة ، كما تراه في ظاهرة الاخبارية - وإن كان لم يحصل تعميم كامل لخط الاجتهاد ، وإنما كان هناك تقليل من أهميته - وجدنا أن هناك تحولات كبيرة حصلت في العالم الاسلامي باتجاه التخلف والابتعاد عن الأهداف التي وضعها الاسلام أمام الحوزة العلمية .

وهناك بعض الآثار التاريخية موجودة ، ولكن لم تتم دراستها بصورة كاملة ، وأتذكر هنا حديث السيد الشهيد الصدر رحمته الله عندما كان يحلل هذه الظاهرة فيقول : إذا أردنا أن ننظر الى تاريخ العالم الاسلامي ، ووجود حالة الصحوة أو التخلف فيه ، نجد أن إحدى المقارنات التي حصلت في هذا التاريخ هي : وجود حالة التخلف في المجتمع الاسلامي مقارنة بظهور هذه المدرسة .

إذن، فحركة الاجتهاد ليس مجرد أن يصل الانسان للحكم الشرعي، وإن كانت هذه قضية مهمة، وإنما لها آثار واسعة وكبيرة أوسع من ذلك، وإنما الحكم الشرعي من أجل العمل، أو كما يُقال: العلم للعمل.

والحكم الشرعي دائماً يدعو المجتمع الى التكامل والرقى، سواءً في حركة الفرد الذاتية في تكامله نحو الله سبحانه وتعالى، أم في حركة المجتمع في تكامله الاجتماعي والانساني.

مسؤوليات طالب الحوزة

وهذا الهدف يجبرنا للحديث حول المدرسة، وبداية العام الدراسي، فأنا أقدر عواطف ومشاعر السادة الأفاضل والأخوة الأعزاء، وأشكرهم على ما أبدوه من محبة ولطف، فأقول: إن أفضل شيء يتصف به المسلم هو أن يخدم الشريعة، فالاستاذ والطالب وأي شخص ينبغي أن يضع أمامه هذه القضية، وهي: كيف يمكن لهذه الحركة العلمية وهذه الحوزة أن تستمر في هذا الطريق، وتؤدي الواجب، بأن تبقى حركة الاجتهاد قائمة؟

فقد يرى الانسان نفسه مؤهلاً لأن يصل لهذا المستوى من العلم، أو يرى أمامه بعض الواجبات قد تعيقه عن الاستمرار في هذا الطريق، ولكن يبقى منهج الاجتهاد الصحيح ومدرسته، وما يمكن أن يحققه هذه المدرسة قضية تبدأ من البذرة، ومن نقطة الخط المستقيم الذي نريد أن نسير فيه.

وقد لا يصل الانسان لدرجة الاجتهاد، ولكنه يبقى محافظاً على منهجه وأسلوبه ودقته في الفهم، والتحصيل والجد وتحمل الأعباء، وبهذه القضية يتقرب الى الله ويؤدي واجبه الشرعي الملقى على عاتقه كشخص منخرط في الحوزة العلمية ومنتسب لها، ويؤدي بها خدمة كبيرة لأُمَّته ومجتمعه، وكل هذه الأبعاد يمكن أن تتحقق من خلال ذلك.

ولذلك أوصي الأخوة الأعزاء أن تكون أمامهم هذه الرؤية وهذا الهدف منذ البداية، وأن يكون كل واحد منا لديه الاستعداد والارادة والتصميم على مواصلة هذا الطريق. وهذا هو جهادكم في هذه المرحلة، فجهاد الطالب لا بد أن يبدأ بمثل هذه الارادة، ويتحرك بمثل هذا الجد والعطاء والصبر والتحمل للوصول لهذه الاهداف.

والقضايا التي توضع هنا كأوقات الدرس، وضوابط الدخول والخروج والغياب إنما يراد منها تنظيم هذه العملية، وليست أحكاماً شرعية نزل بها الوحي الالهي، وإنما وضعها الانسان،

لأنه مكلف أن يضع مثل هذه القضايا التنظيمية في هذه الحركة، وعندئذٍ لا بد للاخوة الأعزاء أن يلتزموا بمثل هذه الضوابط .

وقد يقال : إن الكثير من المجتهدين وصلوا الى هذه الدرجات العالية من العلم دون أن يروا بهذه الضوابط ، فأين موقع هذه الضوابط من هذا الهدف ؟ .

هذا الكلام صحيح ، ولكن ذلك في الحالة الاستثنائية في حركتنا ، وهذه الحركة بعد هذه الدراسة ، وبعد أن أصبحت متطورة وواسعة وشاملة ويراد منها أن تحقق أهدافاً كبيرة ، فهي تحتاج الى تطوير في تنظيم هذه العملية ، وقد يتمكن شخص أو اثنان أو ثلاثة بطريقة ما من الوصول لهذه النتائج ، ولكن جماعة وأمة وحركة واسعة لا يمكنها أن تصل إلا من خلال إيجاد هذه الضوابط والتنظييات .

وهذا شبيه بما نراه في تنظيميات السير في الشوارع ، فإذا كانت في الشوارع سيارات قليلة ، قد لا نحتاج للضوابط المرورية ، ولكن عندما تصبح الحركة واسعة تحتاج الى ذلك ، وبدونها تتحول القضية الى فوضى ، ولا يمكن أن تحقق حركة السير أهدافها .

نعم ، بعض الناس يتمكن أن يقفز هنا وهناك ويتفادى هذه الضربة فيصل الى مسكنه ، ولكن لا يمكن أن نفترض أن الحركة العامة تتم بهذه الطريقة ، فأرجو من الأخوة الأعزاء أن يأخذوا هذه الضوابط أخذاً جدياً ومهماً في هذه المسيرة .

والواجب الآخر هو نشر الهدى والصالح بين الناس ، وذلك من خلال تعليمهم الاحكام الشرعية ، وتوعيتهم وتطوير فهمهم للاسلام ، وإشعارهم بالمسؤولية .

ولذلك يجب أن تعد الحوزة العلمية نفسها إعداداً حقيقياً للقيام بهذا الواجب ، سواءً بأسلوب الخطابة ، والاخلاق الاجتماعية ودراسة الدخول في المجتمع وكيفية الخطاب معه ، أم في السلوك الشخصي للانسان ، كيف يلبس ؟ وكيف يشرب ؟ وكيف يتعامل مع الناس ؟ وهذه قضية مهمة في تحقيق الهدى وإيصال هذا الواجب .

وقد يرى بعض الناس أن هذا الواجب يتحقق من خلال أمور معينة ، ويغفل عن أمور أخرى ، ونحن نضع رسول الله ﷺ قدوة أمامنا ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ ^(١) ، ونضع أمامنا أئمة أهل البيت عليه السلام والمراجع العظام

الذين قرأنا حياتهم، أو عشناها وشاهدناها عن قرب، من أجل الاقتداء بهم.

وأود أن أؤكد على بعض الأمور فيما يتعلق بالسلوك الاجتماعي العام، فطلاب الحوزة - ولا سيما المتقدمين منهم - يلبسون الملابس الخاصة، وكان بعض الناس، وكذلك بعض التشكيلات السياسية والثقافية كانوا يقولون: إن هذه الملابس لم ينزل الله بها من سلطان، ولا يوجد بها نص شرعي، فلماذا هذا التقيد بها؟ ولماذا لا نلبس الملابس الأخرى؟

وكانوا - أحياناً - يتعمدون كسر هذه المفاهيم من أجل إعطاء تصور أن هذه القضية لا أصل لها من الشريعة، وأتذكر أن في بعض الأوساط عندما تقام صلاة الجماعة، ويوجد بعض الروحانيين، فإنه يتعمدون تقديم غير الروحاني لصلاة الجماعة، ويقولون: لا يوجد نص شرعي على أن يكون المعمم إمام الجماعة، فليكن غيره.

وهذه القضية لا أريد تناول تفاصيلها، ولكنها من القضايا المدروسة في العمل الاجتماعي، ولها أهمية كبيرة، وأحد معالم هذه الأهمية أن بعض الأخوة نراه يتهرب من هذه الملابس، باعتبار وجود هذه الخصوصية، فعندما يلبس الإنسان هذه الملابس فسوف يفرض على نفسه قيوداً كثيرة، لأنه سوف يُنظر إليه كمرشد وكقدوة، في كلامه ومشيته وضحكه وتعامله.

ومن ثم ترى أن هذا العمل منهج من مناهج التربية، والإنسان عندما يريد أن يربي بدنه على بعض الحركات فلا بد أن يقوم بتمرين واسع لذلك، وفي العمل الأخلاقي والروحي والنفسي يحتاج إلى أن يتقيد ويفرض على نفسه قيوداً وتمارين، من أجل أن يصل إلى ذلك المستوى، ويمكن أن نفسر الكثير من العبادات المستحبة بهذا التفسير.

إذن، فقضية الملابس ليست قضية شعار وتكثير للسواد، بحيث عندما يدخل الإنسان لهذه المدرسة يجد عدداً كبيراً من العمام - والأخوة إن شاء الله كلهم مشاريع حقيقية - وإنما هي قضية أن الإنسان عندما يريد أن يدخل لهذا الموضوع لا بد أن يمرن نفسه، ويمر بتجارب حتى يصل لهذا الهدف.

أتذكر أنني لبست العمامة في سن الثانية عشرة، وكنت متخرجاً من الصف الرابع الابتدائي، ومنه بدأت بدراسة العلوم الدينية.

نعم إن بيئتنا كانت علمية دينية تسمح بأن نلبس العمامة، ولو بهذا السن فنتقيد بكل القيود المفروضة على هذه العمامة، ونتكيف ونستفيد استفادة كبيرة من هذا القيد، سواءً في إحساسنا

بالمسؤولية ام في التزاماتنا العامة تجاه الأمة .

ولذلك أوصي الأخوة الأعزاء الذين يصلون الى درجة من المعرفة والفهم أن لا يتهيبوا من هذا الأمر ، ومن نصائح أمير المؤمنين عليه السلام التي يقدمها في الوصول للغايات والاهداف ، هي قوله : «إذا هبت أمراً فقع فيه فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه» ^(١) ، فعندما يخاف الانسان من لبس العمامة ، فليقع بهذا الأمر مع إرادة قوية بأن يسير في هذا الخط .

وهكذا موضوع الاختيار والانتخاب ، فالمرء في بداية حياته أمامه مسير واسع من الاختيارات ، ففي المدارس الحكومية عندما يتخرج من الثانوية توضع أمامه اختيارات عديدة ليختار أحدها ، فقد يختار العلوم الانسانية أو التجريبية ، وبعد ذلك يختار تخصصاً في هذه العلوم ، وكلما تقدم يوضع أمامه اختيار معين .

والطالب عندما لا يكون معمماً لا يعرف هل إن اختياره صحيح أم لا ؟ فهو يدرس ، ولكن ماهو مصيره ؟ فلا بد في مرحلة ما أن يتحدد إختياره ، وأنه يريد أن يتفرغ لهذا الأمر ، ويتحمل مسؤوليته ، ويرتبط بميثاق بينه وبين الله ، وبين أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وهذا يحتاج أن يعبر عن هذا الميثاق وهذا الارتباط ، كأن يبايع - مثلاً - وهذه البيعة تحتاج الى مظهر معين وهو اللباس .

والوظيفة الثالثة : هي الدفاع عن الاسلام والأمة الاسلامية ، وهذه من الوظائف الرئيسية التي تحملها الأنبياء والأئمة عليهم السلام حتى في حال غيابهم عن قيادة الحكم الاسلامي ، ومن واجب العلماء أن يدافعوا عن الإسلام وعن الأمة الاسلامية .

وإحدى المميزات التي إمتازت بها حوزتنا العلمية ، والتي جعلتها قادرة على الاستمرار والبقاء من ناحية ، وعلى تحقيق الانجازات من ناحية ثانية هو الالتزام بالوظيفة الشرعية ، وهي وظيفة الدفاع عن الاسلام والأمة الاسلامية .

وعندما تعرضت بلادنا الاسلامية في عراقنا المجرع للغزو العسكري البريطاني ، كان هناك إجماع من قبل العلماء والحوزة على مواجهته ، مع أنه قبل هذا الغزو بسنوات كان هناك اختلاف كبير في داخل الحوزة حول قضايا مرتبطة بالأوضاع السياسية ، من قبيل الصراع الذي يعبر عنه بالمشروطة والاستبداد .

ولا أريد أن أدخل في التفاصيل ، لأن بعضهم يبالغ في هذا الخلاف ، وهو ليس بهذه

(١) نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٠١ الكلمة رقم ١٧٥ .

الدرجة ، ولكن كان هناك شيء من الاختلاف في فهم المواقف السياسية تجاه ما يسمى بحركة المشروطة .

وبعد مضي عشر سنوات على هذا الخلاف ، أجمع هؤلاء المختلفون وبدون إستثناء على مواجهة الانكليز ، وخرجوا بأنفسهم لمواجهة الموقف .

فقد دخل السيد المرحوم آية الله العظمى محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب كتاب (العروة الوثقى) في هذا الصراع مع الانكليز ، ولكنه لم يتمكن أن يخرج الى الجهاد ، فأرسل ولده الأكبر السيد محمد الطباطبائي اليزدي ، الذي توفي في هذه المعارك ، كل ذلك من أجل أن يُعبر عن هذه المساهمة ، وهكذا خرجت جماعة من العلماء للقتال .

فعندما يتعرض الاسلام لهجوم الكافرين ، فان الدفاع عنه من القضايا التي يجمع عليها العلماء والحوزة العلمية ، وهكذا الحال بالنسبة للأمة الاسلامية ، فقد وجدنا أن الموقف بالنسبة لفلسطين ينطلق من هذا النوع من المنطلقات .

الوظيفة الرابعة : هي الوقوف في وجه الظلم والعدوان والطغيان ، حتى لو كان الظالم يرفع شعار الاسلام ويتحدث به ، وخط الحوزات العلمية كان - دائماً - خطأً مقاوماً للظلم ، ولذلك بقي مستقلاً ، غير متأثر بالطغاة والمنحرفين والظالمين ، الذين يحرفون الكلم .

والحوزة العلمية تحاول أن تغير الأوضاع ، واستمدت ذلك من منهج الامام الحسين عليه السلام والأئمة من بعده ، وهو المنهج ذو الأسس الواضحة .

تطور القضية السياسية

وهي القضية السياسية التي تطورت في أوضاعها الاجتماعية في هذا العصر ، والمدنية الحديثة والتحولات الكبيرة ، بحيث إن أية قضية تحدث في أية منطقة من العالم تتفاعل معها المناطق الأخرى بصورة مباشرة ، فالأحداث التي تقع في أفغانستان - مثلاً - نرى العالم يتحدث عنها ، ويرى نفسه مسؤولاً في المساهمة فيها ، وهكذا في البوسنة والهرسك وإفريقيا نجد هذا النوع من التجاوب .

فقد تحول هذا العالم الواسع بسبب الوسائل الاعلامية المتطورة ، الى مدينة واحدة أو قرية صغيرة تتفاعل في مصالحها ومشاكلها وقضاياها وعواطفها .

إذن ، فالقضية السياسية هي القضية الأولى في المجتمع ، فلا يمكن لحوزة علمية نفترض أن لها

هذا الموقع الخاص في النظرية الاسلامية، أن لا يكون لها رأي في القضية السياسية، ولا يمكنها أن تتجنبها، وإذا لم تهتم بها فسوف تغزوها هذه القضية غزواً حقيقياً، ولكن من وراء الظهر، وكما يجري الماء - من تحت الرجلين، فيغرق الانسان فيه دون أن يشعر.

ولا أقول هذا كنظرية وتحليل، ولكن عن مشاهدة حسية عشناها في بداية أوضاعنا الحوزوية، فالقضية السياسية إذن ليست بعيدة عنا، وإنما الأمر بالعكس، فإن لم ندخل فيها فسوف تغزونا في عقر دارنا.

فلا مجال للخيارات؛ لأن العالم أصبح قرية واحدة، فقد تجددت جماعة معزولة عن هذا العالم سابقاً، أما الآن - وبعد وجود هذه الاتصالات من تلفزيون وراديو وانترنت - فلا يمكن أن تنعزل. فالسياسة هي القضية الاولى في حياة البشرية لا يمكن أن نعزل الحوزة عنها، ولذلك فالحوزة العلمية تتحمل مسؤولية كبيرة جداً فيما يتعلق بالقضية السياسية، أو ما أعبّر عنها بالثقافة السياسية، ولا أتحدث عن العمل السياسي لأن له مجالاً آخر، فالثقافة السياسية لا بد أن تكون واضحة لدينا، ونعرف من أين نأخذها.

فإذا فرضنا أن منهج الاجتهاد - الذي تحدثنا عنه - غير موجود، فمن أين نأخذ الحكم الشرعي؟

فهو نأخذ من رواية نقرأها في كتاب، ولا نعرف أنها ضعيفة أو قوية سنداً؟، أو نأخذ الحكم الشرعي من شخص يتحرك وينقل هذه الاحكام، وقد يشتبه في ذلك، أو تكون لديه أغراض كالكذب والهوى تجعله ينقل الحكم بصورة غير صحيحة، فيحدث التضاد والتناقض في الأحكام الشرعية بدرجة تؤدي الى الفوضى، كما حدث للمدارس الأخرى غير مدرسة أهل البيت (عليه السلام)؟

لقد حدثت فوضى في أوساط المدارس الأخرى، والحال أن الحاكم لم يكن مهتماً بالاسلام، فبلغت الفوضى حداً لا يمكن أن يتحملة، فقيده هذه الفوضى بالماذاهب الأربعة، فأصبحت الأمة فرقاً وجماعات، وتمزقت دون أن يكون لها منهج واحد.

فإذا لم تكن لدينا ثقافة سياسية صحيحة ومبرجة وقائمة على أساس في كل تفاصيلها، فسوف نواجه مثل هذه الحالة في حوزاتنا العلمية شئنا أو أبينا.

فالكل يتحدث عن الاسلام، ولكن يتصارع بعضهم مع البعض الآخر، ويكفر بعضهم

بعضاً ويتقرب الى الله بذلك ، ويتجدون أمامكم عمليات تسقيط للشخصيات الاسلامية ، وللمجاهدين وللكيانات السياسية الاسلامية تحت مبررات يحاولون جعلها شرعية بشكل وبآخر ، ومنشأ ذلك عدم وجود ثقافة إسلامية سياسية .

وأعتقد أن من الضروري جداً أن تضع مناهج أساسية للثقافة السياسية ، تتناولها الحوزة العلمية بصورة دقيقة وعلمية متطابقة مع منهج الاجتهاد ، من أجل أن نصل الى هذه الثقافة ، وإلا فسوف نتعرض لما تعرضت له بعض الجماعات ، لوجود أسباب الجهل أحياناً ، أو لوجود السطحية في الأخذ أحياناً أخرى .

فكثير من الناس يأخذ الثقافة السياسية من أخبار تزييعها وكالات الأنباء المغرضة ، التي وراءها أجهزة تخطط لها في كيفية إلقاء هذه الأخبار لكي تظلل الناس .

فعندما تزييع المونتيكارلو ، أو البي بي سي ، أو صوت أمريكا أخباراً ، تؤخذ هذه الأخبار وتنتشر في صحافتنا ، وتعتبر ذات مداليل ، وذلك بسبب السطحية في الآخذ ، فإننا نلاحظ الاجهزة الاعلامية كيف تتحرك في بعض الوقائع ، من أجل توجيه الناس باتجاه معين .

متطلبات الثقافة السياسية

وبدون هذه الثقافة والمعرفة سوف تتعرض الحوزة العلمية لمثل هذه الأخطار الماحقة لأصل وجودها ، ولذلك فنحن نحتاج الى أمور :

الأمر الأول : نحتاج الى ثقافة أُعبر عنها بالعميقة السياسية ، وذلك من ناحية فهمنا للأوضاع السياسية والاجتماعية ، فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى ، وبما يتعلق بموقع الرسول ﷺ ، وموقع الولاية والمرجعية ، وفي كثير من التفاصيل ذات العلاقة بالجانب العقائدي . فكل واحد يحتاج لعقيدة سياسية ، وإلا فيمكن لأي إنسان درس العلوم الدينية أن يقف موقف المدافع عن الشيوعية .

وقد رأيت هذا بعيني ، فقد كان هناك إنسان صالح - توفي ﷺ - ويمكن أن استغفر له - يدافع عن الشيوعية ، ولكنه بعد ذلك تراجع عن هذا الأمر ، بعد أن توضحت له الحقائق ، وكان هذا ناشئاً من عدم وجود العميقة السياسية والفهم السياسي .

الأمر الثاني : الأخلاق السياسية في العمل ، وهذا أكثر ما نحتاجه في الحوزة العلمية ، هذه الأخلاق التي ترتبط بموقع الحوزة ، الهادي والمرشد .

الأمر الثالث : هناك عملية تشويه وتضليل وتلبيس للتاريخ السياسي ، كما حصل في الصدر الأول للإسلام ، فيجب أن نحقق حتى نصل للحقيقة ، وإلا إذا قرأنا التاريخ بشكل عام فلا نصل للحقيقة ، وقد نفسره بشكل آخر .

والشيء نفسه يجري الآن ، فنحن نحتاج الى تأريخ صحيح يستند الى وقائع ، ويعبر عن المنهج السياسي ومنهج العلماء والمرجعية والحوزة العلمية ومواقفها وحركتها .

وهذا نحتاج الى خطاب سياسي ، فنحن - الآن - نتحرك ونتحدث مع العالم ، صحيح أننا نتحدث مع الشيعي في قضايا الدين ، ولكن قضايا الدين أصبحت مختلطة كثيراً بالقضايا السياسية ، ومالم يكن عندنا خطاب سياسي مبرمج وقائم على أساس العقيدة السياسية فلا يمكن أن نخاطب الناس ، بل نجد أن الكثير منهم ينحرف عن الاسلام .

إننا نحتاج الى الثقافة السياسية حاجة أساسية ، بحيث تدخل كعنصر رئيس في مناهج الحوزة العلمية ، ولا أقصد في هذه المدرسة فقط ، إنما في كل الحوزات العلمية ، وحتى ذلك الذي يدرس بطريقة حرّة لا بد أن يتناول هذا الجانب ، لكي يكون محصناً وقادراً على أن يمارس دوره الحقيقي في المجتمع .

وهذا الأمر يحتاج الى دراسة ، فإذا لم يكتب ويدرس بشكل دقيق فيمكن أن يتعرض لما تتعرض له الأحكام الشرعية ، وهذا من الأمور المهمة جداً ، التي يمكن أن تنعكس على ما نراه في العراق ، ففي الأحداث داخل العراق يوجد تطور في الحالة الدينية ، وتوجد ظاهرة الزيارات ، وهي ظاهرة كبيرة وضخمة وليس لها نظير حتى في أيام عز المرجعية .

وهناك - أيضاً - ظاهرة الحجاب ، والإقبال على صلاة الجماعة ، وعلى الكتب الاسلامية وقراءتها ، وكذلك الإقبال على صلاة الجمعة ، الى غير ذلك من الالتزامات الدينية .

وهذه من القضايا المهمة البارزة ، وبدون وجود رؤية سياسية واضحة فإننا ننتهي في تفسير هذه الظواهر ، وقد نسقط في تفسيرها ، فهناك عدد كبير جداً من خيرة شباننا في العراق يسقط - دون أن يشعر - في الانحراف والضلالات ، من ادعاء السلوكية أو المهدوية ، أو الى أولئك الذين وقعوا في التصوف أو الوهابية ، وغير ذلك من المشكلات التي وقع فيها الشباب ، وذلك لعدم وجود هذه الرؤية والوضوح في الحركة السياسية ، فمالم تكن هناك ثقافة سياسية شاملة يفهم بها الانسان معالم طريقه وحركته ، فلا يمكنه أن يتجنب هذا الأمر .

وما يجري - الآن - في أفغانستان من صراع دموي كان أحد أسبابه وجود الاختلافات في الأوساط الدينية، وأوساط أتباع أهل البيت (عليه السلام)، وهذه الاختلافات ناشئة من عدم وجود هذه الثقافة.

ويمكن أن أبين كيف، ولكن الوقت لا يسع، ولكن يمكن أن تأخذوا هذا من شخص مجرب، وعنده دراسة ورؤية ومتابعة لمثل هذه الأحداث، ولا أريد أن أسمى الاسماء ففي أفغانستان استشهد بعضهم (رحمة الله عليه)، وكان عنده هذا النوع من عدم الوضوح في الرؤية السياسية، وقد قتله الطالبان بسبب هذه المشكلات، وغير ذلك من الأشخاص الذين مروا بهذه التجارب.

نداء القائد الخامنئي للأفغان

والنداء الذي أطلقه السيد القائد الخامنئي (حفظه الله)، وتحدث فيه عن قضية أفغانستان، يحتاج الى أن يُتأمل فيه، وكان أحد المعالم الرئيسية فيه هو هذه الصرخة التي وجهها للعلماء وللخطباء، والى الذين يمارسون الدور الثقافي، وكان حديثه مع هذا الوسط أكثر تركيزاً من الحديث مع الأوساط السياسية، لأن هذا البعد له دور كبير في حصول هذه النتائج التي نراها في عالمنا الاسلامي والشيوعي.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يقي المسلمين شر هذه الفتن، وأن يحقق النصر لهم، لا سيما في عراقنا المجرع، وأن يتغمّد شهداءنا الأبرار برحمته الواسعة، ولا سيما الشهداء من العلماء والمراجع كشهيدنا الصدر، وآية الله البروجردي، وآية الله الغروي ومن سبقهم. وأن يسدّد الخطى ويوفّق الجميع لما يحب ويرضى، ويوفّق الاخوة الأعزاء في بداية العام الدراسي لمزيد من طلب العلم والمعرفة إن شاء الله.

ونحن لدينا أمل كبير بالله سبحانه وتعالى، وبجهود الإخوة القائمين على إدارة هذا المركز الديني وهذه المدرسة، وبجهود الأساتذة الأفاضل، وبصبر وجهود وتضحية الأخوة الدارسين، أن تكون هذه المدرسة نموذجية، والحمد لله توجد معالم هذه النموذجية، ولكننا نطمح الى المزيد والى أن تكون هناك درجة واضحة جداً، بحيث تصبح نموذجية في كل معالمها، ومن جملة هذه المعالم هي الثقافة السياسية، التي تختلف عن العمل السياسي والجهادي الذي له معنى آخر.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، والى أرواح الشهداء جميعاً، لا سيما شهداؤنا في العراق وفي أفغانستان، خصوصاً من العلماء والمراجع ومن الحوزات العلمية، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآله.

الثقافة الحوزوية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ،
والصلاة والسلام على سيدتنا ومولاتنا الصديقة الزهراء سيدة نساء العالمين ، والصلاة والسلام
على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج) ، والسلام على شهداء الاسلام في كل
مكان منذ الصدر الأول للاسلام ، وحتى هذا العصر ، والسلام على إخواني وسادتي الحضور ورحمة
الله وبركاته .

المقدمة

في البداية أبارك لكل الاخوة والسادة الأفاضل هذه الأيام الشريفة ، أيام ولادة فاطمة
الزهراء عليها السلام ، وقد اقترنت هذه الأيام - في هذا العام - مع ذكرى مرور مائة عام على ولادة الامام
الراحل عليه السلام ، فهي ذكريات تستحق أن يقف عندها الانسان طويلاً ، ليستلهم منها الدروس والعبر ،
ولذلك أطلب من الأخوة الأعزاء أن يولوا إهتماماً لهذه الأيام الشريفة ، وذلك من خلال الاستماع
للأحاديث والمحاضرات ، والحضور في الاحتفالات والاجتماعات .

وفي هذا الاجتماع ، لو أردنا أن نتحدث عن هذا الموضوع فسوف يستغرق الحديث كل
الوقت ، والموضوع أكبر من أن يستوعبه حديث محدود ، وقد استمعنا في هذا الجو العطر الى
أحاديث وشعر ألقاها بعض الاخوة الاعزاء ، نسأل الله أن نستفيد منها فائدة كبيرة للتأسي
بسيدتنا ومولاتنا الزهراء عليها السلام ، ولدها إمام الأمة ، لا سيما أن الامام عليه السلام يعتبر لنا أسوة في هذا
العصر ، فهو خريج مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، ومن ثم فهذه القدوة قريبة لنا ، وقد تخرجت من هذه
المدرسة وعاشت في ظروفها وخصائصها وأبعادها من ناحية ، ومن ناحية أخرى فهي قدوة

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) في يوم الأربعاء ٢٩ / ٩ / ١٩٩٩ م ، المصادف ١٨ / ٦ /
١٤٢٠ هـ . ق ، ٧ / ٧ / ١٣٧٨ هـ . ش ، في مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية في مدينة قم
المقدسة .

معاصرة لنا ويمكن أن نفهم الكثير من ظروفها وملابساتها .

دور القدوة في المجتمع

والزهراء (عليها السلام) عندما نتحدث عنها فهي قدوة لنا بأعلى مستويات القدوة ، ولكن يوجد بينها وبينها فاصل زمني كبير جداً ، يجعل الكثير من المعالم التي يمكن أن نستفيد منها في القدوة محدودة وغامضة أحياناً ، وملتبسة أحياناً أخرى ، وغير ذلك مما يسببه هذا الفاصل الزمني التاريخي عادة . وعندما تكون القدوة مفصولة قد يشعر الانسان بالعجز في أن يتقدم - ولو خطوات - نحوها ، ونحن لا يمكن أن نصل الى مستوى الزهراء (عليها السلام) مهما بذلنا من جهود ، ولكن يمكن أن نتقدم بعض الخطوات في طريقها .

ولكن فيما يتعلق بالإمام (عليه السلام) ، فهو وإن كان يختلف عن الزهراء (عليها السلام) في مستوى القدوة ، من ناحية الظروف المعاصرة ، التي تجعل هذا الفاصل الزمني محدوداً ، فيمكن للانسان أن يفهم الكثير من المعاني التي يحتاجها في مسيرته وعمله ، ولذلك أوصي نفسي والأخوة أن يجعلوا من هؤلاء الأفاضل قدوة لهم في مسيرتهم وعملهم وسلوكهم ، سواء على مستوى طلب العلم أم الاخلاق ، أم المواقف والاعمال التي كانوا يقومون بها في حركتهم أوساط الأمة ، من أجل تحقيق الأهداف العامة للمجتمع .

شكر وامتنان

بعد هذه الإشارة المختصرة أود أن أتحدث في عدة نقاط ، وقبل أن أدخل في الحديث أرى من الواجب تقديم الشكر والامتنان لكل الأخوة والسادة الأفاضل الذين ساهموا في تطوير هذه المسيرة وتكاملها ، - أعني مسيرة مدرسة دار الحكمة - سواء الأعضاء في اللجنة المشرفة أم في الادارة أم السادة الأساتذة ، أم الأخوة والابناء الطلبة الذين كانوا يساهمون في حركة هذه المدرسة ، وأكثرهم من صميم القلب على هذه الأتعاب والجهود والإنجازات التي حققوها ، وأسأل الله أن يشكرهم ، وشكر الله أعظم .

مسؤوليات « دار الحكمة »

وأود أن أشير الى أن هذه المدرسة - كما أشار الى ذلك الفاضل السيد عمار « حفظه الله » - من المفروض أن تصبح قدوة من ناحية ، ومفتوحة على كل الحوزة العلمية في أداء حركة التكامل ، التي يمكن أن تقوم بها تجاه الحوزة العلمية من ناحية أخرى .

فعندما تؤسس مدرسة، فلا بد أن تتمثل بمنهج أهل البيت عليه السلام، لأن هذا التأسيس ليس عملية إنطواء، وتعبير عن الذات، أو عن وجود إنسان في عمل محدود يحصر نفسه فيه، بحيث يصبح وكأنه جماعة وفئة محدودة، مهما كان هذا العمل واسعاً ومهماً وصالحاً ومحققاً للأهداف الصالحة، وإنما المفروض في أعمال مدرسة أهل البيت عليه السلام أن يكون العمل في طريق الخدمة العامة للجماعة الصالحة من أتباع أهل البيت، وللمسلمين بصورة عامة والبشرية بصورة أعم، وهذا هو الشيء الذي تحرك من أجله أهل البيت عليه السلام.

فنحن عندما نكون في هذا الموقع، ونهتم بترسيخ دعائمه وتحقيق كل معالم القوة والصلاح والنمو والتكامل والتطور، فلا بد أن تكون لدينا عين أخرى لهذه الآفاق الواسعة في حركة الانسان وتكامله.

وأود - دائماً - أن يكون هذا الموضوع موضع إهتمام هذه المؤسسة، وأن نجعلها محوراً للاهتمام ببقية المدارس، وهذا اعتبره يمثل الأفق الواسع في مقام الخدمة.

وكذلك لا بد أن يكون لدينا إهتمام بتطوير مناهج المدارس الأخرى عندما نرى أن هذا المنهج هو الأفضل، والذي يكون له تأثير في مسيرتنا، وكذلك يمكن الاستفادة من مناهج وتجارب المدارس الأخرى عندما نراها مفيدة ونافعة في حركتنا وتكاملنا، فعندما يكون الانسان في موقع فلا بد أن يتحمل هذه المسؤولية بنفس المسؤولية المشتركة مع كل المواقع الأخرى، لأنها جميعاً تنتسب لمدرسة أهل البيت عليه السلام، والاسلام والى الله سبحانه وتعالى وكل القيم والمثل التي تؤمن بها.

الحوزة والعمل السياسي

وأود هنا أن أتحدث في عدة نقاط :

النقطة الاولى: ترتبط بحديث العام الماضي - اذا كان الاخوة الاعزاء يتذكرون - فقد ركزت فيه على نقطة ترتبط بالموضوع السياسي، والذي يمكن أن أعبر عنه بـ (الحوزة العلمية والعمل السياسي).

وقد أشرت في حديث العام الماضي الى أن الموضوع السياسي لا يمكن أن ينعزل عن حركتنا العلمية، حتى لو أردنا ذلك وصممنا عليه ووضعنا خطتنا على الفصل بين الحركة العلمية والسياسة، كما يحاول بعض الناس أن يصور القضية، لأن الموضوع السياسي أصبح موضوعاً

متحركاً في العالم ، وفي حياتنا وتفاصيل معيشتنا ، بحيث لا يمكن أن نفصل عنه ، والحوزة العلمية يجب أن تهتم بهذا الموضوع .

وقد ذكرت في حديثي السابق بعض الأمثلة من تجاربنا :

التجربة الاولى : هي التي شاهدناها قبل أربعين أو خمسين عاماً لكن لم تمر فترة من الزمن حتى وجدنا أنه كيف كان للموضوع السياسي تأثير كبير على تفاصيل أوضاعنا الحوزوية ، كالأحداث الأخيرة التي شهدناها سواء في الجمهورية الاسلامية ، وفي قضية الحي الجامعي ، وما تلاها من أحداث ، فقد رأينا أن الحوزة العلمية بكل وجودها قد تدخلت في هذا الموضوع ، وأصبحت هذه القضية معاشة ، ولا يمكن للحوزة أن تقول : إن هذا موضوع جامعي لا يعني .

التجربة الأخرى : هي الأحداث السياسية التي وقعت في العراق بعد استشهاد آية الله السيد محمد الصدر عليه السلام ، وما تبعها من أحداث وتداعيات مست كل حياتنا ووجودنا ، وأشغلت ساحتنا بصورة فاعلة وكبيرة ، ولا يمكن لأية مجموعة مهما كانت تدعي الانعزال والابتعاد عن الساحة أن تقول : إن هذا الموضوع لا يعني ولا يرتبط بي ، فالموضوع السياسي من الموضوعات المهمة جداً في حركتنا .

والآن تجدون موضوعاً آخر مطروحاً في هذه الأيام ، وهو مشهد لمسرحيه نشرتها نشرة مجلة (موج) التي تصدرها إحدى الجمعيات الاسلامية في الجامعات الايرانية ، والتي أصبح لها أصداء واسعة في مختلف الاوساط ، ومنها الوسط الحوزوي .

ففي قضية محدودة تحدث في منطقة بعيدة - من الناحية الجغرافية - عن أوضاعنا نرى أن المراجع يجدون أنفسهم مضطرين الى أن يتفاعلوا معها ، وتصبح جزءاً من حياتهم وحركتهم . ولذلك فعندما نتحدث عن المناهج في حوزتنا العلمية ، فنحن نحتاج الى منهج وعنصر أساسي للثقافة السياسية في منهجنا ، وهذه الثقافة السياسية ليست هي الممارسة السياسية ، لأن الثقافة السياسية شيء والممارسة السياسية شيء آخر .

وهذه المؤسسات وإن كانت علمية ، ولكننا كما نحتاج الى المادة العلمية في الحكمة ، وعلم الكلام ، والفقه ، والاصول ، والرجال ، والحديث ، والمنطق ، وغيرها ، فإننا نحتاج الى مادة علمية سياسية تكون أساساً لبناء الوعي السياسي في الحوزة ، لتكون قادرة على مواجهة هذه الأحداث السياسية ، لأن هذه الاحداث أصبحت مفروضة على المجتمع والحوزة ، ولا يمكن أن تنفصل عنها ،

ولا بد لها أن يتفاعلا معها .

فإذا كان التفاعل بوعي وعلم ومعرفة للقضية السياسية ، فسوف يكون تفاعلاً إيجابياً ، وتقوم الحوزة بدور المؤثر والموجه والقائد المحقق للاهداف الصالحة ، أما عندما يكون الوعي والثقافة السياسية مفقودين في الحوزة ، فسوف تصبح القضية معكوسة ، وتكون الحوزة عندئذٍ في موضع الانقياد والانفعال بالمؤثرات الخارجية ، وتصبح تابعة للعوامل الخارجة عنها ، والمؤثرة في أوضاعها .

وإنما أؤكد على هذه القضية ، لأن الشواهد الحسية التي نراها في أوضاعنا القائمة تساعد على القيام بخطوة متقدمة بهذا الاتجاه . وأنا أعتقد أن الكثير مما شاهدناه في أوضاعنا الداخلية كعراقيين ، بسبب الاحداث التي أشرت إليها وما نشاهده - أيضاً - في أوضاع الحوزة العلمية ، في الأحداث ذات العلاقة بالوضع في الجمهورية الاسلامية ليس ناشئاً من فقدان الوعي والثقافة في أوضاعنا الحوزوية ، فنحن لدينا ثقافة علمية سياسية ، وليست الثقافة السياسية هي التي نحصل عليها من الاذاعات والصحافة ، أو من هذا المقال أو ذاك ، وإنما نحتاج الى ثقافة حوزوية سياسية ، وإلا فسوف نواجه أوضاعاً خطيرة جداً في حوزتنا العلمية ، سواءً في أوضاعنا العراقية أم في الأوضاع العامة للحوزة .

ظاهرة الانفصال عن خط الولاية

النقطة الثانية : تفسير هذه الظاهرة السياسية الموجودة في الجمهورية الاسلامية ، وهي ظاهرة الانفصال التدريجي عن الحركة التي كان يقودها الامام عليه السلام ، وأقام هذه الجمهورية على أساسها ، والتي نعبر عنها بخط ولاية الفقيه وخط الامام .

فهذا البلد بلد الاسلام ، وهذه الدولة الاسلامية المباركة قامت على أساس مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وقد قام بها عالم من علماء هذه المدرسة ، تخرج من هذه الحوزات العلمية ، وهذه الدولة تقوم على أساس ثقافة إسلامية أصيلة نقية ؛ لأنها ثقافة هذه الحوزات العلمية التي لم تتأثر بالثقافات الأخرى ، وبقيت على أصولها ، ولكن مع ذلك نلاحظ ظاهرة خطيرة في الوسط السياسي والاجتماعي العام ، سواء على مستوى الاوضاع في داخل الجمهورية الاسلامية ، أو في علاقاتها مع الشعوب الأخرى ، ومنها ما يجري للقضية العراقية والاخوة العراقيين .

وهذا الموضوع يحتاج الى تحليل علمي دقيق بعيد عن الانفعالات ، والتأثر بأحاديث

الآخرين الذين يضحون بصورة مستمرة الأفكار والمفاهيم لهذه الأمة ، بوسائلهم التي يمتلكونها ، من فضائيات وإذاعات وتلفزيونات وصحافة الى غير ذلك .

وهذه القضايا يجب أن تدرس بصورة علمية ، وتشخص المواقف الصحيحة تجاه هذه الظاهرة .

الثقافة الحوزوية

النقطة الثالثة : والمفردة الأخرى أن الثقافة الحوزوية : في البداية ينصرف الذهن الى أن المقصود من الثقافة الحوزوية هو ما نعبر عنه بعلوم أهل البيت عليه السلام ، من الدراسات الفقهية والأصولية والكلام والحديث والرجال الى غير ذلك ، ومن ثم فهذه الثقافة قد تناولتها بكل أبعادها ، وأحياناً ببعض أبعادها ونأمل أن نطورها ونصل بها لمستوى أفضل .

ولا أريد من الثقافة الحوزوية هذا الجانب ، ولا أن أدخل في المصطلحات ، وهل إن هذا يسمى ثقافة حوزوية أو لا ؟ ولكن عندما أتحدث عن الثقافة فإنما أقصد منها ما يمكن أن نحدده بأمور أربعة تشكل أركانها - بحسب تصوري - وقد نضيف إليها بالتأمل أموراً أخرى ، والموضوع السياسي - الذي أشرت إليه - يدخل في الموضوع الأول ، في العلوم الحوزوية - التي يجب أن تدرّس - نحتاج الى ثقافة سياسية علمية ، أي نحتاج الى مادة علمية في الموضوع السياسي .

أركان الثقافة الحوزوية

وهذه الأركان كالتالي :

الركن الأول : المنهج والطريقة التي توصلنا الى الحقائق ، فحوزات أهل البيت عليه السلام ومدرستهم تميزت عن بقية المدارس الاسلامية بهذه الثقافة ، وهذا المنهج الخاص الذي تبنته ، ولذلك تمكنت أن تواصل طريقها منذ أيام الأئمة الى يومنا الحاضر دون انقطاع ، بالرغم من الظروف الصعبة التي مرت عليها ، بحيث يمكن أن نقول بجزم : جماعة في التاريخ الاسلامي لم تواجه ما واجهته جماعة أهل البيت عليه السلام من مطاردة وملاحقة ومن عبر هذه القرون ، والشاهد على ذلك ما حصل في بداية حركة أهل البيت عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وذلك في قضية الزهراء عليها السلام التي تعتبر أحد الشواهد البارزة التي تعبر عن تلك الحن والآلام .

وكذلك قضية الامام الحسين عليه السلام التي لا يوجد لها نظير في التاريخ الانساني ، فضلاً عن الاسلامي وغيرهما مما عرفته هذه الجماعة في تاريخها .

ولكن بالرغم من هذه المصاعب، فقد تمكنت هذه الحوزات العلمية أن تستمر في عطائها وحركتها دون انقطاع، ولم تكتفِ بذلك، بل كانت تستمر مع تطور ونمو وتكامل في حركتها. وكل من يلقي نظرة عامة على الحركة التاريخية، أو ما يعبر عنه بالخطوط البيانية في حركة الحوزات العلمية، يشاهد أن هذا الخط البياني كان - دائماً - يتجه نحو الصعود.

وهذه قضية مهمة في فهمنا للحوزات العلمية، وأحد العناصر المهمة في هذا الأمر هو المنهج الذي اتبعته الحوزات في التفكير للوصول الى الحقيقة، وهو منهج الاعتماد على العلم، وأخذ من المصادر الصافية النقية، التي يطمئن الانسان إليها.

وهذا ما أكد عليه أهل البيت عليهم السلام، فكانوا يتحدثون عن هذا المنهج أكثر مما يتحدثون عن مضمونه ومحتواه، وهذا هو الشيء الذي نفترق فيه عن كثير من المذاهب الاسلامية.

فعندما ننظر الى المذاهب الأخرى لا نرى اختلافاً كبيراً في المضمون، فقد يكون المضمون متشابهاً في نتائج الاحكام الفقهية، وإذا كانت هناك اختلافات فهي لا تزيد عن الاختلافات بين المجتهدين من مدرسة ومذهب واحد، لكن مع ذلك يوجد اختلاف أساسي أكد عليه أهل البيت عليهم السلام وهو المنهج، فهذا الحكم الشرعي هل نأخذه من الله سبحانه وتعالى ورسوله والأئمة عليهم السلام أم لا؟

وعندما أقول: نأخذه من الله، فأعني أننا نأخذه من القرآن، وإلا فالانسان لا يمكن له الاتصال بالله تعالى.

فالأخذ يكون عن هؤلاء، وهذا باب يُدَوَّن بهذا العنوان في كتب الحديث سابقاً، وتذكر أحاديث كثيرة تؤكد على هذا الموضوع، فعندما ترجعون الى الكافي، تجدون عدة أبواب تركز على هذه المفردة، وأننا من أين يجب أن نأخذ هذا العلم؟ بغض النظر عن مضمونه، فهل يؤخذ من هذا المنبع الصافي، أو يؤخذ من منبع آخر؟.

فهذا اللحم الذي نأكله هل هو مذكي طاهر، أو أنه لحم ميتة؟ واللحم الذي يعرض في الاسواق الاوربية هو لحم من نوع واحد، بقر أو غنم أم غيرهما، ولكن ما حكمه، هل هو مذكي طاهر، أو أنه لحم ميتة؟ هذه مسألة مهمة جداً في الثقافة الحوزوية.

وهكذا في منهج الاعتماد على العلم، ولذلك نلاحظ أن الشهيد الصدر رحمته الله في مقدمة كتابه (المعالم الجديدة) في الطبعة الاولى يشير الى هذا البحث، وهو الظنون والعلوم والاجتهاد، ففي

البداية كان هناك ذم للاجتهد وطعن فيه على ألسنة أهل البيت والعلماء ، باعتبار أن مفهوم الاجتهاد سابقاً كان يطلق على الوصول الى الاحكام الشرعية بطريق الرأي والظن والقياس ، وغير ذلك من الطرق .

وبمرور الزمن تحول عنوان الاجتهاد الى عنوان السلوك الصحيح للطريق الذي يستند الى العلم والقواعد العلمية ، فأصبح عنواناً من العناوين المباركة والمقدسة في أوساطنا . وهذا الموضوع من الموضوعات المهمة في اتخاذ الموقف والوصول الى المعلومات ، فلا بد أن يكون هناك منهج يعتمد على العلم ؛ لأن الظن لا يغني عن الحق شيئاً ، والوهم والاحتمال والشبهة والاستحسانات والظنون ، وغيرها مما لا يُوجد عند الانسان علماً و يقيناً واطمئناناً لا يجوز الاستناد إليها في ثقافتنا وعملنا .

واذا أردنا أن ندقق في الثقافة الحوزوية نجد أن هناك أمراً يميزها عن الثقافة العامة الموجودة في الصحافة والخطابات والاذاعات ، وهو أن هذه الثقافة تعتمد على طريق العلم ، فلا بد في كل موقف وحكم شرعي أن ينتهي الى العلم ، وحتى عندما تعتمد على الظنون ، فلا بد أن يثبت حجية هذه الظنون بعلم ، ومن ثم فهذا الظن لابد أن يستند الى علم حتى يصبح معتبراً وحجة . فيجب أن نحافظ على ذلك في داخلنا ، وأن نعمم هذه الثقافة في الأمة ، فأى أمة إذا أريد لها الصلاح والارتقاء في حركتها وتكاملها فلا بد أن تعمم فيها مثل هذه الثقافة ، ولذلك فإن القرآن الكريم طرح هذا الموضوع وتحدث عنه كثيراً ، و ذم تقليد الآباء واتباع الظنون والأوهام من أجل تأسيس هذا المنهج .

والعنصر الآخر في موضوع المنهج هو الحوار أو ما نعبّر عنه في مصطلحاتنا بـ (فتح باب الاجتهاد) ، وهو ميزة من ميزات الحوزات العلمية ، حيث يقوم الحوار على أساس المنطق والعلم والمعرفة لا على أساس الحرية في الحديث ، بمعنى أن يقول الانسان ما يشتهي ويستذوقه ، فقد قلنا سابقاً : إن هذا غير صحيح ، وإنما يكون الحوار في إطار القواعد والضوابط والاصول المنهجية ، التي وضعت للوصول الى الحقيقة ، كما يكون الحوار ضمن التكليف الشرعي والتقوى والأدب والاحترام وعفة اللسان ، ومنهج مدرسة أهل البيت عليه السلام يقيد الحوار بمثل هذه القيود .

أما أن يتحول الحوار الى هتك وسب وفضيحة وكشف للاسرار ، ومقاصد خبيثة يُراد من ورائها الوصول الى أهداف خبيثة ، كما في كثير من الحوارات المفتعلة هنا وهناك ، فمثل هذا لا يصلح

أن يكون حواراً علمياً .

وقد شاهدنا أن الحوار في فضائية الجزيرة مع أحمد الكاتب لم يكن قائماً على أساس العلم والمعرفة ، وإنما كانت هناك أهداف معينة تريد أن تصل إليها هذه المؤسسة من خلال هذا النوع من الحوارات .

وهذا النوع من الحوار ليس فتحاً لباب الاجتهاد والحرية في الرأي والكلام ، إنما يراد من ذلك الوصول إلى قضايا مفتعلة .

التقوى في الثقافة الحوزوية

الركن الثاني : ما نعبر عنه بالتقوى في الثقافة الحوزوية ، وهذه قضية أساسية ، فالثقافة الحوزوية ليست مجرد علوم يقولها الانسان ، وإنما تدخل فيها قضية السلوك ، ففي كتاب (آداب المفيد والمستفيد) آداب تشكل ثقافة حوزوية حقيقية ، لا يمكن لحوزة أن تتكامل دون هذا النوع من الآداب ، ولا أريد أن أقول : إن كل ما في هذا الكتاب صحيح ، فهذه المسألة يقولها العلماء والاساتذة والمحققون ، لكن أقول : هذا النوع من الثقافة والأخلاق والالتزامات والسلوك جزء أساسي من ثقافة الحوزة .

ولا زلت أتذكر - عندما كنا طلاباً في الحوزة - أن الرقابة العامة فضلاً عن الخاصة في البيت كانت تطرح مفهوم منافيات المروءة ، من قبيل أن لا تضحك في السوق ، وكنا نلتزم بذلك ، مع أنه لا يوجد نص شرعي في آية من الآيات القرآنية ، أو في الرسائل العملية يقول بحرمة الضحك في السوق .

قد يقول بعض الاشخاص : إن هذا ليس خلاف التقوى ، لأنه أمر جائز وحلال . أقول : إن هذا الامر في الثقافة الحوزوية خارج عن الحدود - ولا أعني الحدود الشرعية ، وإنما هو خارج عن حدود الثقافة الحوزوية - فطالب الحوزة لا بد أن يتقيد ولا يضحك ولا يأكل في السوق ، وكنا نحاسب في هذا الموضوع وليس هذا تحجراً وخروجاً عن الضوابط ، وقد يختلف الحساب من زمن لآخر ، ولكن كنا نحاسب على الشعر واللباس ، من (الصاية) الى (القميص) الى (الحذاء) الى كل التفاصيل ، يجب أن تعبر هذه التفاصيل عن هذا النوع من الانسجام لحركة الانسان مع المجتمع ، ومع التكامل الانساني .

ولا أريد أن أفرض تلك التفاصيل على ما هو موجود الآن ، فقد يتغير المجتمع ، ولكن لا بد

من التقيد بالآداب العامة ، الذي يعبر عن تكامل الانسان في حركته الاجتماعية والسلوكية .
في بعض البلدان اذا خرج الانسان (بالبيجامه) فهو خلاف الآداب العامة ، وينتقد على ذلك ، لكن بعض الناس يفعل ذلك ولا يلتزم بهذه الآداب ، وفي الثقافة الحوزوية يراد من طالب الحوزة أن يكون ملتزماً بالآداب العامة .

فعندما يدخل شخص كبير السن يجب على الصغير أن يحترمه ، وهذا جزء من ثقافة الحوزة ، ومن لا يفعل ذلك يسقط في نظر الحوزة ، ولا يكون مثقفاً بثقافتها .

وهكذا عندما يدخل عالم ويكون هناك شخص أقل منه علماً ، فإنه يعطي هذا العالم مكانه ، وعندما يدخل شخص مقدس على درجة عالية من التقوى ينبغي أن يحترمه الآخرون .

وهناك مسائل كثيرة جداً ترتبط بهذا النوع من الآداب التي أقرها وأكدها الاسلام ، بحيث يراد للحوزة أن تكون متقية ، لا بمعنى عدم ارتكاب المحرمات والقيام بالواجبات ، فهذا يراد من الجميع ، في السوق ، أو في العمل ، وليست هذه تقوى خاصة بالحوزوي ، وإنما يراد من الحوزوي أن تكون لديه ثقافة التكامل في السلوك .

وفي هذا الأمر قد يأتي موضوع اللباس ، فعندما يصل الانسان في مستواه العلمي الى درجة ، ويريد أن يتفرغ لطلب العلم ينبغي أن يلبس هذا اللباس ؛ لأنه جزء من التكامل ؛ والشكل يدخل في التكامل ، وكان والدي رحمه الله مع كثرة أعماله عندما يرى الشعر الطويل يسنه - بأدب ولطف - الى أن هذا الشعر قد تجاوز الحدود المطلوبة ، وأتذكر أنه بعد وفاته رحمه الله طال شعري ، فتذكرت هذا وبكيت .

فعندما نريد أن نتكامل لا بد أن نهتم اهتماماً بالغاً في أن يكون كل يوم من أيامنا أفضل من السابق في حركة التكامل ، وهذا قد لا يتمكن منه الانسان في الجانب العلمي ، لكنه يتمكن منه في الجانب السلوكي ، وجانب التهذيب الاخلاقي ، ولذلك أدعو الاخوة الاعزاء أن يأخذوا هذا الركن مأخذاً جدياً .

وكان بودي أن أبين بقية الأركان ، ولكن الوقت أدركننا ، فأكتفي بهذا القدر وأسأل الله سبحانه وتعالى لي ولكم التوفيق والتسديد والكمال في علومنا وسلوكنا ومنهجنا ، بحيث يكون هذا الامر في موضع الرضا منه سبحانه وتعالى ، ومن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته صلى الله عليه وآله ومن سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنهن ، ويكون هذا موجباً لدخول السرور على قلوبنا عندما نرى مثل

هؤلاء الأفذاذ الأحباء والأعزاء وهم في طريق التكامل، وهو عمل المستقبل لهذه الحركة، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وإلى أرواح شهدائنا وعلمائنا ومراجعنا الأفذاذ، وإلى أرواح أسلافنا الصالحين ولا سيما إمام الأمة والشهيد الصدر عليه السلام رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد.

تفعيل البحث والتحقيق في الحوزة العلمية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من مميزات مدرسة أهل البيت

س: ما أهم مميزات الحوزة العلمية التي جعلتها رائدة ومتطورة ؟

سماحة السيد الحكيم: الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .
الحوزة العلمية مؤسسة من أهم مؤسسات مدرسة أهل البيت عليه السلام حيث إنها تقوم بدور
النيابة عن الأئمة الأطهار في زمن الغيبة بمراجعتها ومدرسيها وطلابها ومبلغها وجميع المؤسسات
ذات العلاقة بها .

وقد أقيمت هذه المؤسسة منذ البداية على أساس التحقيق والعمل العلمي ، وتدوين العلوم
ونشرها في مختلف المناطق .

وكان لأهل البيت عليهم السلام دور عظيم جداً في إيجاد هذه المؤسسة ، والمناهج التحقيقية لها . لذا
يمكننا القول : إن أحد الامتيازات التي تميزت بها هذه المدرسة على بقية المدارس هو استمرار العمل
العلمي الذي يقوم على أساس المناهج والضوابط العلمية والشرعية .

وأحد المعالم الواضحة لهذا الاستمرار بقاء باب الاجتهاد في مؤسسة الحوزة العلمية مفتوحاً
في مدرسة أهل البيت عليهم السلام دون بقية المدارس .

ومعنى انفتاح باب الاجتهاد ، استمرار التحقيق والعمل العلمي والتدويني . كما إن أئمة أهل
البيت عليهم السلام منذ زمن رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام كانت لديهم فكرة تدوين السنة النبوية
والاحتفاظ بها ، واستمروا في ذلك ، على خلاف المذاهب الأخرى التي انقطعت منذ البداية عن

(١) حوار سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الخميس ٢٠ / ١ / ٢٠٠٠م الموافق ١٣ / ١٠ / ١٤٢٠ هـ
ق ، ٣٠ / ١٠ / ١٣٧٨ هـ في مكتب سماحته في مدينة قم المقدسة حيث أجاب عن مجموعة من
الأسئلة الموجهة إليه بخصوص الحوزة العلمية . وذلك بمناسبة المهرجان السنوي الذي يقيمه
المركز العالمي للدراسات الإسلامية .

تدوين السنة النبوية لمدة امتدت إلى حوالي قرن من الزمان . وهذا أيضاً امتياز آخر لمدرسة أهل البيت عليهم السلام .

لذا فإن التحقيق والتدوين والبحث العلمي والحرية في الحوار العلمي تعتبر من المميزات التي امتازت بها الحوزات العلمية .

ونعتقد بأن هذا هو السبب في تطور الحوزة العلمية ونموها وبقائها وقدرتها على التأثير في مختلف الأوساط العالمية .

وكان هذا الانجاز العظيم الذي حققته الحوزة العلمية في إقامة الدولة الاسلامية ، وإعادة الإسلام للحياة الانسانية على يد العالم الرباني العظيم الامام الخميني رحمته الله ، من نتائج هذا المنهج التحقيقي العلمي والانفتاح في الحرية الفكرية والبحث بين العلماء ، والتحقيق في بحث الظواهر السياسية والاجتماعية ، وهذا أيضاً من مميزات مدرسة أهل البيت عليهم السلام إذ إنها لم تهتم في البحث والتحقيق في قضايا الفقه والأصول أو العلوم التي تشكل مقدمات هذين العلمين فحسب ، إنما اهتمت الحوزة العلمية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالقضايا الاجتماعية والسياسية العامة ، وتمكنت أن تواكب وتعيش الأحداث والتطورات والقضايا ذات العلاقة بالسياسة والاجتماع حتى تمكنت من تحقيق هذا الانجاز العظيم في إقامة الدولة الاسلامية ، وإيجاد النهضة الاسلامية في العالم المعاصر .

المركز العالمي للدراسات : خطوات في طريق التطوير

س : ماهو تقييمكم لما قام به المركز العالمي للدراسات الاسلامية في الحوزة العلمية في مهرجانه السنوي الأخير ؟ وماهي مقترحاتكم ؟

سماحة السيد الحكيم : في الجواب على هذا السؤال أشير إلى أهم النقاط ، وإلا فإن الحديث في هذا الموضوع واسع جداً :

النقطة الأولى : إن المركز من خلال هذا العمل العلمي الجديد وهو التظاهرة والمهرجان العلمي والاحتفال تمكّن أن يوجد محوراً من محاور التحقيق والبحث في الحوزة العلمية . وهذه من نقاط القوة المهمة .

النقطة الثانية : الرعاية المعنوية والمادية التي أولاها المركز بصورة خاصة للباحثين من الطلبة والمدرسين ، بحيث تمكنت هذه الرعاية في فترة محدودة قياسية أن تُنتج عدداً كبيراً جداً من

الأبحاث في موضوعات مختلفة .

النقطة الثالثة : استقطاب عدد كبير ومعتد به من الباحثين ، حيث تحولوا من طلبة يهتمون بالدرجة الأولى بتلقي العلوم إلى عناصر تهتم بالبحث والعطاء وتوظيف المعلومات التي حصلوا عليها في خدمة الحوزة العلمية والمجتمع الاسلامي بصورة عامة . وقد استقطب في هذا المحفل حوالي ثلاثمائة شخص .

هذه النقاط الثلاث تعتبر من نقاط القوة في ما قدمه المركز . وأود أن أشير في هذا الصدد إلى بعض المقترحات المهمة التي إذا لم تنفذ قد تشكل نقطة ضعف في هذا المهرجان :
المقترح الأول : المتابعة ، حيث إن أي عمل إذا أريد له الوصول إلى أهدافه بصورة كاملة فإنه يحتاج إلى المتابعة المستمرة . والعمل الكبير لا يمكن أن يتم دفعة واحدة ، وإنما بشكل خطوات ومراحل ، وبدون المتابعة سوف يقف عند الخطوة الأولى .

المقترح الثاني : أن نشارك في إدارة هذا العمل العناصر المتميزة التي تجاوزت مع المشروع من غير الإيرانيين ، بحيث تكون الإدارة مشتركة .

فكما إن المساحة والحوزة التي نتحرك فيها هي حوزة غير إيرانية ، فمن المفروض أن تكون هناك مشاركة حقيقية من العناصر المتميزة من غير الإيرانيين في إدارة هذه العملية وتوجيهها ، لكي تتمكن من نقلها نقلة نوعية كبيرة إلى ذلك الوسط^(١) .

المقترح الثالث : الاهتمام بنشر الموضوعات الجيدة التي تنتجها هذه المهرجانات لتكوين الفائدة أكبر للمسلمين والمجتمع الاسلامي ، لا سيما في المناطق التي جاء منها هؤلاء الطلبة والعلماء الذين شاركوا في المهرجان .

دعوة لإدخال مناهج التحقيق في الحوزة العلمية

س : هل تعتقدون أن المركز حقق أهدافه في مضمار البحث والتحقيق ؟

سماحة السيد الحكيم : أعتقد - في هذا الصدد - أن ما قام به المركز في هذا المهرجان يمثل خطوة مهمة كبيرة في تحقيق هذا الهدف وهو التركيز على قضية البحث والتحقيق ، وأقترح في هذا المجال أمرين آخرين :

الأول : إيجاد مركز للتحقيقات والمطالعات والبحث والتحقيق ، بحيث تكون هناك مؤسسة

يتواجد فيها ذوو الاختصاص والمهتمون بمتابعة البحث والتحقيق ، لأن يكون ذلك شكل مهرجان سنوي فحسب ، وإن كان المهرجان مهماً .

الثاني : وضع مناهج للتحقيق كمادة دراسية في الحوزة العلمية . فكما إنه توجد مواد دراسية في العلوم المختلفة من الفقه والأصول والتفسير وعلوم القرآن واللغة العربية ، فلا بد من إيجاد مادة دراسية مرتبطة بالتحقيق وهي دراسة مناهج التحقيق وتجارب المحققين ، فذلك يخدم كثيراً في هذا المجال .

كما أترح إضافة مادة أخرى لا علاقة لها بالتحقيق ، إنما تخدم هدفاً من أهداف التحقيق ، تلك هي مناهج التبليغ ، وإيصال الرسالة إلى المجتمعات الانسانية .

وخلاصة اقتراحي أن يضاف أمران رئيسان للمهرجان السنوي ، أحدهما : إيجاد مركز خاص للمطالعات والتحقيق ، والثاني : إدخال مادة مناهج التحقيق في دراسات الحوزة العلمية .
أولويات البحث والتحقيق

س : ماهي في نظركم الأولويات التي على المركز أن يعني بها قبل غيرها ؟
سماحة السيد الحكيم : يمكن أن أشير هنا إلى عدة قضايا أعتبر أن لها الأولوية في هذه المرحلة :

الأولى : الأمور ذات العلاقة بأهل البيت عليهم السلام ، في قضية إمامتهم وولايتهم ودورهم في الدفاع عن الاسلام ، وما يرتبط ببعض القضايا العقائدية ذات العلاقة بأهل البيت عليهم السلام .

الثانية : المشكلات المعاصرة التي يواجهها العالم الاسلامي والتحديات التي يتعرض لها ، لا سيما في الألفية الثالثة ، فهناك اهتمام عالمي في تغيير معالم العالم .
الثالثة : مشكلات الشباب والمرأة ، لأنها من القضايا المهمة المعاصرة التي تحتاج إلى متابعة خاصة على مستوى البحث والتحقيق .

الرابعة : الحوار بين الأديان والمذاهب والمدارس الفكرية والسياسية المعاصرة . وأعني بذلك الحوار بين الاسلام والعلمانية .

وقضية الحوار من القضايا المهمة التي اهتم بها الاسلام منذ نزول القرآن الكريم ، إذ كان الحوار مع المشركين ، ثم مع أهل الكتاب ، ثم مع الجماعات داخل المجتمع الاسلامي كالمنافيين والمنشقين .

وتعتبر قضية الحوار أساساً مهماً جداً من أسس نشر الدعوة والفكر الاسلامي ، لأن الاسلام يعتمد بصورة أساسية على العقل والبرهان والحجة والمعرفة .
فالحوار يعطي فرصة كبيرة جداً لنشر الاسلام والوصول إلى الأهداف .
مقترحات في تطوير المركز

س : هل لديكم اقتراحات معينة في تطوير المركز وأساليب عمله ؟
سماحة السيد الحيكيم : أعتقد أننا بحاجة إلى أن نحول هذا المهرجان إلى مؤسسة ذات طبيعة مستقلة في كيانها ، حيث يكون لها لجنة دائمة ، ومركز دائم ، وعلاقات مستمرة مع الباحثين . وأن يكون لها القدرة على الاستفادة من نتائج البحث والقضايا العلمية التي يتم بحثها في هذا المهرجان ، وتوظيفها في خدمة الاسلام ، سواء بطريق الاتصال بالمراكز العلمية الأخرى للعرض والنشر في المناطق المختلفة ، أو غير ذلك مما يمكن أن تقوم به هذه المؤسسة .
والأمر الثاني المهم في هذا المجال : هو التخطيط . لأننا في عصر لا يمكن أن تنجز فيه الأهداف الكبيرة إلا من خلال البرامج المخطط لها مسبقاً . والتخطيط عنصر مهم جداً في تطوير أي عمل يراد إنجازه والوصول به إلى الهدف المرجو .

إذن ، فهناك ركنان أساسيان لنجاح أي عمل بعد التوكل على الله تعالى وإخلاص النية :
الركن الأول : تحويل العمل إلى مؤسسة لأن عصرنا هو عصر المؤسسات .
الركن الثاني : التخطيط المسبق .

أضف إلى ذلك أننا بحاجة إلى إيجاد اهتمام عام في المجتمع ، لأن مثل هذه الأمور لا يمكن الوصول إليها من خلال عدد محدود من الناس ، إنما نحتاج إلى تعبئة واسعة في الوسط العلمي بهذا الاتجاه .

مهام الحوزة العلمية في العصر الحديث^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين .

قال تعالى : ﴿ رب هب لي حكماً وأخفني بالصالحين ﴾^(٢) وقال عز وجل : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾^(٣) .

أتقدم أولاً بالتهاني الحارة لجميع السادة الأفاضل والسيدات الفضليات والأخوة الأعزاء بمناسبة هذه الأيام الشريفة أيام مولد سيدنا ومولانا ثامن الأئمة عليه السلام ، وأيام انتصار الثورة الإسلامية في إيران .

وفي الوقت نفسه أشكر للسادة الأفاضل القائمين على هذا المهرجان المبارك على إتاحتهم هذه الفرصة للقاء والحديث إلى السادة والسيدات .

وأحاول هنا أن أشير إلى بعض النقاط ذات العلاقة بهذا المهرجان الشريف ، وقد كان في ذهني ثلاث نقاط أحاول أن أختصرها لئلا أتجاوز الوقت المحدد :

النقطة الأولى : ترتبط بمناسبة مولد سيدنا ومولانا الامام الرضا عليه السلام .

والثانية : تتعلق بالمهرجان نفسه .

والثالثة : تتعلق بمضمون المهرجان والتحقيق العلمي . وقد لاحظت أن هناك علاقة بين هذه النقاط كلها . ولعل هذا ما دعا السادة الأفاضل القائمين على هذا المهرجان أن يربطوا بين هذه الموضوعات في هذا الوقت الشريف .

(١) كلمة سماحة السيد الحكيم (دام ظله) في المهرجان الثاني للشيخ الطوسي الذي أقيم في مدينة قم المقدسة يوم الاربعاء ١٦ / ٢ / ٢٠٠٠ م الموافق ١٠ / ١١ / ١٤٢٠ هـ ق ، ٢٧ / ١١ / ١٣٧٨ هـ ش .

(٢) الشعراء : ٨٣ .

(٣) طه : ١١٤ .

أبعاد حركة الامام الرضا عليه السلام

لقد اختص الامام الرضا عليه السلام من بين أئمة أهل البيت عليه السلام بأنه يمثل مرحلة جديدة من مراحل تطور حركة أهل البيت عليه السلام السياسية والاجتماعية ، وهم بعيدون عن قيادة التجربة الاسلامية والحكم الاسلامي .

ويمكن أن نشير لهذه الرحلة بعدة أبعاد لها علاقة بأوضاعنا الحالية :

البعد الأول : أن مذهب أهل البيت عليه السلام أصبح في زمن الامام الرضا مذهباً رسمياً معترفاً به من قبل الدولة . وهذا بعد مهم من أبعاد حركة أهل البيت عليه السلام ، ذلك لأن أهل البيت عليه السلام بسبب انتسابهم لرسول الله ﷺ ، فلا شك إن جميع المسلمين يكونون لهم الود والحب والعلاقة الطيبة ، باستثناء النواصب الذين يمثلون عدداً محدوداً . لكن مذهب أهل البيت عليه السلام والمضمون الفكري والروحي لمدرستهم لم يكن موضع اعتراف وقبول رسمي من قبل المجتمع الاسلامي .

وفي زمن الامام الرضا عليه السلام باعتبار شخصيته وحركة أبيه الامام الكاظم عليه السلام والطموح السياسي الذي كان يعيشه المجتمع الاسلامي ، كل ذلك أدى إلى أن تصبح هذه قضية معترفاً بها من الناحية الرسمية ، وتلقي بظلالها على أوضاعنا الحالية عندما قامت الدولة الاسلامية بعد فترة من الزمن على يد عالم رباني من علماء مدرسة أهل البيت عليه السلام وهو الامام الخميني رحمه الله بحيث أصبحت هذه الدولة من الحقائق الرسمية القائمة في عالمنا اليوم .

وقد سمعتم الحديث الشيق الذي تفضل به سماحة آية الله الشيخ مصباح يزدي « حفظه الله » والأبعاد ذات العلاقة بهذا الموضوع المتطور المهم الذي وجد بعد انتصار الثورة الاسلامية .

والبعد الثاني : في حركة الامام الرضا عليه السلام هو ذلك البعد المرتبط بالجانب العلمي لمدرسة أهل البيت عليه السلام ، بالرغم من أنها مدرسة قائمة بصورة أساسية على العلم بعد التقوى .

فالتقوى من القضايا المطروحة في هذه المدرسة منذ زمن الامام أمير المؤمنين عليه السلام حتى زمن الامام الرضا عليه السلام ، ولكن أتاحت للامام الرضا عليه السلام فرصة لم تتح للأئمة السابقين ، حيث إنه أصبح يعيش بشكل واضح ورسمي في إطار البلاط العباسي ، وفي مركز العالم الاسلامي الذي يضم مختلف العلماء ، سواء المسلمين أو غيرهم ، من علماء الدين والشرعية أو من علماء الطبيعة .

فالامام الرضا عليه السلام بادعائه الامامة ، وكونه في هذا المركز أمام كل العالم الاسلامي ، وادعائه العلم ، وأنه وأهل بيته عليه السلام ورثة العلم . وتقديمه للعالم ما يتناسب مع هذا الادعاء ، في أول مرة

ينفتح العالم على مذهب أهل البيت عليه السلام رسمياً، كل ذلك يعتبر الخصوصية التي ميزت حالة الامام الرضا عليه السلام بلحاظ دخوله في مختلف الأبعاد العلمية والتنوع العلمي الذي اختص به، سواء في علوم الشريعة أو علم الكلام أو علوم الأديان الأخرى. وقد دخل في مناقشات مع الأديان أو العلوم الفلسفية ذات العلاقة بالأفكار الفلسفية المطروحة في ذلك الوقت.

البعد الثالث: القاعدة الشيعية الكبيرة التي كان الامام الرضا عليه السلام يتحرك فيها والتي أصبح لها ظهور ووجود واضح على مسرح الأوضاع السياسية والاجتماعية، تلك القاعدة التي بناها الأئمة السابقون، لكن الامام الرضا تسلمها وجعلها قاعدة تعيش وتتحرك أمام أنظار العالم. وهذه قضية مهمة جداً في إدارة القاعدة لأول مرة تحت الضوء وفي الأحداث العملية الظاهرية. وهذا مما يميز بشكل واضح تلك المرحلة.

فحوزاتنا العلمية كانت موجودة ومتطورة منذ زمن الأئمة عليهم السلام، وكان للشيخ الطوسي دور مهم جداً في تأسيسها، لكنها تختلف بطبيعة الظروف التي تعيشها، باعتبار ظروف القاعدة الرسمية العلنية المطروحة والموضوعة تحت الأضواء الكاشفة لكل خصائصها الإيجابية والسلبية.

الامتحانات العسيرة في حياة الامام الرضا

البعد الرابع: الامتحانات العسيرة التي مر بها الامام الرضا عليه السلام. والتي كانت فريدة في عسرها، ولم يعرفها بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام في مجموعها. وقد يكون بعض الأئمة عرف بعضها دون بعض.

ومن هذه الامتحانات:

١- المشكلة الداخلية وأوضاع القاعدة الشيعية. حيث إن الكثير من أركان شيعة أبيه الذين كانوا يمثلون وجوداً مهماً جداً في المجتمع الشيعي في ذلك الوقت، ارتدوا - لسبب أو لآخر - عنه، وقالوا بالوقف^(١)، وهذه من القضايا المعقدة التي واجهها الامام الرضا عليه السلام، لأنها قضية داخلية مرتبطة بجوانب معنوية وتنظيمية داخل الجماعة. وهذا ما لم يواجهه بقية الأئمة.

٢- الموازنة بين الوضع الرسمي الجديد - وهو ولاية العهد - وبين مواجهة الظلم والظغيان والاستكبار في المجتمع الاسلامي أو خارجه. وهذه من القضايا العسيرة الحساسة التي لم يواجهها بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام. فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام حاكماً، ويده إدارة الدولة، وهكذا الامام

(١) أي أن الامامة توقفت وانقطعت عند الامام الكاظم عليه السلام، ولا إمام بعده.

الحسن عليه السلام. والأئمة من بعدهم لم يكونوا في الحكم، وكانت قضية مواجهة والظلم الطغيان هي الأولى والأخيرة.

أما أن يكون الإنسان في الحكم من ناحية، وليس بيده تفاصيل الحكم من ناحية أخرى، وعليه أن يقف في مواجهة الاستكبار والظلم والانحراف والمشكلات الداخلية التي يواجهها المسلمون. فهذا من المشكلات العسيرة.

٣- الوراثة إمتداد الخلافة، وهذا ما لم يتعرض له الأئمة إلا الامام العسكري عليه السلام. فالامام الرضا عليه السلام جاء إلى الخلافة ولم يكن له ولد. وبقي في هذا الموقع فترة طويلة وليس له ولد. وكانت ولادة الامام الجواد عليه السلام في فترة متأخرة عن تسلم الامام الرضا للامامة. وهذه مشكلة كانت في العقيدة الشيعية، وكانت فكرة الامامة وامتدادا واستمرارها موضع استفهام، فكيف يكون هذا هو الامام، وامتداد الامامة من خلاله وليس له ولد؟

وإذا أردنا أن نطبق هذه الامتحانات على أوضاعنا الفعلية، نجد لها الكثير من المعالم. لقد كان الامام الرضا يمثل مرحلة مهمة جداً من مراحل التطور في حركة أهل البيت عليه السلام. ونحن في أية مرحلة جديدة نواجه التطور، يجب أن نكون دقيقين في موضوع البحث والتحقيق من أجل الوصول إلى الصورة الواقعية الدقيقة، وعدم الاكتفاء بالمظاهر والتخلفات القديمة التي كان الانسان يعيشها في ظروف أخرى، تمثل مرحلة سابقة في الأمة والجماعة.

الموقع المتميز للشيخ الطوسي

والشيخ الطوسي - أيضاً - كان يمثل مرحلة جديدة في الحركة العلمية في عصر الغيبة، ويمكن أن نقول: إنه يمثل التمرکز لكل الحركة العلمية لأهل البيت في عصر الغيبة الكبرى. وإذا أردنا أن نلاحظ الخطوط الرئيسة، نرى دائماً أن تاريخ الشيخ الطوسي يشهد حالة من التطور الكيفي الملحوظ، مع الجمع بين الجانب الكمي والتعدد في العلوم التي كانت تعيشها تلك المرحلة، وقد تركز الخط الحديث في نهاية الشيخ الطوسي، وكان بدأ بصورة رئيسة بأعمال الشيخ الكليني، ثم الشيخ الصدوق.

وتطور هذا العلم أيام الشيخ الطوسي بما أدخله من تحقيق، لا سيما في موضوع الجمع والتنسيق بين الروايات والوصول فيها إلى رؤية واحدة مستخلصة من مجموع هذه الروايات. وهكذا في التطور الذي حصل في علم الرجال الذي بدأ بالكشي، والبرقي، ثم التطور الذي

حصل في النجاشي حتى وصل إلى الشيخ الطوسي الذي مثل القمة في مجال علم الرجال .
وهكذا في علم الكلام، عندما بدأ بالشيخ الصدوق، والمفيد، والمرتضى، ثم تركز بالشيخ
الطوسي .

ثم في علم التفسير الذي بدأ بالعيشي، وابن إبراهيم القمي، ثم تركز في الشيخ الطوسي في
التيان . وهكذا .

والشيء المهم بعد هذا التركز في تحول حالة الشيخ الطوسي، أنه استطاع أن يوجد القاعدة
المستقلة علمياً وبشرياً لمدرسة أهل البيت عليه السلام . فقد كانت مدرسة أهل البيت في الكوفة، ثم في
بغداد، وقم، ومناطق أخرى، لكنها كانت ضمن الحالة العلمية العامة، ولم تكن حالة مستقلة إلا في
بعض المعالم الجزئية التي كانت في قم . وهذه من خصائص قم، لأنها في الأصل مدينة شيعية .
والنجف الأشرف لم تكن مدينة آنذاك، إنما كان هناك قبر للإمام علي عليه السلام . والتمدن في
النجف أساسه التشيع واجتماع الشيعة .

فالشيخ الطوسي الذي يمثل علماً من أعلام الاسلام، انتقل إلى النجف، فأوجد قاعدة
علمية مستقلة عن بقية القواعد . فقد كانت أيام الشيخ المفيد مختلطة، وهكذا في أيام السيد
المرتضى . أما الشيخ الطوسي فكان له هذا الاستقلال .

وهكذا في القاعدة البشرية المستقلة . فهو يمثل خطوة مهمة جداً للحركة العلمية لأهل
البيت عليه السلام ، مضافاً إلى التنوع والتطور في العلوم، وهذا أيضاً شيء مهم في مدرسة الشيخ الطوسي .
دعائم التطور

وإذا أردنا أن تنتقل إلى ظروفنا الفعلية وهذا المهرجان المسمى باسم الشيخ الطوسي، فإننا
نريد أن نأخذ القضايا ذات العلاقة بالتطور الذي نعيشه، والانجاز العظيم الذي حققه الامام في مثل
هذه الأيام، وإقامة الدولة الاسلامية .
وأشير هنا إلى عدة نقاط :

التحقيق والبحث العلمي

الأولى : البحث العلمي . وهذا هو مهرجان التحقيق والبحث العلمي الذي يعتبر ركناً رئيساً
من الأركان التي حفظت مدرسة أهل البيت عليه السلام ، وهو الركن المهم والحافظ لهذه المدرسة في خضم
الظروف وتلاطم الأمواج والصراعات السياسية والاجتماعية، وهذا ما ميز مدرسة أهل

البيت ﷺ وجعلها قادرة على أن تبقى وتستمر، ثم تتنامى وتتطور وتصبح المدرسة الأولى التي ينظر إليها العالم في مستقبل البشرية. وهذا الخط هو الذي سوف يستمر - باذن الله - حتى ظهور الحجة بن الحسن «عج» ليقم العدل والقسط في العالم. ولذلك كانت قضية الحوزات العلمية هي الأولى في مدرسة أهل البيت ﷺ.

صحيح أن في قائمة الأولويات يأتي الايمان بالله كقضية أولى، ثم التقوى، ولكن إذا أردنا أن نتحدث عن الأولويات في المحافظة على هذا الوجود، وفي ما يحفظه ويقيه، فأعتقد أن قضية التحقيق العلمي والمدارس والحوزات العلمية كان لها الدور الرئيس في حفظ هذا الخط الأصيل واستمراره، حتى يأذن الله بالنصر والفتح الكامل، وتحقيق الوعد الذي وعد الله به المسلمين.

ومن هنا نجد هذا الاهتمام من صاحب العصر بقضية الحوزات العلمية بصورة خاصة، وانتائها له من ناحية، واهتمام كل الأجيال والصالحين من أبناء هذه المدرسة من علماء وغيرهم بقضية الحوزات العلمية والتحقيق، باعتبارهم كانوا يشعرون أن هذا هو المحافظ بعد الله سبحانه وتعالى لهذا الوجود من ناحية أخرى.

التنوع المعرفي

الثانية: التنوع وتلبية الحاجات، فنحن الآن نعيش في عصر من التطور نواجه فيه حاجات تختلف بصورة نوعية وكمية كبيرة عما كنا نواجهه من حاجات في المرحلة السابقة.

فنحن الآن أمام مرحلة انفتحنا فيها على كل حاجات البشرية ومتطلباتها وأساليبها ومناهجها وأفكارها، والأمل الكبير الذي تعيشه البشرية تجاه هذا الخط الأصيل، بعد أن طرح كمنقذ للبشرية في هذا العصر، يدافع عن المستضعفين في كل العالم باعتبار الشعور الكبير لدى البشرية بالحاجة لمثل هذا الفكر.

ولابد أن يكون عملنا التحقيقي العلمي يتجه لتلبية هذه الحاجات، وملء الفراغ، وأن يكون له هدف. وهذا هو شأن مدرسة أهل البيت بكل أدوارها.

الانفتاح والمبادرة

الثالثة: الانفتاح على العالم الاسلامي والعالم عموماً في الحركة. فقد أصبح العالم منذ خلال وسائل الاتصال مدينة واحدة، ونحن مضطرون أن نفتح على العالم. وإذا لم نفتح عليه، فسوف يهاجمنا لنضطر أخيراً أن نفتح عليه مغلوبين لا غالبين، مهزومين لا منتصرين. فالعزلة والانطواء

والابتعاد والانزواء كل ذلك غير ممكن في هذا العصر . فإما أن نكون قادرين على الأخذ بزمام المبادرة ، والقيام بتحقيق النصر والفتح في العالم أو أن ننتظر ليغزونا العالم ويهاجمنا ونكون تحت تأثيره . ولا مناص من أحد هذين الأمرين .

في العالم السابق يمكن أن نزوي ونطوي . ونحصن أنفسنا ونجلس في بيوتنا أو مدننا ومناطقنا . أما في هذا العصر فهذا أمر غير ممكن . ومن ثم فلا بد في قضية التحقيق والعلم والمنهجية أن نأخذ بنظر الاعتبار هذا النوع من الانفتاح الإجباري والقهري المفروض علينا شئنا أم أبينا .

استغلال الوسائل الحديثة

الرابعة : الحرية والفكر . فإذا أردنا في هذا الانفتاح أن ننتقي الكلمات في قضية الصراع بين الحضارات والثقافات والافكار إلى الصراع بين الحضارات والثقافات ، ففي هذا الحوار أو المعركة لا نملك إلا الايمان بالله ، والعلم والتحقيق . ولا بد أن نحول كل الامكانات التي يملكها الآخرون في حوارهم معنا أو عدوانهم علينا ، لصالحنا من خلال الفكر والعلم والتحقيق .

فالحرية التي يملكها العالم الآن ، حيث الفضاء بيد غيرنا يتحرك فيه بحرية ، وأصبحت بيوتنا التي نعيش فيها بيدهم يتحركون فيها بحرية من خلال الاذاعة والتلفزة والفضائيات والصحافة وغير ذلك . هذه الحرية المفروضة علينا شئنا أم أبينا يمكن أن نستخدمها لطرح الفكر الاسلامي والمعرفة الاسلامية والعلم والتحقيق ، ونغزوهم في ديارهم .

وهكذا في الامكانات الأخرى التي يملكها أعداؤنا ، ويمكن أن نستخدمها من خلال العلم . فقضية العلم والفكر وتوجه الانسان في تكامله نحو المعرفة والوصول للحقيقة ، تخدمنا إلى حد كبير إذا أحسنّا استخدام العلم وكنا من العلماء حقاً .

وقد أعجبتني هذه الخصوصية في حديث الشيخ المصباح عن حقوق المرأة وعلاقاتها مع الرجل في المجتمع الاسلامي والنظرية الاسلامية ، حيث قال : إن هذا الطرح قدمته ضمن نظام معين . صحيح أننا لا نريد أن نطرح شيئاً غير الاسلام ، ولكن كيف ؟

إن القرآن الكريم طرح الرسالات السماوية السابقة نفسها ، ولكن بطريقة ونظام كان قادراً على التأثير على الناس .

فلا بد أن نأخذ قضية الخطاب الثقافي والسياسي أخذاً قوياً ، ونلاحظ قضايا الحال التي يطابقها الكلام . ونحن نملك ثقافة أصيلة هي ثقافة أهل البيت عليهم السلام ، ونملك العلم الطاهر النظيف

الذي لم يتأثر بأية حضارة أخرى من خلال المحافظة عليه في الحوزات العلمية ، لكننا نحتاج أيضاً إلى الخطاب المناسب الذي نواجه به الناس والشعوب والأمم في هذا العصر، كما خاطب القرآن الكريم الشعوب والأمم في عصره . وأرجو أن يكون هذا الأمر موضع التحقيق للوصول إلى المنهج الصحيح في طرح الاسلام وعودته .

أسأل الله تعالى أن يجعل من هذا المهرجان بداية خير لننتفتح في هذه المجالات . وأسأله تعالى التوفيق والسداد . وإلى أرواح شهدائنا الأبرار وعلمائنا ومراجعنا الأخيار ، لا سيما إمام الامة والشهيد الصدر وأسلافنا الصالحين ، نقرأ الفاتحة ، ونسأل الله أن يحفظ هذه الدولة الشريفة وقائدها ولي أمر المسلمين ويحفظ العلماء والمراجع والمدرسين والطلبة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أهل البيت عليهم السلام والحوزة العلمية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين ، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، والصلاة والسلام على سيدتنا ومولاتنا الصديقة الطاهرة المتحنة الصابرة فاطمة الزهراء ، سيدة نساء العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج) ، والسلام على شهداء الاسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للاسلام وحتى هذا العصر ، والسلام على سادتي وإخوتي وأبنائي وأعزائي الاساتذة والطلبة الحاضرين ورحمة الله وبركاته .

المقدمة

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ رُبُّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ رُبُّنَا وَآتَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأَكْفَرْنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴿٢﴾ .

في البداية أبارك للاخوة والسادة الأفاضل هذه الأيام الشريفة المنسوبة الى سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام ، حيث إننا على أعتاب ولادتها المباركة - وكنا قد ودّعنا قبل أيام قلائل ذكرى شهادتها - وأسأل الله أن يجعل هذه الأيام أيام بركة وخير لكم ، حيث كان افتتاح هذا

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) في يوم الأربعاء المصادف ١٣ / ٩ / ٢٠٠٠م ، ١٤ / ٦ / ١٤٢١ هـ . ق ، ٢٣ / ٦ / ١٣٧٩ هـ . ش في مدرسة دار الحكمة للعلوم الاسلامية في مدينة قم المقدسة .

(٢) آل عمران : ١٩٣ - ١٩٥ .

العام الدراسي للحوزة العلمية في قم بصورة عامة، ولهذه المدرسة العزيزة بصورة خاصة، وأسأل الله أن يجعلها فاتحة خير ومنفعة لكم وللمؤمنين جميعاً.

وفي الوقت نفسه أبارك للاخوة والسادة الأفاضل في هذه المدرسة النجاح العلمي والعمل الذي حققته هذه المدرسة طيلة الأعوام السابقة، لا سيما هذا العام، حيث حصلت هذه المدرسة على الدرجة الأولى بين المدارس العلمية غير الايرانية.

كما أنها تمكنت أن تقوم بمجموعة من النشاطات الأخرى، غير النشاط الحوزوي الخاص بها، كالنشاطات التربوية التبليغية، وهذا العمل يستحق التبريك والثناء والتقدير، والشكر لله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الذي تفضل به عليكم.

مواصفات طالب الحوزة العلمية

الحديث الذي وددت أن أتناوله في هذا اللقاء، أحاول أن أجعله مكملًا للأحاديث السابقة، التي تناولتها في مثل هذه المناسبة في الاعوام السابقة، ولذلك فإنني أحتاج الى اشارة سريعة الى ما ذكرته في الاعوام السابقة لأربطه بهذا الحديث.

ففي الاعوام السابقة تحدثنا عن الحوزة العلمية ودورها ورؤيتها، ثم تناولنا بعد ذلك الخصائص التي يجب أن يتصف بها طالب العلوم الدينية.

وفي هذا المجال تم التأكيد على أن هناك مواصفات وخصائص لا بد أن يتصف بها طالب الحوزة، وهي تشكل حالة التكامل في حركة طلاب العلوم الدينية، وفي حركة الحوزة العلمية بصورة عامة.

فالحوزة العلمية بالرغم من أن عنوانها ومحورها هو العلم، ولكنه ليس كل شيء فيها، لا في بداياتها، ولا في بنائها، ولا في أهدافها التي تسعى إليها، إنما يمثل العلم صفة تكاملية في حركة الانسان، وهو وسيلة من الوسائل التي وضعها الله أمام الانسان ليحقق من ورائها الاهداف التكاملية التي يسعى لها.

وعندما نتحدث عن العلم والحوزة العلمية، فلا بد أن نبين المواصفات الأخرى المطلوبة، والتي أشرت لها في أحاديث سابقة، وأجملها بما يلي:

أولاً: التقوى والأخلاق، فهي تمثل أساساً في الحوزة العلمية، وبدونها قد يتحول العلم الى سيف يستخدم في إيذاء الناس والاضرار بهم، والافساد، وقد وردت أحاديث كثيرة عن

النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام تبين دور علماء السوء في افساد المجتمع والاضرار به ، مع أن هؤلاء فيهم عنوان العلم والعلماء ، ولكنهم فقدوا التقوى والاخلاق فكانت النتائج مدمرة للمجتمع .

وهناك بعض النصوص تشير الى أن أكثر الأمور إضراراً بالمجتمع هم علماء السوء ، فالعلم بدون التقوى والاخلاق لا دور له في حياة الانسان ، ولا يمكن أن يصل بالانسان الى التكامل^(١) .
ثانياً : الشعور بالمسؤولية وتحملها ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في آية النفر التي تمثل الأصل في تأسيس هذه المؤسسة حيث قال تعالى : ﴿ ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾^(٢) ، فقد وضع النفر لطلب العلم الى جانب النفر للجهاد .

والظاهر من تفسير الآية ، أن النفر الأول هو النفر للجهاد ، ومن ثم فقد وضع القرآن هذا المشروع ، وهو تقسيم الناس الى جماعة تنفر للجهاد ، وأخرى تنفر لطلب العلم والتفقه في الدين ، وهذا يعبر عن منطلق الشعور بالمسؤولية تجاه التصدي ، وإبلاغ الرسالات الالهية وايصال الحكم الشرعي ، ومعالم العقيدة والهدى للناس . إلى غير ذلك مما يرتبط بهذه المسؤولية .
ثالثاً : التصدي لعملية الانذار ، حيث إن الشعور بالمسؤولية يكون أثره أن يتصدى طالب العلم لهذه العملية .

رابعاً : الرؤية الاجتماعية والسياسية للواقع الاجتماعي ، فإذا أراد طالب العلم أن يؤدي هذه المسؤولية التي يشعر بها ويقوم بالتصدي لها في الواقع الاجتماعي ، فلا بد أن تكون لديه رؤية للأوضاع الاجتماعية والموقع الاجتماعي ، حتى يكون قادراً على هذا الأداء ، وإلا فسوف يكون إما معزولاً أو فاشلاً في أداء مهمته وقدرته على الوصول الى تحقيق هذه الاهداف .
وعندما نتحدث عن طالب العلم ، فإننا نتحدث عن الحوزة العلمية ، باعتبار أنه يمثل اللبنة

(١) عن ابي عبد الله عليه السلام قال : « إذا رأيتم العالم محباً لديناه فاتهموه على دينكم ، فإن كل محب لشيء يحوط ما احب - اي يحفظ ويتعهد - وقال عليه السلام : أوحى الله الى داود عليه السلام : لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي ، فإن أولئك قطع طريق عبادي المريدين ، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم » ، الكافي ١ : ٤٦ ح ٤ ، وغيره من الاحاديث ، راجع الكافي ١ : ٤٦ - ٤٧ ، باب المستأكل بعلمه والمباهي به .

(٢) التوبة : ١٢٢ .

الرئيسة في هذا البناء المبارك، فإذا لم يكن للحوزة العلمية هذه الرؤية الاجتماعية الشاملة، فلا يمكن لها أن تؤدي دورها كمؤسسة أصيلة أوجدها الاسلام في صدره الأول، واستمرت حتى يومنا الحاضر، ومن ثم فهي من المؤسسات الأصيلة.

الرؤية الاجتماعية

وقضية التكامل مهمة جداً في بناء الحوزة العلمية وحركتها، ومن منطلق التكامل أود أن أتحدث عن قضية الرؤية الاجتماعية وأبعادها، التي نحتاجها في هذا العصر، وأشير إلى مجموعة من الاثار والملاحظات المقرونة بوصايا مهمة جداً في هذه المرحلة.

وقد تحدثت في العام الماضي عن أهمية الثقافة السياسية الاجتماعية في المواد الدراسية للحوزة العلمية، وكذلك عن أهمية المنهج العلمي الذي تتبعه الحوزة في الوصول الى الحقائق والمعلومات، وقلت: إن هذا منهج صحيح وهو منهج الاسلام الأصيل، فلا بد من العمل على تعميمه في الأوساط الاجتماعية في المجتمع الإيماني، ومن نخطبه من الناس في ثقافتنا ومعلوماتنا. لأن هذا جزءاً مهماً من أجزاء الثقافة وهو المنهج.

وقد أشرت في الأحاديث السابقة، الى أن أهل البيت عليهم السلام خاضوا معركة عنيفة فيما يتعلق بموضوع المنهج، وأنه يجب أن يعتمد بصورة أساسية على القرآن الكريم والسنة الشريفة، وعلى العلم والعقل في الوصول الى الحقائق والنتائج، في مقابل مدرستين أخريين معروفتين في التاريخ والمجتمع الاسلامي، وهما مدرسة الرأي التي أسسها - بشكل رئيس - أبو حنيفة، وإن كانت أصولها وجذورها تمتد الى زمن ما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد كان أحد مؤسسيها البارزين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حيث اتبع هذا المنهج والاسلوب كطريقة واسعة في التعامل مع القضايا والأحداث.

وكان أبو بكر من قبله قد اتبع هذا الاسلوب، ولكن بشكل محدود، وقضية السقيفة اعتمدت على هذا التصور في مقام تفسيرها للمسلمين، مع قطع النظر عن الخلفيات الروحية والسياسية والأخلاقية التي كانت وراءها، ولكن التفسير الذي قُدم للمسلمين - والذي أشارت إليه الزهراء عليها السلام - هو خوف الفتنة، وقد استشهدت الزهراء عليها السلام بقوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١).

وإنما قام هؤلاء بهذا العمل خوفاً من الوقوع في الفتنة والاضطراب ، فأعملوا رأيهم في مقابل النص الذي جاء من الرسول ﷺ ، لذا فإن مدرسة الرأي لها جذورها ، ولكنها تحولت الى مدرسة في زمن أبي حنيفة .

أهل البيت ﷺ ومدرسة الرأي وأهل الحديث

وقد خاض أهل البيت ﷺ صراعاً في مختلف الادوار لمواجهة هذه المدرسة ، واعتبروها أخطر من المدرسة الثانية المعبر عنها بمدرسة أهل الحديث ، وهي مدرسة الجُمُود والتحجر والوقوف على النص القرآني ، ونصوص الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ ، دون تدبر وبحث ومقارنة بينها .

وقد واجه الأئمة ﷺ هذا الأمر منذ الصدر الاول للإسلام وفي زمان الخلفاء ، لا سيما بعد الخليفة الثاني ، ففي زمن عثمان أصبحت هذه القضية بارزة في حركة المسلمين ، ثم تطورت بعد ذلك حتى أصبحت مدرسة معتمدة في الفكر ، ويعتبر عبد الله بن عمر رائد هذه المدرسة في الصدر الأول للإسلام ، وقد تطورت هذه المدرسة على يد مجموعة من العلماء ، ولا نريد أن ندخل في تفاصيل هذا الحديث .

منهج أهل البيت ﷺ

إن المنهج العلمي المتبع في مدرسة أهل البيت ﷺ هو المنهج الوسط ، الذي يعتمد على القرآن الكريم والحديث والعقل ، وعلى مقارنة الآيات الكريمة والروايات الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ ، والخروج بالنتائج من خلال هذه المقارنة .

وهذه هي المدرسة الصحيحة التي أسسها أمير المؤمنين ﷺ والأئمة من بعده ، فقد كانوا ينتقدون أصحاب مدرسة الحديث ويقولون في حقهم : هل إن هؤلاء الذين يستنبطون الاحكام الشرعية من القرآن الكريم والحديث يعرفون الناسخ من المنسوخ ؟ وهل يعرفون المطلق من المقيّد ، والعام من الخاص ؟ فعرفة هذه الأمور والمقارنة بينها هي الموصلة للنتائج المطلوبة . وهل يعرفون المحكم من المتشابه ؟ ففي القرآن الكريم محكم ومتشابه ، ولا بد من المقارنة بينها^(١) .

وهذا النوع من التفكير يمثل أصلاً من الأصول في المنهج ، ولا بد من تعميم هذا المنهج كثقافة عامة في الأوساط الشيعية ، تقوم على أساسها الحوزة العلمية ، ونحتاج الى تعميم هذه الثقافة في

(١) راجع الكافي ١ : ٦٢ - ٦٤ ، ح ١ ، باب اختلاف الحديث .

الوسط الإيماني من أجل تحصينه من آثار مدرسة الحديث وهي مدرسة التحجر والجمود في فهم النصوص الشرعية ، وكذلك من مدرسة الرأي التي فيها الكثير من الإفراط والعمل بالظنون والاستحسانات ، والخضوع للرغبات والشهوات ، أو كما يعبر عنه بالمصالح المرسله ، وهو أن يفكر كل شخص بما تقتضيه المصلحة ، فيحاول أن يفسر الاسلام والشرعية بما يدركه من هذه المصالح ، لا بما يستنبطه من النصوص الشرعية . وهذا ما يعبر عنه - أحياناً - بحركة الإصلاح التي يراد منها هذا المعنى من الإصلاح الذي فيه انحراف في فهم الاسلام .

أبعاد الرؤية الاجتماعية والسياسية

وفي هذا اليوم أريد أن أتناول الأبعاد ذات العلاقة بالرؤية الاجتماعية والسياسية :

البعد الأول : هو البعد المستقبلي في حركة الحوزة والاسلام ، وهو بعد مهم جداً ، فعندما تبني هذه المؤسسات والمدارس وهذا الكادر والصفوة من أبناء الاسلام كالطلبة والمدرسين والعلماء والمجتهدين وهو هذا الخط المتمثل بالحوزة ، فاننا نحتاج الى هذه الرؤية المستقبلية في حركة الاسلام . ونحن نعتقد أن حركة الاسلام حركة متنامية ومتطورة ، وسوف تنتهي الى إقامة الحق والعدل الالهي الكامل في الأرض على يد مهدي أهل البيت عليه السلام .

ولكن هذه الرؤية العامة التي هي جزء من عقيدتنا وفهمنا للتاريخ ، نحتاج الى تطبيقها في الواقع الفعلي في حياتنا وفي كل عصر وزمان ، وقد نجد أمامنا بعض المفردات التي تعبر عن هذه الرؤية المستقبلية ، مثل رؤية حوار الحضارات أو صراعاها ، وهذه قضية ذات بعدين وقد تناولتها في بعض الأبحاث ، فإذا أردنا أن ننظر للحضارة من خلال الفكر والفهم للكون والحياة فهناك صراع بين الحضارات ، وإذا أردنا أن ننظر للحضارة من خلال التطور العلمي والمدني والوسائل التي توصل اليها الانسان لتطوير أساليب المعيشة ، فيمكن أن نعبر عنها بحوار الحضارات ، لأنه من الممكن أن يتفق عليها الناس ، وتصبح قضايا مشتركة في حياتهم ، مهما كان إنتاؤهم الحضاري في المعنى الفكري والعقائدي ، ورؤيتهم للكون والحياة .

والمفردة المطروحة - الآن - في العالم تمثل حالة تقدمية في حركة الانسان باتجاه الوصول الى ذلك الهدف الكبير ، وهي حالة يعيشها الانسان في هذا العصر . وقد رأيتهم أن هذا العام أعتبر - عالمياً - عام حوار الحضارات ، وقد عقدت اجتماعات لا نظير لها في التاريخ الانساني على المستوى العالمي من أجل هذا الحوار ، وقد شاركت الحوزة العلمية - ولو بصورة محدودة - في هذا

الحوار .

وهذا يفتح الآفاق أمام الحوزة العلمية، لكي تبني وجودها بصورة تتمكن فيها أن تساهم بشكل حقيقي في هذا الحوار، وتحقق النصر فيه، والتقدم باتجاه الهدف وهو إقامة الحق والعدل المطلق على يد الامام المهدي عليه السلام، حتى تصبح الحوزة العلمية المهد الحقيقي لذلك الهدف.

وهكذا رأينا حوار الأديان كمفردة أخرى، فلاول مرة يُعقد - عالمياً - حوار يسمى بحوار الأديان بهذه السعة والأفق، بحيث شارك فيه أكثر من ألف شخصية تنتسب لمختلف الأديان الالهية أو الوضعية، ومع الأسف لم نوفق للمشاركة في هذا الحوار بالرغم من أننا دُعيينا له، فعندما يصبح الاسلام طرفاً مهماً في حوار الاديان، فهذا يعبر عن الرؤية المستقبلية.

وهذا الأمر الذي حدث في العام الماضي كانت له مقدمات كثيرة في العقد السابق، فبعد توقف الحرب العراقية الايرانية وحتى الآن عقدت مؤتمرات تنطلق من هذا المنطلق، فبعضها في إطار الأديان من قبيل المسيحية والاسلام، وبعضها في إطار الأديان كلها، وأحياناً يكون الحوار ثنائياً، أو ثلاثياً، أو رباعياً، بحسب اختلاف المؤتمرات التي عقدت.

فهذه حركة موجودة في الواقع الانساني، وليست بصدفة أن ترتبط بالألفية الثالثة، أو بمناسبة من المناسبات تعقد فيها حفلة من الحفلات، وإنما هي حركة قائمة في المجتمع الانساني وتعبر عن رؤية مستقبلية في موقف الاسلام من حوار الأديان عندما يصبح معها وجهاً لوجه.

وقد أكد القرآن الكريم على هذا الأمر، حيث قال: ﴿يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله﴾ ^(١)، فالقضية مطروحة منذ ذلك الوقت، ونجد في تاريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام معالم واضحة في هذا النوع من لحوارات تعبر عن مستقبل الحوزة العلمية، التي كانت محاصرة - سابقاً - نتيجة للظروف التي مرت بها.

وهكذا يمكن أن نجد أمامنا قضية أخرى يُعبر عنها بالآفاق، التي أفتتحت في عالمنا اليوم من خلال الألفية الثالثة، فهناك آفاق الحديث مع الناس في كل مكان من خلال التلفزة والمذياع والانترنت ووسائل النشر لمختلف اللغات، بحيث تصبح الحوزة أمام مثل هذه الآفاق الواسعة.

وقد نقل لي أحد الأخوة أن كتاب (علوم القرآن) تُرجم الى اللغة الصينية، ولم يخطر بباله قبل خمسة وثلاثين عاماً أن يأتي يوم من الأيام تكون هذه المحاضرات - التي ألقيتها في بغداد -

مترجمة الى لغة يتحدث بها مليار ومأتا إنسان .

وهذا الأمر إنما أقوله كمفردة صغيرة ترتبط بحركتنا الشخصية ، وانظروا الى العالم تجدوا أمامكم آلاف المفردات تعبر عن هذه الرؤية المستقبلية ، فيجب أن تكون هذه الرؤية جزءاً حقيقياً من حركتنا كحوزة علمية بصورة عامة ، وفي هذه المدرسة المباركة بصورة خاصة .

الهجمة الاستكبارية على الحوزة العلمية

البعد الثاني : في رؤيتنا الاجتماعية والسياسية هو قضية الهجمة الاستكبارية على الحوزة العلمية ، فقد كانت هناك هجمة موجودة وقائمة ، ولا سيما في عصرنا الحاضر .

في القرن الماضي تمكن الاستكبار من أن يهيمن على العالم الاسلامي ، ولكن لم يكن من أهدافه الرئيسية الحوزات العلمية ، وإنما الدولة الاسلامية في ذلك الوقت ، فقد كان الهجوم على مقدرات العالم الاسلامي وثوراته .

وقد تعرض الفكر الاسلامي - قبل الهجوم على الخلافة الاسلامية - لهجوم من خلال حركة الاستشراق والتبشير المسيحي ، أما في هذا العصر فالحوزة العلمية أصبحت من المفردات الرئيسية التي تتعرض لهجوم الاستكبار ، ولا أعني هجوم عناصر الاستكبار في هذا البلد أو ذاك ، أو عملاته كصدام وأمثاله ، وإنما الاستكبار العالمي في مخططاته المركزية يضع الحوزة بتشكيلاتها وفكرها ومنهجها كهدف رئيس في الهجوم على الاسلام .

وأحد أسباب هذا الهجوم هو النهضة الاسلامية التي بدأت تدخل العالم ، من خلال الوجود المبارك للدولة الاسلامية ، التي أقامتها الحوزة والعلماء ، ولا زال العلماء يتصدون لإدارتها ، ولا زالت الحوزة العلمية المركز الرئيسي في هذه الحركة ، من خلال مؤسساتها ، ومن خلال مجلس الخبراء وموقع ولاية الفقيه الى غير ذلك . وهذه مسائل ترتبط آلياً بصورة أساسية بالحوزة العلمية .

والنهضة الاسلامية ودخول الاسلام الآن الى صراع الحضارات أو حواراتها كان أحد عوامله وأسبابه - حسب فهم الاستكبار هو هذا الموضوع ، إن لم يكن هو العامل الأول - ولذلك توجد هجمة واسعة جداً على هذه المؤسسة ، سواء على مراجعها أو مناهجها أو طريقة تفكيرها أو عقيدتها أو غير ذلك .

وقد يصل الأمر الى تفاصيل لا يراها المرء تستحق هذا القدر من الاهتمام من قبل العالم ،

فقد يستغرب الانسان أن تطرح قضية الزهراء عليها السلام - مثلاً - في الفضائيات التي يسمعا كل العالم ، ويدور الحديث عن الموقف تجاه هذه القضية .

أو فيما يتعلق بولاية الفقيه ، حيث تُجند لذلك أجهزة واسعة للحديث عن هذا الموضوع ، أو المرجعية الدينية التي لم يكن يعرفها الناس سابقاً . أو غير ذلك من القضايا التي لم تكن مطروحة سابقاً .

مشكلات الحوزة العلمية

البعد الثالث : مشكلات الحوزة الداخلية ، فبالرغم من موقع الحوزة العلمية الهام ، حيث تمثل المؤسسة الثانية من حيث الأهمية بعد الولاية ، وبالرغم من الانجازات العظيمة التي تمكنت أن تحققها ، والتي لم تتمكن أية مؤسسة - بعد أئمة أهل البيت عليهم السلام - من تحقيقها ، وبالرغم من قدرتها وثباتها وصلابتها والأسس القوية التي تقوم عليها ، فإنه لا ينبغي أن تغفل عن المشكلات التي تعيشها هذه الحوزة .

وبعض الاشخاص عندما يتحدث عن الحوزة العلمية لا يرى إلا العناصر الإيجابية - وهي كثيرة - ويغفل عن المشكلات ، وبعضهم يغفل الإيجابيات وينقلب على عقبيه ويرى المشكلات وحدها ، دون أن يفهم الموقف تجاه هذه المشكلات ، فيسقط .

ونحن لا بد أن نكون قادرين على إيجاد هذه الموازنة في فهم الحوزة وموقعها وأهميتها ، ولكن في الوقت نفسه لا بد أن نكون قادرين على رؤية المشكلات بصورة صحيحة ودقيقة ، والاهتمام بمعالجتها ، وإلا فسوف تبقى الحوزة العلمية متخلفة عن المسؤولية التي تتحملها ، والركب الذي تسايره .

وهذه المشكلات عديدة ، ويمكن الإشارة الى عناوينها :

إحداها : نظام القبول ، فلا يوجد نظام قبول صحيح ومركزي وكامل ، وإنما بقيت أنظمة القبول تمثل الماضي . ومع هذه التطورات ، لا بد أن يخضع القبول لأنظمة جديدة ومتطورة تتناسب مع التطورات .

وليس هذا طعناً بالنظام السابق ، فإنه كان يمثل مرحلة ترتبط بالماضي ، كالنظام العسكري السابق الذي كان يعتمد على السيف والرمح والدرع . وإذا أردنا أن نبقي على السيف والرمح ، فسوف نبقي متخلفين ، ولا أعني أن السيف والرمح في ذلك الوقت كان أمراً متخلفاً .

وهكذا في نظام الدرس ، فنحن نحتاج الى تطوير تلك الأنظمة ، ولكن مع الاحتفاظ بالنقاط الثابتة لنظام الدرس ، كحرية التفكير وإعطاء الفرصة الكاملة للطالب والمدرس في النمو والتطور . وكذلك نحتاج الى تطوير المواد الدراسية ، كما نحتاج المناهج الدراسية الى تطوير . ونحتاج الى تحصين الحوزة العلمية من الانفعال بالأوضاع السياسية القائمة ، ولا بد أن يكون دورها دور الفعل والتأثير في الوضع السياسي ، لا دور الانفعال والتلقي والتأثر بالأوضاع السياسية المحيطة بها . ويكون دورها دور الريادة والقيومة والقيادة .

وأحدى مشكلات الحوزة - الآن - أنها غير محصنة بصورة كاملة لمواجهة الأوضاع السياسية القائمة ، وعندما تحدثت عن الثقافة الاسلامية فأني أقصد موضوع التحصين .

ومن المشكلات الأساسية أيضاً الأوضاع المعيشية ، وقد تطورت هذه الأوضاع بصورة كبيرة ، وأصبحت فواصل كبيرة جداً بين وضع الطالب ، والوضع العام . فكان الناس - سابقاً - يعيشون فقراء ، وكذلك طالب العلم ، ولكن الفاصل بين حياة طالب العلم الفقير ، وبين حياة الناس بصورة عامة لم يكن كبيراً ، لأن الناس بصورة عامة كانوا فقراء .

أما الآن ومع هذا التطور المعيشي فقد أصبحت الفواصل كبيرة جداً ، ولا أتحدث عن الأغنياء والاثرياء ، إنما أتحدث عن الوسط الاجتماعي العام ، ولا نأمل أن يعيش طالب العلم كما يعيش أصحاب الثروات .

وهكذا نحتاج الى استخدام الوسائل والأساليب الجديدة للهداية وإيلاغ الرسالة ، حيث لازلنا - إلى حد كبير - نستخدم الوسائل القديمة ، وكأننا نعيش التركيبة الاجتماعية القديمة في حياة الناس .

رؤيتنا لحركة الاصلاح في الحوزة العلمية

البعد الرابع : رؤيتنا لحركة الاصلاح والنهوض في الحوزة العلمية ، وهي حركة أصيلة ، وعندما نتابعها في دراسة حياة وتاريخ علمائنا الاعلام منذ الغيبة الصغرى ، وحتى يومنا الحاضر فإننا نجد لها حركة قائمة وموجودة .

وإذا وفقنا الله لهذا البحث فسوف أبرز هذا الجانب كأحد الجوانب المشرقة في حركة الحوزة ، فهي ليست حركة جديدة ، ولذلك تمكنت الحوزة العلمية أن تحقق هذه الانجازات ، وهذا التطوير وتفتح على العالم ، ويصبح لها دور كبير في هذا العصر ، باعتبار وجود الأصالة في داخل الحوزة

العلمية .

وإذا أردنا أن نتحدث عما بعد الحرب العالمية الثانية ، التي تمثل مرحلة جديدة في حياة مجتمع أهل البيت عليه السلام ، وحياة المسلمين والعالم كله ، فإن المؤسسات العالمية القائمة إنما بدأت بعد الحرب العالمية الثانية (كالأمم المتحدة وأمثالها) .

وقد بدأت حركة الإصلاح في الحوزة - بصورة واضحة - على يد الامام الحكيم عليه السلام كمرجع عام للمسلمين ، وبعد ذلك واكبها بصورة فاعلة الشهيد الصدر عليه السلام ، الذي لم يصل الى مرحلة المرجعية العامة ، ولكنه كان يمثل مشروعاً لمرجع عام ، وكتب الله له الشهادة قبل أن يصل الى هذه المرحلة الاجتماعية ، وإن كان بكل خصائصه يمثل خصائص المرجع ، وكان عدد من المؤمنين يرجعون إليه ، وكان له دور مهم جداً في حركة الإصلاح داخل الحوزة العلمية .

وأما حركة الامام الخميني فإنها تمثل حركة مهمة وفاعلة في هذا الجانب ، وكذلك حركة آية الله الخامنئي (حفظه الله) ، وحركة الحوزة العلمية المعاصرة .

وهذه الحركات لا بد أن نعرف أنها تمثل مَعْلَماً من معالم فهمنا للمجتمع ورؤيتنا له من زاوية الحوزة العلمية ، لأن هناك حركة إصلاح ، فلا بد أن نفهم ماهي معالم هذه الحركة ؟ وماهي أهدافها وخطوطها ومنطلقاتها ؟ وماهو الفرق بينها وبين الحركات الإصلاحية من خارج الحوزة العلمية ، التي قادها بعض العلماء ؟ إلى غير ذلك من الخصوصيات . وهناك مقالة مختصرة يحسن بالأخوة أن يطالعوها ، وهي منشورة في آخر كتاب « الامام الحكيم » .

نصائح

وفي ختام الحديث أشير الى أربع نقاط - بصورة مختصرة - كنصائح أنصح بها نفسي وإخوتي الاعزاء :

الاولى : لا بد من الاهتمام بهذه الرؤية الاجتماعية ، التي تمثل قضية تكاملية في شخصية طالب العلم والاستاذ ، ومؤسسة الحوزة العلمية ، وهذه المدرسة بالخصوص .

وهذه الرؤية الاجتماعية الأصيلة الصحيحة ضرورة من ضرورات الحوزة العلمية بكل مفرداتها ، لكي تكون قادرة على أن تؤدي دورها كل بحسب حدوده .

ولا ندعي أننا نريد أن نتحمل دور الحوزة كلها ، فنحن طلاب محدودون في أدوارنا وقدراتنا ، وبهذا الدور المحدود نحتاج لهذا الفهم .

الثانية: العمل بحدود إمكاناتنا وقدراتنا على حل المشكلات الموجودة داخل الحوزة، فكل واحد بحسب إمكاناته. فللطلاب إمكانات، وكذلك للاستاذ، أو المدرسة، وكذلك العالم أو المرجع أو المتصدي. سوف نصل - بإذن الله - إلى تحقيق الحل، وقد وعد الله سبحانه وتعالى بذلك، فقال: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (١).

وهذه سنة إلهية لا بد أن تتحقق عندما يكون هناك سعي وجهاد، وحركة باتجاه العمل على تحقيق حل هذه المشكلات.

وفي هذا المجال أعتقد أننا لا بد أن نتحرك:

أولاً على المراكز ذات العلاقة بالحوزة العلمية.

وثانياً: أن تتوجه الإدارة في هذه المدرسة أو في أي مدرسة أخرى إلى هذا الموضوع.

وثالثاً: أن يكون هناك تعاون بين الطلاب والإدارة لحل هذه المشكلات فيما يتعلق بحدود مسؤوليات هذه المدرسة، ولا شك أننا سوف نتقدم خطوات في هذا المجال، والله هو المؤيد والمعين. مواكبة حركة الإصلاح

الثالثة: مواكبة حركة الإصلاح، فهي حركة صحيحة وأصيلية، ولكن لا بد أن نأخذها من منابعها الأصيلة، فليس كل من يرفع شعار الإصلاح نأخذ بادعاءاته. فنذ اليوم الأول الذي خلق الله سبحانه فيه الإنسان كان هناك ادعاء، فقد ادعى إبليس هذا في مقابل آدم، فقال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (٢).

وهناك من ادعى النبوة والإمامة والمرجعية على مر العصور والأدوار. فقضية الإدعاء قضية قائمة في حياتنا، ولذلك أكد أئمتنا عليهم السلام على أننا لا بد أن نأخذ العلم والمواقف من المصادر الأصيلة والصحيحة.

وعندما نتحدث عن حركة الإصلاح، فلا بد أن نأخذها من هذا الخط الأصيل المتمثل بمراجع أهل البيت، ومن ثم فلا بد لهذا الطالب أو المدرس، وهذه الحوزة أن تواكب هذه الحركة الإصلاحية.

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) الاعراف: ١٢.

الالتزام بالمنهج الأخلاقي والعلمي

الرابعة: الالتزام بالمنهج الأخلاقي والعلمي الأصيل في الحوزة، وأنا أؤكد على هذا الأمر، فلا معنى لحوزة بلا أخلاق. كما أؤكد على الالتزام بالمنهج العلمي، ونحن في هذه المدرسة - والحمد لله - حققنا - وباسمكم جميعاً - هذا الانجاز في الجانب العلمي، ولكننا نحتاج الى المزيد من التطور في هذا الجانب، والذي حققناه - كأول مدرسة - إنما هو في إطار التعليمات والضوابط والقوانين الخاصة بهذه المدرسة، والكثير من العلوم والفضل والتطور في الحوزة - وهو منهج صحيح - لا يعتمد على هذه الأوقات والضوابط.

وكثير من العلماء والفضلاء إنما حصلوا على العلم والفضل من خارج هذه الأطر والقوانين والتعليمات والأوقات المحدودة الموضوعية للتدريس في هذه المدرسة، وذلك من خلال المطالعة والمتابعة والمراجعة والبحث والتدريس، ومن خلال وسائل كثيرة موضوعية في هذه الحوزة. ونحن نحتاج للاهتمام بالأصالة العلمية.

والشيء الرئيس والمهم في هذه الحوزة هو التقوى والأخلاق من جانب، والأصالة العلمية من جانب آخر، وهذا هو الذي ميزها عن باقي الحوزات الأخرى، وكل النماذج والامثلة الأخرى التي كانت في هذا الطريق.

اغتنام الفرص

ولذلك أوصي أعزائي وإخواني وأبنائي في هذا العام الدراسي أن يعطوا لقضية الأخلاق والعلم دوراً خاصاً، فهذه فرصة عظيمة هيأها الله سبحانه وتعالى لكم، فنحن الآن في هذه السن نتمنى أن ترجع لنا كثير من الفرص، ونأسف على ما فاتنا من فرص، وقد لا نأسف لأن الله وحده أعلم بحالنا ومستقبلنا.

فالشباب والفتوة والصحة وتهيئة هذه المدرسة والأساتذة فرصة كبيرة، وقد كنا في الدور الأول نعاني كثيراً ولا أعني المعاناة الشخصية، فنحن والحمد لله أسرة علمية، ولم تكن لدينا مشكلة في موضوع الاستاذ وما أشبه ذلك، ولكنني عندما كنت مسؤولاً عن الطلاب الجدد الذين يأتون الى النجف في زمن الامام الحكيم ﷺ كنت أشعر بمعاناة هؤلاء الطلاب من هذه القضايا.

ومن ثم فقد أسسنا المدرسة - في حركة الإصلاح - من أجل سد هذا الفراغ الذي كنا نشعر به في مشكلات هؤلاء الطلاب.

ولذلك أوصي نفسي وكل الأخوة الأعزاء أن يستفيدوا من هذه الفرصة ؛ لأن الفرص تمر مر السحاب ، وأسأل الله سبحانه وتعالى لهم التوفيق والسداد والأجر ، وأن يكونوا من أولئك ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾^(١).

أسأل الله سبحانه لي ولكم التوفيق والسداد ، وإلى أرواح علمائنا ومراجعنا ، ومن له حق علينا في هذا الطريق ، وإلى أرواح أسلافنا الصالحين ، وشهدائنا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا سيما من العلماء والمراجع ، وإلى روح إمام الأمة والشهيد الصدر والإمام الحكيم ، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الحوزة العلمية والاخلاق^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ،
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا ببقية الله في أرضه الحجة بن الحسن (عج) ، والسلام على
شهداء الاسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للاسلام وحتى هذا العصر ، والسلام على أخواني
الحاضرات ورحمة الله وبركاته .

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا
وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾^(٢) .

المقدمة

في البداية أشكر للأخوة الأعزاء والسادة الأفاضل القائمين على هذا المشروع المبارك ،
وبالخصوص سماحة آية الله الشيخ الآصني الذي تفضل علينا بالدعوة للحضور والحديث في هذه
المؤسسة ، كما أشكر للأخوات إعطاني فرصة الحديث في هذا اللقاء ، وفي هذه الأيام الشريفة ،
وأقدم التبريكات لهن بمناسبة ربيع المولد الشريف ، وأيام ذكريات رسول الله ﷺ في هجرته ،
وذكريات حبيبته الامام علي عليه السلام ، مولد حفيده الامام الصادق عليه السلام .

كما أقدم التعازي بمناسبة شهادة سيدنا ومولانا الإمام الحادي عشر أبي محمد الحسن بن
علي العسكري عليه السلام ، حيث تصادف شهادته في اليوم الثامن من هذا الشهر الشريف ، التي اقترنت
بفتح عظيم وهو بداية عهد سيدنا ومولانا الامام الحجة (عج) ، حيث كانت بداية هذا العهد في مثل
هذه الأيام . العهد الذي يمثل في تاريخ الرسالات الالهية ، ورسالة الاسلام خاصة ، العهد الأخير ،
نأمل من الله تعالى أن يرينا اليوم الذي يظهر فيه ببقية الله ليملا الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الأربعاء ٣٠ / ٥ / ٢٠٠١ م ، المصادف ٦ / ٣ /
١٤٢٢ هـ . ق ، ٩ / ٣ / ١٣٨٠ هـ . ش في مدرسة الشهيدة بنت الهدى / قم المقدسة .

(٢) آل عمران : ١٠٢ و ١٠٣ .

ظلماً وجوراً.

الحوزة العلمية والاخلاق

الموضوع الذي وددت أن أتناوله في هذا اللقاء هو موضوع ينطلق من هذه الذكرى، لأن طلاب العلوم الدينية - رجالاً ونساءً - يرفعون شعار أنهم جنود الامام الحجة (عج)، وأنهم يعملون في ظل رايته ويعيشون في نعمته، فالحوزات العلمية تدار عادة من سهم الامام.

وإذا أردنا أن نحلله بصورة دقيقة، فمرجعه الى هذه الحصنة من الخمس التي ترجع للامام، إما بملكيتها بحسب نظر أكثر الفقهاء، أو في إدارتها وشأنيتها، فسهم الامام مرجعه للامام الحجة (عج)، وطلاب الحوزات العلمية - بصورة عامة - يعيشون في إداراتهم وشؤونهم ومختلف قضاياهم في إطار هذا السهم، فهم ينتسبون للامام الحجة من الناحية المعنوية باعتبار أنهم جنوده، ومن الناحية المادية يعيشون من أموال الامام الحجة (عج)، ومن يعمل في هذا المجال فهو يعمل بالنيابة عنه (عج)، فعنوان هذا الموضوع هو الحوزة العلمية والعلم والأخلاق وشؤون هذه الحوزة.

وفي هذا الموضوع توجد أبعاد كثيرة، ولكنني أركز على بعد مهم منها، وهو بعد الاخلاق في الحوزة، فالحوزة العلمية إذا نظرنا إليها بصورة موضوعية، نرى أنها في نظر الاسلام وفي رؤية أهل البيت (عليهم السلام) تعتبر المؤسسة الأهم بعد مؤسسة الدولة.

وإذا أردنا أن نأخذ سُلّم المؤسسات المهمة في الاسلام من قبيل المسجد والعمل الجهادي، الذي هو عبارة عن التعبئة والجيش، فسوف نجد أن أهم هذه المؤسسات في نظر الاسلام هي الدولة، التي يمكن أن نعبر عنها بمؤسسة الامامة أو الولاية، التي تكون أشمل من الدولة، ولكن أحد جوانبها المهمة هو الحكم والدولة، وبعدها تأتي الحوزة العلمية.

وقد تأسست الحوزة في زمن رسول الله ﷺ، وهي تنطلق من الآية الكريمة ﴿ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾^(١)، فبعد نزول هذه الآية المباركة بدأ النبي ﷺ بتأسيس الحوزة العلمية، ولكن بصورة محدودة، ثم تطورت وغنت في عهد الامامين الصادقين، محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، وجعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، وبعد غيبة الامام الحجة (عج) تولت الحوزة العلمية المسؤولية الكاملة في قضية الامامة.

فالامامة من الناحية العملية والتنفيذية تولتها الحوزة العلمية في زمن غيبة الامام الحجة (عج)، ففي عهد الامام الحجة - الذي هو عهدنا - أصبحت الحوزة العلمية هي المؤسسة الثانية، وفي الوقت نفسه أصبحت المؤسسة البديل عن حضور الامام الحجة . فالامام الحجة موجود ويسدد هذه المسيرة ويؤيدها، ولكن هذه الحوزة تقوم - الآن - بدور الامام الحجة (عج) في المجتمع الانساني بصورة عامة .

إنجازات الحوزة العلمية

ومن المهم أن يعرف طالب العلم - عندما يأتي لهذه الحوزة وينخرط فيها ويصبح جزءاً منها - ماهو موقعه في الهيكل الاجتماعي والعمل العام الذي يمارسه ؟ .
وقد تمكنت الحوزة أن تحقق إنجازات في تاريخ جماعة أهل البيت ، وفي تاريخ المسلمين جميعاً ، لم تحققها أية مؤسسة أخرى على الإطلاق في العالم الاسلامي .
وهذا إدعاء أقوله ولدي إثباتات تاريخية كثيرة تدل على ذلك ، وأحد هذه الانجازات الانجاز العظيم الذي تمكنت الحوزة أن تحققه ، وهو اقامتها للدولة الاسلامية ، بل إرجاعها الاسلام للحياة الاجتماعية والسياسية ، بعدما أبعد من خلال الغزو العسكري الاوربي للبلاد الاسلامية .
حيث أبعد الاسلام عن حياة المجتمع وحوصر محاصرة كبيرة ، حتى أصبح يعيش في المسجد محاصراً ، ويعيش في بعض سلوكيات المسلمين الاجتماعية العامة ، وفي بعض العلاقات الأسرية .
وبهذا الانجاز العظيم ، أصبح الاسلام محوراً مهماً في مواجهة الحضارات الأخرى عملياً ، وليس نظرياً وفكرياً وثقافياً .

وإذا أردنا أن نرجع الى خلفيات هذا الانجاز ، نجد أنها خلفيات الحوزة العلمية ، فهي التي تمكنت أن تحقق هذا الانجاز من خلال العالم الرباني الامام الخميني (رحمه الله) ، ومن خلال العلماء الذين وقفوا الى جانبه في هذا المجال .

والفتوحات العظيمة التي تحققت للمسلمين في هذه الأيام ، ومنها الفتح العظيم في جنوب لبنان لم تكن لتحقق لولا الارادة الالهية ، وما لم يكن وراء ذلك إرادة الحوزة العلمية وإرادة ولي أمر المسلمين ومن معه من العلماء .

خمسين عاماً من وجود الكيان الصهيوني في العالم الاسلامي ، يهزم هذا الكيان أمام المسلمين على يد المؤمنين في جنوب لبنان .

والامام ﷺ هو الذي بدأ هذه المسيرة وواصلها ولي أمر المسلمين ، وهذا الانجاز الذي تحقق للمسلمين في فلسطين ، والذي لم تتمكن الجيوش العربية بكل امكاناتها أن تلحق الهزيمة بإسرائيل ، تمكنت الحوزة العلمية بهذه الروح أن تحققه .

وسوف ترون كيف سيتحقق هذا الانجاز في فلسطين عندما يهزم الاسرائيليون على يد الحوزة العلمية ، وحركة الانتفاضة التي ترونها ذات علاقة بالحوزة العلمية .

فللحوزة العلمية هذا التاريخ وهذه الانجازات ، ولديها القدرة المستمدة من القدرة الالهية ، وقدرة الولاية الشرعية المتمثلة بأئمة أهل البيت  ، وبارادة عباد الله الصالحين من مراجعنا .

كيف تمكنت الحوزة أن تحقق الانجازات ؟

ومن هنا يطرح هذا السؤال : كيف تمكنت الحوزة أن تحقق هذا الأمر في حركة التاريخ الاسلامي ؟

وفي مقام الجواب نقول : توجد هنا ثلاثة أمور أساسية لا بد لكل واحد من الطلاب والعلماء أن ينتبه إليها وهي أمور واضحة في أوساطنا :

الأمر الأول : العلم ، فهو عنوان الحوزة العلمية ، ولا تسمى إلا به ، فلا يقال : الحوزة التبليغية أو الاخلاقية أو السياسية أو الاجتماعية ، وإنما الحوزة العلمية ، فالعلم عنوان وشعار للحوزة ، وهو قضية مهمة في بناء الحوزة .

واذا أردنا أن نرجع الى تاريخ الحوزة ، منذ زمن رسول الله ﷺ والامام علي عليه السلام وإلى يومنا هذا ، نجد أن قضية العلم من القضايا المهمة والأساسية في بنائها ، ولا بد أن تؤخذ هذه القضية مأخذاً جدياً في حركتنا الحوزوية ، فعندما يطلب من الطالب أن يكون جاداً في طلب العلم ، وتوضع أمامه مواد علمية ، فلا بد أن يتقنها ويؤدي الامتحان فيها ، ويصل الى مراتب عالية . فهذه ليست قضية هامشية من أجل أن يصل الانسان الى موقع ومكسب أو سبيل من سبل الوضع الاجتماعي ، وإنما هي قضية مركزية وأساسية .

وحديث العلم هو حديث خلق الانسان ، فعندما خلق الله آدم خاطب الملائكة قائلاً : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ^(١) ، فأول موضوع طُرح لتفسير خلق الانسان وجعله خليفة هو موضوع العلم ، فالملائكة كانوا يطمحون أن يكونوا هم الخلفاء لله في الارض : ﴿ قَالُوا أَتُجْعَلُ فِيهَا

من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴿١﴾، فلماذا لا تكون لنا الخلافة ؟ فكان الجواب الالهي : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ (٢) فقضية العلم هي القضية الأولى المركزية التي طُرحت منذ بداية خلق الانسان ، وبقيت مستمرة في حياته ، وسوف تبقى مستمرة الى آخر عمره .

ولذلك كان العلم أحد العناصر المهمة التي فضل الله سبحانه وتعالى بها الانسان على بقية الموجودات ، قال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (٣) وقال : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (٤) .

وتوجد هناك آيات وروايات تتحدث عن فضل العلم ، فقضية العلم قضية مهمة في الحوزة العلمية ، ولا يمكن أن تكون هناك حوزة قادرة على القيام بمسؤولياتها مالم يكن هناك علم حقيقي ، وخصوصاً في هذا العصر ، حيث أصبحت فيه الثقافة والمعرفة قضية عامة .

ففي العصور السابقة كان العلم يرتبط بالنخبة ، وبمجموعة معينة ، وأما عامة الناس فكانوا على حالة الجهل والأمية ، ولعل الاكثريّة الساحقة من الناس كذلك ، وأما في هذا العصر فقد أصبحت قضية العلم عامة ، خصوصاً في هذه المرحلة عندما تطورت وسائل الاتصال والمعرفة ، كالفضائيات والتلفزيونات والانترنت والصحافة . ففي هذا العصر أصبحت قضية العلم أكثر أهمية ، لأن الانسان لا يمكن أن يؤدي مسؤولياته مالم يتسلح بالعلم .

الأمر الثاني : أن هناك بعداً آخر أشارت له الآية الكريمة ، وهو يمثل الهدف من وراء العلم ، لأن العلم وان كانت له قيمة موضوعية ذاتية : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (٥) ، ولكن للعلم في الاسلام هدفاً ، وهو ابلاغ الرسالة وهداية الناس وارشادهم وتحذيرهم من الانحراف أو الوقوع في الضلالات : ﴿ ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلهم

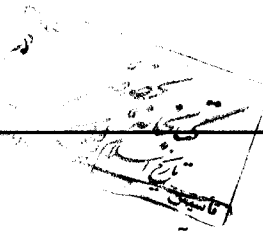
(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) البقرة : ٣١ .

(٣) المجادلة : ١١ .

(٤) الزمر : ٩ .

(٥) المجادلة : ١١ .



يحذرون ﴿١﴾.

فالتفقه في الدين وراءه هدف آخر وهو الوصول الى الانظار ، فلا بد لطالب الحوزة العلمية أن يبني العلم بناءً بحيث ينتهي الى الانذار والتحذير وهداية الناس وتعليمهم ، والأخذ بأيديهم الى طريق التزكية والتربية ، والوصول الى التكامل الانساني .

وفي هذه القضية المهمة - قضية التبليغ - لابد أن يتعرف الانسان إلى أساليب التبليغ ومناهجه والمادة العلمية التي يحضرها من أجل أن يُعطيه للناس ، لأن العالم لابد أن يتسلح بمستوى عالٍ من المادة العلمية ، ولكن ما يعطيه للناس لابد أن يتناسب مع عقولهم ومستوياتهم وظروفهم الروحية والاجتماعية .

وهذا بعد آخر يتعلق بالتبليغ ، ومن القضايا المهمة الرئيسية ، التي يغفل عنها كثير من الطلبة ، هي القضية الاجتماعية والسياسية في حركة الأمة ، فالعالم في الجانب التبليغي يحتاج الى أن يكون واعياً لما يجري حوله من أحداث ، وأن يعرف الأوضاع الاجتماعية وخلفياتها ، حتى يتمكن أن يقوم بدوره الحقيقي في ابلاغ الرسالة ، لا سيما في هذا العصر ، حيث أصبحت القضية السياسية لا يمكن اجتنابها والابتعاد عنها ؛ لأنها قضية يراها الانسان في الشارع والصحيفة والتلفزيون ، ويسمعها في المذياع .

فعندما يدخل الانسان في مكان ويرى خطيباً يتكلم عن القضية السياسية ، فهو يعيش هذه القضية شاء أم أبى ، وفي السابق كان يمكن للانسان أن يقول : أنعزل عن المجتمع ، ولكن في هذا العصر لا يمكنه أن يصنع ذلك ، فلا يتمكن من في ايران أو أي بلد آخر أن ينفصل عن القضية الفلسطينية ، عندما يرى الاحداث تتحرك وتنعكس بهذه الصورة اليومية ، وهكذا فيما يجري في مختلف بلاد العالم الاسلامي .

وإذا أردنا أن نتحدث عن عراقنا الجريح وما يجري فيه من محن والام ، وإن كانت لا تنعكس بصورة كبيرة على عالمنا الاسلامي ، ولكن المقدار الذي ينعكس منها لا يمكن للانسان أن يعزل نفسه عنه ، وهذا ما يحدث في الشيشان وكشمير وفي مناطق مختلفة من عالمنا الاسلامي . وما يحدث الآن في ايران من أحداث وتطورات لا يمكن للانسان أن يتجاهلها ، حتى لو لم يكن ايرانياً ، لأن الاحداث تمس حياته .

فلا بد أن يكون الانسان ذا معرفة بالجانب السياسي ، وذلك بأن يكون متفاعلاً مع الحدث السياسي ، لا كما يتفاعل الاعمى والجاهل والمنقاد للأهواء ، كما عبر عنهم الامام علي عليه السلام عندما قسم الناس في المجال السياسي ، فقال : الناس ثلاثة : عالم رباني (وهو على درجة عالية من العلم) ومتعلم على سبيل نجاة ، فهو إنسان لديه معرفة بظروف الحالة الاجتماعية والسياسية ، ويتمكن من خلال هذه المعرفة أن يسير في الطريق المنجي الذي يوصله الى أهدافه . والثالث : هيج رعا ، وهم الذين يميلون مع كل ريح ، وينعقون مع كل ناعق .

فطالب العلم لا بد أن يكون إنساناً متعلماً على سبيل نجاة فيما يتعلق بالأوضاع السياسية والاجتماعية ، ففي قضية التبليغ لا بد أن يكون لطالب العلم وعي سياسي بدرجة عالية ، بحيث يتمكن أن يكون متعلماً على سبيل نجاة ، كما عبر عن ذلك الامام علي عليه السلام .

الأمر الثالث : وهو أمر مهم يتعلق بالجانب الحوزوي ، ويعتبر ركناً أساسياً من أركان الحوزة ، وهو الركن الاصلي فيها وهو الاخلاق ، وهو الذي يعبر عنه في مصطلحاتنا الحوزوية بالتقوى والعدالة ، وهذا الركن تمتاز به حوزة أهل البيت عن بقية الحوزات الأخرى .

فعندما نذهب الى الحوزات العلمية الأخرى فإننا نجد علماء ومعرفة ، ونجد مؤلفين وعلماء ، ونجد وعياً سياسياً وفهماً ، ولكن موضوع التقوى هو المحك ، وهو الذي يمتحن فيه الانسان ، فالجانب الاخلاقي هو الأهم ، وحتى الايمان بالله سبحانه وتعالى لا تكفي فيه المعرفة ما لم يكن مقروناً بالاخلاق .

وعندما خلق الله سبحانه وتعالى آدم وطلب من الملائكة أن يسجدوا له ، فسجدوا إلا إبليس الذي امتنع عن السجود وأبى ، فما هو المبدأ الذي جعل إبليس يمتنع عن السجود ويبدأ طريق الكفر والانحراف ويصبح عنواناً لها ؟

لقد كان إبليس يعرف الله سبحانه وتعالى ، ولكنه بدأ من قضية الاخلاق : ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (١) ، فقضية الكبر والاستكبار قضية أخلاقية ، وقضية الكفر والانحراف منذ بدايتها كانت قضية أخلاقية ، ولم تكن قضية معرفة ، فإبليس لم يقل : أنا لا أعرف ، فهو يعرف الله سبحانه وكان على استعداد أن يعبد الله ويسجد له ، لكن قضية الاخلاق هي المركزية وهي قضية ترتبط بالايمان ، ولا يمكن أن يتكامل إيمان الانسان إلا بالقضية الأخلاقية ، فهي

مرتبطة بعمق الحالة الايمانية .

حالة التسليم والمسيرة الايمانية

عندما يتحدث الله سبحانه وتعالى مع ابراهيم شيخ الانبياء يُعرِّفه بهذا التعريف : ﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ ^(١) ، فحالة التسليم هي التي جعلت ابراهيم عليه السلام يبدأ مسيرة الايمان الصحيحة ، التي أوصلته الى أن يصبح خليل الله ، ثم الامام المنصوب من الله سبحانه وتعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً ﴾ ^(٢) .

وفي الرواية : « إن الله اتخذ ابراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً ، واتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً ، واتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً ، واتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً » ^(٣) .

إذن ، فإبراهيم مرّ بمراحل حتى وصل لدرجة الإمامة ، والمرحلة الأولى هي مرحلة العبودية .

لاحظوا في الآية الأخرى التي نتحدث عن المسلمين : ﴿ هو سميع عليم من قبل وفي هذا ﴾ ^(٤) ، والآية الأخرى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ ^(٥) .

فقضية التسليم - التي هي حالة نفسية وأخلاقية - إذ لم تتحقق في الانسان فلا يوجد الايمان ، فالجانب الاخلاقي قضية مركزية وأساسية في شخصية الانسان . وعندما يتحدث القرآن الكريم عن المنافق ، يبين أن الفرق بينه وبين المسلم إنما هو في الجانب الاخلاقي : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكن رسول الله لوأارؤوسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون ﴾ ^(٦) فالمنافق يأتي ويُقسم أمام رسول الله بأنّي أشهد أنك رسول الله ، ويشهد الله بالوحدانية ، ولكن القرآن الكريم يقول : هؤلاء كاذبون ، والدليل على كذبهم هو : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوأارؤوسهم

(١) البقرة : ١٣١ .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

(٣) الكافي ج ١ ص ١٧٥ ، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة ح ٤ .

(٤) الحج : ٧٨ .

(٥) النساء : ٦٥ .

(٦) و (٧) المنافقون : ٥ .

رؤوسهم ورأيتم يصدون وهم مستكبرون ﴿^(١)﴾.

وفي هذه الآية ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ ^(٢)، هؤلاء المنافقون لم يأتوا ويستغفروا الله، فيستغفر لهم الرسول، يقول تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمون فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ ^(٣).

فقضية التسليم ترتبط بقضية الأخلاق، وقضية الإيمان ترتبط بالأخلاق أيضاً، والأخلاق لها ارتباط بالكون كله، والكون يتأثر بالأخلاق.

قال الله تعالى: ﴿ ولو أن أهل القرآن آمنوا واتقوا لفتحن عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ ^(٤)، فعندما تكون الجماعة متقية ومتخلقة بالأخلاق الإسلامية، فسوف تنفتح عليها بركات السماء والأرض، فالكون كله يتأثر بذلك.

وفي آية أخرى يقول: ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا وأتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ ^(٥).

والأخلاق ترتبط بالمجتمع ويتكامل الإنسان حتى يصل إلى مرحلة ما يعبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ ^(٦) وهي مرحلة الرضوان: ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ ^(٧) التي يصف بها هذه الجماعة المؤمنة فيقول: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ ^(٨).

وقد وردت في تفسير هذه الآية أحاديث كثيرة صحيحة السند من طرق أهل السنة، ومن طرق الشيعة تقول: إن خير البرية علي وشيعته، والقرآن الكريم يشير إلى خير البرية يقوله: ﴿ رضي

(٢) النساء: ٦٤.

(٣) النساء: ٦٥.

(٤) الأعراف: ٩٦.

(٥) المائدة: ٦٥، ٦٦.

(٦) المائدة: ١١٩.

(٧) التوبة: ٧٢.

(٨) البينة: ٧.

الله عنهم ورضوا عنه ﴿١﴾، ولا يمكن أن يصل الانسان الى هذا إلا من خلال الأخلاق .
الامامة والعدالة

والامامة والحكم لا يعطيان إلا للانسان العادل ، وكذلك إمام الجماعة وشاهد الطلاق
تشرط فيها العدالة ، وأما في غير جماعة أهل البيت عليهم السلام ، فلا يشترطون العدالة في إمام الجماعة ،
ولكن في ثقافتنا تعتبر الأخلاق قضية أساسية ومهمة ، ونراها تسري في كل الأوضاع الاجتماعية
التي يعيشها الانسان .

وهكذا العدالة في الحوزة العلمية ، فالمرجع لا يمكن أن يكون مرجعاً مهماً كان عالماً ومتبحراً
في العلم إلا أن يكون عادلاً ، وأول ما يُسأل عن عدالة المرجع ، بل يشترط أن يكون المرجع على
مستوى عالٍ من العدالة ، لا مجرد العدالة التي تشترط في إمام الجماعة من حسن الظاهر ، بل لابد أن
تكون عدالة المرجع متناسبة مع موقعه ومنصبه وعمله .

وفي ثقافة الحوزة العلمية تعتبر الاخلاق قضية أساسية ومركزية مهمة ، ولا يمكن أن يصل
طالب العلم لأهدافه في التقرب الى الله ورضوانه إلا بالاخلاق .

فالاخلاق تفتح القلب (العلم نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده) ، فإذا لم
يكن القلب نورانياً وفيه هذه الاخلاق فلا يستوعب العلم استيعاباً حقيقياً ، ولا يمكن أن يصل
الانسان الى التأثير في الناس مالم يكن كلامه نابعاً من قلبه ومن أخلاقه التي يتكامل من خلالها .
ولذلك كانت للنبياء هذه القدرة على التأثير ، فالكلام اذا خرج من القلب دخل في القلب .

قصة وعبرة

تنقل هذه القصة عن المرحوم العلامة الشوشتری أحد كبار الواعظين في أواسط القرن
الثالث عشر ، وهي : كان الرق في ذلك الوقت معروفاً في المجتمع الاسلامي ، فجاءه عبد وطلب منه
أن يتكلم مع سيده كي يعتق رقبتة فوعده خيراً ، وبعد مدة لم يتحقق شيء ولم يتكلم الشيخ
الشوشتری مع السيد ، فجاءه العبد مرة ثانية وقال له : أنت وعدتني خيراً ولم تفعل قال له : إن شاء
الله أفعل ذلك ، ثم ذهب العبد مرة أخرى ، وفي المرة الثالثة جاءه وطلب منه نفس الطلب ، فقال
الشيخ : غداً إن شاء الله .

وفي اليوم التالي ذهب الشيخ الشوشتری وتحدث مع السيد فأعتقد العبد وأصبح حراً ،

فجاء العبد للشيخ الشوشتري يشكره على عمله ، وبعد ذلك قال له : يا مولاي أسمح لي أن أسألك سؤالاً؟ .

قال الشيخ : تفضل .

قال العبد : في المرة الأولى وعدتني ولم تفعل ، وكررت عليك ولم تفعل ، وفي المرة الثالثة عينت لي يوم غد فما السر؟ ولماذا لم تقم بالعمل في المرة الأولى؟ .

فقال الشيخ : لقد عودت نفسي أن لا أطلب من إنسان عمل خير حتى أقوم بهذا العمل ، لأرى ثقله على نفسي وأربي نفسي ، ثم بعد ذلك أطلب من الآخرين مثل هذا العمل ، وأعتقد أنني بهذه الطريقة يمكن أن أؤثر في الآخرين . وفي المرة الأولى لم أكن قد تملكيت عبداً حتى أعتقه ، لكي أطلب من مولاي هذا ، وكنت في هذه المدة أجمع مالاً لكي اشتري عبداً واعتقه ، ثم أطلب من مولاي أن يفعل ، وفي المرة الثالثة أعتقت العبد ، ثم طلبت من سيدك أن يعتقك .

كيف نصل الى الاخلاق الاسلامية؟

والانسان قد لا يتمكن - دائماً - أن يفعل هذا الأمر ، ولكن عندما يكون متخلياً بالأخلاق التي يطلبها من الناس ، ويعظم بها يكون كلامه مؤثراً في الناس ، وأما إذا كان العكس فكلامه لا يكون له هذا التأثير .

نعم قد يهتدي بعض الناس بالكلام ، ولكن لا يكون هذا هو التأثير المطلوب في هدايتهم ، والاهم من كل ذلك أن يتكامل الانسان نفسه ، فإذا أراد أن يكون قريباً من الله ، وفي موقع الرحمة منه فلا بد أن يكون متخلياً بالأخلاق الاسلامية : أما كيف نصل الى التخلي بالأخلاق الاسلامية؟ . لا بد أن نقرأ الكتب ، ككتاب جامع السعادات أو أخلاق أهل البيت ، فهذا أمر نافع ومفيد ، ولا بد من وجود هذه الكتب في الحوزات العلمية ، ولكن الذي يؤثر في تكامل الإنسان أمران رئيسيان هما :

الأمر الأول : التدبر في القرآن الكريم وفي أحاديث أهل البيت عليه السلام ، وأقول ذلك عن تجربة شخصية ، وعن تجارب الآخرين الذين عرفتهم في حياتي ، وقرأت عنهم في التاريخ ، فالتدبر في القرآن الكريم والوقوف عند الآيات القرآنية التي تتناول الاخلاق قضية مهمة جداً في تربية الانسان وتزكيته .

وهكذا التدبر في أحاديث النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ذات البعد الاخلاقي ، وهي كثيرة

جداً وتعتبر ثروة عظيمة ، ولا بد لطالب العلم - مضافاً الى دروسه - أن يضع لنفسه حصّة من الوقت للتدبر والمراجعة .

الأمر الثاني : التدبر في سيرة الصالحين وتجاربهم ، كالنظر في قصص الأنبياء وأحوالهم ، لا سيما نبينا محمد ﷺ الذي نعيش أيام ولادته ، وأحوال أئمة أهل البيت وسلوكهم ومنهجهم في العمل ، وطريقة تعاملهم مع الناس ، وهكذا سيرة علمائنا الأبرار ، فلا بد من مطالعة السيرة الاخلاقية للعلماء والمراجع .

وكلا الأمرين يحتاج الى أن تصاحبه حالة تأمل وتدبر من الانسان ، حتى يصبح صالحاً ، والعبادة لها تأثير كبير جداً في هذا المجال ، سواء كانت واجبة أم مستحبة ، وطالب العلم يحتاج لكلا الأمرين .

لعل الله سبحانه وتعالى يجعلنا من أولئك الذين اختارهم لهذا الامر ، فالانخراط في سلك طلب العلم توفيق من الله ونعمة من أعظم النعم ، وهذا اصطفاء واجتباء وشرف عظيم للانسان ، وليس موقعاً يؤدي بالانسان الى الغرور والعجب والاستكبار لأنه أصبح عالماً أو واعظاً أو إمام جماعة ، فعندما يتصور الانسان هذه الأمور فسوف ينتكس .

ولا بد أن ينظر الانسان الى طلب العلم على أنه جهاد في سبيل الله ، وهو محنة وفتنة وابتلاء من الله سبحانه وتعالى ، ولكنه ابتلاء حسن ، كما ابتلى الله الانبياء بذلك واصطفاهم واختارهم لهذه الرسائل ، فاشكروا الله سبحانه وتعالى على هذه النعم ، وشكروه بالعلم والتزكية وإبلاغ الرسالة . نسأل الله أن يوفقكم لذلك ، وأن يوفقنا وينفعنا بكم ، ويجعلنا ممن اتعظ بكلامه قبل أن يعظ الآخرين ، والحمد لله رب العالمين ، والى أرواح شهدائنا الأبرار وأسلافنا الصالحين ، وأرواح علمائنا ومراجعنا العظام ، والى روح إمام الأمة ﷺ وروح الشهيد الصدر ﷺ ، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

خصائص وامتيازات الحوزة العلمية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ،
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه الحجة بن الحسن ، والسلام على شهداء
الاسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للاسلام وحتى شهداء هذا العصر ، والسلام على سادتي
وأخوتي وأعزائي المجتمعين في هذا المكان الشريف ورحمة الله وبركاته .

تقديم

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيُخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنُوا بِاللَّهِ حُسْبِيًّا ﴾^(٢).

في البداية أبارك للأخوة الأعزاء والسادة الأفاضل هذه الأيام الشريفة ، ولا سيما أيام
مواليد أئمة أهل البيت ، حيث كنا في ذكرى ميلاد الامام الباقر مؤسس هذه الحوزة العلمية ، وفي هذا
اليوم - على رواية - مولد الامام الهادي عليه السلام ، وأمامنا مواليد أخرى كمولد الامام الجواد عليه السلام ،
والامام مولى المتقين أمير المؤمنين عليه السلام ، أسأل الله أن يبارك لجميع المسلمين هذه الأيام الشريفة ،
وأيام رجب وشعبان ورمضان ، هذا الموسم الالهي المبارك . وفي هذه الأيام فرصة عظيمة ينتهزها
الانسان للاستزادة من الجانب الروحي والمعنوي ، الذي هو من الشروط والمواصفات الرئيسية
التي يحتاجها الانسان - بصورة عامة - في مسيرته في هذه الدنيا ، مطالب العلم بصورة خاصة
حسب مراتبه ودرجاته في مسيرة التكامل . أسأل الله أن يوفقنا جميعاً للمزيد من هذا الجانب
المعنوي ، وأن نكون ممن تأسئ بأسلافه الصالحين .

الحوزات العلمية في تجاربها السابقة التي عشناها وعاصرناها كانت تستفيد الى حد كبير

(١) حديث سماحة السيد الحكيم (دام ظله) يوم الخميس ٢٠ / ٩ / ٢٠٠١ م ، المصادف ٢ / ٧ / ١٤٢٢ هـ . ق ، ٢٩ / ٦ / ١٣٨٠ هـ . ش ، في مدرسة دار الشفاء بمدينة قم المقدسة .

(٢) الأحزاب : ٣٩ .

من هذه المواسم الشريفة ، ضمن برنامج واسع من الممارسة الشخصية والذاتية ، حيث تتحول الى حالة جماعية في حركتها ، ولذلك أنصح نفسي وكل الأخوة الأعزاء والسادة الأفاضل أن يكون لهم برنامج خاص في هذا الموسم الشريف ، فيضع كل واحد منا هذا البرنامج لما يتوافق مع درسه وشؤونه الخاصة ، لكن يكون هناك هدف معين من وراء هذا البرنامج ، وهو الاستزادة المعنوية في هذا الموسم الشريف .

وكان من حسن الصدف والاتفاق والمقارنات أن يبدأ العام الدراسي في هذه السنة ، في هذا الموسم الشريف الذي هو من ناحية يضغط على الجانب العلمي والدرسي ، لكن من جانب آخر يكمل هذا الجانب العلمي والدرسي ، أسأل الله المزيد من التوفيق .

الحديث في هذا المجلس الشريف ، وفي هذه الظروف والآفاق التي نعيشها حديث واسع ، وقد تفضل السادة الأفاضل والأخوة الأعزاء الذين سبقوني في حديثهم بإشارة الى مجموعة من القضايا والآفاق المهمة ، سواء كانت على مستوى النظرية والفهم الكلي لمسيرة الحوزات العلمية ، أم على المستوى التطبيقي وملاحظة ومتابعة الأساليب والمصاديق والتجارب ، التي مرت بها هذه الحوزات العلمية ، ولذلك أحاول أن أشير الى أمور أتجنب فيها الى حد كبير التكرار ، إلا بما يفرضه تفسير المعنى وتوضيحه ، من خلال الاشارة الى بعض المصاديق ، واكتفي في هذا الجانب بما تفضل به السادة الأفاضل والأساتذة الكرام والمسؤولون عن إدارة هذه الحوزات العلمية ، جزاهم الله خير الجزاء ، وأحاول أن أركز على محورين رئيسيين هما :

المحور الأول هو : ايجاد تصور عام عن الحوزة ، والدور الرئيس والمواصفات العامة التي لا بد أن تتصف بها .

وعندما أقول : لا بد أن تتصف بها ، لا أقصد من ذلك اصدار الحكم الشخصي ، فأنا واحد من طلاب هذه الحوزة - إذا كنت محسوباً كذلك - ولا يحق لي أن أقف هذا الموقف في إصدار الأحكام ، وإنما أشير الى ما أفهمه من مسيرة الحوزة ، ومن النصوص التي وردت عن أهل البيت في فهمهم وتفسيرهم لهذه الحوزة العلمية .

المحور الثاني هو : محور طلبة الحوزة العلمية ، أو بتعبير آخر المنتمين والمنخرطين في هذا الكيان الاسلامي المبارك ، من اساتذة وطلاب ومبلغين ومرشدين وعاملين الى غير ذلك ممن ينخرط في الحوزة العلمية .

نظرة تاريخية للحوزة العلمية

وفيا يتعلق بالمحور الأول ، فن الناحية التاريخية يبدو أن الحوزة العلمية كانت تعتبر مؤسسة رئيسة من مؤسسات الدولة الاسلامية ، عندما شاء الله أن يكون نصيب الرسالة الخاتمة التي هي خاتمة الرسالات الالهية ، أن يكون من نصيبها قيام الدولة والكيان السياسي لهذه الرسالة في عهد صاحب الرسالة نفسه ، على خلاف الرسالات الالهية السابقة التي تحمل مسؤولياتها الأنبياء أولو العزم ، ولكن لم يشأ الله أن يقوم الكيان السياسي في عصر صاحب الرسالة .

أما الرسالة الاسلامية ، فشاء الله أن يقوم الكيان السياسي في عصر صاحب الرسالة ، ويقوم صاحب الرسالة بتأسيس هذا الكيان السياسي بكل امتداداته ، ومنه قضية ولاية علي عليه السلام وأهل بيته ، على ما نعرف ذلك من التاريخ ، ولا أحتاج - كما قلت - الى أن أكرره ، وقد أشرت الى هذا المعنى في أحاديثي السابقة .

ومن هنا يمكن أن نجد أن آية النفر - التي تمثل المبدأ التأسيسي للحوزة العلمية - جاءت في عصر متأخر من حركة هذه الرسالة ، فبعد أن تمكنت هذه الرسالة من أن توظف دعائهما نسبياً في قاعدتها ، وهي الجزيرة العربية ، جاءت هذه الآية التي تنفي في بدايتها أن يكون النفر كله من أجل الجهاد في سبيل الله ، وإنما تقسمه الى قسمين : القسم الاول : نفر للجهاد ، والثاني : نفر لطلب العلم ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قولهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ (١) .

والحديث في هذا الموضوع طويل ، لكن أشير الى بعض جوانبه ، شاء الله أن يكون مصير الكيان السياسي ليس كما أريد له في التخطيط الالهي بإدارة أهل البيت وبولايتهم ، فمن هنا نلاحظ أنه كانت هناك فترة استمرت أكثر من قرن من الزمن بدأت فيها مساعي أهل البيت في ارجاع الكيان السياسي الى خطه الرئيس والاساسي ، أي الى يد أوليائه وهم أهل البيت ، لكن شاء الله أن لا تتحقق هذه الأمنية وهذا الهدف ، وأن يكون تحقيق هذا الهدف في مستقبل الأيام .

من هنا كان لأئمة أهل البيت المتأخرين نسبياً الدور في إيجاد هذه المؤسسة بصورة مستقلة ، من أجل أن تتحمل المسؤوليات الأخر التي لا بد أن يتحملها أهل البيت من ناحية ، وتحملها هذه المؤسسة من ناحية أخرى ، فكان هذا التوفيق الالهي العظيم للإمامين الصادقين ، الباقر

والصادق عليه السلام، في إيجاد هذه المؤسسة على شكل مؤسسة لا على شكل بذور وأفراد ينتشرون هنا وهناك، يقومون بدورهم في المجتمع الاسلامي، وكان لهذه المؤسسة في زمن الغيبة الكبرى للامام الحجة الدور الرئيس في النيابة عن دور أئمة أهل البيت بصورة عامة.

واذا أردنا أن ننظر الى القضية بمنظارها الكلي العام، من أجل تشكيل اطار الحركة في هذه المؤسسة، فهناك كثير من التفاصيل والشاهد التي يمكن أن تُذكر من أجل تأكيد وتوثيق هذه الفكرة التي أشرت إليها، ولعل من جملة ما يؤكد هذا الموضوع التوقيع المعروف المروي عن الامام الحجة، والذي يعطي لهذه المؤسسة هذا الدور، فبعد توجيه السؤال من أصحاب الأئمة ومن معاصري الامام الحجة عن الموقف بعد الغيبة الكبرى، قال الامام الحجة (عج): «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»^(١).

وهذا في الواقع يعطي هذا النوع من التصور، لذا فإن مؤسسة الحوزة العلمية في معناها الشامل، الذي يكون من خلال المرجع الذي يمثل قمة الحركة في هذه الحوزة، الى المدرسين والعلماء الى الطلبة، الذين نأمل من الله أن يكونوا في مدارج الرقي فيصلوا الى قمة الحركة في مستقبل أيامهم، هذه المؤسسة - في الواقع - تمثل القيادة الكلية عن دور الأئمة في غيبة وجود الكيان السياسي الاسلامي.

وقد شاء الله أن تمر قرون على المسلمين وعلى شيعة أهل البيت، والكيان السياسي له وجود يختلف في مسيره عن مسير هذه الجماعة الصالحة وحركة هذه الحوزة الاسلامية.

أما الآن بعد وجود هذا الكيان السياسي، فهناك حديث آخر لا أريد أن أورده؛ لأنه يوجد فيه بحث واسع وكثير، وبحثنا إنما هو في الحوزة العلمية بهذا المعنى وهذا الاطار والشكل، لا بد أن تتوفر فيها مواصفات خاصة ومعينة شهدناها عبر تاريخها، وهذه المواصفات تمثل هذا الموقع الخاص، الذي أعبر عنه في بعض أحاديثي أنه الموقع الأهم على الإطلاق بعد الكيان السياسي الاسلامي. وهذا المفهوم الذي تحدثنا عنه، وموقع هذه المؤسسة باعتبارها أسست في زمن النبي ﷺ، فكان لهذا الموقع بعد الكيان السياسي، وهذه المؤسسة لا بد أن تتصف بمجموعة من المواصفات الرئيسة والأساسية، فهي في جماعة أهل البيت - طيلة القرون السابقة ولا زالت -

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٤٠ باب وجوب الرجوع في القضاء والفتوى الى رواة الحديث من الشيعة.

تتمثل فيها هذه الخصوصية، وتعتبر المؤسسة الأم لكل المؤسسات الأخر التي يمكن أن نفترضها في هذه الجماعة. وتتحمل هذه المؤسسة الأصل المسؤوليات الرئيسية التي تحملها أهل البيت عليه السلام.

مسؤوليات الحوزة العلمية

وإذا أردنا أن نتحدث عن هذه المسؤوليات فقد يطول الحديث في تعدادها، لكن أشير إلى ثلاث مسؤوليات رئيسية مركزية، ولعل البقية تنفرع عنها وهذه المسؤوليات هي:

الأولى: مسؤولية إيلاخ الرسالة بصورة عامة.

الثانية: إدارة الجماعة في شؤونها الداخلية، لا في شؤونها العامة ذات العلاقة بالكيان السياسي.

الثالثة: مسؤولية الفصل والقضاء في داخل إطار هذه الجماعة.

وهذه المسؤوليات الثلاث لابد أن توضع كهدف إذا أردنا أن نتحدث عن الأمانة - وهو حديث صحيح - التي تتحملها هذه الحوزة العلمية، فلا بد أن توضع كهدف من أهداف هذا الانسان الذي ينخرط في هذه الحوزة العلمية، ويكون هذا الهدف قائماً أمام هذا الانسان.

الحوزة حاملة الأمانة

وإذا أردنا أن نتحدث عن الأمانة ونوضحها نقول: إن هذه الأمانة تتمثل بهذه المسؤوليات، وبهذه القضايا الخاصة التي يجب أن تعد الحوزة نفسها لتحمل هذه الأمانة، والقيام بها أفضل قيام وأدائها بأفضل دور.

وفي هذا المجال لابد أن نقول باعزاز وفخر وشرف: إن حوزتنا العلمية بالرغم من كل النواقص كل المشكلات التي واجهتها - ولا أريد أن أطيل الحديث عنها - تمكنت عبر التاريخ أن تقوم - والحمد لله رب العالمين - إلى حد كبير بحمل هذه الأمانة، وأفضل شاهد هو ما ذكر في هذه الجلسة من ملاحظة الخط البياني لحركة جماعة أهل البيت، سواء أخذناه من يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله كخط بياني تحمله أئمة أهل البيت، أم أخذناه من أيام الغيبة الكبرى للإمام الحجة، حيث تحمل المسؤولية المراجع والعلماء.

انظروا إلى جماعة أهل البيت في زمن الشيخ الطوسي والمفيد والسيد المرتضى، حيث يمثل هذا الزمن بداية تحمل هذه المسؤولية من جماعة أهل البيت، تجدون أن هذا الخط البياني كان خطأ متصاعداً، لا متنازلاً ومتسافلاً.

صحيح كان هناك اختلاف في الصعود والنزول ، لكن بصورة عامة نجد أن هذا الخط كان خطأ متصاعداً ، وهذا يعني أن العملية بصورتها الإجمالية العامة ، لا تجزئياتها وتفاصيلها في هذا الوقت ، أو في هذا الشخص أو ذاك ، أو في هذه المجموعة من أهل البيت أو تلك ، بل في خطها العام العمومي كانت صحيحة وناجحة وقادرة على تحقيق الأهداف الكلية .

إذن ، نقول ذلك بفخر : إنها كانت بهذه الصورة وبهذا المضمون .

ومن هنا فراجعة الخصائص والمميزات الأساسية ، التي كانت تتميز بها الحوزة العلمية والمرجعية الدينية طوال هذه القرون يُثِل شيئاً مهماً جداً في دراسة حركتنا المستقبلية .

فما هي الخصائص والامتيازات الرئيسية التي كانت في هذه الحوزة ، والتي جعلتها قادرة على أن تعبر كل هذه العقبات والمشكلات ، وتكون قادرة على التكامل والتنامي ، بالرغم من كل المحن والآلام التي مرت بها ؟ وماهي هذه الخصائص التي جعلتها قادرة على القيام بهذه المسؤولية وأداء هذه الأمانة ، والوصول بها إلى هذا العصر والزمان ؟

خصائص الحوزة العلمية

إن هذا شيء مهم جداً في رؤيتنا للمستقبل عندما نتحدث عن هذه الحوزة وعن موقعها ، وسوف أشير إلى بعض الخصائص بصورة إجمالية ، لأن بعضها قد يحتاج إلى كلام تفصيلي ، ولا يسع الوقت لذلك . وهذه الخصائص هي :

١ - عالمية الحوزة

الخصيصة الأولى : العالمية في هذه الحوزة العلمية ، وهذا هو منهج أهل البيت ، فهذه الحوزة كانت منذ بداية وجودها حوزة ذات خصائص أعلى من الخصائص التي يتأطر فيها الإنسان في حركته ، سواء كانت هذه الخصائص قومية ، أم خصائص جغرافية ، أم كانت خصائص أخر ، يمكن أن تنعكس على ظروف هذه الحوزة ، من قبيل خصائص الظروف السياسية والاجتماعية .

فالحوزة العلمية الشيعية من خصائصها الحالة العالمية ، التي هي حالة إسلامية ، ومن خصائص الرسالة الإسلامية الخاتمة التي جاءت وتمكنت أن تحقق هذه العالمية .

وهذا الموضوع بحثه طويل جداً يرجع إلى وجود صراع بعد وفاة النبي ﷺ على مستوى الدولة الإسلامية ، ثم انعكس هذا الصراع على مستوى الأمة وشعوبها ، وهذا الصراع هو : هل تكون الرسالة الإسلامية رسالة يحمل همومها ومسؤوليتها بصورة عامة العرب ، ويبلغونها للناس ،

ويدخل الناس في الاسلام من خلال هذه الجماعة؟ أو أن هذه الرسالة هي رسالة للمسلمين جميعاً، ولا تختص بهذه الجماعة من الناس، فهناك اتجاه كان يقول: إن القضية هي قضية العرب، ولذلك عُمِّ مصطلح أهل البيت إلى قريش، باعتبار أن لهم خصوصيات من الناحية القبلية، ولهم احترام خاص في المجتمع القبلي، ثم تطور هذا الأمر في زمن الأمويين إلى طرح القومية العربية. لقد كان هذا الطرح في أيام عمر وأريد من الخليفة الثاني أن يُقره في الأساس، لكن في أيام الأمويين أصبح هذا من الطروحات الواضحة، بحيث تأتي جماعة إلى الامام علي في ذلك العصر وتقول له: « غلبتنا عليك هذه الحمراء »^(١) يعني أولئك الناس الذين لا ينتمون إلى العرب غلبونا عليك، ومع أن الامام علياً من صلب العرب، ومن صلب الأمة العربية، لكن مع ذلك كانت القضية بهذا الشكل. ولعل من اسرار هذا الارتباط والولاء الخاص لغير العرب بأهل البيت ووجود مراكز التشيع بصورة فاعلة وقوية، بالرغم من أن التشيع لم ينطلق من المناطق غير العربية، وإنما انطلق من العراق في حركته السياسية، لكن وجود المراكز المهمة للتشيع التي ازدادت في غير البلاد العربية، لعل أحد الأسرار والأسباب في ذلك هو هذه الرؤية وهذا الفهم والطريقة من العمل والحركة في الحوزة العلمية.

ففي تاريخ قم - مثلاً - هاجر إليها الأشاعرة، وهم من العرب ووجدوا لهم موطناً وأسسوا هذه الحوزة، التي هي أعرق حوزة كمؤسسة، أو من أعرق حوزاتنا العلمية كمؤسسة في تاريخنا. وهكذا كان لبلاد ما وراء النهر، بلاد خراسان، ومناطق غيرها في بلاد الري وغيرها من المناطق، كان لها دور عظيم جداً في هذا التأسيس، في مختلف المجالات والمواقع والسطور. وقضية العالمية من القضايا المهمة، ولذلك نلاحظ في حياتنا المعاصرة أن شيعة أهل البيت في انتابهم الحوزوي لا يُفرق بين الشيعي العربي أو الهندي أو التركي أو الفارسي في انتابهم الحوزوي فيما يتعلق بهذا الجانب القومي.

نحن شاهدنا في عصرنا الحديث مراجع ينتمون إلى العرب قُلدوا واحترموا بدرجة عالية جداً في مناطق غير عربية، كالامام الحكيم، وكذلك شاهدنا مراجع ينتمون إلى بلاد فارس، وبعضهم ينتمي إلى الترك، وإلى قوميات آخر كانوا موضع الاحترام والتقليد والرجوع المطلق للبلاد العربية.

(١) شرح النهج للمعتزلي: ج ١٩ ص ١٢٤، والحمراء: العجم والروم.

وهذه القضية لم تكن ناشئة بالرغم من الضغوط والظروف السياسية ، ومن محاولات القمع والحصار الذي فرض على هذا المرجع أو ذاك ، وبالرغم من وجود الحكومات المنحرفة التي كانت - ولا زالت - تحكم بعض مناطق العالم الاسلامي ، بالرغم من كل ذلك شاهدنا هذه الحالة ، وهذا كنتيجة للتاريخ وليست كحالة ، بالرغم من أن قضية ما يعبر عنه بالوطنية والقومية والجغرافية أصبحت مطروحة بقوة ، لكن مع ذلك بقيت الحوزة العلمية تقاوم هذا الأمر مقاومة عالية وكبيرة ، وهذا - في تصوري - أحد الأسرار المهمة لمقدرة الحوزة العلمية على أن تتحرك بهذا الاتجاه وتحقق هذا البُعد .

٢- الحالة التطوعية في الحوزة

الخصيصة الثانية : بعد الجانب التطوعي ، فالحوزة منذ بداية نشوؤها وحتى الآن هي حوزة تطوعية في كل مراحل حياتها ، من الطالب الذي يتدرّج في الظروف الصعبة ، الى الاستاذ الذي يجهد نفسه في تدريس وبذل العلم وإعطاء الوقت ، الى المرجع الذي يتحمل كل هذه المسؤوليات ، فالحالة لا تخضع لمواثيق وعهود بالمعنى المعاملي ، الذي نقرأه في كتاب المكاسب في عقد الاجارة والبيع والجماعة وما أشبه ذلك من المعاملات ، بل هي عهود ومواثيق مع الله ومع أهل البيت ، ومع دماء الشهداء ، ومع هذه القيم التي نعتقد أن المواثيق والعهود معها هي المواثيق والعهود الحقيقية .

فالحوزة العلمية حوزة تطوعية بهذا المعنى ، لكن في بُعد آخر يمكن أن نعبّر عنها بقضية الاستقلال ، وأحد العناصر المهمة والذي يمثل ذلك الجانب هو هذا الاستقلال ، الذي نشأ من هذا النوع من التطور ، فهذه الحوزة كانت مستقلة في ارادتها وكيانها .

فالجانب هو جانب تطوعي ، الجانب المالي في خصوصية أهل البيت ، الذي أُشير اليه في بحث السادة الأفاضل هنا في موضوع الخمس ، القضية هي ليست قضية الخمس في مقابل الزكاة ، وإلا فالزكاة هي - أيضاً - مورد مالي ، وأهل السنة يؤمنون بها ، ونظرتهم للزكاة في مجالها المالي أوسع من الخمس ؛ لأنهم يعتقدون أن الزكاة في مال التجارة أيضاً ، يوسعون أموال الزكاة بصورة واسعة ، ومن ثمّ فالمورد يكون مورداً كبيراً ، وإنما القضية أن هذه المسألة لم تكن مفروضة على الناس من خلال قوانين الدولة ، وإنما الخمس لم تكن تؤمن به الدولة حتى تفرضه فرضاً ، وإنما نشأ بتوجيه أهل البيت ، وهو مشروع مفروض في الاسلام ، لكن نشأ بتوجيه أهل البيت ، وبدأ في حياة هذه الجماعة بحالة تطوعية .

فالناس عندما يدفعون الخمس لا يدفعونه من خلال فرض ضرائب مالية ملزمة، وإنما هي حالة طوعية، وهذه قضية مهمة جداً في مسيرة هذه الحوزة، ولذلك كان إمام الأمة - وهو مؤسس لهذه الدولة ومعتقد بشرعيتها اعتقاداً كاملاً، ولا يوجد عنده أي شك في شرعيتها وشموليتها - يرى أن استقلال هذه الحوزة يمثل قضية مهمة جداً في أداء هذه الحوزة لدورها العالمي، الذي يمكن أن تقوم به، وهذه المسألة من المسائل المهمة جداً التي لا بد أن نأخذها بعين الاعتبار.

٣- الاجتهاد المنضبط

الخصيصة الثالثة: الحركة العلمية، فأحد المميزات الرئيسية للحوزة العلمية الشيعية هو بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً.

وهنا يطرح هذا السؤال:

هل إن قضية إبقاء باب الاجتهاد مفتوحاً ووجود المذاهب الاسلامية الأخرى هي قضية صراع في مقابل أهل البيت عليه السلام، أو أنها قضية ترتبط بمسألة أخرى، وهي أن باب الاجتهاد في الفقه يبقّى مفتوحاً بصورة مطلقة؟ وهذا أدى الى مشكلات حقيقية في المجتمع الاسلامي، باعتبار قضية الرأي والقياس والاستحسان والمصالح المرسلّة، الى غير ذلك مما يؤمن به الفقه السني، الأمر الذي أدى الى حالة انحلال في الاجتهاد، ومن ثم انفلات في المجتمع الاسلامي، كما نلاحظ الآن - ومع الأسف - بعض الظواهر في أوضاعنا العلمية، عندما نشاهد هذه الحالة من الانفلات والخروج عن الضوابط العلمية الاجتهادية، حيث تُطلق فتاوى وكلّيات تجعل المجتمع يهتز من خلال هذا المفتاح.

أما أهل البيت فقد جعلوا موازنة علمية أساسية ومهمة، ولا بد للحوزة العلمية أن تحتفظ بها، وتجعلها من أهدافها الاساسية، وهي أن يكون الاجتهاد مفتوحاً لا يغلق بصورة مطلقة، ولذلك لا يوجد عندنا صحاح بالمصطلح السني، بالرغم من وجود أحاديث كثيرة أضعاف ما عند أهل السنة، وتوجد عندنا روايات معتبرة، لكن لا يوجد عندنا صحاح، فلماذا؟

لأن باب الاجتهاد مفتوح دائماً أمام المجتهد بالنسبة الى الأحاديث والفقه، وغير ذلك، ومن ثمّ فلا معنى أن نقول: إن هذا صحيح ونقف بصورة مطلقة، فيمكن أن يتبدل الصحيح في يوم من الأيام الى شيء غير صحيح، بحسب الحركة الاجتهادية. لكن في الوقت نفسه جعلت هذه الحركة الاجتهادية حركة مضبوطة ضمن قواعد وأصول دقيقة لا يمكن تجاوزها، ووضع أهل البيت

خطوطاً حمراء ، منعوا من تجاوزها ، من أجل أن يبق ' هذا الانضباط في العملية الاجتهادية . وهذا هو الذي يفسر في تاريخنا الاسلامي - بحسب ما أفهم من تحليل التاريخ - الموقف المتشدد من قبل أهل البيت تجاه مدرسة الرأي - ورائدها أبو حنيفة - باعتبار أن هذه المدرسة تعمل خارج هذه الخطوط الحمراء ، مع أن مدرسة الرأي من الناحية السياسية كانت أقرب الى ' مدرسة أهل البيت من المدارس الأخرى .

ومدرسة الرأي في موقعها الجغرافي كانت أقرب الى ' جماعة أهل البيت - لأنها كانت في العراق - عن المدارس الأخرى التي لم تكن قريبة من هذه الجماعة ، وبالرغم من كل ذلك دخل أهل البيت في مواجهة قوية مع هذه المدرسة .

فهم وإن انتقدوا مدارس أخر ، لكن لا بهذا المستوى ، لأن مدرسة الرأي فيها هذا النوع من الانفلات في عملية الاجتهاد .

فقضية الضبط للاجتهاد ، بمعنى ' بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً ، والمحافظة على الاجتهاد ، وعلى الوصول الى المعلومات الصحيحة قضية مهمة جداً ، لكن طبق الضوابط .

وأنا أؤكد على ' هذا الموضوع ، لأننا نعيش في هذه المرحلة مشكلة حقيقية فيما يتعلق في موضوع الامكانيات والقدرات الثقافية ، التي قد يملكها شخص ما .

هناك - مثلاً - من يملك قدرة ثقافية خطابية ، وحديثه مرتب وممنهج ، لكنه لا يملك القدرات العلمية المطلوبة في الوصول الى النتيجة الصحيحة ، ومن خلال الخطاب الجيد ، والثقافة الواسعة والأفكار الحسنة يمكن أن يكسب رأي كثير من الناس ، ويجذب له هذه الجماعة .

وهذه مسألة خطيرة جداً في الحوزة العلمية ، وأحد الأمور الأساسية التي يجب أن تجاهد لأجلها الحوزة العلمية ، وتتف فيها موقفاً صلباً ، كما وقفه أئمة أهل البيت ، هو الدفاع عن قضية الضوابط ، فلا بد أن يكون العلم المطلوب طبق هذه الضوابط . فليس الحديث عن النتائج ، لأن النتائج التي توصل اليها هذا المذهب أو ذاك قد تكون قريبة من نتائج مذهبنا ، لكن المهم أن تكون النتيجة التي توصلنا إليها طبق الضوابط ، ومن ثم تكون مُعَدِّرة عند الله أو منجزة ، كما نعبّر في مصطلحاتنا الأصولية .

وهذا هو المهم ، لأننا من خلال هذه الحركة نريد أن نصل الى ' ما يرضي الله ، وإلى ' ما يؤهلنا للوصول الى المقامات والدرجات العالية عند الله يوم القيامة ، وليست المسألة هذا التفصيل أو ذاك

في الاحكام الشرعية، وهذه مسألة مهمة جداً في الحوزة العلمية .

لذا فإن إبقاء الحركة العلمية نشيطة منفتحة قادرة على مواجهة كل المشكلات والحوادث ، التي تعيشها الجماعة ، وفي ضمن الضوابط والأصول الموضوعية لهذه الحركة ، من القضايا التي جعلت هذه المؤسسة قادرة على التكيف ومواجهة المشكلات والأحداث والتطور والنمو ، وعدم الجمود والوقوع في حالة الانفلات ، والخروج عن الحالة الضبطية .

٤ - التقوى

الخصيصة الرابعة : قضية التقوى والاخلاق ، وهي إحدى المميزات في حوزتنا العلمية ، والتي أكد عليها الاسلام وأكد عليها أهل البيت تأكيداً كبيراً ، وكذلك علماءنا ومراجعنا العظام في مختلف أدوار التاريخ أكدوا على هذا الجانب ، سواء على المستوى المفهومي وإعطاء النظريات والمفاهيم ، أم على المستوى التطبيقي والعمل ، بحيث كانت المنافسة أحياناً بين هؤلاء المراجع - عندما تلبس الأمور ، ويقبل الناس على الدنيا وشهواتها ولذاتها - فيمن هو الأتقى والأورع ، ومن هو أكثر التزاماً بالجانب الأخلاقي والسلوكي .

إن أكثر ما تكون المنافسة في من هو الأعلم والأفضل ، باعتبار أهمية هذا الجانب ، كما نقرأ نحن وكما ذكر السادة الأفاضل ، ولكن في حديثهم لا يكون هذا الجانب هو الأول أصلاً . وبدون هذا الجانب لا معنى ولا أساس لكل الأمور الأخرى ، لأنه مهما كان العالم عالماً ، ولو كان أعلم العلماء على الإطلاق ، لكنه فقد التقوى فلا قيمة له ، ولا يصح الرجوع اليه في أي أمر من الأمور ، فيفقد الأهلية في هذا المجال .

فقضية التقوى قضية أساسية ، ولها مضمون واسع ، فبعض الناس - كما ذكر في الحديث - يأخذ التقوى في مسائل معنية ، ويفترض التقوى فيها ، مع أن التقوى لها معنى آخر . فالتقوى تكون في المجال الشخصي ، الاجتماعي ، وفي الأموال وفي الجانب السياسي ، فهي في أمور كثيرة ، لا بد أن نتحدث عنها ، ويتحدث عنها الأخوة الأعزاء والسادة الأفاضل في دروسهم .

ولا بد أن نأخذ التقوى بهذا المضمون الواسع ، في تحمل الأمانة ، والمسؤولية والتضحية من أجلها ، إلى غير ذلك مما يمكن أن نشير له في هذا الموضوع .

أضف إلى ذلك الاحتفاظ بالروح المعنوية العالية ، وهذا يرتبط بجانب التقوى والأخلاق ، وإذا فقدت الحوزة العلمية الروح المعنوية العالية ، بمعنى روح التصدي وتحمل المسؤولية الكلية

للمجتمع الانساني ... روح عمل رسالة البلاغ وايصالها الى العالم ... روح مواجهة الحضارة المادية بامكاناتها وقدراتها الهائلة ، التي توجه الآن هجوماً كبيراً على مجتمعاتنا ، وأمتنا ، وعلى الحوزة العلمية ، الى غير ذلك ، وحتى روح مواجهة هذا الهجوم الذي يُشن الآن على الحوزة العلمية في اتهامها بالتخلف ، وابتعادها عن المسؤولية ، وكذلك محاولة تخريبها من داخلها . فاذا فقدت الحوزة العلمية الروح العالية للتصدي لكل هذه المشكلات ، فسوف تقع تحت سيطرة الآخرين بلا شك ، وتفقد قدرتها ومسؤوليتها .

وهذا أيضاً يرتبط بقضية التقوى ، فالتقوى عندما نفهمها بهذا المضمون الكلي العالي يكون لها مدلول كبير آخر في هذا المجال .

فلا بد أن ننظر الى الحوزة العلمية من هذا الموقع الخاص المهم ، حيث لها الموقع الأهم بعد الكيان السياسي الاسلامي الشرعي الأصيل ، وكذلك من خلال هذه المميزات والخصوصيات التي لا بد أن نتحملها ، ونحاول أن نكملها .

مواصفات طالب العلم

أما ما يتعلق بالمحور الثاني وهو محور طلبة الحوزة العلمية ، فسوف أذكر فهرساً ، لأن الوقت أشرف على نهايته .

١ - التزكية

في هذا الموضوع عدة قضايا أساسية ومهمة ، ذكر بعضها الأخوة الأعزاء ، وبعضها أشرت إليها كقضية التقوى ، وهي قضية مهمة جداً ، وأؤكد عليها مرة أخرى في طلبة العلم والحوزة ، ونحن نؤكد عليها بصورة عامة ، ولكن في طلابنا نحتاج أكثر الى هذا الجانب ، وبعض الأساتذة الأفاضل شرحوا وبينوا كثيراً من التفاصيل ذات العلاقة بهذا الموضوع ونحتاج دائماً الى أن نؤكد عليه .

والتأكيد على التقوى على مستوى محاضرة ، أو حديث في داخل الدرس مفيد جداً ، لكن تبقى القضية هي المعالجة الشخصية والمحاسبة النفسية ، وهي قضية الطالب نفسه ، ومقدار تأكيده على هذا الجانب ، وتخطيطه لايجاد هذا الموضوع في نفسه ، فالقضية الأساسية والمهمة هي هذا الجانب وهو الأهم .

والأمر يتعلق بالطالب ومقدار قناعته ومحاسبته لنفسه وتخطيطه الشخصي للوصول الى هذه الدرجات التكاملية ، والتقوى وإن كانت مصلحة ، لكنها قبل كل هذه المصالح هي قضية

الانسان نفسه ، كيف يمكن أن يصل الى الله ويكون مرضياً من قبل الله ؟ .

طلب العلم

والقضية الثانية هي طلب العلم والمعرفة التي أشرت اليها ، فالعلم فيه مضمون ومحتوى ، ونحن لابد أن يكون لدينا تطوير في المضمون والمحتوى ، كما ذكر بعض السادة الأفاضل في حديثه ، ولكن هناك جانب مهم في العلم وهو قضية الشكل والبيان لهذا العلم ، وتقديمه للناس .
ولذلك نجد من جملة الصفات التي يصف القرآن الكريم بها نفسه أنه مبين ، يعني أن هذا الأمر لابد أن يكون أمراً بياناً واضحاً للناس ، حتى يمكن أن يفهموه ويعرفوه ، فالعلم والمعرفة يحتاجان الى هذا الجانب .

٣- الوعي السياسي

القضية الثالثة هي : قضية الوعي السياسي ، والحوزة العلمية قد تكون رغبته - كما ذكر بعض السادة الأفاضل وهو صحيح - أن يتعد الطالب عن المشكلات السياسية في هذه المرحلة ، ويفرغ نفسه لطلب العلم ؛ لأن دوره الاساسي ومهمته الأساسية طلب العلم ، ولكن شئنا أم أبينا فهذه القضية ليست قضية إرادة .

لقد أصبحت القضية السياسية قضية يومية شئنا أم أبينا ، فالانسان يمر في الشارع ويجد أمامه القضية السياسية ، ونحن الآن كعراقيين في هذه الهجرة كل قضيتنا من أولها لآخرها هي قضية سياسية .

وأنا أتحدث بصورة عامة ولا أتكلم عن كل فرد ، إن وجودنا في الجمهورية الاسلامية بصورة عامة هو قضية سياسية واستثنائية ، فلولا هذه القضية السياسية لكننا في النجف . هذا هو الوضع بشكل عام .

إذن ، فقضيتنا سياسية ، وهكذا أهلنا وعشائرتنا وأقوامنا يعيشون هذه الحالة ، فضلاً عن الوضع الفعلي العالمي الموجود في عالمنا اليوم .

لقد تحول العالم اليوم الى مدينة أو قرية واحدة ، ووسائل الاتصال الموجودة تفرض - شئنا أم أبينا - دخول القضية السياسية الى أعماق وجودنا ، حتى لو أردنا أن نتعزل ، وهذه العزلة - اذا لم نخطط لهذا الأمر - سوف تؤدي الى انعزال بعض الأشخاص وليس اعتزالهم ، بمعنى أنهم يُعزلون والباقون يقعون تحت القضية السياسية ، ويخرجون من أيدينا ومن حركتنا .

هذا هو تقديري وفهمي ، ومن خلال تجربتي الطويلة في العمل الحوزوي والسياسي أقول : إن القضية السياسية مفروضة علينا . ويشهد الله عليّ في هذا اليوم الشريف - وأنا أصبحت متقدماً بالسن - لولا أن تُفرض عليّ القضية السياسية بهذا المستوى من التصدي لما تصديت ، وكان عملي بطريقة أخرى . وقد كنت أتصدي ، ولكن ليس بهذا المستوى .

القضية السياسية الآن مفروضة على هذا المجتمع ، وعلى حوزتنا وبالرغم من محاولات الكثير من المدارس والطلاب الابتعاد عن هذه القضية ، إلا أنها تواجههم في عُقر دارهم ، وعندما تكون هناك حادثة ، فالمعالجة ليست هي الاعتزال .

وفي تصوري أننا لا بد أن نغذر من الوقوع في كل وجودات القضية السياسية ، وإلا فالمعالجة هي التوعية ، أي أن نعي القضايا السياسية ، ونفرق بين القضايا الكلية والقضايا التفصيلية ... بين التهربات والدخول في الصراعات الجانبية ، وفي هذا الحزب أو هذه الجماعة أو الحركة أو الجناح - وهذه المسألة لا بد أن يبتعد عنها الطالب ابتعاداً كلياً - وبين مسألة هموم الأمة وقضاياها .

وهكذا قضية الوعي السياسي والاجتماعي العام في الحركة العامة ، وهي قضية أساسية ومهمة ، وفي تصوري أنها لا بد أن تدخل للحوزة ، لا من قبل الاعداء والمنافسين والمفرورين ، وإنما من قبل المخططين لهذه الحوزة ، والمدرسين ، بطريقة مناسبة بحيث تجعل هؤلاء الطلاب في حماية ومأمن من الوقوع في المشكلات السياسية ، وذلك شبيه بالتطعيم الذي يوجد مناعة لدى هذا العنصر الحوزوي من الوقوع في المشكلات السياسية ، التي لا يريد أن يقع فيها .

ولا بد أن يتربى طالب الحوزة على ذلك ، لأنه إذا خرج من الحوزة سوف يواجه هذه الحالة ، فلا بد أن تكون عنده هذه المناعة والرؤية ، أو على أقل تقدير أن تتضح رؤيتنا - مثلما اشرت في بعض الملاحم - للحوزة ودورها ولمهامها ومسؤولياتها ، وكثير من الطلاب لا يعرفون ذلك ولا يفهمونه ، ومن ثم يقع تحت تأثير هذه الجماعة أو تلك ، فرة يقول : الحوزة جيدة ، وأخرى الحوزة سيئة ، أو أن الحوزة لا تقوم بدورها . ومرة يتهم العلماء والمراجع ، وهكذا .

فإذا لم تكن هناك تربية حقيقية بالنسبة الى مختلف أوضاعنا ، فسوف تقع في هذه المشكلة .

٤ - التوعية والجهاد المعنوي

القضية الرابعة : قضية التوعية والجهاد الروحي والمعنوي ، فنحن بحاجة الى طلاب يتحملون المعاناة والتضحيات والآلام ، وهذه الحوزة العلمية لم تبين ولم توجد إلا في أحضان أهل

البيت ، ونحن في كل يوم نقرأ مصيبيه أهل البيت ، وفي كل يوم نشهد هذه المصائب ، والعلماء الذين مضوا والذين بقوا كلهم مروا بالآلام والمحن ، وأنتم الآن تمرون بهذه الآلام والمحن ، آلام الهجرة ، فإذا لم نربّ طلبتنا على تحمل الآلام والتضحيات والاستعداد لذلك ، لا يمكنهم أن يقوموا بواجبهم ومسؤوليتهم .

وليس الأمر أن يكون عند الطالب استعداد للجهاد فقط ، فإذا كان يتضرر شخصياً بهذا الجهاد مالياً وعائلياً ، كأن يكون مسكنه ضيقاً ، أو ظروفه صعبةً ، ويعيش مع المستضعفين والمساكين ، ويأكل أكلهم ويشرب شربهم وهو يتمكن من ذلك ، فهل يترك الجهاد ؟ فعندما يجد فرصة أخرى هنا وهناك أفضل من هذه الفرصة ، بأن يذهب ويفتش عن الفرصة الأفضل ، والوضع والمال والاحترام الأفضل ، وتقبيل اليد الأفضل ، والصلوات الأكبر ، وغير ذلك مما يرغب به ، فإن مثل هذا الطالب لا يمكن أن يؤدي دوره ، وسوف ينكمش على هذه المواقع وتبقى المواقع الأخرى مكشوفة .

إن عالمنا الشيعي تعرض ولا زال يتعرض الى هجوم واسع من الوهابيين والبهايين ، في مختلف المناطق وليس في منطقة واحدة ، يتعرضون الى هجوم واسع من الأحمديين ، في بعض المناطق ، ويتعرضون الى هجوم واسع من جماعة أغا خانين ، وما أشبه ذلك في أفغانستان والهند وأفريقيا وأوروبا ، وغيرها من مناطق ، فضلاً عن المشكلات الأخيرة التي وجدت في داخل حوزتنا العلمية .

وهذه المسألة تحتاج الى هذا النوع من التضحية ، وسوف أذكر لكم تجربة ربما يعرفها بعض الأخوة الأعزاء والسادة الأفاضل .

أسست مدرسة في كراچی ، وكان في التخطيط أن يكون فيها ألف طالب ، يقومون بدور كبير جداً في شبه القارة الهندية وأفريقيا ، لكن هذه المدرسة لم تتجع بسبب عدم وجود أساتذة لديهم استعداد لتحمل التضحيات في إدارة هذه المدرسة ، فلا يوجد استاذ يذهب الى هناك ويتحمل مشكلات كبيرة جداً ، قد يصل بعضها الى التهديد بالموت أو الاغتيال ، وما أشبه ذلك . وإذا نظرت الى تاريخنا تجدون الكثير من العلماء والمراجع استشهدوا في سبيل قضية الحوزة ، الآن من استشهد في العراق من مراجعنا كان بإمكانهم أن ينتقلوا من التجف الى مكان آخر ، ويأمنوا على حياتهم ، ولا يواجهوا مثل هذه الأخطار ، لكنهم تعرضوا للأذى .

أحد الأمور التي يجب أن تذكر عن الامام الخوئي في مقام الحديث عن جانبه الشخصي، أنه كان قادراً على الانتقال الى ايران، ويبقى العالم الشيعي مرتبطاً به، ويحصل على أموال أكثر واحترام أوسع، لكنه مع ذلك بقي صامداً في النجف حتى اللحظة الأخيرة، الى أن استشهد، أو مات موتاً شبيهاً بالشهادة. وهذا الصمود والثبات له معانٍ جليلة، وهذا الأمر يجب أن يُقيم.

قد تكون عندنا ملاحظة ما، وهي صحيحة، لكن يجب أن يكون التقييم كلياً عندما نقيم الأشخاص، فإذا كان هؤلاء العلماء والمراجع الذين استشهدوا في سبيل الحوزة قد تحملوا الآلام، فلماذا لا يتربى الطالب على ذلك؟

لا بد أن نربي أنفسنا على هذا النوع من الاستعداد للتضحية والفداء، لا أن نكرم الشهداء فقط، فنكرم الشهيد الصدر ونمدحه ونثني عليه ونقرأ له الفاتحة. لماذا لا نفكر في الاقتراب خطوة أو خطوتين أو ثلاث من مسيرته وسلوكه وتضحيته؟

نعم، قد لا نتمكن من الوصول الى ذلك المستوى، ولكن تقترب خطوة أو خطوتين أو أكثر، حسب همتنا وقدرتنا في هذا الطريق، وهذه مسألة مهمة جداً، ومسألة التضحية والمعاناة والجهد مهمة وإساسية في تربية الطلاب.

٥ - تطوير الجانب الفني

النقطة الخامسة: والتي ابرع عنها بقضيه الفن، فالطالب في هذا العصر يحتاج الى فن، والفن سابقاً كان يدرس في علم البلاغة، وهذا فن من الفنون، ولكننا انحصرنا في هذه العلوم، وقد تطورت الفنون تطوراً كبيراً جداً، والطالب بحاجة الى أن يكون قادراً على الخطابة والكتابة والحوار، وأن يدرس بصورة منهجية، أو يتكلم بلغة معينة في هذا البلد أو ذاك. وهذه الفنون ليست لها علاقة بالعلم بالمعنى الأخص من العلم. وهذا الفن لا بد أن نعطيه أهمية خاصة إذا أردنا أن نقوم بدورنا بصورة كاملة.

وهذا الفن - مع الأسف - لا يُعطى الدرجة الكاملة من الأهمية، فالآن على مستوى العلوم حصل تطور كبير، وينبغي التأكيد على التطور والوصول به الى درجاته الكاملة، فالتفسير - مثلاً - أصبح مادة أساسية، وهكذا موضوع الكلام وغير ذلك من العلوم، ولا بد أن نسير في هذا الطريق. أما الفنون فحتى الآن لا زلنا في بدايتها، قضيه الفن وقدرة الطالب على اداء دوره في المجتمع، وإلا فبدون هذه الفنون نتحول الى أميين في مقابل العالم، لا بمعنى أننا لا نعرف الحقائق، إنما لأننا لا

نتمكن من الأداء .

فالذي لا يتمكن أن يستخدم الكمبيوتر بصورة جيدة ، قد يصبح في يوم من الأيام عاجزاً عن القيام بدوره الحقيقي ، وكذلك من لا يتمكن من استخدام التلفون ، ففي عالمنا اليوم نحتاج الى هذه الفنون .

كان العالم - سابقاً - لا يحتاج لأن يحتك بجماعة معينة ، ولا يحتاج لأن يتحدث على المنبر ، فالناس يأتون ويسألونه وهو على السجادة وبعد الدرس ، وأما الآن فأنت تتمكن أن تخاطب العالم كله ، وليس مجموعة من الناس في حسينية أو قاعة ، فتحتاج الى فن في خطاب كل العالم ، والى غير ذلك من التطورات التي حدثت في مجتمعا .

وحوزتنا العلمية تحتاج الى أن تبدأ هذا المسير ، وليس هذا المسير سير يوم أو يومين ، لكن طلبتنا يجب أن يضغوا أمامهم هذا الأمر حتى يصلوا بإذن الله الى التكامل .

أسأل الله أن يحقق كل هذه الآمال في الحوزة العلمية ، وأن يكون هذا العام الدراسي الذي اقترن بهذه الأيام المباركة عاماً ميموناً مباركاً ، لنا ولكم وللمسلمين جميعاً ، ولشيعة أهل البيت بالخصوص ، ولا شك أن إخوانكم ، أبناء الشعب العراقي ينتظرونكم ، ويكون الفرج بإذن الله ، فنحن نعتقد أن الله يفرج عن هذه الأمة ولو بعد طول مدة ومحنة ، وسوف يكون لكم دور في العراق وفي العالم الاسلامي كله ، إن شاء الله ، لأن العراق مهد التشيع .

أسأل الله تعالى أن يحقق كل هذه الآمال ، والى أرواح شهدائنا الأبرار ، ومراجعنا العظام وأسلافنا الصالحين ، ولا سيما أسلاف الأخوة الحاضرين ، والى روح امام الأمة والشهيد الصدر ، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد .

المحتويات

٣	المقدمة
٥	الحوزة العلمية العراقية والأوضاع القائمة في العراق
٨	حركة المرجعية في العقود الأخيرة
٢٠	أسئلة وأجوبة
٢٤	أبعاد التبليغ
٣٠	السلك الحوزوي والجهاد
٤١	المناهج الحوزوية وتهيئة الكادر الرسالي
٥٥	الحوزة العلمية بين الأصالة والحداثة
٦٥	دور الحوزة في مرحلة التغيير
٧٤	شروط القبول في الحوزة العلمية
٨٣	مسؤولية الحوزة العلمية
٨٦	الحوزة العلمية في النجف الأشرف
٩٠	مناهج الحوزة العلمية ومتطلبات العصر
٩٧	مدرسة دار الحكمة قدوة لباقي المدارس
١١١	الحوزات العلمية والحركة الثقافية
١٢٦	العلم والصبر
١٣١	دور العلماء في قيادة الأمة
١٣٨	حركات الإصلاح في الحوزات العلمية
١٥٣	حركة الشهيد الصدر الإصلاحية في الحوزة العلمية

١٦٥	موقع الحوزة من قضايا الأمة
١٧٨	الحوزة العلمية والنهضة الإسلامية المعاصرة
١٩٦	موقع الحوزة العلمية من العمل السياسي
٢٢٩	دور العلم في حياة الانسان
٢٣٦	إثارات حول الحوزة العلمية
٢٤٥	موقف الحوزة مما يجري في افغانستان
٢٥٤	الحوزة العلمية والثقافة السياسية
٢٦٧	الثقافة الحوزوية
٢٧٨	تفعيل البحث والتحقيق في الحوزة العلمية
٢٨٣	مهام الحوزة العلمية في العصر الحديث
٢٩١	أهل البيت عليه السلام والحوزة العلمية
٣٠٥	الحوزة العلمية والاخلاق
٣١٧	خصائص وامتيازات الحوزة العلمية
٣٣٥	المحتويات

